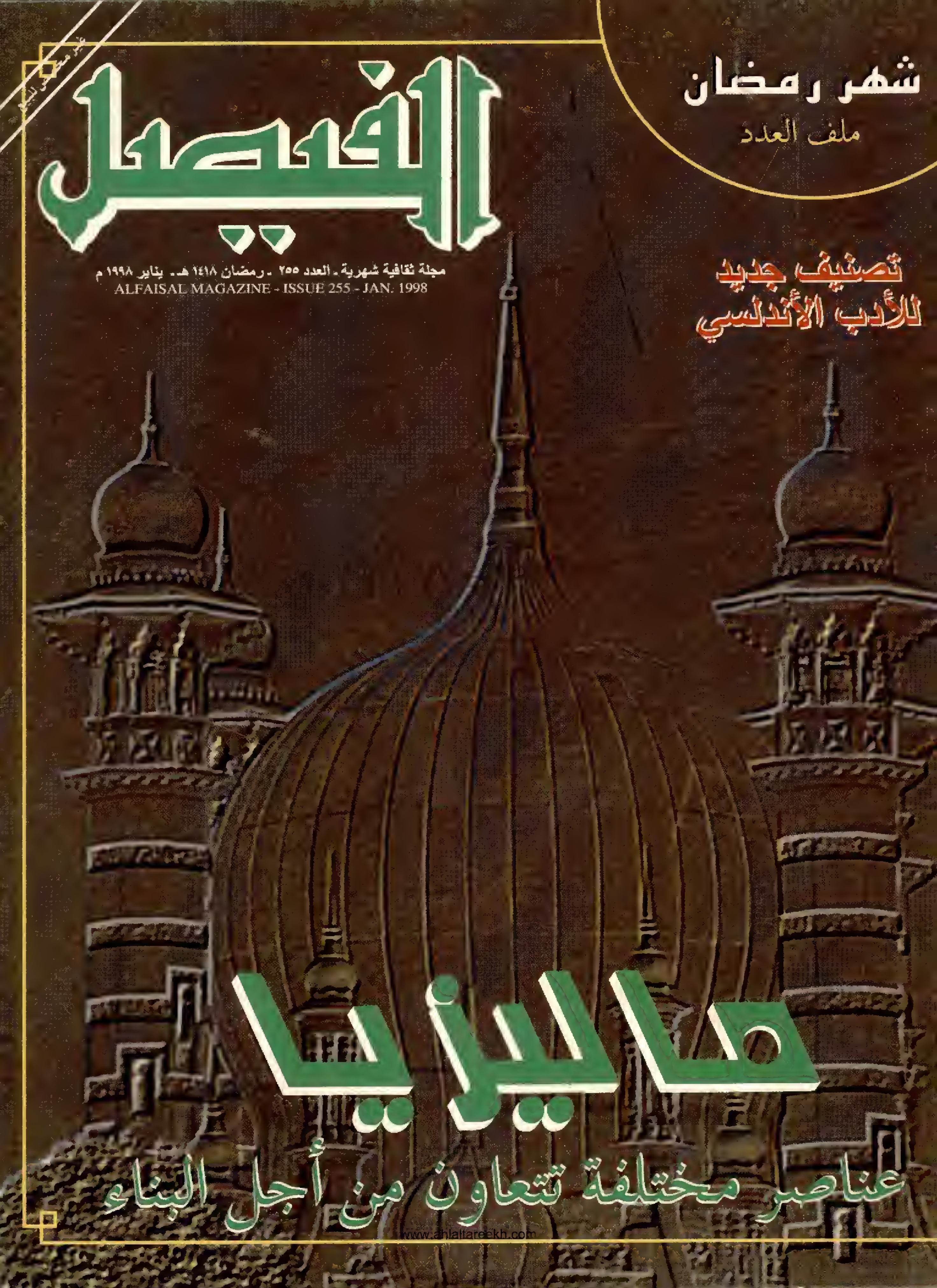


الفيصل
مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٢٥٥ ـ رمضان ١٤١٨ هـ ـ يناير ١٩٩٨ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 255 - JAN. 1998
شهر رمضان
ملف العدد
تصنيف جديد
للأدب الأندلسي
ماليزيا
عناصر مختلفة تتعاون من أجل البناء
www.ahlaltareekh.com

مسألة الرحمن على العرش استوى

تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ

يُعد شيخ الإسلام ابن تيمية من أشهر علماء الإسلام في العقيدة وفي الفقه وأصوله، وقد أفتى ودرس وهو دون العشرين من العمر، وذكرت مصادر ترجمته أن تصانيفه زادت على أربعة آلاف كراسة، ومن بينها رسالة في «مسألة الاستواء على العرش» أجاب فيها ـ رحمه الله ـ عن أسئلة تتعلق بآيات الصفات؛ كقوله تعالى: *الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى* طه:٥، وقوله تعالى: *ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ* فصلت:١١.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»، وقوله عليه السلام: «يضع الجبار قدمه في النار، فتقول: قط قط».

وقد أجاب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن هذه الموضوعات بأسلوب جلي واضح، مبرهنًا على أقواله بالحجج القوية، ومستشهدًا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة.

وقد قال في مقدمة هذه الرسالة: قولنا ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب.

تقع هذه المخطوطة في ١٢ ورقة، وفرغ الناسخ من كتابتها بخط نستعليق سنة ٧١٨ هـ، وتعد هذه النسخة نادرة؛ حيث كتبت في حياة المؤلف.

إعداد:

إبراهيم باجس عبدالمجيد

في العدد القادم

- **الدكتور زياد السديري يعود إلى سكون الصحراء وحياة البادية، ويحكي تفاصيل رحلته المثيرة من سكاكا إلى جبة على ظهور الإبل.**
- **وسائل الإعلام وأياديها البيضاء على اللغة العربية.**



مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

الذي يتابع مجلة الفيصل يجد نفسه في كل عدد أمام واحة خصبة، مفعمة بالممتع والمفيد من المقالات والموضوعات التي تشبع فضول القارئ وتلبي رغباته واهتماماته، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن المتابع لعدد الفيصل (٢٥٤) لشهر شعبان ١٤١٨هـ، يدلف إليه عبر إطلالة رئيس التحرير عن موضوع بالغ الأهمية بعنوان «الأرقام الغبارية.. لماذا؟» يتطرق إلى قصة الأرقام، وما أسهم به علماء العرب في علم الحساب، والأسباب التي دعت «الفيصل» إلى العودة إلى استعمال الأرقام العربية الموصوفة بالهندية؛ مما يدل على سعة الصدر، والبحث عن الأصوب والأصلح، والحرص على كل ما يصون التراث الأصيل. وهو استهلال جميل يفتح شهية القارئ ويدعوه إلى الاسترسال في قراءة سائر الموضوعات. فمن خلال «قصة قصيدة» يُطل علينا الدكتور محمود جبر الربداوي برائعة من روائع الأدب والتراث، بأسلوب عذب هو أقرب ما يكون إلى السهل الممتنع، ونظرًا لأن «صداع العقول» ما انفك يشغل الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل، فإن ذلك الصداع يجلب لقراء المجلة المتعة الأدبية وهو بحق من تسمية الأشياء بعكس اسمها فهو: غذاء العقول. ومن خلال «من المكتبة السعودية» يتاح للقارئ الاطلاع على طائفة مختارة من العطاءات الفكرية التي أخذت سبيلها إلى المكتبة السعودية، ولا نجاوز الحقيقة حين نقول: إن هذا الباب همزة وصل بين القارئ والجديد من الإصدارات الأدبية، وفي تضاعيف المجلة يتنقل القارئ بين رياض جميلة من خمائل الشعر والنثر الأدبي الرصين، ففي «أقوال الماضي للحاضر» للدكتور عبدالعزيز الخويطر استلهام للتراث من أجل الحاضر، وفي «رحلة مع الشيخوخة على متون القصائد» نفحات من الشعر الأصيل، وفي العدد دفاع عن العربية من خلال أكثر من مقالة، وللبيئة مكانتها في موضوعات ثلاثة تتصل بالفضاء والثروة الحيوانية والتغطية الصحفية. هذا التنوع هو ما يميز الفيصل؛ مما يدعوني إلى القول: إنها حقًا رحلة مفعمة بالمتعة والإثارة عبر عدد جميل من إعداد مجلة الفيصل. تمنياتي للمجلة والقائمين عليها بالتوفيق والسداد.

بدر محمد السعيد
الكلية التقنية بالرياض

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ ـ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٤٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



خطوة رائدة ورشيدة

قادتني إطلالتكم الغرّاء المعنونة بـ«الأرقام الغبارية.. لماذا؟» إلى استلال قلمي للتعبير عن مدى إعجابي وتقديري لتلك الأطروحة المفيدة الهادفة. وليست طريقة تناولكم المتّسمة بالعمق والموضوعية والإنصاف هي موضع إعجابي فحسب؛ بل عظمت في عيني - وقلبي أولاً - جرأتكم إلى حدّ اعترافكم بالحق ولجوئكم إلى الفاضل ونبذكم للمفضول مباشرة. هذا علاوة على عنايتكم الفائقة بشعور قرّاء الفيصل وعشّاقها، وإغنائكم إيّاهم عن «لماذا» و«كيف» اللذين سيردان - بلا شك - إذا لم يكن هذا الإشعار المسبق.

وإنني لآمل أن تكون هذه الخطوة الرائدة مرشدة للمجلات الأخرى التي تنهج هذا المنحى المفضول بصفة خاصة، وآخذة بأيدينا جميعًا إلى العمل الدؤوب والسعي الجادّ إلى إقامة جسر شامخ بيننا وبين تراثنا الإسلاميّ الغالي بصفة عامة. ومن الحقائق الثابتة التي لاينكرها أولو البصر والبصيرة أن ثمة ويلات جنتها الترجمة على اللغة العربية وشارك في ترسيخها مروّجو التغريب فكرة وأسلوبًا. فالعربية التي شكت في زمن حافظ إبراهيم لاتزال تئن في هذا العصر. فهلْ لها من منقذٍ ومجيبٍ قبل أن تبلغ روحها الحلقوم؟!

وهاكم مني جزيل الشكر وفائق الاحترام.

عبدالحفيظ أحمد أديدميج النيجيري
ص.ب ١٠١٦٧، كلية اللغة العربية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

«الفيصل» و«الرسالة»

بعد أن أمعنت النظر في هذه المجلة، وتصفحتها بدقة، لا أستطيع إلا أن أصفها بأنها مجلة جادة في زمن كثرت فيه المجلات والصحف التي تحمل الغث الهزيل.

فتلك مجلة تهتم بشؤون المرأة فتقتصر على مظهرها الخارجي كما لو أنها بلا عقل، وأخرى تغري الشباب بصور فتيات الغلاف، وثالثة لا همّ لها إلا التسلية، ورابعة... وفي خضم هذه الموجات المتلاطمة من هدير المجلات غير المفيدة، تبرز «الفيصل» بجديتها ورصانتها، حاملة في طياتها موضوعات ملتزمة، لا تحيد عنها، لأنها لا تحتكم إلى النظرة المادية التي تحكم غيرها من المجلات التي أشرت إليها.

وهذه مجلة إن صدق حدسي سوف تعمر طويلاً، وستمثل مرجعًا لطلاب العلم والمثقفين، وهي تذكرني بمجلة «الرسالة» التي كانت تصدر في مصر. ومع أن مجلة «الرسالة» توقفت، إلا أنها لا تزال تمثل مصدرًا مهمًا للمعارف والعلوم.

عبدالرحمن بن عبدالله العليان
المدرس بثانوية فيضة السر، ص.ب ١٣٩١، عنيزة.

أمد يدي للصداقة

على بعد المسافات، وعدم معرفتي الشخصية بكم، إلا أنني ألتقيكم على درب التآخي في الله.

فبعد قراءتي لمجلتكم القيمة، أعجبت بها كثيرًا لما حوته من أعمال فنية وأدبية وعلمية وإسلامية، وهذا ما جعلني أمسك قلمي لأكتب لكم هذه الأسطر طمعًا في صداقتكم؛ متمنيًا لكم دوام التوفيق، وأن يجزيكم الله خيرًا.

مرسلاب محمد
حي الجرف عمارة ٤٣ رقم ٩
باب الزوار، الجزائر العاصمة، الجزائر.

ماذا عن المستقبل ؟!

القرن العشرون يحمل حقائبه، ويكاد يرحل عنا، لنستقبل قرنًا جديدًا. الوقت يمضي بسرعة، ونحن لا نكاد نحس به، فالعرب لايزالون يعيشون بعقلية «أحييني اليوم وأمتني غدًا»! فأرجو من مجلتي «الفيصل» أن تهتم بالكتابة عن المستقبل: ماذا سننجز فيه؟ وما العلوم التي ستُبتكر؟ وكيف لنا أن نخطط له؟ وما خطط الآخرين وأفكارهم عنه؟ وهذا ليس رجمًا بالغيب، وإنما استقراء لمعطيات الواقع مما يعيننا كثيرًا على تبيُّن ملامح المستقبل. فتحياتي لكل العاملين في «الفيصل» وعلى رأسهم رئيس تحريرها.

زيتوني عبدالرزاق
حي ٢٧٠ مسكن، رقم الباب ٤٣
المسيلة ٢٨٠٠٠، الجزائر.

الحلول العملية لمشكلات الإعلام

إن ما استرعي نظري خلال قراءتي لمجلة «الفيصل» وتصفحي غيرها هو ذاك الاهتمام الملحوظ بتربية جيل المستقبل وتنشئته؛ فالدراسات التربوية التي تُعنى ببيان الصالح من الطالح تشد الآباء والأبناء على حد سواء.

ومشكلة التلفاز وتأثيراته السلبية تجد اهتمامًا واسعًا من «الفيصل»، فأرجو أن تدوم تلك المعالجات الموضوعية لمشكلات الإعلام المرئي وغيره من الوسائل الإعلامية، لأنها في رأي كثير من مفكري المسلمين تمثل شركًا يقع فيه السذج. فنود أن نقرأ حلولاً عملية لها، لا تلك الحلول الشكلية التي تكتفي بالظاهر، من دون التعمق في تناول مثل تلك المشكلات.

أنس الشرقاوي
ص.ب ٣٤٦٩٨، دمشق، سورية.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

سودان في استطلاعات «الفيصل»

حبت كثيراً بالاستطلاعات المصورة التي تنشرها «الفيصل» عن مختلف بلاد العالم، لأنها ة تعريفية مهمة، تغني معارف القارئ وتزيد معلوماته. ومع أن الإعلام المرئي يقوم بدور م في هذا الشأن، إلا أن المادة المقروءة تظل أقوى تأثيراً في نفس المثقف، الباحث عن المعرفة يقية التي تضيف كثيراً إلى رصيد ثقافته.

ن ما يحزنني كثيراً أنني لا أجد اهتماماً يُذكر باستطلاعات مدن السودان ومناطقه لفة، ففي هذا البلد/القارة مناظر تخلب الألباب، وتضاهي ما هو موجود في أفضل المناطق ياحية في العالم؛ بل تتميز منها بطبيعتها الخلابة، فهناك مدينة كسلا بنهرها «القاش»، حدائق الغناء التي تحيط بها من كل ناحية، وجبل مرة بمياهه الطبيعية التي تتدفق رقراقة. ى ضفاف النيل، تبدو مناطق جميلة على امتداد البلاد من الجنوب إلى الشمال، إضافة إلى طق الأثرية التي يرجع تاريخها إلى آلاف السنين. إن كل عناصر الجذب السياحي المتوافرة مدن السودان يجعلها تستحق أن تكون موضوعاً لأحد استطلاعات الفيصل، استمراراً رها في التعريف بالعالم العربي. وإننا لعلى ثقة بأنكم لن تبخلوا علينا بموضوع غني في توى «الفيصل».

إيهاب فيصل راشد
عبري، الشمالية، السودان.

انتظار وترقب

ل الله لي ولكم العافية، ودوام التوفيق والتقدم فيما تقومون به من عملٍ جليلٍ في مة الثقافة العربية والمعرفة الإنسانية.

من نافلة القول: إن مجلتكم تقوم بدور خطير في مجال التبصير والتوعية، مُحاولةً ى ما أُوتيت من جهد، ربط القارئ العربي بما يجري حوله من مختلف الفنون تات المعرفة، في بقاع العالم المختلفة، وقد أدّت هذا الدَّور بجدارة واستحقاق، فة إلى ما تقوم به من إعادة الثقة في نفس المثقَّف العربيّ الذي كاد يفقد هويته وسط ات هذا العالم القلق.

لنا ـ نحن هنا في السودان ـ نترقب بشغف شديد أول كل شهر صدور هذه المجلة لاقة من «الرياض»، يحدونا الأمل في أن تروّي ظمأنا من جديد.

قرشي عباس قسم الله
مصنع سكر الجنيد، السودان.

مجلة لكل العرب

أكتب لكم مبديًا إعجابي بالجرعات الثقافية التي تحتويها صفحات «الفيصل». ولأننا ننشد كمال الإبداع، ونتعامل مع المجلة على أنها لكل العرب، ولا نعدها سعودية فحسب، فإني أقترح عليكم منح جائزة لأفضل قصيدة شعرية، وأفضل قصة قصيرة في كل عدد. ومع أنني أثق بمصداقيتكم وحيادكم في عرض الموضوعات، إلا أنني ألاحظ وجود تهميش لموضوعات أديب ما، في حين أن هناك استرسالاً في موضوعات أديب آخر! وليت المجلة تتبحر في الأدب الاجتماعي، لأن القضايا الاجتماعية بأنواعها أسرع وصولا إلى العقل والقلب معًا.

علي محمود عماشة
الكفر الجديد، المنزلة، الدقهلية، مصر.

.. وإصدار للقصة القصيرة أيضًا

أنا أحد القراء المتابعين للمجلة منذ سنوات عديدة. وقد تعودت ـ وغيري من القراء ـ أن تتحفنا المجلة بكل جديد يواكب متطلبات العصر. وبمطالعتي للعدد ٢٤٤ وتصفحي لما حوى من موضوعات ومقالات نفيسة وجدت إعلان المجلة عن الإصدارات الجديدة لدار الفيصل الثقافية. وكم سررت بذلك، وأحسب أن القراء شعروا بمثل شعوري. إلا أنني أقترح على المجلة أن تجعل ضمن هذه الإصدارات إصداراً للقصة القصيرة تجمع فيه القصص القصيرة التي نُشرت فيها؛ لما تتميز به تلك القصص من أدب رفيع متميز. أرجو أن يتحقق ذلك في القريب العاجل ضمن هذا الإصدار، وشكراً لكم على كل جديد، والسلام.

هشام بن ناصر بن زرعة
ص.ب ٤٥٠٧، الخبر ٣١٩٥٢

البحث عن حلول عاجلة

أن أبعث بهذه الرسالة المتواضعة لأشكر لكم جهودكم المخلصة ومساعيكم الحميدة، وكذلك كل صاحب جهد ونشاط وبذل وعطاء مستمر في مجلتكم لدة «الفيصل». ولا يسعني إلا أن أقول لكم: جزاكم الله خيراً، وبارك الله فيكم وأمدكم بالصحة والعافية والاطمئنان دائماً وأبداً، كما أوجه الشكر الجزيل لكل يكتب إليكم، وكل من يقرأ مجلتكم ويسهم في تطويرها، وتحديثها. فهي بحق مجلة كل العرب وبها كل الثقافات.

د أن أعرب لكم عن بالغ الأسى والحزن لعدم وصول مجلتكم إلى محافظتي (البيضاء)، ولا أدري ما الأسباب التي أدت إلى انقطاعها وعدم وصولها؟ إلا أنني لت معجبًا بها ومحتفظًا ببعض أعدادها القديمة. وأرجو من الله أن يوفقكم حتى تبحثوا عن الحلول اللازمة لأجل وصولها إلى مدينتي باستمرار. وكم أتمنى أن ب إلى مجلتكم بما استطعت من موضوعات؛ ولكن كيف أتأكد من وصولها ونشرها نظراً لعدم وصولها إلينا. فأرجو أن تبحثوا عن الحلول العاجلة.

علي أحمد عبدالله جميح، ص.ب ٣٨١٤٥، البيضاء، اليمن.

ذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.



إطلالة

نعم.. الإنسان



تشير إحصاءات منظمة الصحة العالمية إلى أن زهاء ٧٠٠ ألف شخص يموتون سنويًا ضحية حوادث المرور في العالم، إضافة إلى أن هناك زهاء ١٠-١٥ مليونًا يصابون بإصابات مختلفة في تلك الحوادث. أما حوادث المرور في المملكة العربية السعودية فهي من أعلى المعدلات الدولية، فمعظم الدول يبلغ معدل عدد قتلى حوادث المرور فيها زهاء ٢٠ قتيلاً لكل ١٠٠ ألف، إلا أن المعدل في المملكة يصل إلى ٢٤ قتيلاً للعدد ذاته.

وشهد عام ١٤١٦هـ وحده أكثر من ١٦٧ ألف حادثة مرورية، بينما لم يتجاوز عدد الحوادث في العام ١٣٩٧هـ ١٦ ألف حادثة، وبلغ عدد الوفيات في المدة الواقعة بين عامي ١٣٩٤هـ - ١٤١٦هـ زهاء ٦٥ ألف متوفٍ، ووصل عدد المصابين إلى مليون مصاب، وتوضح أحدث الإحصاءات أن حوادث المرور تؤدي إلى مقتل شخص كل ساعة، بينما يصاب زهاء أربعة أشخاص.

وتكشف الإحصاءات عن واقع مؤلم، وهو أن ٧٨٪ من ضحايا حوادث المرور تقل أعمارهم عن ٤٥ سنة، ٤٠٪ منهم دون الخامسة والعشرين، وقد زادت نسبة هذه الحوادث ٤٠٠٪ خلال عقد واحد.

إن أهم مضمونات هذه الإحصاءات يتمثل في وجود نزف مستمر في الطاقة البشرية القادرة على العمل، التي يتم إعدادها وتأهيلها ببذل كثير من الجهد والمال حتى تتحمل مسؤولياتها في تحقيق الإنماء الشامل في المجتمع، إضافة إلى إهدار الإمكانات المادية للبلاد، وتخريب البنى الأساسية التي أقامتها الدولة، سعيًا نحو تحقيق غايات المجتمع في حياة كريمة لكل مواطن تلائم العصر، ليتمتع بكل الإنجازات المادية التي أفرزتها الحضارة الحديثة، وذلك بأسلوب حضاري يصون حق الفرد والمجتمع، ويحقق ارتفاعًا في مستوى التعامل مع المكتسبات والإنجازات المادية، بما يحقق الغرض منها في توفير سبل الراحة للإنسان، وتهيئة الظروف البيئية والنفسية الملائمة له لكي يبدع في مجاله.

أما أن تبلغ الخسائر السنوية الناجمة عن حوادث المرور قرابة ١٦.٨ مليار ريال، فدليل على أن هناك قصورًا في الوعي بأساليب التعامل الحضاري مع تقنيات العصر وإنجازاته، يحوّل معظم تلك التقنيات والإنجازات إلى نقمة، بدلاً من أن تكون نعمة، ويؤدي إلى تعاظم أخطارها وأضرارها، إلى حد تهديد حياة الإنسان.

والسلوك الذي لا ينضبط بقواعد المرور لا يمثل خطأ عارضًا يمكن تجاوزه، وإنما هو في حقيقته تجسيد لأسلوب حياة، فإن من يتجاوز السرعة القانونية المسموح بها للحاق بموعد مهم، هو شخص غير منظم في حياته، وإلا كان عليه أن يقدر الوقت الذي يستغرقه للوصول إلى المكان الذي يقصد إليه، وأن يأخذ في حسبانه ما قد يعترضه من عراقيل في الطريق كالزحام، أو حادث طارئ يعطل حركة السير، إضافة إلى أهمية وجود فسحة من الوقت للاطمئنان على سلامة سيارته قبل الانطلاق بها.

والسرعة الزائدة ليست تعبيرًا عن الحرص على احترام المواعيد، وإنما هي دليل استهتار بالوقت وأهميته لأنها يمكن أن تكون سببًا في تعطيل الشخص وتأخيره عن موعده، بل عدم بلوغه الجهة التي يقصد إليها، إذا نتجت من هذه السرعة حادثة ما، وهذا الأسلوب في تأخير العمل إلى آخر لحظاته بدرجة كبيرة في مجتمعاتنا، يؤدي إلى مشكلات كثيرة تحول دون بلوغه مستوى الإجادة المطلوبة.

وهذه السرعة الزائدة التي اعتادها كثير من السائقين تشكل خطرًا كبيرًا، عندما لا تتلاءم مع وضع الطريق وحالتها، أو مع الحالة الفنية للسيارة، أو مع قدرات السائق ومهاراته، وهي تعكس أنانية مفرطة، وعدم تقدير لظروف الآخرين التي قد تماثل ظروف السائق، إن لم تكن أكثر إلحاحًا.

وهناك من الأخطاء المرورية ما يؤكد بعض المفهومات الخاطئة التي تشيع في المجتمع؛ فتغليب العاطفة على العقل، والاحتكام إليها، يجسدهما سلوك ذلك الأب الذي يضع ابنه الصغير في حجره، متوهمًا أنه يعبر عن حنوّه عليه، وحبه له، بينما الابن في هذا الوضع كالكيس الهوائي الواقي للأب، لأنه الذي سيتلقى الصدمة الأولى عند وقوع حادثة.

وتشير لغة الأرقام إلى أن نسبة الأطفال الرضّع الذين هم دون السنة من ضحايا الحوادث تبلغ خمسة أضعاف نظيرتها في أمريكا، وتسعة أضعاف النسبة في بريطانيا، مما يدل على أن العاطفة الجارفة التي يديها بعضنا تجاه الأطفال لا تترجم إلى واقع يتناسب مع هذه العاطفة، وإنما هي تماثل عاطفة الدبّة التي تقتل وليدها خوفًا عليه؛ فبينما يشيع في الدول المتقدمة استخدام مقعد تثبيت الطفل في السيارة، واستعمال حزام الأمان، فإن هناك نسبة قليلة جدًا تلجأ إلى ذلك في بلادنا لحماية الأطفال من الحوادث.

وإذا كان الناس في تلك الدول يحرصون على أن يكون أبناؤهم في المقعد الخلفي بوصفه الأكثر أمانًا، مع اتخاذ الوسائل التي تحميهم، فإن كثيرًا من الأطفال عندنا لا يجلسون إلا في المقاعد الأمامية في أوضاع غير مناسبة، كأن يخرج الطفل رأسه أو يده من نافذة السيارة، أو أن يكون في وضع الوقوف على الكرسي، أو أمامه مما يعرضه للخطر في أي لحظة.

وهذا الأسلوب الخاطئ الذي تحكمه العاطفة يتجسد بصورة أكثر خطورة حين يسمح بعض الآباء لأبنائهم بقيادة السيارة من غير أن يكونوا مؤهلين لذلك، أو تتوافر لديهم المهارة الكافية، وقبل بلوغهم سن استحقاق رخصة القيادة، مما يعرض حياتهم وحياة الآخرين للخطر، ويؤدي إلى إتلاف الممتلكات الخاصة والعامة. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، وإنما تتمثل خطورته في ترسيخ بعض القيم السلبية في نفوس هؤلاء الأبناء، ومن أولى تلك القيم عدم احترام النظام، واعتياد مخالفة القانون، مادام الآباء الذين يُفترض فيهم أن يكونوا قدوة لأبنائهم يُقْدِمون على عدم التزام القانون، بل يشجعون أبناءهم على الاقتداء بهم بأسلوب عملي، حين يسمحون لهم بقيادة سياراتهم من دون أن يكون لديهم المهارات اللازمة لذلك. ويزداد الأمر سوءًا حين يلجأ بعض الآباء إلى تسويغ أخطاء أبنائهم إذا وقعوا تحت طائلة القانون؛ إما لعدم حملهم رخص القيادة، وإما لتسببهم في حادثة ما، فيتعلم الابن من هذا الموقف المدافع من الأب من منطلق العاطفة البحت مبادئ التفكير التسويغي بدلاً من ممارسة التفكير النقدي الذي يؤدي إلى الإفادة من الأخطاء لتجنب الوقوع فيها في مرات قادمة، بينما يرسخ التفكير التسويغي دفع الخطأ عن النفس، وإلقاء اللوم على الآخرين، مهما كان الإنسان متأكدًا من خطئه. وينسحب مثل هذا التفكير على المواقف الأخرى في حياة الإنسان إلى أن يصبح طبعًا أصيلاً فيه، فيلجأ إلى البحث عن مسوغات لأخطائه، بدلاً من أن يعمل على معالجتها، ويترتب على ذلك تعمق قيم الاستهتار وعدم المبالاة، وعدم تقدير العواقب، والعشوائية في التصرف، وهذا ما تنتج منه أضرار بليغة تقع على الفرد والمجتمع معًا.

إن قائد السيارة يتعامل مع عدّة أطراف حين يقود سيارته منطلقًا في الطريق العام، فهو يتعامل مع آلة، فيتعين عليه أن يعرف خصائصها، والأسلوب الأمثل لاستخدامها، وكيفية تفادي مخاطرها، وهو - كذلك - يستخدم الطريق، التي أعدتها الدولة، وصرفت في إعدادها كثيرًا من المال والجهد، لكي تكون على المستوى الحضاري اللائق بمن يستخدمها، مما يستوجب عليه أن يحرص على سلامتها، وأن يلتزم القوانين المنظمة للسير فيها، لتظل على مستواها الراقي أطول مدة ممكنة، لأنها تعكس للآخرين الصورة الحضارية لمستخدميها. وإن مما يسعد الإنسان ذلك الإعجاب الذي يبديه الزائرون للمملكة تجاه طرقها وأنفاقها ومعالمها الحضارية المختلفة، وموازنتهم لها بما هو موجود في أرقى الدول وأكثرها تطورًا، مما يحتم علينا ضرورة المحافظة عليها، والحرص على ديمومتها باتباع أسلوب حضاري في التعامل معها. أما مراعاة حقوق الآخرين ممن يستخدمون الطريق فهي من أوجب الأمور التي ينبغي أن يحافظ عليها كل قائد سيارة، لأن في ذلك ضمانًا لحقه في المقام الأول، ولأن العواقب الوخيمة



للفوضى في استخدام الطريق لا تقع على الآخرين فحسب؛ وإنما تقع في البدء على الشخص المتسبب فيها. وعدم مراعاة الإنسان لحقوق الآخرين، يدفعهم إلى الاستهانة بحقه، مما يؤدي إلى شيوع الأنانية، والافتقار إلى آداب الطريق، لتزداد بذلك حوادث المرور التي تؤدي إلى فقدان المجتمع طاقات بشرية هائلة، وموارد مادية كبيرة، وإهدار المكتسبات التي تحققت من دون وجه حق.

وآداب الطريق التي ينبغي أن يلتزمها الإنسان هي جزء من الآداب العامة التي ينبغي أن يتحلّى بها في حياته، حتى يسير المجتمع نحو غاياته في تحقيق الرقي الحضاري، وهي لا تتوافر من عدم، وإنما تحتاج إلى مستوى عالٍ من التفكير يعكس قدرة الإنسان على توظيف عقله في مواجهة المواقف المختلفة، ليأتي رد فعله متوافقًا مع الموقف، ومنطلقًا من قيم المجتمع وثوابته.

وأكثر ما يعمق مثل هذا التفكير في نفس الإنسان وجود القدوة الصالحة التي توجهه من خلال الممارسة العملية. وتعد الأسرة الأساس في تشكيل هذا النمط من التفكير، لأنها الخلية الأولى التي ينتمي إليها الإنسان، فيبدأ في استقاء قيمه ومثله منها، قبل أن يخرج إلى المجتمع الفسيح، ويتم ذلك في المراحل المبكرة من عمر الإنسان بالمحاكاة والتقليد لأفعال الأب والأم والآخرين الذين يكبرونه سنًا، مما يقتضي ضرورة أن تتوافق أعمال الأب والأم بصفة خاصة مع أقوالهما، فلا يُنهى الطفل عن سلوك يأتيه أحدهما، لأن مثل هذا التناقض يجعله لا يبالي بالنصائح التي تُقدَّم إليه، إذ إن السلوك الفعلي المجسد للقيم والمثل والأفكار التي تتضمنها الأقوال هو الأكثر تأثيرًا في نفس الطفل وفي توجيه سلوكه.

وكلما كان التوافق قائمًا بين سلوك القدوة وفعلها، كان النمو الفكري للمقتدي أكثر اتزانًا، وأقدر على الاستيعاب والفهم، وأكثر تمسكًا بالقيم والأصول، وأميل إلى التزام القوانين، والانضباط في السلوك بما يتفق مع قيم المجتمع ومثله.

وقد أثبتت الدراسات أن المعلومات لم تعد عائقًا في عالم اليوم، وأن برامج التوعية ليست ذات جدوى، مالم تكن هناك قناعة لتغيير السلوك، واستعداد للابتعاد من تحكم العادات، ولعل الأمر يبقى أكثر سهولة حين يتم تهيئة الإنسان لتقبل مبادئ السلوك السوي في الصغر. والبيت أفضل مكان يتمرس فيه الطفل على التزام النظام وحبه بالممارسة الفعلية له اقتداء بأبويه، ففيه يتعلم كيف ينظم حاجياته، وكيف يرتب محل نومه، وينظم غرفته، ليكون كل شيء في مكانه الصحيح، إلى أن يصبح مثل هذا السلوك عادة أصيلة في نفسه. وهو يقتدي بأبويه فيتعلم منهما أسلوب التعامل مع الآخرين على اختلاف أعمارهم، بحيث يكتسب احترامهم، مما يولد في نفسه الثقة بالنفس، والانفتاح الإيجابي على المجتمع من واقع معرفة الذات، فيتهذب سلوكه، ويرقى حسه الاجتماعي.

ويأتي بعد ذلك دور المدرسة في تعميق الجوانب الإيجابية في اتجاهات الطفل وسلوكه من خلال المتابعة الدائمة والتقويم المستمر والتوجيه الواعي، مما يهيئ له فرص الاندماج في مجتمع المدرسة من دون أي عوائق نفسية. أما أن يقتصر دور المدرسة على الجانب العلمي من دون الاهتمام بالجانب السلوكي للطالب، فهذا ما يُحجّم دورها ويلغي تأثيرها في البناء القيمي للطالب، الذي يمثل الأساس الأهم في تكوين شخصيته وتهيئته للمستقبل ليصبح عضوًا فاعلاً في مجتمعه. بل إن هذا الاختزال لدور المدرسة يلقي بظلاله على مستوى التحصيل العلمي للطالب، لأن رسوخ البناء القيمي من شأنه تمتين البناء العلمي والفكري للطالب، بوصفه دافعًا للتعلم.

ويؤدي الإعلام دورًا كبيرًا في ترسيخ البناء القيمي للمجتمع، بأدائه لوظيفة التثقيف التي تعد واحدة من أهم وظائفه في المجتمع. ويتيح له ما يمتلكه من إمكانات فنية عالية وقدرات على الإقناع القيام بهذا الدور الحيوي، وبلورة قيم المجتمع وتجسيدها في وجدان المتلقين لرسالته، بدعم التأثيرات التي تمارسها القنوات التربوية الأخرى في هذا الصدد، وفي الوقت نفسه، فإن إساءة استخدام هذه الإمكانات والقدرات الإعلامية الكبيرة، تهدد قيم المجتمع بالتفسخ، مهما كان الجهد الذي تبذله مؤسسات التربية الأخرى، وهذا ما يلقي بتبعات كبيرة على الإعلام حتى تأتي رسالته محققة لوظائفه الرئيسة في المجتمع.

ولعل إشاعة المستوى الثقافي الذي يقتضيه التفاعل الإيجابي مع الحياة من أهم واجبات الإعلام بكل صوره وأشكاله، وإذا علمنا أن من أهم مدلولات الثقافة تهذيب النفس والسمو بالوجدان وترقية الشعور الإنساني، إضافة إلى الارتقاء بالفكر ودعم البناء المعرفي، فإن الأثر الذي ينبغي أن يتركه الإعلام في المجتمع يبدو عظيمًا، إذ عليه أن يوجد فهمًا مشتركًا بين فئات المجتمع، وإطارًا عامًا للقيم التي ينبغي التزامها، بما يحقق غايات المجتمع في بلوغ النهوض الحضاري وفق أسس واضحة.

ولا يتحقق للإعلام النجاح في أداء هذا الدور التثقيفي المهم ما لم يكتسب مصداقية لدى المتلقين لرسالته، ولعل هذا ما استطاعت أن تحققه بعض وسائل الإعلام الموجهة من الغرب إلى العالم الإسلامي؛ وتمثل هيئة الإذاعة البريطانية أبرز الأمثلة على ذلك، إذ إن حرفيتها في الإقناع، وأداءها المهني المنضبط، جعلها قادرة على اكتساب ثقة عدد كبير من المستمعين العرب، مع أن أي إعلام موجه له أهدافه وغاياته التي قد تتعارض مع مصالح المتلقي، فيلجأ إلى وضع السم في الدسم متى أراد ذلك ببث الأفكار والآراء التي تناسب توجهه وأهدافه، والتي قد تناقض الحقائق أو تتعارض معها.

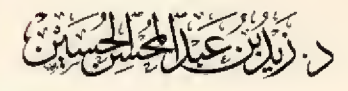
وينتج من هذا التكامل بين أدوار المؤسسات التربوية المختلفة حس حضاري متميز، يتجسد في أساليب التعامل مع الأشياء والأفكار والأشخاص، وهذا ما يؤكد أن عمق مستوى التفكير وامتلاك الحس الحضاري ربما لا يكون سببهما الوحيد التحصيل الدراسي وقنواته؛ بل إن القنوات التربوية داخل المجتمع، بما فيها قنوات التعليم الرسمي، تشكل هذا المستوى من التفكير والحس الحضاري، وهناك كثيرون ممن لم تتح لهم فرصة التعليم النظامي يمتلكون هذا المستوى العميق الذي تعكسه سلوكياتهم الحضارية في المواقف المختلفة.

ويكفي الإنسان المسلم، أيًا كان مستوى تعليمه، أن يتمثل القيم الإسلامية ليأتي سلوكه معبرًا عن حس حضاري راق وعميق، ففي مقام التزام قوانين المرور على سبيل المثال، فإن المسلم المتمسك بتعاليم دينه وقيمه لا يجد ذلك أمرًا صعبًا على نفسه، مادام عارفًا من خلال هذه التعاليم والقيم أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، فلا أقل من أن يلتزم آداب الطريق حتى لا يؤذي أحدًا، أو يلحق بنفسه أذى، إذ إن دينه ينهاه عن أن يلقي بنفسه إلى التهلكة؛ ويدعوه في الوقت ذاته إلى أن يسلم إخوانه من لسانه ويده.

والمملكة العربية السعودية التي تنبثق سياساتها من قيم الإسلام وتعاليمه حريصة على أن تتجسد هذه القيم والتعاليم في واقع حياة المجتمع، وأن تكون النبراس الذي تستهدي به في مسيرتها الحضارية، وقد مثّلت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية للمؤتمر الوطني للسلامة المرورية تأكيدًا لهذا التوجه في الحفاظ على المكتسبات الحضارية، وحرصًا على تفعيل دور الإنسان السعودي بوصفه - كما قال سموه - «وسيلة التنمية وغايتها، وهو أثمن ما يجب الحرص عليه».

ومن الدلالات المهمة للمؤتمر الاهتمام بجانب البحث العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية التي تعرقل مسيرة التنمية دراسة علمية متعمقة، تتسم بشمول النظر وعمقه، على عكس المعالجات الآنية التي لا تقدم حلولاً قابلة للتطبيق العملي على المدى الطويل، وإنما ينتهي مفعولها بانتهاء مناسبة طرحها، وهذا ما يتضح من إشارة سمو وزير الداخلية إلى أهمية أن ينتهي المؤتمر إلى توصيات قابلة للتطبيق حفاظًا على حياة الإنسان وصيانة للممتلكات.

يؤدي الإعلام دورًا كبيرًا في ترسيخ البناء القيمي للمجتمع، بأدائه لوظيفة التثقيف التي تعد واحدة من أهم وظائفه في المجتمع





العدد ٢٥٥ ـ السنة ٢٢ ـ رمضان ١٤١٨هـ ـ يناير ١٩٩٨م



الهندسة الوراثية : إلى أين نحن سائرون ؟

الهندسة الوراثية أداة حيوية على جانب كبير وخطير من الأهمية، لكونها ثورة صناعية ترتكز على مادة الحياة وهي الجينات. ذلك أن الأطقم الجينية أو التراكيب الوراثية لصور الحياة المختلفة يمكن أن توضع على مائدة العمليات الوراثية بقصد تغيير وظائفها الحيوية بإضافة جينات تحمل صفات وراثية جديدة ومرغوبًا فيها، أو إزالة جينات تحمل صفات وراثية غير مرغوب فيها، مما يؤدي إلى تبديل الإمكانات الوراثية للكائن الحي. فالهندسة الوراثية تعد سلاحًا ذا حدين؛ إما أن يكون خيرًا للإنسان، أو وبالاً عليه.

عن التحديات التي تمثلها هذه التقنية للعالم العربي والإسلامي، جاءت مقالة د. وجدي عبدالفتاح سواحل.

طالع ص١٤

شهر رمضان المبارك وأثره في حياة الإنسان المسلم



الصائم الذي يأكل الربا أو الذي لا يعطي الأجير حقه، يكون قد امتنع عن الطعام والشراب، وهما من المباحات في غير أوقات الصيام، وأقدم على ارتكاب المحرم من أكل الحرام وأكل أموال الناس بالباطل، وهي من المحرمات في كل وقت.

إن الصيام هدفه تكوين الضمير الإسلامي اليقظ. فقضاء شهر بأكمله دون رفث، ولا صخب، ودون قول للزور أو عمل به، والأخذ بالمنهج الإسلامي في السلوك، ذلك كله يسهم في تربية الإرادة القوية في المسلم، لتكون أصلاً وطبعًا له في كل أوقات العام.

طالع الملف الخاص عن شهر رمضان المبارك ودروسه وعبره وعظاته.

الصفحات ٢٧ـ٤٥ .



ماليزيا : التنوع والوحدة !!

يتميز التكوين السكاني في ماليزيا بالتنوع والتباين، ومع ذلك تعايشت العناصر المتباينة من سكانها جنبًا إلى جنب، مع احتفاظ كل منها بعاداته وتقاليده ولغته وخصائصه الأخرى كافة، وفي الوقت نفسه، تعمل متعاونة من أجل النهوض بالبلاد اقتصاديًا واجتماعيًا.

أما عاصمتها كوالالمبور فتتميز بطبيعة خلابة ومناظر رائعة، ومعالم ثقافية وحضارية متعددة تعكس التنوع الثقافي في ماليزيا.

عواطف شلبي زارت هذا البلد الإسلامي، ورصدت انطباعاتها في استطلاع شامل مصور.

طالع ص٨٤

من كتاب العدد

تراث وتاريخ

شخصيات

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة

د. عبدالرحيم محمد خير

- من مواليد أم درمان، السودان ١٩٥٣م.
- حاصل على الدكتوراه في التحليل الفيزيائي والكيماوي للفخار القديم من جامعة ساوثامبتون البريطانية.
- شارك في التدريس والحفريات الأثرية لجامعة الخرطوم (١٩٧٧-١٩٨٣م)، وشارك في التقيبات الأثرية لعدد من الجامعات الغربية في السودان (١٩٧٦-١٩٨٢م)، وأشرف على بعض الحفريات في الأعوام ١٩٧٧، ١٩٧٨م، ١٩٩٠م.
- يعمل حاليًا محاضرًا بجامعة الملك سعود، ويشارك في حفريات موقع الفاو بجنوب المملكة العربية السعودية.
- عضو عدد من الجمعيات العلمية العالمية، وله بحوث منشورة في مجلات علمية محكمة، وفي بعض الدوريات الثقافية.
- من مؤلفاته: «التحليل الفيزيائي والكيميائي لفخار عصر ما قبل التاريخ في أواسط السودان»، «التحليل البترولوجي والحراري لفخار أكويث النيوليثي في شرق السودان»، «التنوع والوحدة في الحضارة السودانية»، ومن ترجماته: «آثار ما قبل التاريخ في المملكة العربية السعودية وقطر في عصر ما قبل التاريخ وفجره».

محمد نعمان الدين الندوي

- من مواليد الهند.
- حاصل على الشهادة العالمية والفضيلة من قسم الحديث الشريف، جامعة ندوة العلماء، وتخرج في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.
- يعمل أستاذًا بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية دار العلوم في حيدر آباد، ورئيس تحرير مجلة «الصحوة الإسلامية».
- له كتاب مخطوط بعنوان «الروائع والبدائع في البيان النبوي»، وله مقالات منشورة، كما شارك في عدد من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية.

حسين عبدالله موسى المناصرة

- من مواليد قرية بني نعيم، فلسطين ١٩٥٨م.
- حاصل على الماجستير من قسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية ١٩٨٤م، وكان موضوع الرسالة «فرح أنطون: روائيًا ومسرحيًا».
- يعمل منذ عام ١٩٨٧م محاضرًا بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض.
- من مؤلفاته: في طريقهم إلى الجنون (مسرحية)، لقاء في الفوج الأخير (قصص)، الرخ يعانق بروميثيوس (مسرحية)، النبع واللعنة (قصص)، وله مقالات منشورة في النقد والقصة القصيرة، ومشاركات في الندوات والأندية الأدبية.

جبر عبدالمعطي جبر

- من مواليد المنصورة، مصر ١٩٧٠م.
- حاصل على ليسانس لغة عربية وعلوم شرعية من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
- يعمل حاليا مدرسًا للغة العربية والعلوم الشرعية بدولة قطر.
- له ديوان شعر مخطوط، وعدد من المقالات المنشورة.



في هذا المكان نقدم لك الرعاية أيها الجدي

قام يوشينوري كوابارا وزملاؤه من جامعة جونتيندو في طوكيو بإخراج جنين نعجة من رحم أمه بعد سبعة عشر أسبوعًا من الحمل، وقد صمّموا رحمًا اصطناعية، ووضعوه فيها، وملؤوها بسائل يشبه النُّخْط (السائل الذي يملأ المشيمة ويحيط بالجنين في الرحم)، ثم استخدموا آلة لضخ المواد المغذية بالإضافة إلى الأكسجين في دم الجنين، وقد عاش هذا الجنين في هذه الرحم الاصطناعية مدة ثلاثة أسابيع قبل موعد ولادته.

وقالت مجلة نيو سينتست: إن العلماء الذين صمّموا هذه الرحم ذكروا أنها قد تساعد أطفال البشر الخُدَّج (المولودين قبل أوانهم) على اجتياز مرحلة الخطر على حياتهم.

ويأمل كوابارا أيضا أن تساعد الأرحام الاصطناعية، ذات يوم، الأجنّة، وهي في المراحل الأخيرة من حالات الحمل المتعددة، حيث تصبح الرحم متقلصة ومتقبِّضة أكثر مما ينبغي.



جهاز بالغ الصغر للكشف عن الأمراض

ابتكر العلماء في أستراليا جهازًا يعمل على توفير التشخيص الفوري لجميع الأمراض المعروفة فعلاً. وقد قضى هؤلاء العلماء عشر سنوات وأنفقوا خمسة عشر مليون دولار في تطوير هذا الجهاز الذي يصفونه بأنه «علم الحياة على رأس عود». وسيجعل هذا الجهاز عمل الطبيب أكثر سهولة؛ بل يكاد يكون بديلاً منه.

إن مكونات هذا الجهاز العاملة بالغة الدقة لا يمكن مشاهدتها تحت المجاهر العادية. وبإمكان هذا الجهاز تحليل جزء من مليون جزء من العينات العادية، وعندما يصبح متوافرًا تجاريًا لن يحتاج الأطباء إلا إلى عينات ضئيلة الحجم من دم أو لعاب أو بول ليتمكنوا من تشخيص المرض.

ومن خلال عيّنة لاتتجاوز جزءًا من مليون جزء من المليمتر يستطيع هذا الجهاز اكتشاف الحمل وأمراض القلب، وقياس الأجسام المضادة للأمراض بدءًا من الحصبة وانتهاء بمرض الإيدز. كما بإمكانه اكتشاف البكتيريا، وبذلك يتمكن من معرفة صلاحية الأغذية وسلامتها؛ بما يعني أنه قادر على توفير مبلغ مليار جنيه لأستراليا. ويمكنه أيضا كشف العقارات والفيروسات، والمراقبة البيئية، وفرز المورثات والأحماض النووية. وهو يحتوي

على أجسام مضادة تميز وجود أي فيروسات، وتُحدث نبضات كهربائية، ومن ثم يمكن أخذ قراءة بوساطة شاشات عرض رقمية أو بوساطة مجسات حيوية. ويقول مبتكروه: إنه جهاز بالغ الحساسية، وبإمكانه الكشف عن مكعب سكر يُقذف به في ميناء سيدني. وقد أطلقوا عليه اسم أصغر مختبر طبي عالمي.

يقول د. بروس كورنيل رئيس الفريق في المركز التعاوني لهندسة الجزيئات وتقنيتها في سيدني: إنه بالإمكان في آخر المطاف أن يُزرع في الجسم مما يمكن مرضى السكر - على سبيل المثال - من الحصول على قراءات لنسبة السكر في دمائهم من خلال إشارات كهربائية ومن دون ألم. ويقول أيضا، في وصفه لهذا التطور الاستثنائي في عدد من مجلة برتش جورنال نيتشر BRITISH JOURNAL NATURE: إن الجزيئات تصطف مثل الطوق السياجي، إنها تتجمع ذاتيا وتُدفع من طريق تفاعلات كيماوية، وقد مُنح الابتكار ست براءات اختراع حتى الآن في الولايات المتحدة في المركز الرئيس لبراءات الاختراع بسعر ٧٥٠٠٠ جنيه لكل براءة.



ويقول كيث دانيل الناطق الرسمي باسم البحث: إن الفريق قد تعامل مع الأحياء الطبيعية، ومن ثم عملوا على تقليد وظائفها. وأضاف: إن كثيرًا من الشركات العالمية المنافسة الأخرى قد حاولت أن تفعل الشيء نفسه إلا أنها أخفقت.

وذكرت صحيفة الديلي ميل التي أوردت النبأ أن تكاليف الاستثمار الطويلة الأجل في هذا المشروع، التي تحملتها الوكالات المختلفة بما في ذلك الحكومة الاسترالية وجامعة سيدني، والقطاع الصناعي الخاص، بلغت حتى الآن خمسة عشر مليون دولار.

بعد سنوات من الصمت المطبق:

أم تستعيد سمعها!

كانت سوزي مين في الرابعة من عمرها عندما أصيبت بمرض التهاب السحايا، فقدت على إثره سمعها. وبعد أن كبرت وتزوجت أنجبت ثلاثة أولاد: إيما وتوماس وأليس. وظلت كل هذه المدة لا تسمع، بل كانت تقرأ الكلمات بالنظر إلى شفاه من تتحدث معهم لتميز الكلمات من بين مجموعة مختلطة من الأصوات. وبقيت على هذه الحالة إلى أن بلغت من العمر ٣٥ عامًا، حيث أصبح عمر إيما ٨ سنوات، وتوماس ٦ سنوات، وأليس سنتين. وكانت سوزي تعيش في بيشوب أوكلاند، وقد عرضت نفسها على الأطباء - قبل ١٥ عامًا - وطلبت منهم أن يزرعوا لها جهازًا لتسمع به؛ إلا أن الأطباء أبلغوها أن حالتها غير قابلة للمعالجة جراحيًا لأن التلف في أذنها كان شديدًا. بعد ذلك قضى فريق من الأطباء من مستشفى رايدنغ بمدلزبرو برئاسة الطبيب الاستشاري موريس هوثورن ثمانية عشر شهرًا لتطوير جهاز السمع الذي يُزرع في الأذن ليسمع به الأصم، والذي كان على شكل قوقعة قبل ١٥ عامًا. وتوصل الفريق إلى صنع جهاز بشكل قرص في حجم قطعة النقود من فئة خمسين قرشًا (نصف جنيه إسترليني)، وكان هذا الجهاز شديد الحساسية فاق جميع الأجهزة التي سبقته، ويحتاج تركيبه خلف الأذن إلى عملية جراحية تستغرق أربع ساعات. وانتشر



خبر اختراع الجهاز المذكور، وعندما سمعت سوزي بذلك الخبر نُصحت بمراجعة الطبيب الاستشاري موريس هوثورن الذي أجرى البحوث على هذا الجهاز بالتعاون مع أحد صانعي المعدات الطبية الفرنسيين. وعند مراجعتها للدكتور هوثورن أبلغها أنها ستسير في طريق العودة إلى عالم السمع.

لقد أجريت لها العملية في الثامن من شهر تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، وأصبحت أول شخص في العالم يُزرع له في أذنه نمط جديد من الأجهزة فتح أمامها الفرصة لتسمع أصواتًا حُرمت منها لعشرات السنوات بما في ذلك أصوات أبنائها الثلاثة.

عندما عادت سوزي إلى منزلها عقب العملية أخذ أبناؤها يصرخون في أذن أمهم ويسألون: هل والدتهم تسمعهم؟ ثم أخذوا يقرعون بقوة على سطح الطاولة بالدمى والملاعق، وأحدثوا أقصى ما يستطيعون من جلبة وصخب وصياح. وكان ذلك بالنسبة إلى أمهم موسيقا عذبة لأذنيها، فهي لم تسمع أصوات الضحك والابتهاج منذ أن كانت في الرابعة من عمرها عندما فقدت سمعها، ولكن الجلبة زادت على حدّها مما جعلها تضع أصبعيها في أذنيها لتوقف تدفق ذلك الصخب الرائع جدًا، وهي تقول: الزموا الهدوء يا أبنائي فأنا لم أسمع صوت الضحك منذ ٣٠ عامًا!

تقول صحيفة الإكسبريس اللندنية التي أوردت النبأ: إن سوزي وصفت تلك اللحظات بقولها: إنها للحظة عاطفية جدا مرت بها حين سمعت أصوات أطفالها للمرة الأولى، لقد كانت لحظات رائعة، وإن كل أم تدرك ما شعرت به. ثم أضافت، والابتسامة تعلو ثغرها، قائلة: إنها توصلت أخيرًا للتمييز بين ضحك أطفالها وصراخهم.

أما زوجها فيليب البالغ من العمر ٣٦ عامًا فيقول: إنه فخور بها جدًا، وإنه لن ينسى نظرة الدهشة التي ارتسمت في عينيها عندما شُغّل أول قطب كهربائي من الأقطاب الثلاثة التي رُكّبت لها، والتي تُحَوِّل الأصوات إلى نبضات يستطيع الدماغ تعرّفها، فصمتت لحظة من دون إبداء أي تعبير، ثم بدأت الإشراقة تلوح على وجهها. لقد كانت لحظة ساحرة. وفي الأشهر القادمة سَيُشَغَّل القطبان الباقيان، وستمكن سوزي من تعرُّف جميع الأصوات.

صورة فريدة لأسد بلا لِبْدة!



التقط ديفيد فذربي عالم الكيمياء الحيوية، الذي يعمل في كلية أمبريال كوليدج لندن، صورةً لأسد ذكر بينما كان في رحلة في حديقة هوانغ الحكومية في زيمبابوي.

لقد خطر له أن ذلك الأسد من النوع النادر، ولكنه لم يكتشف ندرته إلا بعد ما عاد إلى منزله، واطّلع على الصورة التي التقطها، وعندما عرضها على دوج ريكاردسون المسؤول عن الثدييات في حديقة الحيوانات بلندن أجابه بأنّه ليس لديه علم بصورة أخرى لأسد ذكر بلا لِبْدة(*)، وأن عمر هذا الأسد أربع سنوات على الأقل.

يقول فذربي الذي يعمل ابن عمه دليلاً في حدائق الحيوانات: إنه لم تُشاهد أسود بلا لِبْد في هوانغ، وفي بدء هذا القرن كانت الأسود بلا لبد تثير الذعر بالقرب من مومباسا في كينيا، لأنها كانت تتخطف عمال سكة الحديد، وقد التُقطت صورة لأحد تلك الأسود، ولكنه نفق.

يقول ريكاردسون - كما جاء في مجلة نيو سينتست -: إنه في الواقع لا يعرف أحد الغرض من لبدة الأسد، ولكنه قد يكون مثيرًا لعواطف الأنثى عندما ترى أسدًا كبيرًا متلبّد الشعر، كما أن الأسود تُنَفّش شعر لبدها عندما تواجه أسودًا أخرى تنافسها على الإناث؛ الأمر الذي يشي بوجود دافع سيكولوجي (نفسي) لدى الأسود عند مواجهتها الأسود بلا لبد، وهذا ما يفسر ندرة الأسود بلا لبد.

الهوامش:

(*) اللِّبْدة: كل شعر او صوف متلبّد، والشعر المتراكب والمجتمع بين كتفي الأسد وعلى مرفقيه، وجمعها لِبَد. وهي أيضًا الزُّبْرة وجمعها زُبَر.

صاحب السمو الملكي الأمير

سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز

في «منتدى الفيصل»



يسعد «منتدى الفيصل» أن يستضيف أحد شباب الأمة الإسلامية الذي عُرف بطاقته المتجددة، وعمله الدؤوب، وسعيه إلى ارتياد آفاق المعارف الجديدة، هو سمو الأمير سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز. فقد كان سموه أول رائد فضاء عربي مسلم، استرعى الأنظار إلى ضرورة طرق هذا المجال الحيوي في السباق الحضاري، وتحدث إلى العالم أجمع - خلال رحلته التاريخية على متن مكوك الفضاء - بلغة قوية مؤثرة، مقدمًا لشباب الأمة نموذجًا يُحتذى في الطموح والإقدام. كما عمل في مجال الإعلام الذي لا اختلاف على تأثيراته الواسعة في البناء الفكري لأي أمة، ثم ارتبط اسمه - ولايزال - بالعمل الاجتماعي، لما اتسمت به رؤيته، في هذا المجال، من عمق وشمول، ومن أبرز أعماله المتميزة في هذا الشأن رعاية الأطفال المعوقين وتأهيلهم ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع.

عن هذه التجارب المتنوعة والثرة لسمو الأمير سلطان، وعن جوانب مختلفة من شخصيته وآرائه وأفكاره وطموحاته، يسعدنا أن نتلقى أسئلة القراء الكرام كي يدور الحوار المتنوع بين سموه وبينهم في «منتدى الفيصل».

نبذة من سيرة سموه:

- من مواليد مدينة الرياض في ١٨ ذي القعدة ١٣٧٥هـ/ يونيو ١٩٥٦م.
- درس الإعلام والطيران في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عاد إلى المملكة في عام ١٩٨٢م وشغل وظيفة باحث بإدارة الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام.
- في عام ١٩٨٤م أصبح نائبًا لمدير لجنة الإعلام الأولمبية للمملكة في دورة الألعاب الأولمبية بلوس أنجليس، وعند إنشاء إدارة الإعلان بوزارة الإعلام - في العام نفسه - تولى منصب مدير الإدارة بالنيابة.
- في عام ١٩٨٥م أنيطت به مهمة إخصائي الحمولة على متن مكوك الفضاء «ديسكفري» في رحلته ٥١ جي (٢٩ رمضان - ٦ شوال ١٤٠٥هـ/ ١٧-٢٤ يوليو ١٩٨٥م). وكان ضمن الطاقم الملاحي العالمي المكون من سبعة رواد من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.
- شارك في إنشاء جمعية مستكشفي الفضاء، وهي هيئة دولية تضم في عضويتها جميع رواد الفضاء، وبقي في مجلس إدارتها عدة سنوات.
- في عام ١٩٨٥م تم تعيينه ضابطًا في القوات الجوية السعودية، وترقّى بها إلى أن حصل على رتبة عقيد طيار في عام ١٩٩٤م. وفي عام ١٩٩٦م تقاعد تقاعدًا مبكرًا من الخدمة العسكرية.
- انتُخب رئيسًا لمجلس إدارة جمعية الأطفال المعاقين في عام ١٩٨٩م، وأعيد انتخابه لدورتين عامي ١٩٩٢، و١٩٩٥م، كما تولى رئاسة مجلس الأمناء في مركز الأمير سلمان الاجتماعي لأبحاث الإعاقة.
- رئيس اللجنة الاستشارية لمشروع واحة العلوم، والرئيس الفخري لجمعية الحاسبات السعودية، والرئيس الفخري للجمعية السعودية لعلوم العمران.
- عضو بالجمعية السعودية الجغرافية، وعضو بجمعية مستكشفي الفضاء، وعضو بالجمعية الفلكية البريطانية، وعضو بالجمعية الجغرافية الأمريكية، وعضو بالجمعية الفضائية الأمريكية، وعضو ببرنامج الفضائيين الشباب (الولايات المتحدة)، وعضو بالجمعية الوطنية للفضاء (الولايات المتحدة)، وعضو بمعهد الدراسات الفضائية (جامعة برنستون)، وعضو بأكاديمية رواد الفضاء الدولية (فرنسا)، وعضو بالجمعية الفضائية الأمريكية، وعضو مشارك بندوة الأوضاع الدولية.

ومن آراء سموه حول بعض القضايا:

• عن رحلته ضمن طاقم مكوك الفضاء ديسكفري:

.. كنت أقرأ القرآن الكريم خلال الربع أو النصف ساعة.. وأضع خطوطًا تحت الآيات التي أقرؤها، ثم أنظر من شبّاك المركبة، وأشاهد عظمة الخالق مجسدة أمامي.. لقد كان اصطحاب القرآن معي أمرًا عظيمًا..

الفضاء سوف يكون فيه صناعات مختلفة في المستقبل، وهناك مدن فضائية سوف تُبنى، ونأمل أن تسهم فيها المملكة؛ ليس من طريق إرسال رواد فضاء من العلماء والعسكريين وغيرهم؛ بل الإسهام في المدن الفضائية، والاستفادة من البيئة التي يوفرها الفضاء.

• الإعلام الوطني:

بلا شك أن التقنية الحديثة أصبحت تُملي علينا التعامل معها بطرق مختلفة، وإن استطعنا اليوم أو في أي وقت آخر تفادي بعض ما تخلفه هذه التطورات التقنية من بعض السلبيات، إلا أنه في المستقبل سوف يتغير الوضع - والله أعلم - بحيث يصبح التعامل مع السلبيات حقيقة واقعة، وأمرًا غير ممكن تلافيه تقنيًا. ولهذا كنت ولا زلت أشعر دائمًا بأن الأهمية الأساسية تكمن في ضرورة تطوير إعلامنا الوطني حتى يمكن أن يواكب ويتجاوز بما يقدمه القنوات الفضائية المختلفة الأخرى، وأن يستطيع أن ينافسها في عقر دارها.

• الاستنساخ:

إن ضرورة تصدي العلماء المسلمين لاتخاذ موقف علمي وديني وأخلاقي من موضوع الاستنساخ أصبحت تشغل بال كثير من العلماء والمفكرين والمثقفين في العالم الإسلامي. فالمؤشرات تدل على أنّ هذا العلم سيتطور في المستقبل، شأنه في ذلك شأن الكثير من العلوم والمعارف الإنسانية التي تنطوي على إيجابيات وسلبيات. ودور العلماء المسلمين هنا هو تقويم عوائد هذه المعرفة ومضارها؛ بحيث لا يُحرم المسلمون من فوائدها الطبية والعلمية، وفي الوقت ذاته يتجنبون سلبياتها الدينية والأخلاقية.

• المجال التقني:

إنني أرى أنّ أسباب التأخر التقني الذي نعيشه في عالمنا العربي متباينة، فبعضها اقتصادي، وبعضها اجتماعي وسياسي.. وجذور التأخر الحضاري تعود إلى قرون مضت لازمتها ملابسات تاريخية يطول الحديث فيها.. لكن بالنسبة إلى الواقع الراهن أعتقد أنّ عوامل غياب الاستقرار السياسي والضعف الاقتصادي والخلل الاجتماعي هي أهم عوامل التأخر العلمي والتقني.

• اهتمامه بمجال رعاية الأطفال المعوقين:

أسباب ودوافع كثيرة جعلتني أهتم بمجال رعاية الأطفال المعوقين، لكونهم - في نظري - أكثر فئات المجتمع عوزًا وحاجة.. فأنا بطبعي أحب الأطفال جدًا وأسعد عندما ألتقي بهم.. إنّ السعادة التي أجدها في ضحكة طفل بريء يصعب وصفها.. هذا الارتباط بالأطفال جعل إحساسي بمعاناتهم مضاعفًا.

• الصحافة السعودية:

.. لا أؤيد أولئك الذين يعتقدون أن عصر الصحافة المكتوبة قد انتهى. لكنني أرى أن الصحافة تحتاج إلى إعادة نظر في وسائل جذب القارئ عبر التطوير المدروس إذا أرادت أن تبقى في الحلبة.

تحديات الهندسة الوراثية

للعالم العربي والإسلامي

د. وجدي عبدالفتاح سواحل



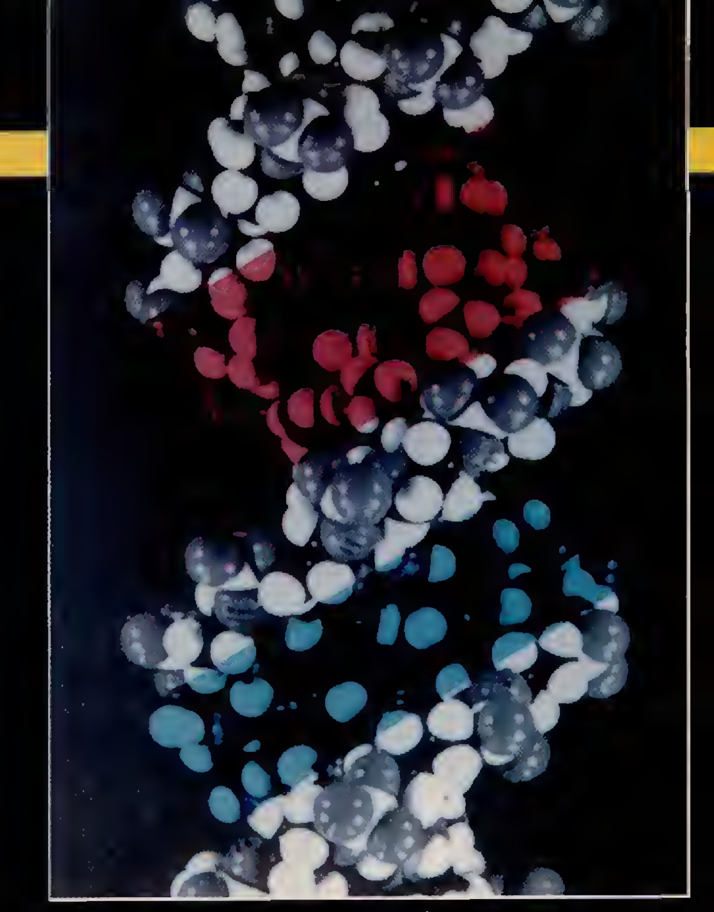
فاكهة المستقبل من خلال الهندسة الوراثية

إن مواجهة الهندسة الوراثية تتطلب مزيجًا من الواقعية والرؤية والخيال لفهم الفرص السانحة وترويض المخاطر الكامنة، وذلك من خلال فهم قوانين تقنية الهندسة الوراثية وتطويعها لتحقيق مصالحنا. وهو الأمر الذي يواجه العالم العربي والإسلامي بأسئلة عسيرة تحتاج إلى قدح زناد العقول وبذل الجهود للحوار والمناقشة، قبل أن نتحول إلى متفرجين ومستهلكين، وقبل أن تُنْهَب ثرواتنا الجينية ونفقد الميزة النسبية لمنتجاتنا العربية.

الهندسة الوراثية: إلى أين سائرون

شهدت حضارة الإنسان وتطوره التقني (التكنولوجي) في العصر الحديث قفزات وطفرات وثورات علمية أحدثت تغييرًا وتطورًا جوهريًا في الحياة البشرية. فالأحداث العلمية تتوالى بسرعة مذهلة وآثارها لا يكاد يدركها خيال؛ فمن ثورة التركيب الذري، إلى ثورة الإعلام، إلى ثورة الاتصالات، إلى ثورة الفضاء، إلى ثورة الإلكترونات، إلى ثورة المعلومات، إلى ثورة الذكاء الاصطناعي؛ ثم إلى ثورة الهندسة الوراثية.

فأن ننزعج قليلاً خير لنا من أن نظل أسرى تراث من الأفكار القديمة دون أن ندرك حجم ما يواجهنا من تحديات وحقيقته. ولكي نكون منصفين مع أنفسنا، فلابد أن نعرف أننا نعيش في مرحلة تحدٍّ علمي تقني. إنها حقبة من الزمن تزيد فيها إنجازات العقد الواحد من التطورات والتحولات والاختراعات العلمية التقنية الكبرى على إنجازات ألوف السنين التي عاصرتها الإنسانية. هذه الإنجازات يمكن أن تنتج مفارقات كبيرة تمتد لأجيال عديدة في المجتمعات التي لا تملك أسباب العلم



الجينات: مادة الحياة

والتقنية. فتلك هي أدوات العصر التي يمكن من خلالها مواجهة المشكلات الحادة والمزمنة التي يعيشها الإنسان، كما يمكن بسببها أن يترسخ الأمن والاستقرار والسلام داخل المجتمعات وفيما بينها.

تُعدُّ الهندسة الوراثية أداة بيولوجية على جانب كبير وخطير من الأهمية، فهي ثورة علمية وتقنية عارمة، ثورة صناعية لا تعتمد على الحديد والصلب، وإنما ترتكز على مادة الحياة وهي الجينات، ثورة تمارس فيها علوم الوراثة الدور الرئيس لاستعمالاتها التطبيقية في الطب والصيدلة والزراعة والأمن الغذائي وتلوث البيئة. تعتمد هذه الثورة على تطبيق المبادئ العلمية والهندسة الوراثية على صناعة المواد واستنباط السلالات بوسائط حيوية مثل: الكائنات الحية الدقيقة، والخلايا الحيوانية والنباتية، والإنزيمات والعوامل الوراثية (الجينات) لتوفير السلع والخدمات مثل المنتجات الزراعية والسمكية وتصنيع الأغذية والمستحضرات الطبية.

لقد تميزت الهندسة الوراثية في أن الإنسان، ولأول مرة في التاريخ، أصبح يمتلك الوسيلة لأن يطوع المخزون الوراثي الكامن في جميع الكائنات الحية؛ سواء أكانت نباتًا أم حيوانًا أم كائنات دقيقة بما يرضي طموحاته. أي إن الأطقم الجينية أو التراكيب الوراثية لصور الحياة المختلفة يمكن أن توضع على مائدة العمليات الوراثية لتصبح مطواعة للجراحة الوراثية لاستحداث تباينات في الجينات المعروفة، والتي هي نتيجة طبيعية لتطور الحياة بهدف تغيير وظائفها البيولوجية من طريق إضافة جينات تحمل صفات وراثية جديدة ومرغوبًا فيها، أو إزالة جينات تحمل صفات وراثية غير مرغوب فيها، أو تعديل نظام عمل الجينات التي تحمل الصفات المرغوب فيها وكفاءته. كل ذلك يؤدي في النهاية إلى تبديل الإمكانات الوراثية للكائن الحي.

لقد فرضت ثورة الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية خصائص النظام العالمي الجديد؛ فلا مكان في الأسواق العالمية لدول تتجاهل الدور الخطير الذي يؤديه التغيير البيتكنولوجي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ويمكن القول: إن هناك معاني واستنتاجات مما يتوقع أن يؤول إليه حال الدول التي تتخلف عن الركب وتخرج من حلبة السباق والتنافس على امتلاك ناصية العلم والتقنية. وفي الواقع بدأت تتضح معالم جديدة لتصنيف الدول على أساس قدراتها التقنية بداية من دول العالم الأول (عالم المبدعين والرواد) وانتقالا إلى دول العالم الثاني (عالم الملاحقين والمقلدين) وهبوطًا إلى دول العالم الثالث (العالم النامي).

الهندسة الوراثية: سلاح ذو حدين

لقد فتح جيمس ديوي واطسون وفرانسيس كريك مجال الهندسة الوراثية ـ منذ أربعين عامًا ـ عندما وصفا التركيب الحلزوني المزدوج بجُزيء من الحامض النووي الريبوزي المختزل DNA. ومنذ ذلك الحين انتقل الاهتمام إلى دراسة الأساس الجزيئي للتنوع الجيني، وإلى توحيد الأساليب التي يمكن أن تساعد على تكوين مجموعات جينية جديدة من طريق التحكم بالجينات GENETIC MA-NIPULATION وتقنيات إعادة اتحاد المادة الوراثية RECOMBINANT DNA والاستنساخ الحيوي CLONING. وقد فتحت هذه التقنيات عالمًا جديدًا من الهندسة الوراثية يؤدي إلى إنتاج كائنات حية مُعدَّلة وراثيًا؛ أي تحتوي على مادة وراثية DNA أُدخلت فيها بطريقة صناعية من كائن حي آخر غير منتسب إليها.

فتحت الهندسة الوراثية فرصًا لا حدود لها لاستخدام المخزون الجيني الناتج من التنوع البيولوجي؛ وقد شهدت أعوام الثمانينيات وأوائل التسعينيات ظهور بعض ثمار التطبيقات المبكرة للهندسة الوراثية في عدة مجالات. ففي مجال الزراعة، حدث تقدم سريع عندما تم تخليق أول نبات مُهَجَّن جينيًا في عام ١٩٨٢م، ومنذ ذلك الوقت تم تعديل بضع عشرات من النباتات لزيادة إنتاجيتها ومقاومتها للفيروسات ومسببات المرض الأخرى. وفي عام ١٩٩٤م أجريت مئات من التجارب على النباتات المُهَجَّنة جينيًا في أوربا وأمريكا الشمالية واليابان وأستراليا. وفي مجال تقنية المعالجة الحيوية، أنتجت التطبيقات المبكرة لإعادة اتحاد المادة الوراثية RECOMBINANT DNA كائنات دقيقة يمكنها تنظيف بقع البترول، وتم استخدامها على نطاق واسع لمعالجة مشكلات «بحيرات البترول» التي خلفتها حرب الخليج في ١٩٩١م.

في مجال المستحضرات الطبية تم إنتاج هرمونات ومواد لإزالة تجلطات الدم ومواد مسببة لتجلط الدم ومنبه لتكوين الخلايا اللمفاوية والإنترفيرون (مضاد للسرطان) وأمصال مضادة للأمراض الناشئة عن الفيروسات والبكتريا والطفيليات (على سبيل المثال الالتهاب الكبدي الوبائي الناشئ عن فيروس بي، وفيروس سي، والبلهارسيا والملاريا). في مجال الإنتاج الحيواني، يوجد بالفعل للاستغلال التجاري، وسائل للتشخيص وأمصال وعقاقير جديدة، وتخصيب في الأنابيب، ونقل الجنين في الحيوانات المنزلية، وإعطاء هرمونات النمو لزيادة النمو وإدرار اللبن والأغذية والأغذية المضافة. وقد استُخدمت الحيوانات المُهَجَّنة جينيًا مثل فأر مُهَجَّن جينيًا يحمل جين السرطان البشري في المعمل كنموذج للمرض الإنساني. وفي مجال الإنتاج السمكي، تم عزل جينات هرمونات النمو من سمك السلمون المرقط ونقلها إلى عدد من أنواع الأسماك التجارية الأخرى. في مجال الصناعة، تم تحويل حيوي للنشا إلى منتجات سكرية وإنتاج مكسبات طعم ورائحة ومحسنات عصائر فاكهة معالجة، واستخلاص الأحماض الأمينية والمواد الغذائية الأخرى والمواد الملونة والفيتامينات من الطحالب الدقيقة. كما تم استخلاص أطعمة جديدة من التخمير وأنزيمات صناعة الجبن ومنتجات الألبان الخالية من اللاكتوز ومهجنات الخميرة.

وعلى أن الهندسة الوراثية في الوقت الحالي أمامها كل الاحتمالات لأن تصبح صناعة عظيمة، إلا أنها تثير الخوف. وذلك من تخليق كائنات دقيقة مدمرة تُستخدم في الحرب البيولوجية أو إحداث كارثة بيئية. ولهذا فإن الدول التي لديها برامج متقدمة في الهندسة الوراثية لديها أيضا قواعد صارمة للأمان الحيوي. ومن المسائل الأخرى التي تثيرها الهندسة الوراثية، وبخاصة في دول العالم الثالث، مسألة استخدام التراكيب والأطقم الجينية

الأساسية من الموارد الوراثية لهذه الدول بوساطة شركات تتبع القطاع الخاص في الدول الصناعية بغرض الربح فقط. لذا فإن المسائل المتعلقة بأنظمة البراءات والتعويض المالي هي محور اهتمام دولي واسع. وقد ظهر ذلك في «اتفاقية التنوع الحيوي العالمية» التي وقعها أكثر من ١٥٠ دولة في ريو دي جانيرو في يونيو ١٩٩٢م.

كما تثير تقنية نسخ الأجنة الآدمية العديد من المحاذير الدينية والأخلاقية والاجتماعية.

الهندسة الوراثية والعالم الإسلامي

غزت الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية كل مجالات البحث العلمي، مما يلقي على عاتق العلماء والباحثين مسؤوليات جسيمة. ويواجه هؤلاء الباحثين للمرة الأولى سؤالان عسيران: إلى أي مدى يجب أن يستمروا في أبحاثهم؟ وكيف يمكن تطبيق نتائج هذه الأبحاث؟

إنه لا يوجد حدود للمعرفة فهي فخر وشرف للبشرية. فنحن المخلوقات الوحيدة القادرة على فهم بيئتها والتأثير فيها. ولا يجوز تحت أي ظرف وقف الأبحاث أو حتى تباطؤها، بل يجب أن تستمر بشرط أن تحترم الدراساتُ القيمَ الدينيةَ والاجتماعيةَ والأخلاقيةَ. كما يجب أن تُستخدم النتائج لصالح البشرية، ولا تنحرف لخدمة مصالح بعض الأفراد أو المجتمعات المتطرفة، إذ إن الاستخدام غير الحكيم للتقنيات البيولوجية الجديدة يمكن أن يفرز نتائج مفزعة.

إن الدلائل كافة تعلن صراحة أن البشرية تتجه الآن وبسرعة رهيبة إلى عالم مختلف.. غريب ومثير وبالغ الخطورة اسمه عالم الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية. لقد حدث جنوح بالهندسة الوراثية عن مسارها الصحيح من جانب أصحاب المذاهب والفلسفات التي تخلت عن الإيمان والسمو الروحي وبالغوا في تقديسها وتمجيدها مما أدى إلى ظهور أصحاب «النزعة العلمية المتطرفة» الذين يردون كل شيء إلى العلم البشري، ولا يسلمون إلا بمنهجه والحقائق التي يتوصل إليها؛ سواء أكانت نظرية أم عملية. كما ظهر أصحاب «النزعة التقنية المتطرفة» الذين يحسبون أنفسهم الأقدر على التحكم في هندسة المعرفة والأحق بإدارة المجتمع البشري والسيطرة عليه. وإذا ما غرق العلم والتقنية في ذاتية الإنسان على هذا النحو - بعيدًا من القيم الإسلامية الهادية - فإن كلاً منهما سوف يخفق لا محالة في مهمته، وينحرف بالناس عن جادة الطريق المستقيم.

وليس هناك شك في أن تطبيقات الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية تفرض على العلماء المسلمين التزامات جديدة، وتثير مسائل أخلاقية صعبة. إن كل تقدم تقني له جوانبه الإيجابية والسلبية. وعلى المجتمع الإسلامي أن يجني منه الثمرات، بينما يبعد بقدر الإمكان من المخاطر والانحرافات المحتملة حتى يميل الميزان إلى الميزات. ولا يمكن إنكار أنه على المدى الطويل ستكون الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية لها مزايا هائلة.

لقد أدرك العالم الغربي خطورة الأمر - فهم يشاهدون نتائج تطبيقات الهندسة الوراثية بشكل يومي - فسنّت أكثر من ٢٥ دولة أوربية قوانين صارمة للسيطرة على كل كبيرة وصغيرة في مجال الهندسة الوراثية أسوة بما هو متبع حيال تجارب الانشطار النووي وتصنيع القنابل الذرية وامتلاكها. أما العالم العربي والإسلامي فيرون أن إصدار الحكم أمر سابق لأوانه، ولم يفعلوا شيئًا جديدًا وأرجؤوا الموضوع إلى أن يصبح واقعًا فعليًا، وإلى أن يصاب الجميع بالصدمة لهول ما حدث، وما زال الموضوع في إطار التساؤلات.

إن أول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تدعو إلى القراءة التي هي المفتاح الأساسي لطلب العلم، وقد أخذ المسلمون الأوائل بذلك النهج، وتبحروا في العلوم والترجمة عن الدول التي سبقتهم في ميادين العلوم حتى استطاعوا أن يصنعوا حضارة مادية مرتبطة برباط شرعي. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن للعالم الإسلامي أن يلحق بركب ثورة الهندسة الوراثية دون أن يؤثر ذلك في ثوابتنا؟ كيف يمكن الخروج من التخلف العلمي والتقني الذي يعاني منه المسلمون في نهاية القرن العشرين ومواجهة روح العصر بلغة إسلامية تستند في مضمونها إلى القرآن والسنة.

تُعدُّ الهندسة الوراثية علمًا له أصوله وقواعده وأهدافه، وهو يبحث في قضايا دقيقة وحساسة لتعرُّف المزيد من الأسرار التي يتضمنها هذا الكون وما فيه ومن فيه، وكل يوم يخرج علينا هذا العلم بما هو جديد ومثير؛ مما يؤكد عظمة الخالق وقدرته في الكون، وعجز العلم الحديث،



أذن على ظهر فأر: أحد مستجدات الهندسة الوراثية لإنتاج قطع غيار للأعضاء

بوسائله وعلمائه، عن معرفة الأسرار التي أودعها الله في خلقه ومخلوقاته. ولكن هناك بعض التجاوزات العلمية والدينية والأخلاقية المحيطة ببعض تطبيقات الهندسة الوراثية، والتي أدت إلى إثارة ضجة كبيرة على مستوى العالم كله، وعدّه بعضهم تجاوزًا لحدود العقل والمشروعية وعبثًا بالحياة الإنسانية واعتداء على كرامة البشر.

معظم الدول الإسلامية تدخل في نطاق الدول النامية التي لاتزال بعيدة من مجال الهندسة الوراثية. فالهندسة الوراثية مُحْتَكَرَة في الدول الصناعية الكبرى. وإن الهندسة الوراثية يمكن أن تكون سلاحًا مدمرًا لو أسيء استخدامها. وهذا ما يدفع إلى المطالبة بضرورة دخول العالم الإسلامي إلى هذا المجال الحيوي المهم حتى لا يعتمد على علماء الغرب وحدهم في توظيف هذا العلم لخدمة قضايا تنموية في بلاد المسلمين؛ لأن الضوابط الأخلاقية في هذه الحالة غير مضمونة والانتماء غير متوافر. فعلى سبيل المثال، في الوقت الحالي لا نستطيع التمييز بين العامل الوراثي (الجين) المنقول من الخنزير لاستخدامه في صناعة الجبن والسجق والأدوية، والعوامل الوراثية الأخرى (الجينات) المستخدمة في الأصناف نفسها؛ الأمر الذي يفرض على العالم الإسلامي أن تكون لديه رؤية مستقبلية في مجال الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية ترتكز على الأسس الآتية:

١- وضع منهجية إسلامية رشيدة لأخلاقيات الهندسة الوراثية بحيث تلتزم تعاليم الإسلام وتتمثل مقاصده وقيمه وغاياته دون أن تعطل العقل أو تعوق حرية البحث والتفكير؛ لأن مادة البحث التي تتعرض لها الهندسة الوراثية هي كل الكائنات الحية التي خلقها الله سبحانه وتعالى، ولأن واجب البحث فيها فريضة إسلامية من أجل إعمار الحياة على الأرض وترقيتها.

٢- توضيح موقف الشريعة الإسلامية من مختلف قضايا الهندسة الوراثية لحماية

المجتمعات المسلمة من أخطارها وما تجلبه من مفاسد وشرور، وإبراز البعد الإسلامي في خدمة الإنسان والمجتمع، ووقايته وتحصينه ضد الاندفاعات الغربية المتهورة، التي تضر بالإنسان وفطرته السليمة وتتنافى مع تعاليم الإسلام.

الهندسة الوراثية والعالم العربي

لقد امتدت تطبيقات الهندسة الوراثية والبيوتكنولوجيا إلى جميع أوجه حياتنا اليومية؛ مما يصعب معه أن تقوم دولة بمفردها بإعداد خطة تنمية اقتصادية للاستفادة من هذه الثورة الصناعية لزيادة معدلات إنتاجها القومي وبناء كفاءات بشرية واستثمارها. ولما كانت دول الوطن العربي، بما تملك من مقومات وأسس مشتركة ومبادئ وقيم دينية وأخلاقية تفرض عليها الحفاظ على أي شكل من أشكال التقارب والتعاون فيما بينهما لتحقيق التكامل العربي المنشود وخصوصا ما ينعكس على مستقبلها الاقتصادي والحضاري ووجودها بوصفه كيانًا مؤثرًا في خريطة العالم المستقبلية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: أين العالم العربي من هذا كله؟

لقد قامت بعض الدول العربية مثل مصر والسعودية والكويت والأردن وتونس والمغرب بإعداد خطط (استراتيجيات) قومية للهندسة الوراثية والتقنية الحيوية بما يوافق ظروفها المحلية. كما قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨٩م بتنظيم عقد المؤتمر الأول لآفاق التقنية الحيوية المتقدمة في العالم العربي بالاشتراك مع عدد من المؤسسات والجهات العلمية العربية. وفي عام ١٩٩١م تم إقرار دراسة عن وضع الهندسة الوراثية في العالم العربي.

ولكن بعد أن فاتنا عصر الذرّة والحاسوب والفضاء، فإن العالم العربي مطالب بتكثيف الجهود لكي نلحق بركب الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية، ولكي لا نظل جزءاً منعزلاً تقنيًا عن العالم وعن بعضنا.

التحكم في صفات الخلايا الجنينية من طريق نقل الجينات إليها

ويمكن أن يتم ذلك من طريق تحديد أسس الاستفادة المثلى عربيًا من هذه التقنية، وتحديد منطلقاتنا ومبادئنا وأبعادنا وأهدافنا وآلياتنا من أجل الاستخدام الأمثل للطاقات البشرية والإمكانات المادية والتقنية المتاحة.

ويمكن أن يتم ذلك باتباع الخطوات الآتية:

أ ـ جمع المعلومات والبيانات عن الخبرات المكتسبة والممارسات المتبعة عالميًا في مجال الهندسة الوراثية والبيوتكنولوجيا وتوثيقها، وتشخيص فجوات المعرفة والإدراك، والسعي إلى بناء قاعدة علمية «عربية» لنقل المعرفة العلمية البيتكنولوجية وتوطينها، مع عدم إهمال عمليات تطوير التقنيات المحلية واستخداماتها.

ب ـ اعتماد الميزانيات والتعجيل في تطبيق جميع الإجراءات والتدابير الفاعلة المؤثرة.

جـ ـ إصدار القوانين والأنظمة والتشريعات اللازمة.

د ـ إنشاء المركز العربي للهندسة الوراثية والتقنية الحيوية.

المركز العربي للهندسة الوراثية والبيوتكنولوجيا

في عام ١٩٥٤م وجدت الدول الأوربية نفسها متخلفه عن ركب العلم الأمريكي في مجال بحوث الجسيمات الأولية، ولم يكن باستطاعة أي منها منفردة أن تنهض بهذا العبء بسبب تكاليفه المالية الباهظة. وقد تعاونت الدول الأعضاء لإنشاء «المركز الأوربي للبحوث النووية» المعروف باسم سيرن CERN، ليصبح أهم صرح علمي في مجال الجسيمات الأولية. وكذلك يعد هزيمة اليابان بسلاح غامض ومهلك لا قدرة لها على مقاومته قال حكيم ياباني: «لقد هُزمنا بسلاح صُنع في المعمل، وعلينا أن نبدأ من جديد في المعامل».

وبعد أن تلقى العالم العربي الكثير من الهزائم والنكسات بأدوات تقنية تمت صناعتها في المعامل، وتحول إلى مستهلك أو متفرج على هذه الأدوات التقنية، فقد حان الوقت لأن يكون للعالم العربي نصيب ـ ولو ضئيل ـ في استثمار تقنية الهندسة الوراثية والمشاركة في تشكيلها وتطبيقها؛ حتى لا يزداد اتساع الفجوة الحضارية الضخمة التي تباعد بيننا وبين الدول الصناعية الكبرى، ولاسيما أن العالم العربي يمتلك أسس هذه التقنية، وهي الموارد الوراثية. ويمكن أن يحدث ذلك بإقامة المركز العربي للهندسة الوراثية والبيوتكنولوجيا.

ويمكن لهذا المركز أن يضطلع بالأنشطة العلمية الآتية:

أ ـ تنفيذ البحوث الأساسية والتطبيقية في المجالات الآتية:

تقنية الطب البشري الجيني، تقنية الطب الشرعي الجيني، تقنية الهندسة البروتينية الصيدلية، تقنية المعالجة الحيوية، التقنية الحيوية البيئية، تقنية الاستنساخ الحيوي النباتي والحيواني، تقنية إنتاج نباتات وحيوانات الأنابيب ذات الجينات المعدلة، التقنية الحيوية البحرية.

ب ـ حماية الموارد الوراثية من طريق «بنك الجينات» واستغلالها.

ج ـ وضع خطط للإعلام والتعليم البيوتكنولوجي وتنفيذها.

د ـ وضع الإطار القانوني لحماية الملكية الفكرية البيوتكنولوجية.

هـ ـ وضع خرائط استشارية بيوتكنولوجية للاستخدام في الإنتاج الصناعي والزراعي، مع ترجمة تلك الخرائط إلى مشروعات إنتاجية مُحَدّدًا بها مختلف مؤشرات الجدوى الاقتصادية.

خاتمة

إن البحوث التي أجريت في مجال الهندسة الوراثية أثبتت أنها مهمة لحل الكثير من المشكلات التي لم يجد لها الإنسان علاجًا من قبل. ويمكن القول: إن إنجازات الهندسة الوراثية مثل: التخلص من التلوث العسكري والبترولي، واستخراج الذهب، وتحويل النفايات إلى منتجات مفيدة، وعلاج مظاهر الشيخوخة والأمراض المصاحبة لها، وعلاج السمنة الوراثية تمثل الوجه المضيء للهندسة الوراثية. وما نخشاه هو الوجه المظلم مثل: حرب الميكروبات المعدلة وراثيًا، وحرب التراكيب الوراثية، والأطقم الجينية، وتحويل الحيوانات إلى مصادر لقطع غيار لأعضاء البشر التالفة والمريضة. فما زالت البشرية تتذكر الطاقة الذرية وإنجازاتها في مجالات الطب والزراعة والصناعة، ولكن وجهها المظلم ظهر لنا في الدمار والهلاك اللذين سببهما إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما وناجازاكي في اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية. هذا ما سنتعرض له في المقالات القادمة، كما سنتولى الرد على أسئلتكم واستفساراتكم العلمية الخاصة بأسس الهندسة الوراثية وتقنياتها وأساليبها وتطبيقاتها ومخاطرها.

أربط حزام السّلامة.. وابدأ القيادة بأمان

أربط حزام السّلامة
فحياتك وحياة أسرتك غالية..
تستحق منك أن تحافظ عليها





عوّدوا أطفالكم على ربط
حزام السّلامة في كلّ مراحل أعمارهم





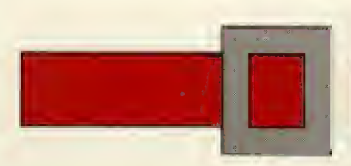
الأعذار لا تنقذ الأرواح..
حزام السّلامة يجنّبك أضرار الحوادث
- بإذن الله -







(PRS-13-97)





أربط حزام السّلامة

قصة عُزَيْر

د. محمد بن سعد الشويعر

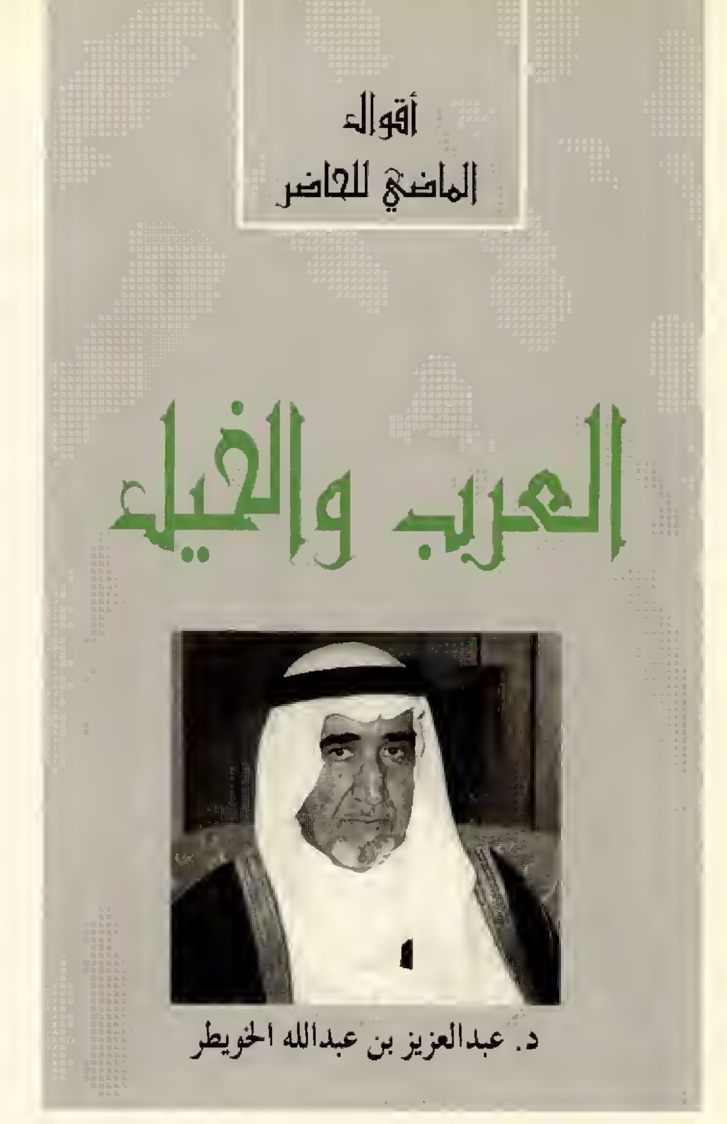
اختلف في عُــزَيْر هل كـــان نبيًا، أم رجـلاً صالحًا من بني آدم؟

لكن القـرآن الكريم أخـبـرنا أن اليـهـود ادَّعوا أنه ابن الله فـكفـروا بذلك. وقـد جاء في كتب التاريخ، وبعض كـتب التفسير قصة ذلك، فقـد جاء في تاريخ ابن عساكـر في حديث ابن عباس: أن عُزَيْرًا كـان ممن سباه بُختَنَصَّر وهو غلام حدث، فلمـا بلغ أربعين سنة أعطاه الله الحكمة، قال: ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتـوراة منه، قـال: وكـان يُذكر مع الأنبياء حتى محا الله اسمه من ذلك، حيث سأل ربه عن القدر. وهذا منقطع وضعيف. وقـد حدَّث إسحاق بن بشر من طرق متعددة أن عُزَيْرًا كـان عبدًا صـالحًا حكيمًا، خرج ذات يوم إلى ضيعة يتعاهدها، فلمـا انصرف أتى إلى خـربه حين قامت الظهيرة، وأصابه الحَرّ ودخل الخربة، وهو على حماره، فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب، فنزل في ظل تلك الخـربة، وأخرج قصعة معه، فاعتصر من العنب الذي كـان معه في القصعة، ثم أخرج خبزًا يابسًا معه فـألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله، ثم استلقى على قفاه، وأسند رجليه إلى الحائط، فنظر سقف تلك البيوت، ورأى مـافيهـا وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها، ورأى عظامًا بالية فقال: *أنَّى يُحيي هَذِه اللَّهُ بَعدَ مَوتِها*.

فلم يشك أن الله يحييها، ولكن قالها تعجبًا. فبعث الله مَلَكَ الموت فقبض روحه، فأماته الله مئة عام، فلما أتت عليه مئة عام، وكانت فيما بين ذلك في بني إسـرائيل أمـور وأحداث، قال: فبعث الله إلى عُزَيْر ملَكًا فخلق قلبه ليعقل، وعينيه لينظر بهما، فيعقل كيف يحيي الله الموتى. ثم ركَّب خلقه وهو ينظر، ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد، ثم نفخ فيه الروح. كل ذلك وهو يرى ويعقل فاستوى جالسًا فقال له الملَك: *كَم لَبِثتَ قَالَ لَبِثتُ يَومًا أَو بَعضَ يَوم*. وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة، وبُعث في آخر النهار، والشمس لم تغب. فقال: *أو بَعضَ يَوم*. ولم يتم لي يوم. فقال له الملَك: *بَل لَّبِثتَ مِئَةَ عَام فَانظُر إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ*؛ يعني بالطعام: الخبز اليابس، وشرابه العصير، الذي كان اعتصره في القصعة. فإذا هما على حالهما، لم يتغير العصير، والخبز يابس فذلك قوله: *لَم يَتَسَنَّه*؛ يعني لم يتغير، وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شيء من حالهما. فكأنه أنكر في قلبه، فقال له الملَك: أنكرت ماقلت لك انظر إلى حمارك. فنظر إلى حماره قد بليت عظامه، وصارت نخرة، فنادى الملَك العظام فأجابت من كل ناحية، حتى ركَّبه الملَك الموكل بذلك، وعُزَيْر ينظر إليه، ثم ألبسها العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملَك. فقام الحمار رافعًا رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقًا يظن القيامة قد قامت، فذلك قوله تعالى: *وَانظُر إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُر إِلَى العِظَامِ كَيفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكسُوهَا لَحمًا*؛ يعني وانظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضًا في أوصالها حتى إذا صارت عظامًا مصورًا حمارًا بلا لحم، ثم انظر كيف نكسوها لحمًا: *فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَه قَالَ أَعلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ*، أي من إحياء الموتى وغيره.

قال: فركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس، وأنكر الناس، وأنكر منزله فانطلق على وهم منه، حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مئة وعشرون سنة، كانت أمَةً لهم فخرج عنهم عُزَيْر وهي بنت عشرين سنة، كانت عرفته فعقلته. فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة، فقال لها عُزَيْر: ياهذه أهذا منزل عُزَيْر؟ قالت: نعم هذا منزل عُزَيْر، وبكت وقالت: مارأيت أحدًا من كذا وكذا سنة يذكر عُزَيْرًا، وقد نسيه الناس، قال: فإني أنا عُزَيْر كان الله أماتني مئة عام ثم بعثني، قالت: سبحان الله فإن عُزَيْرًا كان قد فقدناه منذ مئة عام فلم نسمع له بذكر قال: فإني أنا عُزَيْر قالت: فإن عُزَيْرًا كان مستجاب الدعوة، يدعو للمريض، ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فادع الله أن يرد عليَّ بصري حتى أراك، فإن كنت عُزَيْرًا عرفتك. قال: فدعا ربه، ومسح بيده على عينيها فصحتا، وأخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله. فأطلق الله رجليها، فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال، فنظرت فقالت: أشهد أنك عُزَيْر، وانطلقت إلى محلة بني إسرائيل، وهم في أنديتهم ومجالسهم، وابن لعُزَيْر شيخ ابن مئة وثماني عشرة سنة، وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادتهم، فقالت: هذا عُزَيْر قد جاءكم. فكذَّبوها فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد عليّ بصري وأطلق رجلي، وزعم أن الله أماته مئة عام ثم بعثه. قال: فنهض الناس فأقبلوا عليه، فنظروا إليه، فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه، فكشف عن كتفه، فإذا هو عُزَيْر، فقالت بنو إسرائيل فإنه لم يكن فينا أحد يحفظ التوراة فيما حدَّثنا غير عُزَيْر، وقد حرَّق بختنصرّ التوراة ولم يبق منها شيء إلا ماحفظت الرجال، فاكتبها لنا، وكان أبوه قد دفن التوراة أيام بختنصر في موضع لم يعرفه أحد غير عُزَيْر. فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة، وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب قال: فجلس في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله، فجدَّد لهم التوراة، ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه، فتذكَّر التوراة فجددها لبني إسرائيل، فمن ذلك قالت اليهود: عُزَيْر ابن الله، للذي كان من الشهابين وتجديده التوراة، وقيامه بأمر بني إسرائيل. قال ابن عباس: فكان كما قال سبحانه: *وَلِنَجعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ*؛ يعني لبني إسرائيل؛ وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب، لأنه مات وهو ابن أربعين سنة، فقبضه الله شابًا كهيئته يوم مات..

فسبحان القادر على كل شيء، يفعل مايشاء ويحكم مايريد.



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

العرب في صحرائهم اقترنوا بالخيل والإبل، عرفوها: طبائعها وأخلاقها، عاداتها، وأمراضها، جيّدها، ورديئها، أدوار حياتها، وأطوار نموها، فائدتها، ونفعها.

كان للخيل عندهم مكانة تسبق مكانة الولد أحياناً، وحجّتهم أنها حصن لهم عند الشدائد. فبها يردون الغارة، وعليها يشنون الغارة، على ظهورها يطيرون فيختطفون إبل الآخرين، يأتون بها غنيمة، وعلى ظهورها يطيرون ليردوا إبلاً سيقت في هجمة، أو اقتيدت من مرعى.

قدَّموها على الأم والزوجة والولد، لأنهم بها يحمون هؤلاء، وبهؤلاء لا يحمون الخيل، كما قدروا.

يجوع العربي، ولا تجوع فرسه، ويصبر على الحر والقر، ولا يعرض فرسه لشيء من ذلك؛ يسقيها الماء والحليب، ويحرم نفسه منهما؛ تغزّل العربي بالفرس، وصفها في شعره عضواً عضواً، وشبَّه كل عضو بما يظهر فضله، وتفوقه، درس حالها، حتى لم يعد يخفى عليه شيء من جسمها أو طباعها.

أدرك فيها ذكاءً لم يجده في غيرها من الحيوانات، اللهم إلا ما تتقارب فيه مع الناقة؛ مَنْ اقتناها فكأنما حاز الدنيا بأجمعها، والغارة التي تأتي بإضافة حصان أو فرس إلى القبيلة غارة مباركة، أضافت للقبيلة قوة إلى قوتها، وكذلك إذا ولدت فِلْوًا أو فِلْوَةً؛ وهذه قد ترجح على ولادة ولد.

ولهذا اختاروا للفرس خير الفحول، وأكثرها أصالة، واكتمال جسم وطبع؛ واحتفظوا لها بأنساب صافية، لا يدخلها خلط، ولا يشوبها عيب، واختاروا لها خير الأسماء.

والخيل تستحق كل هذه العناية، لما سبق ذكره من فوائدها، ولما حباها الله به من جمال وحُسن؛ فأنت لا تكاد تبعد عينك من النظر إليها، حُسن قوام، وحُسن منظر، مشيها جميل، وركضها مبهج، وطردها معجب، إن نظرت إليها من الأمام أسرتك استقامة الجسم، وتناسق الرقبة معه، وإن نظرت إليها مقفية مدبرة رأيت تناسقًا بين العجز والظهر، وإن نظرت من أحد الجانبين رأيت انسيابا من البدء إلى النهاية، ورأيت في تقويس الظهر والبطن جمال التكوين، وروعة الإبداع.

أما الألوان فباهرة، بأنواعها المتعددة، وما قد يكون هناك من غُرّة بيضاء في الجبين، أو تحجيلاً في القائمتين، أو إحداهما، يضفي على اللون الأصل رونقًا، ويميز حصانًا من حصان، ولنباهة الخيل، وذكائها، تكاد تجزم أنها تعرف جمالها، وتدل به!

وقد كُتِبَتْ كتب عدة، وكُتِبَت فصول ضافية، وأبواب وافية، عن الخيل، وأمورها المختلفة، وقيل فيها ما يؤكد أن العربي عنده من الخبرة بها، ما يعلِّل تعلقه بها، وتقديره لها. وحب الخيل عند العربي يكاد يكون فطرة فطرهُ الله عليها، وغريزة زرعها الله فيه قبل أن يولد، وقبل أن يعرف الحياة؛ وتكاد هذه المحبة، وهذا الالتصاق الودي، وهذا التقدير، يوحي لك بأن الخيل تكن

للعربي ما يكن لها، وأذكر أننا زرنا مزرعة في إحدى دول الغرب، فعَلَّق صاحب المزرعة، وكل ما فيها خيل عربية، قائلاً: إنه يكاد يقسم أن الخيل عرفتكم، وأنها اليوم في حال نفسية تختلف عما قبل. وكانت تحية منه مُرَحِّبًا بها منّا، ولا أظن إلا أننا أقنعنا أنفسنا بأن ما قاله حق، قياسًا على فرحتنا بها، ورؤيتنا للعناية المعطاة لها؛ وهي مظهر عربي نال احترام من حولها. والحمد الله أننا لم نمر بالموقف الذي مر به أستاذنا الجليل الشيخ حمد الجاسر، عندما زار ـ كما قال ـ مزرعة للخيول العربية في أمريكا، ووجد أن صاحبة المزرعة قد اختارت أحد الخيل الأصيلة، وأسرجته، وعرضت عليه أن يركبه، ولم يكن ـ حفظه الله ـ «خيال الخيل أخو من طاع الله»!

من رأى كيف «يُعسف» الحصان، ويُهَيَّأ للركوب، ويُمرن على قبول امتطاء ظهره، ويُدَرَّب على ذلك، من قبل رجال البادية، والخطوات التي يتخذونها، ويتدرجون فيها؛ يدرك مدى معرفتهم بالخيل، وفهمهم لطبائعها، وأغلبهم أخذ العلم بالتجربة والمران والفطنة.

وبعض علم العرب عن الخيل، وما كسبوه من كثرة عشرتهم للخيل، ودقة ملاحظتهم لها، يبينه النص التالي؛ وهو يُروى عن عمرو بن معدي كرب، وقيل إن مُبدي الملاحظة هو سليمان بن ربيعة الباهلي:

«قيل لسليمان بن ربيعة الباهلي: بم تعرف الهُجنَ من العِتاق؟

قال: بنظري إلى الأعناق.

قيل: فبَيِّن لنا ذلك.

قال: فدعا بطست من ماء، فوضعت على الأرض، ثم قدمت الخيل إليها واحدًا واحدًا، فما ثنى سنبكه، ثم شرب، هجّنه، وما شرب، ولم يثن سنبكه، جعله عتيقا؛ وذلك لأن في أعناق الهجن قصرًا، فهي لا تنال الماء إلا على تلك الحال، حتى تثني سنابكها؛ وأعناق العتاق طوال، فهي تشرب، ولا تثني سنابكها».

[البصائر والذخائر للتوحيدي: ٨٤/٧].

خواطر

اللعبة الدولية ونظرية المؤامرة!

د. حمد زيد الزيد

لست كاتبًا سياسيًا وإن كان من حقي أن أكتب في السياسة؛ لكنني لاحظت أن بعض الكتّاب العرب يهاجمون نظرية المؤامرة كما يهاجم علماء الإنسانيات نظرية «الحتمية».

ومن حقهم أن ينقدوا أي فكرة تتحول إلى شبح مفزع يعطل المنطق العقلي ويحبط النفوس؛ لأنه لو سيطرت علينا نظرية المؤامرة مثلاً لعطلنا كل تفسير علمي ـ منطقي، أو أي شك قد تثبت صحته، وهنا تكمن الخطورة.. تمامًا كما تترسخ بعض النظريات التي لم توثق في ذهن المرء فيتحول إلى مناضل شرس ومتعصب ومتطرف يظن أن كل ما عداه على خطأ.

وفي رأيي ـ على الأقل ـ أن للمؤامرة في السياسة وجودًا؛ وهناك أنواع من المؤامرات تتخذ أشكالاً متعددة وتلبس ألف قناع، فهناك مؤامرات شخصية، وأخرى جماعية، وثالثة اقتصادية، ورابعة ثقافية، وخامسة عسكرية.. إلى آخر هذه القائمة الطويلة.

ولا زلت أذكر كتابًا قرأته منذ زمن طويل وفقدته من مكتبتي الخاصة يتحدث عن نظرية المؤامرة بما يشبه النبوءة وهو للكاتب الفرنسي «شاتليه» وعنوانه: «الغارة على العالم الإسلامي» وهو مترجم؛ وحاولت العثور عليه في المكتبات العامة في الداخل والخارج فلم أفلح مما رسخ في ذهني نظرية المؤامرة!

ومثل ذلك قد يقال عن «بروتوكولات حكماء صهيون» التي ترسخ نظرية المؤامرة في علم السياسة، وكذلك كتاب مكيافلي: «الأمير»؛ ومع أن هذه الكتب تمثل فكرًا كلاسيكيًا في علم السياسة؛ إلا أنها مهمة في تمثيل الوعي والفكر السياسي حتى العصر الراهن.

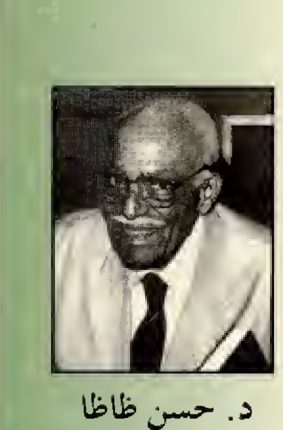
ولو استشهدنا بعشرات الأمثلة بل بمئاتها من التاريخ القديم والحديث للبشرية على «نظرية المؤامرة» لطال بنا البحث والسرد، فقد قضى زعماء وملوك ورؤساء بل أدباء ومفكرون وعباقرة نحبهم ضحية لمؤامرات سياسية ومكائد شخصية؛ كما أُسقطت أنظمة وحكومات ودول بسبب «المؤامرة»، وغيَّرت «المؤامرة»، أو عدَّلت، مسيرة التاريخ عدة مرات.

ولكن، لماذا لا يطرح كتّاب السياسة نظرية «اللعبة الدولية» ويفندونها.. لأن المؤامرة إذا وُجدت تكون وسيلة تنفيذية لتلك اللعبة؟!

ومن هنا نستطيع الوصول إلى بعض الحقيقة، إذ إن الوصول إلى كل الحقيقة مستحيل قبل إخراج الوثائق ونشر الأدلة والبراهين. إن «اللعبة الدولية» شيء ثابت في السياسة الدولية حتى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانفراط عقد دُوله مع بقاء دولة كبرى (روسيا) قوة لا يُستهان بها، فهي أوسع دولة في العالم مساحة؛ وعلينا كذلك ألاّ نغفل دول الاتحاد الأوربي، ثم نقول بعد ذلك إن أمريكا هي القوة المسيطرة على العالم وحدها.

إن «اللعبة الدولية» تقتضي التوازن بين مصالح القوى العظمى في العالم، وتقاسم مناطق النفوذ، ووضع الخطوط الحمراء على خريطة العالم، واللعب بالزعامات الصغيرة (كبيادق شطرنج)!!

إسرائيل
ركيزة الاستعمار والعدوان ١





في يوم ١٥ مايو/ آيار سنة ١٩٤٨م ترامى إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه نبأ قيام دولة جديدة في فلسطين، هي «إسرائيل». وفي هذا الوقت كانت جراح الإنسانية التي أصيبت بها في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) ما تزال مفتوحة دامية، كان كثير من الأطفال في العالم ما يزالون بَعْدُ يجهلون إذا كان آباؤهم أسرَى أو أنهم قُتلوا وتركوهم أيتامًا، وكان الدمار الذي اكتسح أوربا والشرق الأوسط والأقصى ما يزال ماثلاً للعيان، تفوح منه رائحة الدم والبارود، وكانت هيئة الأمم المتحدة، التي أنشئت على عَجَل، لتتبلور فيها كل أحلام السلام والأمن والرخاء، تعيش حقبة وردية من حياتها، تتعلق بها الأنفاس الضعيفة المتقطعة التي بقيت في صدور البشر بعد أعوام طويلة من القتال الرهيب. كانت الأمم المتحدة قِبْلة الأنظار، وكعبة الآمال، وموضع ثقة الجَميع وتفاؤلهم، ولم تكن الأمم المتحدة - وهي تتمتع بكل هذا الإعزاز وترى ضيق الناس بالحرب، واشمئزازهم من الدمار - قديرة على البحث بصبر وحَذَر في الأعماق البعيدة للمشكلات. كانت تعتقد أنها بتأييد الجنس والإذعان البشري الذي كانت تتخيله مُجْمِعًا على طاعتها والرضوخ لحلولها، تستطيع أن تصنع المعجزات، وكانت دولة إسرائيل من هذه المعجزات الوهمية.

تقسيم فلسطين بين العرب واليهود

ولم تنتظر الأمم المتحدة قيام دولة إسرائيل - أولاً - لتقول كلمتها، وتنطق بحُكمها في النزاع، بل تسببت «نواياها الطيبة في السلام» في إعطاء صفة رسمية لإسرائيل قبل قيامها بستة أشهر تقريبًا، ففي ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧م صَدَر عن هيئة الأمم المتحدة قرار مُلْزِم بتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب! كان قرارًا مُلْزِمًا لأنه حاز أكثر من أغلبية ثلثي الأعضاء، ومع ذلك فلم يكن هذا القرار يحمل أيّة سِمَة للعبقرية المبدعة المنتظرة من الأمم المتحَدة، صانعة المعجزات، ففكرة «تقسيم فلسطين» لم تكن إذ ذاك بالفكرة الجديدة المبتكرة، كانت بصمة من بصمات أصابع الاستعمار القَذِرة، أفلتت من حرص منظمة السلام العالميّ على الغسيل والتنظيف، ولنحاول بيان طرف من ذلك.

لمحة تاريخية عن المصالح المشتركة بين اليهود وبريطانيا

اندلعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) كنهاية رهيبة للصراع بين الدول الأوربية على السيطرة على أسواق العالم ومواطن الخامات الصناعية فيه. كانت إنجلترا وفرنسا وهولندا وألمانيا وإيطاليا والبرتغال وإسبانيا وبلجيكا تتناحر - فيما بينها - على استعمار أوطان الإنسانية المتخلِّفة في آسيا وإفريقيا. وبقيت منطقة الشرق الأوسط مستعصية على هذا الاستعمار، لأنها كانت جزءًا من الخلافة الإسلامية التركية التي أقامها العثمانيون في القسطنطينية منذ أواسط القرن الخامس عشر، ولكن تركيا كانت قد ضعفت ماليًا وعسكريًا على مدى القرن التاسع عشر، وراحت مستعمراتها الأوربية ذات الأكثرية النصرانية تستقل الواحدة تلْو الأخرى في البلقان وشرق أوربا، كما بدَأت الإقليمية والقومية تظهر بكامل قوتها لتقوِّض ما بقي من تماسك إمبراطورية آل عثمان: الأكراد، الأقليات النصرانية في غرب آسيا كالأرمن والموارنة والروم الأرثوذكس، ثم العرب بوعيهم الحضاري والوطني. كل هذا وضع ميراث هذه الإمبراطورية على مائدة المطامع السياسية الأوربية، وكان سببًا من الأسباب التي دارت من أجلها رَحَى الحرب العالمية الأولى، بل لعلَّه كان أهم الأسباب.

ووجدت إنجلترا - وهي تخوض غمار هذه الحرب، وتكاد من الإجهاد تفقد أنفاسها - قوة خفية تعاود الدخول بها في المَعْمعة، هي تسخير اليهود لأهدافها ومطامعها، وكان اليهود قد استولى عليهم حلم قديم بَلْوره لهم تيودور هرتسل تحت شعار «الصهيونية»، وجمع مندوبين عنهم لتخطيط سياسة هذه المنظمة الجهنمية في المؤتمر الصهيوني الأول، الذي انعقد في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧م، وتعاقبت بعده المؤتمرات. ومات هرتسل سنة ١٩٠٤م في الرابعة والأربعين من عمره، تاركًا وراءه كتابه «دولة اليهود» وحزبه «الصهيونية العالمية»، وخليفته «حاييم وايزمان». وكانت الصهيونية تتقدَّم بخطى بطيئة جدًا لقلة إيمان اليهود ببرنامجها، وتوفهم من نوع الحياة التي تخيلها لهم زعماء هذه الحركة في فلسطين، يضاف إلى هذا العقبات الطبيعية التي كان لا بدَّ أن تقوم في وجه الاستعمار اليهودي لفلسطين من جانب الدولة العثمانية والأمة العربية، نظرًا لكون فلسطين أرضًا مقدَّسة دينيًا منهم جميعًا، ففيها المسجد الأقصى أولى القبلتين، ومسجد قبة الصخرة، وفيها أيضًا مسقط رأس المسيح، وموطن جهاده ومُنتهى

أمره من هذه الدنيا.

أحسَّت إنجلترا بأن وضعها لليهود في الميزان سيرجِّح كفتها، وقَبِل اليهود اللعبة ثقة منهم بأن النزاع حول فلسطين إذا انتقل في المستقبل وكان مع إنجلترا بدلاً من العرب؛ فإنه سيكون نزاعًا هينًا خفيفًا لطيفًا، لا يدخل فيه الحرص على المقدسات بقدر الحرص على المصالح؛ وفلسطين بعد كل شيء ليست وطنًا للإنجليز، وليس لهم فيها حَرَم أو قبلة، كما أنهم ليست لهم حدود مشتركة معها.

وبدأت المساومات حول الموضوع بين الإنجليز واليهود وليس لأي منهما وجود في فلسطين: الإنجليز في مصر، وأساطيلهم في البحر المتوسط، واليهود في كل مكان، وأموالهم تتحكم في أكثر مقدرات العالم وأرزاقه. وهكذا تمت الخطوة الأولى لتهويد فلسطين، بين طرفين لا يملكان فيها شيئًا، الطرف الأول هو وزير خارجية بريطانيا «بلفور»، والطرف الثاني هو اللورد «روتشيلد» ظاهريًا، و«حاييم وايزمان» من وراء ستار، بل كان وراء هذا الستار أكثر من يهودي يلعبون لعبتهم في الظلام، وفي مقدمتهم الحاخام الأكبر «هيرتس»، الزعيم الروحي والكاهن الأعظم ليهود بريطانيا وما وراء البحار. على كل حال ظهر تصريح بلفور يوم ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م يَعِدُ اليهود بنصيب في فلسطين عند نهاية هذه الحَرب.

كان اليهود قد مهَّدوا الطريق لتجميع كلمتهم قُبَيل تصريح بلفور على تأييد إنجلترا تحت شعار «المصالح المشتركة». ونذكر من هذه التحركات أنَّ أحد الجواسيس العسكريين من غلاة الصهيونية، وهو «يوسف ترومبلدور» كان قد وقع في يد القوات التركية في فلسطين، ولكنه فرَّ من سجنه في أثناء الحرب وجاءَ خلْسة إلى القاهرة، وهناك التقى زعيم الإرهابيين الصهيونيين اليهودي المتطرف «زئيف جابوتنسكي»، واتفق معه على إنشاء «جيش يهودي صهيوني» يحارب العرب والأتراك تحت الراية البريطانية، وفي صيف ١٩١٦م، بعد موقعة غاليبولي بين الأتراك والحلفاء الأوربيين، سافر الاثنان إلى لندن حيث بدآ باستقطاب المتطوعين اليهود، وتكونت منهم الفرقة الثامنة والثلاثون البريطانية، تحت قيادة الكولونيل الإنجليزي النصراني «باترسون»، أما ضابط الاتصال المباشر، والعقل المنظِّم لتحركات هذه الفرقة والمشرف على تنميتها وتدريبها فقد كان ترومبلدور. ودخلها جابوتنسكي نفسه جنديًا بسيطًا، ثم رُقِّي بعد ذلك إلى درجة ملازم، تقديراً من القيادة البريطانية لما يبديه من حماسة وهمَّة وإخلاص.

تلقت هذه الفرقة تدريبًا نهائيًا في الإسكندرية، ثم صدر لها الأمر مع تصريح بلفور - وهذه ليست مجرد مصادفة - بالتحرك في اتجاه فلسطين مع الجيش البريطاني الزاحف إليها بقيادة الجنرال اللَّنبي، وفي أرض سيناء - وهذه الكتيبة الصيونية تقترب من حدود فلسطين - أصدر جابوتنسكي الأمر اليومي العسكري التالي:

«اسمعْ يا إسرائيل(١). أنْصتْ لصوت قلبك. إنَّ ساعة الاستيلاء على فلسطين قد حانت، وليس من المعقول أن نترك الناس من الأمم الأخرى يستولون عليها. استمع لصوت عقلك، ليس من المنطقي أن يحارب الإنجليز هنا أمام أعيننا، ونحن قاعدون في بيوتنا إلى أن يعيدوا إلينا هذه البلاد وقد أخذوها بدمائهم، أنْصتْ لما يقوله لك شعورك بالكرامة. هل من الممكن أن نقبل هدية كهذه ممَّن استولوا على تلك الأرض بمهجهم دون أن نبذل أرواحنا معهم جنبًا إلى جنب؟ إن دماء آبائنا التي سالت على هذه الأرض منذ آلاف السنين، ودم الإنجليز الذين يساعدوننا اليوم في الاستيلاء عليها لَدَمٌ مقدَّس، وهو يهيب بنا من ثَرَى هذه الأرض أن هُبُّوا للقتال. فلنخرج إلى ميدان المعركة نحن ومحررونا معًا، ومن الله النجاة، فاشتدوا وتشجعوا».

وكاتب هذه السطور الملتهبة، التي يقدس فيها دماء الإنجليز، هو نفسه الذي جمع من حوله كل المتعصبين المتطرفين من اليهود، وقد استقروا في فلسطين تحت الراية البريطانية، فأهدر لهم دم الإنجليز، وأمرهم بقتلهم هم والعرب سواء بسواء، ولكن بين الموقفين كانت أحداث وأحداث.

ففي شهر فبراير سنة ١٩١٨م وصل الطابور الأول من فرقة اليهود هذه إلى فلسطين تحت قيادة الكولونيل باترسون. وما إن خَطَت أقدامهم الحدود حتى رفعوا الراية الصهيونية ذات النجمة السداسية، وقد كتبوا عليها «إنْ نسيتُكِ يا أورشليم فلتتركني يميني» وهي آية من المزمور ١٣٧ من مزامير داود، وهذا المزمور بالذات ليس لداود على التحقيق ويرجع تاريخه إلى ما بعد داود بنحو خمسمئة سنة، حيث كان اليهود القدماءُ يبكون به وهم في أسر بختنصر بأرض بابل، ويحنُّون إلى صهيون، وقد جعله هرتسل شعارًا ونشيدًا يجمع به الصهاينة من كل مكان.

يهود أوربا الشرقية يستغلون الاشتراكية الماركسية لصالحهم

وشاءت الأقدار في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ العالم أن تتحرك قوة أخرى لها وزنها الهائل في الصراع الدولي عمومًا، وفي نشأة دولة إسرائيل بوجه خاص، وهي الشيوعية العالمية، فقد وجدت الفلسفة المادية الجَدَلية التي أقام بناءها «كارل ماركس» و «فردريك أنجلز» وفسرًا بها تطور البشرية عبر التاريخ، أرضًا خصبة في روسيا التي كان شعبها يرزح تحت أثقال قيْصرية متجمدة لا تريد أن تساير الزمن، ووجد الشباب في المدن الروسية بريقًا أخاذًا لهذه الفلسفة الجديدة؛ وجدوا فيها ما يَشْفي حقدهم على الإقطاع لأنها تقول بشيوعية الممتلكات، وتحريم الملكية الخاصة، ووجدوا فيها راحة لأنفسهم من الكَبْت والتقييد الذي كانوا يتعرضون له باسم الدين، مُطبقًا على يد الكنيسة الروسية الأرثوذكسية الممالئة للقيصر والإقطاع. فالماركسية فلسفة علمانية إلحادية تتنكر للكهنوت كما تتنكر للرأسمالية والإقطاع، وحول هذا توابل ومُشهِّيات أخرى من العدالة الاجتماعية، والسلام العالمي والنهائي، والحرية الكاملة لأبناء البشر جميعًا. والعجيب أنه في الوقت الذي حمل فيه يهود أوربا الغربية وأمريكا لواء الرأسمالية والاستعمار والإمبريالية، حمل اليهود الروس في أوربا الشرقية لواء الماركسية الشيوعية، وتمت ثورة أكتوبر/ تشرين الأول سنة ١٩١٧م التي أطاحت بالحكم القيصري، وأقامت الاتحاد السوفيتي مكانه، وفي أثنائها فوجئ الشعب الروسي بالكثرة المذهلة من اليهود الذين قفزوا إلى الصفوف الأولى من ثورتهم الشعبية، الأمر الذي جعل الخطوات الأولى لهذه الثورة تنزلق إلى ما يشبه الحروب الأهلية في سبيل تطهير صفوفها من الطفيليات اليهودية العالقة بها، ولكن بقي الكثير، والكثير جدًا، من اليهود في صفوف الشيوعية الروسية والشيوعية العالمية، حتى أصبح ذلك وصمة يُهاجم بها أعداءُ هذا المذهب خصومهم متهمين إياهم بالتواطؤ مع اليهودية العالمية، أو على الأقل بالغباء والغفلة لدرجة الوقوع في براثن اليهود.

والذي يهمنا من ذلك كله، هو الإشارة إلى

جابوتنسكي الذي جعل دماء الإنجليز مقدسة، هو نفسه الذي أهدر دماء الإنجليز- ومعهم العرب- لكل المتعصبين من اليهود بعد دخولهم فلسطين تحت الراية البريطانية!

ذلك الوضع الفريد الممتاز الذي وجد اليهود فيه أنفسهم في نهاية الحرب العالمية الأولى؛ فيهود أوربا الغربية وأمريكا يجنون الثمرات السياسية والاقتصادية، لانتصار كلَّف غيرهم الملايين من القتلى والجرحى، ويهود أوربا الشرقية يستغلون الاشتراكية الماركسية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، إما بإبراز شخصيات صهيونية قيادية، وإما بتهريب الأموال إلى فلسطين، وإما باستجداء معونة اليهود الغربيين المالية لتهجير الآلاف المؤلفة من يهود شرق أوربا إلى فلسطين.

فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتقاطر المهاجرين اليهود إليها

أما ما كان من أمر فلسطين بعد دخول البريطانيين - ومعهم كتيبة المتطوعين اليهود - فإنها بقيت قرابة العام ونصف العام في قبضة السلطة العسكرية المطلقة، في هذا الوقت كانت أمواج من المهاجرين اليهود من روسيا ورومانيا وبولونيا والمجر والنمسا وغيرها من بلدان أوربا الشرقية تتقاطر إلى فلسطين مع مجموعات كثيفة من يهود ألمانيا المنهزمة في الحرب أيضًا، ولم تكن معاهدة فرساي التي أنهت الحرب العالمية سنة ١٩١٨م قد استطاعت أن تُكيِّف شكل الحكم في فلسطين، ولا مصير الناس بها، كان الإنجليز هم ذوو الأمر المطلق، وبالتبعية كان هذا الأمر المطلق متروكًا لليهود. وأخيرًا تجرأت الدول المتحالفة فأعلنت في مؤتمر «سان ريمو» أنها لن توافق على «احتلال» أو «استعمار» لأي من البلاد التي دخلتها قوات الحلفاء، نظرًا لأن ذلك ينافي «حق تقرير المصير»، الذي وافقت عليه، ولأجل ذلك فقد اختُرع لفظ اصطلاحي آخر يتستر وراءه الاحتلال والاستعمار، وهو «الانتداب». وهكذا تقرر في «سان ريمو» وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وكان ذلك في أبريل ١٩٢٠م، وقد وافقت «عصبة الأمم» على قرار «سان ريمو» بعد ذلك بنحو ثلاثة أعوام.

تعيين بريطاني يهودي حاكمًا لفلسطين!

ولسنا بحاجة إلى الإشارة إلى التعاون الوثيق الذي كان بين اليهود والإنجليز في فلسطين، بل تعدَّى فلسطين ليكون تحالفًا بين الطرفين للسيطرة على مقدرات البلاد والعباد في كل مكان في الشرق الأوسط وبخاصة في مصر والعراق، حيث كان اليهود من أقرب المقرَّبين إلى الهيئة الحاكمة، وإلى السلطات البريطانية التي وضعتها في الحكم. وكانت المساعدات المالية والسياسية تصل باستمرار من يهود مصر والعراق إلى المشروع الصهيوني في فلسطين، كل هذا والاستعمار البريطاني مسرور كل السرور لأنه وجد غنيمة باردة، وأرضًا خصبة يسرح فيها ويمرح، وهيَّأت له ظروفه الحسنة أن تصل معه كلاب الحراسة أيضًا ممثلة في هؤلاء اليهود من أتباع الصهيونية.

لذلك لم تألُ إنجلترا جهدًا في سبيل تهيئة الظروف المناسبة لهؤلاء اليهود، بل راحت تقمع العرب بكل شدة وقسوة إذا هم أبدوا بعض القلق على مصيرهم في وطنهم، أو ثاروا لما يرونه من اغتصاب اليهود لقطع من هذا الوطن هنا وهناك. هكذا ضربتهم بريطانيا سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٩م.. إلخ. وفي الجهة الأخرى نراها تُعيِّن يهوديًا بريطانيًا صهيونيًا ليكون المندوب السامي الأول لصاحب الجلالة ملك بريطانيا في فلسطين، وكان هذا الرجل هو السير «هربرت صموئيل»، الذي نال لقب لورد فيما بعد. لقد سمع يهود الغرب بهذا النبأ فرقصوا فرحًا، وعانق بعضهم بعضًا، وذهبوا في السنة التالية يحجون إلى فلسطين، ليروا اليهود هناك يتزعمهم حاكم يهودي، وهو أمر لم يحدث لهم منذ قرابة ألفي سنة.

نشاط يهود دول شرق أوربا في مؤازرة إخوانهم في فلسطين

ولا يستطيع الباحث في تاريخ الحرب العظمى والثورة الشيوعية الروسية بالنسبة لليهود، أن يغفل أسبابًا أخرى أدت دورًا أساسيًا في تمكين الصهيونية من اغتصاب فلسطين واحتلالها.

فعلى أثر انفجار الثورة الشيوعية في روسيا، في أكتوبر سنة ١٩١٧م، بدأت شعوب كاملة كانت مُستعبَدة للتاج القيصري تنفصل عن روسيا وتعلن استقلالها، وفي مقدمة هؤلاء بولونيا التي أعلنت نفسها جمهورية حرة ذات سيادة، وأقرت الدول الأوربية بذلك. والذي يعنينا من تلك الظاهرة هو أن روسيا القيصرية، بحدودها القديمة، كانت تضم الجزء الأكبر من يهود أوربا، إذ كان عدد اليهود الخاضعين لسلطان القيصر يزيد على ستة ملايين، ولما حدث هذا التفتُّت في الممتلكات القيصرية، هبط عدد اليهود الداخلين في حدود الحكومة الثورية الشيوعية الجديدة إلى النصف، بينما ظل النصف الآخر يعيش وسط شعوب ناشئة وحديثة الاستقلال، وهذه الظروف هيَّأت لكلا الشطرين من اليهود في داخل روسيا وخارجها، فرصًا للنشاط السياسي العنصري، ولخلق ولاء قومي يهودي لا يعبأ بالحدود ولا القوانين ولا الأوطان، وكان ذلك مما أعطى دفعة قوية للصهيونية.

وعلى أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى في نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ١٩١٨م، وفي أثناء محادثات السلام في باريس قام المؤرخ والدبلوماسي اليهودي لوسيان وولف (١٨٥٧ - ١٩٣٠م) بإثارة موضوع لم يكن في الحسبان، وطرحه على بساط البحث في المجتمع الدولي؛ وهو موضوع «الأقليَّات»! وكانت الخدعة السياسية هنا تتنكر في زيٍّ إنساني رفيع، هو المطالبة بحماية الأقليَّات وضمان أمنهم ومساواتهم في الفرص والحقوق المدنية، بغض النظر عن أجناسهم أو أديانهم، وأفلح الرجل في أن تكون لهذه الأقليَّات وفود في المجتمعات الدولية أغلبيتها الساحقة من اليهود، كما أفلح في إدخال بنود كاملة لمصلحتهم في جميع معاهدات الصلح، وفي دساتير حكومات أوربا الشرقية التي ولدت دولها المستقلة على أثر هذه الحروب العالمية، وتلك الثورة الروسية، وفي مقدمة أولئك رومانيا وتشيكو سلوفاكيا والمجر ولتوانيا وأستونيا ولاتفيا وبولونيا.

سيطرة يهود أمريكا على عدد من المؤسسات المالية والسياسية

ولكي نستكمل صورة النفوذ الصهيوني في العالم عند بداية تنفيذ المشروع الصهيوني تنفيذًا

إسرائيل
ركيزة الاستعمار والعدوان!

نشيطًا مَحْموماً مملوءاً بالحماسة، ينبغي لنا أن نعرف أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تضم قرابة خمسة ملايين من اليهود، وقد كانت هجرة يهود أوربا إلى أمريكا بعد اكتشافها تجرى في نطاق ضيق جداً لا يكاد يستحق الذكر؛ ذلك أن يهود إسبانيا، بعد تحطيم المسلمين وطردهم من هذه البلاد آثروا أن يهاجروا إلى ما بقي من بلاد المسلمين في حوض البحر المتوسط، لما كانوا يَلْقَونه في ظل الإسلام من تسامح وعدالة وحسن معاملة، فهاجر كثير منهم إلى بلاد المغرب وشمال إفريقيا، واتجه آخرون إلى مصر والشام والعراق وتركيا، وراح فريق من اليهود يلتمسون الحياة في بعض بلدان الساحل الشمالي للبحر المتوسط، وبخاصة في البندقية وبعض بلاد البلقان.

ولكن مع ضعف الدولة العثمانية، ومع الاضطهاد الديني والعنصري الذي كانت تمارسه الأمم النصرانية في أوربا - وأوربا الشرقية على الخصوص - وبعد دخول العالم المتحضر في عصر الرأسمالية الصناعية الضخمة، وازدهار هذه الظاهرة في أمريكا بالذات، انطلقت في القرن التاسع عشر هجرات كثيفة جداً من اليهود نحو الولايات المتحدة، وكانت قد سبقتهم إليها جموع إسرائيلية سيطرت على المال والأعمال بشكل ملحوظ في هذه البلاد، وأصبحت نُقَطَ ارتكاز لهذه الموجات الجديدة، ومن أشهر هؤلاء: كُوهَنْ ولُويب وشركاؤهما، وهم من أكبر أصحاب المؤسسات المالية الأمريكية، ومنهم جاكوب شيف (١٨٤٧-١٩٢٠م) أحد كبار رجال الأعمال وزعماء المجتمع اليهودي في أمريكا، ومنهم ناثان شتراوس ١٨٤٨-١٩٣١م) ويقولون: إنه هاجر من أوربا إلى الولايات المتحدة فقيراً مُعْدَمًا، ثم سرعان ما أصبح من أصحاب الملايين، ويذكرون عنه أنه لم يَنْس الفقراء بعد أن تضخمت ثروته، وفي مقدمتهم فقراء اليهود، الذين عاونهم بالمال والغذاء والكساء، وكان أخوه أوسكار شتراوس (١٨٤٥- ١٩٢٦م) من كبار رجال السياسة الأمريكية، وصل إلى منصب الوزارة، كما كان سفيراً للولايات المتحدة في بلاد كثيرة من العالم منها تركيا.

ومن الأسماء التي يفخر بها اليهود في الدنيا الجديدة: لويس بَرَانْدَايْس (١٨٥٦-١٩٤١م) وبنيامين كاردُوزو (١٨٧٠-١٩٣٨م)، وكانا من أكبر رجال القانون في البلاد، ووصلا إلى رئاسة المحكمة العليا للولايات المتحدة، وقد خَلَفهما في هذا المنصب يهود آخرون، منهم فليكس فرانكفورتر وأخيراً جولدبرج، الذي كان يمثل أمريكا في هيئة الأمم المتحدة في أثناء الصراع العربي الإسرائيلي. ومن كبار أغنياء اليهود الأمريكان: يوليوس روزنفالد (١٨٦٢- ١٩٣٢م)، ويُعدّ من كبار المحسنين والمتبرعين بالمال للمشروعات اليهودية المختلفة، كما أنه تولى تحسين الوضع الاجتماعي للسود في أمريكا. وفي ميدان الفكر السياسي الأمريكي برز من اليهود: موريس هيلكويت (١٨٦٩-١٩٣٣م) ويعدُّ من أساطين الاشتراكية الأمريكية، وصمويل جومبرز (١٨٤٧-١٩٢١م) الذي يرجع إليه الفضل في قيام الاتحاد الأمريكي للعمال.

شخصيات يهودية مهمة تلمع في أوروبا

وفي تلك الحقبة كانت الأسماء اللامعة لليهود ذوي النفوذ تزدحم بعضها إلى جانب بعض، فاليهودي البريطاني السير جون موناش (١٨٦٥-١٩٣١م)، يقود القوات الأسترالية في أثناء الحرب العظمى، كما نجد يهودياً بريطانياً آخر يتسلق إلى أسمى المناصب هو روفوس أيزاكس (١٨٦٠- ١٩٣٥م) الذي رأس محكمة العدل في إنجلترا ووقع عليه الاختيار سفيراً فوق العادة لدى الولايات المتحدة، ثم عُيِّن سنة ١٩٢١م حاكماً عاماً للهند بالنيابة عن صاحب الجلالة البريطانية، وبقي في هذا المنصب خمس سنين. ونستطيع أن نذكر هوجو بروس (١٨٦٠-١٩٢٥م) الذي تولى وزارة الداخلية في ألمانيا، وكذلك كورت آيزنر (١٨٦٧- ١٩١٩م) رئيس وزراء بافاريا، وفيكتور آدلر (١٨٥٢- ١٩١٨م) وزير خارجية النمسا، كما أن أوائل المجالس السوفيتية العليا بعد ثورة أكتوبر كانت يهودية بنسبة عالية جداً.

وسبات عميق يغط فيه العرب!

هذه الصورة المصغرة جداً لأطراف الأخطبوط الإسرائيلي التي كانت تحكم قبضتها على العالم، كان يقابلها في العالم العربي والإسلامي سبات عميق، فقد أرادت الخلافة العثمانية ألا تنعقد أية صلة بين ممتلكاتها في بلاد العرب والمسلمين وأوربا إلا من خلالها هي، وتحت رقابتها، وفي سبيل مصالحها الخاصة، وظل الأمر على هذا النحو، لم يخفّ قليلاً إلا بعد الهزة الاستعمارية العنيفة التي تلقاها الشرق، ومصر على الخصوص، على يد نابليون بونابرت، هنا فقط بدأت بعض الخواطر تتّجهُ إلى أوربا وحضارتها، لكن ذلك كان في صغائر الأمور فقط، أما العصب الأساسي للحضارة الأوربية إذ ذاك، وهو الإنتاج الصناعي الواسع، والتجارة العالمية، وفتح الأسواق، والتوسع في إنتاج الخامات فقد ظل في المكان الثاني، وهو أمر مَكَّن أصحاب المطامع الصهيونية، فيما بعد، من إقناع القوى الأوربية والأمريكية بأن وجودهم في المنطقة سيكون خدمة لأهلها، وسيؤدي إلى إخراجهم من العصور الوسطى إلى العصر الحديث.

والعجيب أن كثيراً من الأوربيين خُدِعوا بهذه الدعاية الخاطئة الظالمة، وراحوا يساعدون على ترويجها بالكتب والمؤلفات والتقارير والمقالات، ونخصُّ بالذكر منهم - على سبيل المثال فقط لا لأهمية معينة - الصحفي الفرنسي ألبير لوندر صاحب كتاب «اليهودي التائه رَجَع» وهو مجموعة مقالات يشيد فيها سنة ١٩٢٩م بالجهود الصهيونية في التعمير والإنشاء في فلسطين، وسط مجتمع من الجلاليب والطرابيش والمقاهي الحافلة بمدخني النرجيلة - حسب وصفه!

صيحة عربية مبكرة خُنقت في مهدها!

كان الغرب يظلم العرب والمسلمين، إما عمداً ولحاجة في نفس يعقوب، وإما لأنه مخدوع بالدعاية اليهودية الصهيونية، ومع ذلك فقد كانت أصوات شرقية وعربية تنبعث بين الحين والحين معبرة عن رفض المخطط الصهيوني منذ البداية، ولكن كان ينقصها

لم تأل إنجلترا جهداً في سبيل تهيئة الظروف المناسبة لليهود لاغتصاب فلسطين، فراحت تقمع العرب بكل شدة وقسوة؛ بل عينت يهودياً مندوباً سامياً في فلسطين!

ركيزة الاستعمار والعدوان ١

التنسيق، كما كانت تُعْوزها وسائل الانتشار بين الجماهير. لقد قام في مقدمة هذه الأصوات في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن العشرين، أي مع بداية الحركة الصهيونية تمامًا، كاتب عربي نصراني من فلسطين هو «نجيب عازوري» الذي كان في وقت ما نائبًا للمحافظ التركي لمدينة القدس، وطلب من السلطات التركية على أثر المؤتمر الصهيوني الأول اتخاذ مجموعة من التنظيمات المناسبة للموقف الجديد، وأهمها:

١ـ الحدُّ من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٢ـ الرقابة الشديدة على امتلاك الأراضي أو استثمار الأموال بوساطة اليهود.

٣ـ السماح للقومية العربية بالتعبير عن نفسها بحرية في المجتمعات الدولية.

٤ـ تحسين حالة المواطن العربي الفلسطيني من الناحيتين الاقتصادية والحضارية.

٥ـ إعطاءُ الخطر اليهودي على الشرق الأوسط، وعلى السلام العالمي، ما يجب من الأهمية.

أصحاب المطامع الصهيونية استطاعوا خداع العالم وإيهامه بأن وجودهم في المنطقة سيكون خدمة لأهلها وسيؤدي إلى إخراجهم من العصور الوسطى إلى العصر الحديث!

وبالطبع لقي هذا الرجل عَنَتًا شديدًا من السلطات التركية التي اتهمته بالفوضوية ومحاولة تأليب الأقليات الدينية والعنصرية في داخل الخلافة العثمانية، فلم يَسَعْهُ إلا أن يهاجر إلى أوربا ليستمر في دعوته ضد الخطر اليهودي، وليفضح الصلة بين المصالح الصهيونية والمصالح الاستعمارية، وفي باريس أسَّس «رابطة الوطن العربي» ونشر في بداية عام ١٩٠٥م كتابًا باللغة الفرنسية على أكبر جانب من الأهمية جعل عنوانه: «يقظة الأمة العربية»، والكتاب وثيقة تاريخية تثبت أن الضمير العربي لم يكن في غيبوبة تامة إبان تفسُّخ الامبراطورية العثمانية، وتحفُّز الصهيونية والاستعمار، فقد قسمه مؤلفه بعد تصدير ومقدِّمة قصيرة تسعة أبواب: جعل الأول منها في وصف فلسطين جغرافيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، والتنبيه على الأوضاع الخطيرة التي أدى إليها فساد أجهزة الحكم، وضعف الرقابة عليه في هذه البلاد، مما عرَّضها للمطامع اليهودية والمؤامرات الاستعمارية.

وتتابعت الأبواب بعد ذلك لبيان ألاعيب السياسات الأجنبية في فلسطين ومنطقة الشرق الأوسط كلها، فتناول بالتحليل مواقف كل من روسيا وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا والولايات المتحدة والفاتيكان، ثم ختم ذلك كله بتشريح موقف السلطنة العثمانية، وبيَّن خطر الاستعمار والصهيونية الذي يتهدَّد فلسطين.

فهذه صيحة عربية مُبَكِّرة جدًا، خُنقت في مهدها، لأنها كانت وحيدة في الميدان، ولأنها لم تعرف تمامًا إلى أين تتجه، ولكنها على كل حال صيْحة رَفْض، صريحة في إبائها، علمية دقيقة في تشريحها وتحليلها لمصادر الشكوى. وقد أعلن المؤلف نفسه عن ثلاثة كتب أخرى يقوم بإعدادها، عنوان أحدها «الوطن العربي»، وهو كما يقول: دراسة متعمقة للوضع الحالي للبلاد العربية وتصوير لمستقبلها، أما الكتاب الثاني فعنوانه «الخطر اليهودي العالمي»، وهو توجيهات ودراسات سياسية، وثالث هذه الكتب عنوانه «القوى الأجنبية ومشكلة الأرض المقدسة»، وقد حاولنا التحقق من نجاح نجيب عازوري في نشر هذه الكتب، ولكنَّا لم نستطع الحصول على ما يثبت ظهورها. بل إن كتابه الأول الذي أشرنا إليه وإلى موضوعه وأبوابه قد اختفى إلا النادر من النسخ في بعض المكتبات، ونحن نعلم أن اليهود مشهورون في العالم كله بتدمير كل كتاب يحاول أن يفضح مؤامراتهم.

ولعلنا نستطيع الآن أن نتصور الدوامات الرهيبة التي دارت فيها فلسطين مع ظهور الصهيونية، واتحاد أهدافها مع أهداف الاستعمار، فقد عاش اليهود في ظل الانتداب البريطاني، مفروضين بالقوة على عرب فلسطين.

هجرات يهودية جديدة بعد استيلاء النازيين على الحكم في ألمانيا

وعادت الثورة العربية تندلع من جديد في وجه الهجرات اليهودية الضخمة سنة ١٩٣٦م، وفي هذه المرة كان الدافع لهذه الهجرات هو نجاح الحزب النازي في ألمانيا بزعامة أدولف هتلر في الوصول إلى الحكم، ثم تكوين حلف بين هذه النازية الألمانية والفاشية الإيطالية التي كان يقودها بنيتو موسوليني.

كانت ألمانيا ما تزال تَطْوي ضلوعها على رغبة قوية في الانتقام لهزيمتها المريرة سنة ١٩١٨م، وكانت إيطاليا تحلم بالإمبراطورية الرومانية القديمة، لتحقيق سيادة شعبها على البحر المتوسط، وكانت كلتا الدولتين تحْقد على إنجلترا وفرنسا لاستئثارهما بنصيب الأسد في الاستعمار في آسيا وإفريقيا، ولإغلاقهما الأسواق وموارد الثروة الطبيعية، مما وضع الألمان والإيطاليين في حالة شديدة من الضيق المالي وانخفاض مستوى المعيشة، وكانت ألمانيا بالذات لا تنسى لليهود الألمان جرائم رهيبة في التجسس، والتلاعب بالاقتصاد الألماني، وتهريب أسرار الأسلحة والمعدات الحربية الجديدة إلى إنجلترا في أواخر الحرب العالمية الأولى، مما كان له أكبر الأثر في الهزيمة التي لحقت بها، وكان حاييم وايزمان نفسه في مقدمة المتهمين.

ورأى الألمان النازيون أن يحاربوا اليهود بالسلاح القديم نفسه الذي اخترعه اليهود لأنفسهم وهو العصبية العنصرية، فبنى مفكروهم فلسفة أساسها العصبية للجنس الجرماني الآري، وأنه سيد الأجناس جميعًا، وجعلوا الجنس اليهودي في تصنيفهم العنصري من أحقر الأجناس التي تعيش على هذه الأرض وأقذرها. وانطلاقا من هذه الفلسفة تتابعت تشريعات التفرقة العنصرية، ومخططات اضطهاد اليهود والتضييق عليهم تمهيدًا لمحاولة إبادتهم نهائيًا، فأصيب اليهود بذُعر شديد، وبدأ الكثيرون منهم يفكرون في النجاة بأنفسهم، وتنبهت «الوكالة اليهودية» في تل أبيب، التي كانت تمارس نشاطها منذ عام ١٩٢٩م بزعامة «دافيد بن جوريون» لهذا الأمر، كما تنبهت له الصهيونية العالمية كلها، وبدأ تشجيع الهجرة يأخذ شكلاً منهجيًا واضحًا، ومحددًا، نحو فلسطين بالذات.

الهوامش:

١ـ بهذه الجملة تبدأ الصلاة عند اليهود، وقد استعملها جابوتنسكي هنا لمزيد من التأثير النفسي!



د. خالص جلبي

إن أعظم تحدٍّ يواجه الإنسان ليس الطبيعة التي تحيط به، بل هو في علاقته بأخيه الإنسان؛ فليس هناك من شيء يهدد الإنسان أكثر من أخيه الإنسان الذي يعيش معه، ويسكن جنبه، ويشاركه المجتمع. إن الطبيعة جميلة ورائعة ولا تخيف، وقد تكيَّف الإنسان معها منذ ملايين السنين. فلا الزلازل ولا البراكين، ولا موج البحر المرغي المزبد، ولا الرياح المزمجرة، ولا ثقب الأوزون ولا البكتريا، ولا الثعابين ولا الفيروسات، هي مصدر قلق وحزن مثل الإنسان لأخيه الإنسان.

فالإنسان يفتك بالإنسان بأشرس من أنياب الذئاب، ونهش الأفاعي ولدغ العقارب، فهذا المخلوق الضعيف الهش الطري يُنسف بالقذائف، ويُحرق باللهب، ويُمَزَّق بالرصاص، ويُقَطَّع بنصال الحديد التي لا تعرف الصدأ. ويقتل الإنسان أخاه الإنسان ليس من أجل التغذي بلحمه كما تفعل الحيوانات، بل للحقد الذي انفجر في الصدر، والكراهية التي استولت على منافذ الفهم، فلم يرَ إلا الدم حلاً للمشكلة؛ وكان إلغاء الآخر هو أفضل الحلول وأسرعها. لذا أخطأت الداروينية الحديثة حينما أرادت نقل قانون البقاء للأصلح وتطبيقه على (النوع الإنساني) حيث يصبح الأصلح هنا هو السيئ المريض النفس، الذي لا يستطيع أن يقيم علاقة إنسانية (سليمة) مع أخيه الإنسان.

العلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع

مع هذا فإن الإنسان لا ينبت وينمو، بل لا يصبح الإنسان إنسانًا إلا من خلال تكوينه وصياغته ضمن مجتمع، فالإنسان يمثل معادلتين: حياتية (بيولوجية) وثقافية. هذه هي العقدة الجدلية التي تنتظر الحل؛ أن يرقى الإنسان بالمجتمع ويرقى المجتمع بالإنسان. أن يُخلص الفرد للمجتمع ويحافظ المجتمع على الفرد. أن يحمي الفرد المجتمع من القوارض الاجتماعية وأن يسبغ المجتمع أمنه على الفرد. أن يعتز الفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه ويتألق المجتمع بالدرر الفردية التي تشكل تركيبه. أن يصحَّ الفرد بصلته بالمجتمع ويتعافى المجتمع بأفراد نظيفين. أن يتحول المجتمع إلى ساحة تعاون وإيثار، وأن يحب الإنسان أخاه الإنسان. ألا يشعر الفرد بالقرف والكره من محيطه وأن ينشط المجتمع بنشاط الأفراد. أن يتصرف الفرد من خلال الشعور بالمسؤولية وحسن الانتماء والمبادرة الفردية في الدفاع عن المجتمع وحمايته والموت دونه، وأن يشجع المجتمع الأفكار الجديدة والمبادرات المخلصة وألا يقتلها في مهدها ويخنقها قبل أن ترى النور.

السلام رصيد داخلي

هذا الصراع بين الإنسان وأخيه لا يمكن تحويله أو إلغاؤه إلا بالسلام، والسلام هو رصيد داخلي؛ فالحروب تنشأ في الرؤوس قبل ميادين القتال، وحتى يصل الإنسان إلى علاقة السلام لابد له أولاً من الوصول إلى حالة السلام داخل نفسه. وإنهاءُ حالة الجدل الداخلية هذه للوصول إلى السلام الداخلي هو أعظم تحدٍّ يواجه النوع الإنساني. عندما كنت طفلاً صغيرًا مازالت تروِّعني ذكرى منظر لرجل يضرب امرأته ضربًا مبرِّحًا بالعصا وهي تستغيث وما من مغيث! وكان سؤال يلح عليّ دون أن أجد جوابًا واضحًا له أمام مناظر الظلم الإنساني: لمَاذا لا ينسحب الفرد من المجتمع إلى غابة أو مكان ناءٍ سحيق، كي يخلص الإنسان من كل هذه المناظر المؤلمة والمرعبة؟ ولكن هل يستطيع الإنسان حقًا أن يعيش وحده في الغابة على الشكل الذي زينته قصة «حي بن يقظان» أو «روبنسون كروزو» أو مسلسل الأطفال «ماوكلي الطفل الذئب»؟

المجتمع هو الذي يقلب معادلة الفرد من البيولوجيا إلى الإنسانية

لقد اكتشفت، ويعود الفضل الأكبر في ذلك إلى أفكار ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، ثم الأبحاث في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) التي اطلعت عليها فيما بعد، بحيث شكلت لي ما يشبه الانقلاب الفكري في النظر إلى علاقة (الفرد - المجتمع)، ووصلت إلى الفكرة المبلورة التي تقول: إن المجتمع هو الذي يصنع الإنسان، فالإنسان في معادلته الحياتية

(البيولوجيـة) يأخذ المورِّثات (الجينات) من والديه، أما الثقـافة فهذه يمتصهـا من المجتمع الذي يختزل له تجارب الجنس البـشري ليحقنه بها في سنوات عمره الأولى، فيـقفز، من خلال هذه الخبرة، ليكتسب مقعده الجديد في سلم الوجود حيث يمثل قمة ما أبدعته الحياة.

قصة صبي أفيرون الوحشي

في عـام ١٧٩٩م وقعت حـادثة مـثيـرة في فـرنسا، أحـدثت ضـجة بين رجـال الدين والفـلاسفـة، والأطباء والمربين، وعلمـاء الأخلاق والرومـانسيين. وخـلاصة هذه الحـادثة هي الإمساك بصبي من غابة «أفيرون»(١) يبلغ من العمر قـرابة ١٢ عامًا، عليه سمات الـوحشية. كان عاريًا قذرًا له سلوك الحيـوان، كريه الرائحة بثير الاشمئزاز، يقوم بحـركات تشبه القرود، وتنتفض عضلاته بتقلصات شرسة، يتـأمل الناس من حوله بنظرات عدوانيه لا تعرف الرحمة، ويعض من يحاول الاقتراب منه! وحاروا في أمـره: من أين جاء؟ هل ألقي في الغابة منذ صغره فعـاش بين الحيوانات؟ وإذا كـان كذلك فكيف عاش ومن الذي أطعـمه، وأي حيـوان أشفق عليه فأرضعه؟.. قصة كانت ومازالت لغـزًا متروكًا للتاريخ. إلا أن الإجماع كان أنه في أصله إنسان ولـكنه تربى في الغابة وصـمد لمناخـها الذي لا يرحم، وأكـدت هذا دراسات إنسـانية (أنثروبولوجيـة) لاحقة(٢). كـان هذا الغلام للبعض شـاهدًا على صحة مـا ذهب إليه المفكر جان جـاك روسو عن مزايا (الوحش النبـيل) والدعوة إلى العودة للطبـيعة، وكـان الطفل قوي البنية لا يعرف المرض، عاريًا لا يعـرف البرد!! ورأى آخرون مدى الدرك الذي يمكن أن ينحط إليه ابن آدم، في حين رأى فريق ثالث، والرعب يملأ قلوبهم، طباع الإنسان البـهيمية عارية من كل مجاملة أو تشذيب، ومن دون أي مساحيق حضاريـة تجميلية. أما رجال الدين الفرنسيون فرأوا تجلي نعمة الله على ابن آدم بتربينه في المجتمع.

اهتم دكتور فرنسي هو «كاسبار إيتار» بهذه الظاهرة وسمى هذا الغلام «فيكتور»، وأراد إعادته إلى الحظيـرة الإنسانية، فقام بإجـراء تجارب واسعة في الحـقل الإنساني، ولم تكن هناك سابقة لهذه الظاهرة، وسجل الدكتور إيتار ملاحظاته في النهاية، حيث استطاع إيصال فيكتور (صبي أفيـرون الوحشي) إلى كيفيـة وقوفه بشكل أقرب إلى الانتصـاب، ولبس الثياب وشيء من السلوك الإنساني، أما اللغة فقد بدأ يفهم شيئًا من اللغة الفرنسية، إلا أنه لم يستطع نطقها مطلقًـا، مما أوصل إلى تسجيل هذه الظاهرة المروِّعة المأسـاوية وهي: أن الإنسان إذا تم تلقـينه اللغة في سنوات عمره الأولى تعلمها، بل تشبه (الدوس) في الكمبيوتر، أي يمكن تعلم أي لغة أخرى بعد ذلك، وإذا عُـزل الفرد اجتماعيًـا خسر تعلم اللغة، بل أي لغة لاحـقة بالكلية وإلى الأبد، وهذا يعني بكلمة ثانية شطب الإنسان من قائمة البعد الاجتماعي.

كتب الدكتور إيتار في سجل مـلاحظاته ما يلي: «يأتي الإنسان إلى هذه الكرة الأرضية من دون قـوة جسـدية ودون أفكار تولد معـه، وغيـر قادر بـذاته على متـابعة قـوانين طبيعتـه الأساسية التي ترفعه إلى قمة المملكة الحيوانية، ولا يسـتطيع الوصول إلى المركز المرموق الذي اختصـته به الطبيـعة إلا إذا كان وسط مجـتمع، ومن دون حضارة يكون الإنسـان واحـدًا من أضعف الحيوانات وأقلها ذكاءً»(٣).

هذه القصـة التي تؤكد (بناء) المجتمع لـلإنسان كي يصبح (إنسانًا)، وضـرورة نمو الفرد ضمن مجتمع بشكل كامل ونهائي ومطلق وفي الطفـولة، هي حقيقة انتبه لها ابن خلدون في مطلع القـرن الخـامس عشـر الميـلادي (٧٧٩هـ) وبناها على أمـرين حيـويين: «تأمين الغـذاء» و«حـماية الفـرد»(٤). والأمر الأول أوضح لأن رغـيف الخبـز حتى تتم صناعتـه يحتـاج إلى مسلسل لا ينتهي من الصناعات كي يتم إنجازه ويبرز إلى الوجود ليتمتع بأكله الإنسان (حرث الأرض يحـتاج إلى محـراث مكون من قطعـة الحديد والخـشبـة والحبل والحـيوان المستـأنس، والحديد يحتاج إلى صناعـة الحدادة بالكامل، والخشبة تحتاج إلى صناعة نجارة، والحبل يحتاج إلى صناعة نسيجية، والحديد يحتـاج إلى صناعات جيولوجية لجلب المادة الخام، وهي بدورها تحتاج إلى صناعات متممة وهكذا...).

من هنا نفـهم سطحيـة قصص من أمثال «حي بن يقظان» و«روبنسون كـروزو» أو قصة الأطفال في الفـيلم الكرتوني «ماوكـلي الطفل الذئب» وسذاجـتها وعـدم واقعيـتهـا!! وأشد سذاجـة منها الأفـلام الأمريكيـة من مثل «طرزان والشـمبانزي شـيتـا» التي خلبت لبنا ونحن صغار!!.

الحرب خطأ كروموزومي في جينات الحضارة الأولى

وإذا كان المجـتمـع الإنساني يمثل ضرورة (التحـول الإنساني) فلماذا نشـأت الحرب مثل الخطأ الصـبغي (الكرومـوزومي) في جـينات الحضـارة الأولية منـذ لحظة تكونها الأولى مـثل مرض الإيدز الحالي؟(٥).

لماذا كانت علاقـة الإنسان بأخيه الإنسان تقـوم على العنف؟ بل لماذا قامت الدول على أساس العنف، حيث يمثل القانون قوة الإكـراه الملزمة، الذي تقوم قوة العنف المادي في النهاية بتنفـيذه إذا تطلب الأمـر ذلك؟ لماذا كانت عـلاقات الدول بعـضهـا ببعض تقـوم على توازن القوى؟ بل لماذا استفـحلت الحرب وعدّها فون كلاوسفيتز(٦) مُنظِّر الحزب الألماني: استمرار السياسة بوسائل أخرى من أجل كسـر إرادة الخصم وتطويعها؟ بل لماذا انطلق شوط القوة إلى درجة أن امتلك الإنسان في النهاية وقود المجرات والسوبرنوفا(٧) والقوة النووية؟ لقد شكلت دورات الحـرب في التاريخ نظمًـا مروّعًـا مرعبًا، كل جـولة فـيه كـانت ألعن وأفظع من التي قبلها(٨) أعنف في وقعها وأشد تدميرًا في آثارها!!

إن وباء (العنف) أخطر من كل الأمراض العضوبـة التي مرت على الجنس البشري، لأنه كلفه ـ ومايزال ـ أكثر من الجذام والسل والطاعون مـعًا، ومع هذا لاتوجد أكاديمية أو مؤسسة تدرس مثل هذه الظاهرة اللعينة (باستثناء المؤسسة الفرنسية لغاستون بوتول الذي سعى لها منذ نصف قرن) ففتحُ ملف دراسته له ما يسوِّغه، بل إنني أرى تناوله اختراقا لفضاء معرفي جديد، ولمسًا لموضوع هو ربما من المحرمات (التابو) للبعض.

ومن خلال طرحنا المتكرر والمتنوع للفهم الفلسفي لمغزى رمضان البعيد، وتأسيسه معنى السلام: سَلامٌ هِيَ حَتَّى *مَطْلَعِ الفَجْرِ*. **القدر**:٥. فقمة رمضان، وروعة تجليه هي في الليلة التي نزل فيها القرآن يحمل السلام معه إلى الأرض.

ولكن لماذا لم يتحقق السلام بعد؟

خمس زوايا (بنتاجون) لرؤية مشكلة العنف

سـوف أحاول رسم بانورامـا ذات خمس زوايا (بيـولوجيـة، أنثـروبولوجيـة، جنسيـة، سيكولوجيـة، تكنولوجية) لإلقاء الضوء على أعظم تحدٍّ يواجه الجنس البشري، والذي، إن لم يفلح في إلغائه، فسوف يلغي هو الإنسان!!

١ـ الرؤية الحياتية (البيولوجية): يتكون الجهاز العصبي المركزي عند الإنسان من ثلاث مستويات: الدماغ السفلي ـ وتشترك فيه معه الزواحف ـ وهي المنطقة التي تنظم البلع والتنفس والعطاس وضربـات القلب والتعرق وسـواها(٩) ومراكـز الانفعالات والجنـس. والمخيخ الذي يحفظ على الإنـسان توازنه ـ وتشتـرك فيه الطيـور ـ، ثم الدماغ العلوي الذي تميّـز به الإنسان بشكل خاص، ولا تشتـرك الثدييـات العليا معه إلا في قـسم ضئيل منه وغيـر نوعي. وهكذا، فمـع أن الغوريلا تزن ثلاثة أضـعاف الإنسـان، فإن دمـاغ الغوريلا لا يزن ثلـث أصغـر دماغ إنساني لا يتـجاوز وزنه في المتـوسط نحو (٠,٥ كغ). وتمثل الدوافع (البيولوجيـة) وسورات الغضب والانفـعال التعبيرات الدماغـية السفليـة غير المنضبطة بما فيها الشـهوة، وبذا ينقلب مخطط الإنسـان فعليًا بانقـلاب الدماغ العلوي ليصـبح تحت سيطرة الدماغ السـفلي، حيث تضيع الحكمة تحت ضباب الشهوة وإعصار الغضب.

٢ـ الرؤية الإنسانية (الأنثروبولوجية): تعيش خـلايا الجسم في حـالة تناغم وتناسق كأنهـا انسيـاب أعذب ألحـان الوجود وأروع سيـمفـونيات الخلق، وهو مـا عبَّر عنـه القرآن بـ (التسبيح)(١٠) مع أنهـا بأعداد مخيفة. يكفي أن نعرف أن قشـرة الدماغ وحدها تملك قرابة مئة مليـار خلية عصبيـة كل واحدة منها تتمتع بأكثر من ألف ارتباط عصبي، بحيث تشكل شبكة ارتباط أعظم من الكون الذي يحيط بنا: وفي أنفُسـكُم أفلا تُبصرون(١١) مستندة إلى مئة مليار خلية دبقـية عصبية. وفي الدوران تسبح في كلّ مليلتر مكعَّب واحـد خمسة ملايين من الكريات الحمـر؛ أي في كل الدوران البالغ خـمسة ليـترات زهاء ٢٥ مليون مليـون كرية حمـراء، تشكل فيـما لو صُـفّت بعـضها إلى جـانب بعض طولاً يلف الكرة الأرضية ٦-٧

مرات!! يضاف إليها ٢٥ مليار كرية بيضاء للمناعة. وفي كل (كلية) مليون وحدة تصفية (النفرون) هي أعظم من أكبر محطة تحلية لمياه البحر. تبلغ في الطول ٥٠ كلم وتصفِّي كل ٢٤ ساعة ١٨٠٠ لتر من الدم يتم طرح ١٨٠ ليترًا من الماء منه ليعاد امتصاصه كله تقريبًا إلا ليترًا ونصف الليتر من السموم يُطرح خارجًا وهو المعروف بالبول!!(١٢). هذا التوافق قديم في تاريخه، عريق في أصالته، يمتد إلى ملايين السنين، وبذا تتناسق وتتناغم: الكريات الحمر مع البيض في أنابيب الدم، الماء مع عروق اللمف، الشوارد المعدنية مع امتدادات الأعصاب، الأنسولين مع مخازن السكر، الحموضة مع القلوية، مرونة الأوعية مع توتر العضلات مع قساوة العظام وقرار الرحم وهكذا. في حين أن الحياة الإنسانية الاجتماعية لا تعد مع عمر البيولوجيا شيئًا، تمامًا كما هو الحال بين عمر البيولوجيا مع عمر الأرض وبدء الحياة عليها. فإذا كان عمر الأرض نحو ٤٫٦ مليار سنة، فإن عمر الإنسان المنتصب لا يزيد على ٣٫٢ مليون سنة (وحسب كشوفات تيم وايت الأخيرة قفز الرقم إلى ٤٫٦ مليون سنة) بحيث إننا إذا تصورنا كتابًا بحجم ألف صفحة، فإن بزوغ فجر الحياة الإنسانية يبدأ في الظهور في الصفحة الأخيرة من هذا المجلد الضخم، أما الحياة الاجتماعية فهي الحرف الأخير من هذه الصفحة الأخيرة!! ولا غرابة في هذا لأن الثورة الزراعية بدأت قبل ٩٠٠٠ سنة، والحضارة انطلقت قبل ستة آلاف سنة، والكتابة اختُرعت قبل خمسة آلاف سنة. وهذا البدءُ القصير العمر مقابل ثبات الزمن الرهيب من الناحية الخلوية البيولوجية يجعلنا نستوعب فهم تعاون خلايا الجسم من دون حروب إلا في حالة واحدة تشبه الدمار النووي هي حالة السرطان!! مقابل حروب بني الإنسان التي تفسر هذا الاضطراب والتشوش وعدم الانتظام وانعدام التناسق بين نسيج خلايا الجنس البشري الكبير.

٣- الرؤية الجنسية: وهو دور المرأة؛ حيث مثلت المرأة من جهة خزانًا للحياة لا ينضب سواء أكان في الحمل والإنجاب، أم في العناية والتربية، أم في الحب والدفء الإنساني، أم في النعومة والانسحاب من مظاهر العنف، تلك التي يتميز بها الذكور. كذلك عدم تعرضها للقتل في ساحات المعارك تلك التي يتقاتل فيها الذكور ويذبح بعضهم بعضًا فيها. وفي الجانب الآخر هناك تأكيد أن المرأة هي التي أدخلت الجنس البشري مرحلة الثورة الزراعية، حينما استنبتت الزرع، في الوقت الذي كان الذكر يجوب السهوب خلف الصيد وجمع الثمار؛ بينما الأنثى تعتني بالصغار.

إلا أن الذي حدث هو أن الذكور امتلكوا قيادة الجنس البشري، وهذا أدى - بدوره - إلى نتيجة على غاية من الأهمية هي استحداث الجيوش، التي هي مؤسسات ذكورية في الأصل، والتي ارتبطت بهيمنة الذكر على مصير النوع الإنساني(١٣)، والجيوش هي مواد خام الحروب، حيث يُقتل فيها الذكور مرة أخرى، أولئك الذين استحدثوها وصنعوها ورتبوها ويداك أوكتا وفوك نفخ!!

٤- الرؤية التقانية (التكنولوجية): منذ وقعت أول جريمة على وجه الأرض باستعمال سلاح صغير (حجر أو عصا) نمت مقدرة القتل مع تطوير (قوة الصدم) و(سرعة الصدم)، وهكذا ارتفع (مشعر القتل) - كما يسميه العسكريون - من قوة «١٨» بالضرب بالرمح في معركة عسكرية رجلاً لرجل إلى أرقام تفوق المليون من خلال السلاح النووي(١٤)، إلا أن النكتة التي حصلت هي ما حصل شبيه بها في تعلم لغة العميان لـ (برايل)؛ فقصة عمى هذا الإنسان (برايل) حركت فيه التحدي ليقول إن هذه الإبرة التي كنتُ أسرج فيها الخيل فثقبت عينيَّ فأعمتهما واحدة بالجرح والأخرى بالالتهاب المشارك، هذه الإبرة لابد أن فيها سر عودة النور لعيني مرة أخرى!! الإبرة لم تجعله يبصر مباشرة ولكنها، بالحفر على الخشب، منحته اختراع حروف القراءة للعميان لكي يكسبوا قدرة الاتصال بالعالم من جديد. هذا السلاح اللعين وتطويره الذي فتك بالإنسان، هو نفسه الذي قاد في النهاية إلى إبطاله، فالقوة أبطلت القوة، وبلوغ سقف القوة من خلال السلاح النووي حوّل السلاح النووي في النهاية إلى سلاح ردع وليس سلاح استخدام!!

٥- الرؤية النفسية (السيكولوجية): كان الجانب التربوي للإنسان حتى الآن في معظمه غير (سلامي)، وكانت مهمة الأديان هي التبشير بالإنسان الجديد، ووضع (كوابح) للعنف عنده، ورد الإنسان إلى العمق الأساسي لوجوده. وكان السبيل إلى ذلك من خلال التربية الميدانية - ومنها «الصوم» - التي هي تعبير عن ضبط النفس والوقوف عند الحدود والكف عن المحارم وسفك الدماء. والصوم يشكل أداة مهمة في تنمية دوافع الردع الداخلية في محاولة لإيجاد حالة (السلام الداخلية) عند الإنسان، الذي إن تحقق شَعَّ منه السلام الحقيقي والكامل والدائم على الكون.

أمهات الأخلاق الإنسانية

الدين يريد منح الإنسان الكرامة الجديدة، بعد كرامته الأولى، من خلال الصياغة الاجتماعية للإنسان باستحداثه إنسانًا؛ بالصقل الجديد والتربية الحديثة. أن يقوم بعملية جراحية كبرى داخلية لاكتشاف ينابيع الأخلاق الأساسية الممثلة بـ «الحكمة» و«الشجاعة» و«العفة»، والتي يمثل كلاً منها نقطة وسط بين هوتين، وهكذا فالسخاء هو وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين التهور والجبن.

يسعى الدين إذن إلى إرساء المثلث الأخلاقي بين أمهات الأخلاق الأساسية التي أشرنا إليها من أجل الوصول بالنفس إلى حالة (العدل) التي هي القانون الأسمى في الوجود والذي قامت به السموات والأرض. وفي اللحظة التي نمسك بها بالبوصلة الداخلية وهي تعمل نظيفة براقة، والعدل الداخلي قد تأسس، تدخل النفس الإنسانية مرحلة النفس المطمئنة، في عالم السعادة، والتي أبرز صفاتها (السلام)؛ السلام مع النفس والكون المحيط والنجم الذي نرى، مع النبات والطير، مع الجبل والحجر، مع النمل والنحل، مع الإنسان الأخ والمجتمع الأب: *وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ*. **الأنبياء**:٧٩.

من جنة السعادة، ومن كنز النفس المطمئنة، يشع نور السلام إلى العالم كله، ولا غرابة في ذلك، فالله عز وجل أحد أسمائه السلام، والجنة هي دار السلام، وتحية أهل الجنة هي السلام، والإسلام هو السلام الشامل والدائم ما دام مصدره الأبدية، التي طالما تاقت إليها نفس فيلسوف القرن الثامن عشر إيمانويل كانت فسطرت يمينه كتابه «نحو السلام الشامل»(١٥).

المراجع والهوامش:

١- راجع القصة بالتفصيل في كتاب «نمو الإنسان»، تأليف بيتر فارب، ترجمة زهير الكرمي، سلسلة عالم المعرف، الكويت، تموز/ يوليو ١٩٨٣م، رمضان/ شوال ١٤٠٣هـ.
٢- المصدر نفسه: راجع تجربة الملك الصقلي فريدريك الثاني في القرن الثالث عشر الميلادي على الأطفال (تم وضع أطفال رضع في عزلة عن تعلم أي لغة لاكتشاف اللغة التي سوف ينطقون بها فكانت النتيجة: لا لغة ولا مجتمع والموت لمعظمهم!) ص١٢.
٣- المصدر السابق نفسه، ص١١.
٤- راجع مقدمة ابن خلدون ص٤١-٤٢ عن ضرورة المجتمع من الفصل الأول في العمران البشري: الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن ذلك بقولهم الإنسان مدني بالطبع.. وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه.
٥- تحدي مرض الإيدز الحالي هو في كون الفيروسات (التي هي أحماض نووية ناقصة) تتسرب إلى الجينات (التي هي أحماض نووية كاملة) لتصبح قطعة من تركيبها، وتصبح الجينات بذلك مصنعًا لإنتاج فيروسات الإيدز!!
٦- راجع المصدر الألماني VOM KRIEGE تأليف KLAUSWIETZ سلسلة RORO.
٧- السوبر نوفا أو المستعر الأعظم: حالة نجمية مع انفجار لنجم شاخ بحيث تطيح أشلاؤه في السموات مع توهج أشد من ألف شمس، ومن حطامه تتشكل نجوم الجيل الثاني. وهكذا فنظامنا الشمسي يدين في حياته لسكرات موت نجوم جيل سابق.
٨- يكفي أن أذكر معركة ستالينغراد التي قاد فيها الجنرال الألماني فون باولوس الجيش الألماني السادس الذي كان يعدّ فخر الجيوش الهتلرية (مغول القرن العشرين) في الحرب العالمية الثانية، وكان تعداده ٣٦٠ ألف جندي، بقي منهم في أثناء الاستسلام ٩٠ ألفًا، والذين اكتحلت عيونهم بمرأى الوطن (ألمانيا فوق الجميع) كانوا خمسة آلاف فقط، والتقيت ببعضهم في أثناء وجودي في ألمانيا. راجع كتاب ويليم شيرر عن تاريخ ألمانيا الهتلرية، وهو كتاب مثير ورائع كتبه صاحبه من أطنان من الوثائق النازية التي وقعت في أيدي الحلفاء بعد هزيمة ألمانيا.
٩- يمكن مراجعة كتاب «علم الفيزيولوجيا» لشفيق البابا الذي كان يدرس تحت علم الغريزة في كلية الطب في المرحلة ما قبل السريرية جامعة دمشق.
١٠- راجع في هذا الآية: وإنْ من شيء إلا يُسبّحُ بحمده ولكن لا تفقهُون تسبيحَهُم. الإسراء: ٤٤.
١١- راجع في هذا سورة الذاريات الآية ٢٠، ٢١: وفي الأرض آياتٌ للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تُبصرون.
١٢- كتاب: الطب محراب للإيمان، المؤلف، الجزء الثاني ص٣٠١.
١٣- راجع في هذا البحث الذي كتبه الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي في كتابه «نحو رقي المرأة».
١٤- راجع مجلة الأمن والتسلح الألمانية، إصدار مؤسسة طيف العلم- RUESTUNG UND SICHERHEIT - SPEKTRUM DER WISSEN-SHAFT.
١٥- إيمانويل كانت: نحو السلام الدائم محاولة فلسفية ZUM EWIGEN FRIEDEN، ترجمة نبيل خوري، تقديم أنطون هينن، دار صادر بيروت. كانت رؤياه عبقرية في محاولة تفهم الجذور الأولية لمشكلة العنف الإنساني، وكانت الأفكار التي طرحها في هذا الكتاب هي النويات الجنينية لتكوين جمعية الأمم المتحدة حاليًا التي يتفاءل المرء للمستقبل أن تكون نواة العدل للجنس البشري كله مثل حلف الفضول الذي شارك فيه محمد صلى الله عليه وسلم لنصرة المظلوم.

شهر رمضان
ملف خاص

يسر الإسلام في فريضة الصيام

محمد نجيب لطفي

شريعة الإسلام يُسرٌ كلُّها، سَمْحةٌ كلها، عظيمة كلها. وكما يتجلّى يُسر الإسلام في كل الجوانب فإنه يتجلى في فريضة الصيام بصورة جلية وبشكل بيِّن.

ولقد ورد في سياق حديث القرآن الكريم عن الصيام قول الحق سبحانه وتعالى: *يُرِيدُ اللَّهُ بِكُم الْيُسرَ ولا يُرِيدُ بكم العُسرَ*. **البقرة**:١٨٥. وهذا شأن الإسلام وشريعته في الصيام وغيره من أركان وواجبات وفرائضَ وعبادات، وأدلة ذلك كثيرةٌ ومتضافرةٌ، منها قوله تعالى: *وَعلى الذين يُطيقُونهُ فديةٌ طَعَامُ مسكين*. **البقرة**:١٨٤.وقوله تعالى: *فَمَنْ كَانَ منكم مَريضًا أو على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَر*. **البقرة**:١٨٤.

ففي شريعة الإسلام نجد أن للمريض حكمًا يختلف عن حكم السليم، وأن للمسافر حكمًا يختلف عن حكم المقيم، وما ذلك إلا بسبب يسر الإسلام، وقبل النسخ كان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينًا.

وإذا يممنا شطر السنة النبوية وجدنا يسر الإسلام في فريضة الصيام يتجلى في أحاديث كثيرة ومواقف عديدة:

من ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمةً بأمته وشفقة عليها، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة: منها حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال، قالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست مثلكم إني أُطعَمُ وأُسْقَى»(١). ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك يا رسول الله تواصل، قال: «وأيُّكم مثلي إني أبيتُ يُطعمني ربي ويَسْقين» فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال؛ واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال. فقال: «لو تأخر لزدتكم» كالتنكيل بهم حين أبوا أن ينتهوا(٢). ومنها كذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين فاكلَفُوا من العمل ما تطيقون»(٣). ومنها حديث أنس رضي الله عنه قال: واصل النبي صلى الله عليه وسلم، آخر الشهر، وواصل أناس من الناس، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو مُدَّ بي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمِّقُونَ تعمُّقَهم؛ إني لست مثلكم. إني أظل يطعمني ربي ويسقين»(٤). ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: نهاهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمةً لهم، فقالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقين»(٥).

ومن يسر شريعة الإسلام في فريضة الصيام شرعية الإفطار للصائم، بل وجوب ذلك إن كان يترتب عليه مشقة. فشريعتنا الغراء من أعظم مبادئها رفع العنت ودفع الحرج وجلب التيسير ودرء المشقة والتعسير. وفي ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر فأفطر الناس(٦). وحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى زحامًا ورجلاً قد ظُلِّل عليه؛ فقال: «ما هذا؟!» فقالوا: صائم، فقال: «ليس من البر الصيام في السفر»(٧). وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم(٨).

وغير ذلك من الأحاديث، وهي كثيرة، تؤكد كلها يُسرَ الإسلام وسماحته في فريضة الصيام وفي كل أمور الإسلام.

ومن يسر الإسلام في الصيام استحباب الفطر للحاج بعرفة يوم عرفة وذلك دفعًا للمشقة التي تكون في هذا اليوم، وكذلك حاجة المسلم إلى أن يتقوى بالطعام والشراب ليستطيع القيام بالنسك على الوجه الأكمل. ومن ذلك حديث أم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها أن ناسًا تماروا عندها يوم عرفة في صوم النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم. فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه(٩). وكذلك حديث ميمونة رضي الله عنها أن الناس شكُّوا في صيام النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فأرسلت إليه بحلاب اللبن وهو واقف في الموقف فشرب منه والناس ينظرون(١٠).

ومن يسر الإسلام في شريعة الصيام أن النسيان لا يؤثر في صوم الصائم؛ وأن الناسي مرفوع عنه الحرج وذلك جلي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا نسي فأكل وشرب فليُتمّ صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»(١١).

ومن يسر الإسلام استحباب السحور ليتقوّى به الصائم على صومه، واستحباب تأخيره ليكون أثره أفضل وأعظم، وكذلك استعجال الفطر للتيسير ورفع الحرج ودفع المشقة، ومما ورد في ذلك حديث

أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تسحَّروا فإنّ في السُّحُور بركة»(١٢). وكذلك حديث زيد بن ثابت عن أنس أن زيد بن ثابت حدثه أنهم تسحروا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قاموا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدرُ ما بينهما؟ قال: قدر خمسين أو ستين يعني آية(١٣). وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الناسُ بخير ما عجّلوا الفطر»(١٤).

وبعد.. فهذه شريعتنا الغراء العظيمة السمحة بناها رب العزة سبحانه وتعالى على اليسر ودفع الحرج ورفع المشقة، وقد طوّفنا فيما سبق مع بعض الأدلة من نصوص الأصلين الكريمين: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي تحمل أعظم الدلالة على ذلك، فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش:

١- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب الوصل ومن قال: ليس في الليل صيام، وأخرجه مسلم: كتاب الصيام: باب النهي عن الوصال في الصوم.

٢- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب التنكيل لمن أكثر الوصال، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

٣- الحديث. متفق عليه: أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

٤- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب التمني، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

٥- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

٦- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب إذا صام أيامًا من رمضان ثم سافر، وأخرجه مسلم: كتاب الصيام: باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.

٧- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن ظُلل عليه واشتد الحر: ليس من البر الصيام في السفر، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

٨- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب لم يعب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم في الصوم والإفطار، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

٩- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الحج: باب الوقوف على الدابة بعرفة، وأخرجه مسلم: كتاب الصوم: باب استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفة.

١٠- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب صوم عرفة، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

١١- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيًا، وأخرجه مسلم: كتاب الصيام: باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يُفطر.

١٢- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب بركة السحور من غير إيجاب، وأخرجه مسلم: كتاب الصيام: باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

١٣- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة: باب وقت الفجر، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

١٤- الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب الصوم: باب تعجيل الإفطار، وأخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

قصيدة

يا رمضان

شعر: شوقي محمود أبو ناجي

أقبلْ فإنّا في انتظارِ الموعدِ ... واسقِ العزائم من طَهور الموردِ

أقبلْ أيا شهر الصيام لعلنا ... نستاف ريح العِزّ والعَبَقِ النَّدي

أقبلْ بنورك فالظلام تسلَّلَتْ ... كفّاه تجدل في عروق المجهَدِ

أقبل بنورك يا هلال فقد دجا ... ليلٌ يُروّع خلوة المتهجِّدِ

وحشا جفونَ الساجدين مذلةً ... والجرح يفغر فاه غيرَ مضمَّدِ

وكم استباح النورَ في دَرب الهدى ... وغدا يعربدُ في الظلام الملحدِ

وانسلّ يختلسُ الطهارة مخلبٌ ... نَهِمٌ.. على الشرف المقدس يعتدى

وهوى بمنجله الملوث حاصدًا ... ما تزرعُ الأحلام في أمل الغدِ

يمتصّ من زهر الشباب رحيقه ... ويروح يطعمه لهيب الموقدِ

طغت الدناءة في غياب فوارسٍ ... كانت تؤدب كلَّ عادٍ مفسدِ

كنا وكان الدين ملءَ قلوبنا ... قبسًا من النور السنيّ السرمدي

نشر الصفاءَ على الطريق هدايةً ... للمُدلجينَ إلى نبيل المقصدِ

والنورُ من فيض الإله شعاعه ... يزجي الأمانَ على طريق المهتدي

أقبلْ أيا رمضان وامحُ مهانةً ... زحفَتْ بزيف غبارها المتلَبِّدِ

وادْعُ النساءَ يَلِدْنَ فينا خالدًا ... ليردَّ ما سلب الغشوم المعتدي

ولعل مثل أبي عبيدة ينبري ... بالسيف يضرب رأس كل معربدِ

وإذا دعا داعي الجهاد رأيتهم ... هزوا أسنّتهم وخيرَ مهنَّدِ

خافوا الإله فلم يَعُدْ متجبرٌ ... في الأرض إلاّ هابَ أهلَ المسجدِ

والآن تنتفض القواقع.. يجترى ... ضُلاّلُها في جنح ليلٍ أسودِ

لِتفُحَّ حول الساجدين شواظها ... ويروحُ في يدها الخراب ويغتدى

فإذا المصلون التقاة تشتتوا ... ما بين مصروعٍ وبين مشرَّدِ

أترى نعود عصابةً مرهوبةً ... تمحو المهانَةَ عن جبين السؤددِ؟

إني لأصرخ: لن نعود أعزةً ... إلا إذا عدنا لدينِ محمَّدِ



إن لفريضة الصيام منزلة عالية في الشريعة الإسلامية، يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الصيام ركنًا من أركان الإسلام، وقرنه مع شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ومع الصلاة والزكاة. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي(١).

د. محمد بن لطفي الصباغ

وفرضيته مما عُلم من أمور الدين بالضرورة، ويكفر جاحد فرضية الصيام بإجماع الأمة.

والغرض من فرض الصيام هو أن يبلغ الإنسان به منزلة التقوى، وهي منزلة رفيعة في الشرع، تكرّر الأمر بها والترغيب بالاتصاف بها في الكتاب الكريم في صيغ متعددة وأساليب بلغت مئة وبضعًا وثمانين مرة. ومن الدلائل على عظم منزلتها أنّ أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون. قال تعالى: *ألا إنَّ أولياءَ اللَّه لا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزنُونَ. الذين آمنُوا وكانوا يتَّقُون*. **يونس**:٦٢و٦٣.

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربِّه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل أوامره واجتناب معاصيه.

ويدخل في التقوى فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، وفعل المندوبات، وترك المكروهات، وهذه أعلى درجات التقوى.

وقد وصف الله المتقين بأوصاف عديدة في مواضع من كتابه، منها قوله تعالى: *وسَارِعُوا إلى مَغفرَةٍ منْ ربِّكم وجنَّة عَرْضُها السَّمواتُ والأرضُ أُعدَّت للمتَّقين. الذينَ يُنفقُونَ في السَّرَّاء والضَّرَّاء والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن النَّاس والله يُحبُّ المحسنينَ. والذين إذا فَعلُوا فاحشةً أو ظَلمُوا أنفسَهُم ذَكرُوا الله فاستَغْفَرُوا لذُنوبهمْ ومَنْ يَغفرُ الذنوبَ إلا اللَّهُ ولم يُصرُّوا على ما فَعلوا وهُمْ يَعلَمونَ. أولَئك جزاؤهم مَغفرةٌ من ربهم وجنَّاتٌ تجري من تَحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ونعمَ أجرُ العَاملينَ*. **آل عمران**:١٣٣-١٣٦.

فالصيام مظنّة أن يقود الصائمين إلى هذه الصفات الكريمة من الإنفاق في سبيل الله، وكظم الغيظ والعفو عن الناس، والإحسان إليهم، والتوبة والاستغفار الدائمين.

وإنّني لأرجو أن يحقق كل مسلم الغاية التي من أجلها كتب الله الصيام علينا. وإذا استطاع الصائم بلوغ منزلة التقوى تغيّرت حياته عمّا كانت عليه.

وإنهّ ليؤلمني أن أجد حياة بعض الناس في رمضان لا تختلف عن حياتهم في غير رمضان إلاّ من حيث الامتناع عن المفطرات، ويخيفني حديث صحيح يتصل بهؤلاء الناس يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» رواه ابن ماجه وابن خُزَيمة والحاكم(٢). ولفظ ابن خزيمة: «رب صائم حظُّه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر».

إذن فهؤلاء المساكين الذين يعطشون ويجوعون ويقعون في المحرمات، ولا يتقون الله في خسارة محققة.

إنّهم يصومون عن المباح ويفطرون في أثناء ذلك على المحرّم من الغيبة والنميمة والكذب والاستهزاء بالناس وظلمهم.

إن الصائم الذي يأكل الربا مثلا أو الذي لا يعطي أجيره حقه.. امتنع عن الطعام والشراب، وهما من المباحات في غير أوقات الصيام، وأقدم على ارتكاب المحرم من أكل الحرام وأكل أموال الناس بالباطل. وهما من المحرمات في كل وقت.

إنّ العبادات إن لم تترك أثرًا إيجابيًا في حياة الإنسان لا تكون قد أُدِّيت على وجهها الكامل.

إنّ من رحمة الله بعباده، أنْ أرسل إليهم رسُلاً مبشرين ومنذرين،

يدعونهم إلى الحقّ ويهدونهم سبيل الرشاد، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، يبشّرون المؤمنين الطائعين بالجنة، وينذرون الجاحدين والفاسقين نارًا وقودها الناس والحجارة، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه.

ومن رحمته سبحانه بعباده أن شرع لمن استجاب لرسله فرائض تعينهم على متابعة طريق الهدى الذي اختاروه، وتبلغهم منزلة التقوى، وتكسبهم مرضاة الله. ومن هذه الفرائض فريضة الصيام.

قال الله تعالى: *يا أيّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عليكم الصِّيامُ كما كُتِبَ على الذينَ مِنْ قبلكم لعلَّكم تتَّقون*. **البقرة**:١٨٣.

وقال عز من قائل: *شهرُ رمضانَ الذي أُنزِلَ فيه القُرآنُ هُدًى للنَّاسِ وبيِّنات من الهُدى والفرقان فَمَن شَهِدَ منكُمُ الشَّهرَ فليصُمْه ومَنْ كانَ مريضًا أو على سفرٍ فعدَّةٌ من أيَّامٍ أُخَرَ*. **البقرة**:١٨٥.

لقد ذكر ربنا سبحانه أنّ شريعة الصيام التي فُرضت علينا فُرضت على الأمم السابقة، ليتحقق المكلّفون بالتقوى، فالله سبحانه غنيّ عن طاعة عباده، وإنما يوجب عليهم تلك العبادات، لتحقق لهم مصالح في الدنيا ومصالح في الآخرة.

ولما كان الإنسان مُعَرَّضًا للغفلة والزلل، تقوده إليهما الشهوات المركوزة في النفس البشرية، والنفس الأمارة بالسوء متعاونة مع الشيطان.. لمّا كان ذلك، شرع الله تبارك وتعالى عبادات تذكر الناس بالغاية التي خُلقوا من أجلها. قال الله تعالى: *وَمَا خَلَقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ ليَعبدون*. **الذاريات**:٥٦.

ومن هنا كانت الصلوات الخمس في اليوم والليلة، وكانت صلاة الجمعة في الأسبوع، وكان شهر رمضان في السنة.

إنّ هذه العبادات إن أُدِّيت على حقّها تصون الإنسان من الغفلة، وتقيه من الوقوع في الزلل، وتبطل كيد الشيطان والنفس، وتحرّره من سلطان الشهوات.

فقد زُيِّن للناس في هذه الدنيا حبّ الشهوات المذكورة في الآية الكريمة: *زُيِّن للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوات من النساء والبَنينَ والقناطير المقنطَرَة من الذَّهب والفضَّة والخَيل المُسَوَّمة والأَنعام والحَرث ذَلكَ متاعُ الحياة الدَّنيا واللهُ عندَه حُسْنُ المَآب*. **آل عمران**:١٤.

فالإنسان المفطور على حب هذه الشهوات، قد يدفعه حبّه لها إلى الوقوع في المحرمات، ونسيان ما شرع الله في تنظيم ممارسة هذه الشهوات، ذلك أنّ الله تبارك وتعالى لم يُحرّم شيئًا تميل إليه النفس إلاّ شرع بديلاً عنه من جنسه، فقد حَرَّم الزنا، وشرع الزواج، وحرّم السرقة والرشوة والاختلاس والربا، وأباح التجارة والزراعة والصناعة وما إلى ذلك.

ويأتي دور الشيطان الذي تَوَعَّد بني آدم بالإغواء كما أخبرنا ربنا بقوله: *قالَ فبِمَا أغويتَني لأقْعُدَنَّ لهم صراطَكَ المستقيمَ. ثم لآتينَّهم من بين أيديهِمْ ومِنْ خَلفهم وعن أيمانهم وعن شَمائلهم ولا تَجدُ أكثرَهُم شاكرين. قالَ اخرُج منها مَذْؤومًا مدحورًا لَمَنْ تَبِعَكَ منهم لأملأنّ جهنّمَ منكُم أجْمَعين*. **الأعراف**:١٦-١٨.

يتوعّد بني آدم بأنه سيقعد لهم على الصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله ليصدّهم عن ذلك، ثم يأتيهم من أمامهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، أي من كل جهة ليمنعهم من الاستمرار في سلوك الطريق المستقيم.

ولكن الله تبارك وتعالى طرده من الجنة، ممقوتًا ملعونًا، وحرمه من الرحمة، وتوّعده بالنار له ولمن اتبعه.. أما العباد المخلصون المقبلون على الله، الثابتون على الحق، القائمون بما أوجب الله عليهم من العبادات، فلا سلطان له عليهم.

قال تعالى: *قال ربِّ بما أغويتني لأزيِّننَّ لهم في الأرض ولأغوينَّهم أجمعينَ. إلاّ عبادَكَ منهم المُخلَصين. قال هذا صراطٌ عليَّ مُستقيم. إنَّ عبادي ليسَ لكَ عليهم سُلطانٌ إلا مَن اتَّبعكَ منَ الغاوين. وإنّ جهنَّم لموعدُهُم أجمعين*. **الحجر**:٣٩-٤٣.

وشهر رمضان ذو تأثير عظيم في عامّة المسلمين، وذلك بأحكامه التي تُغيّر نمط حياة الناس في أيامه ولياليه، وبامتناعهم عن الطعام والشراب والمفطّرات، وبإقبالهم على المساجد لصلاة الفرائض والتراويح، وبإخراج عدد من الأغنياء زكاة أموالهم فيه، فيقبل كثير من الناس على الله، ولذا فهو شهر المغفرة والرجوع إلى الله لدى كثير من المسلمين. فكم من مسرف على نفسه تاب في هذا الشهر، ورجع إلى الله وأصبح من الصالحين.

وشهر رمضان يذكّر المسلمين بهويتهم الإسلامية التي تميزهم من غيرهم.

فالمسلمون في جميع أقطار الأرض أمّة واحدة يشتركون في هذه العبادة، فيُشعرهم ذلك بوحدتهم التي أرادها الله تعالى لهم. قال سبحانه: *إنَّ هذه أمّتكُم أمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعْبُدُون*. **الأنبياء**:٩٢.

وقال سبحانه يقرر الأخوة بين المؤمنين التي تدعم تلك الوحدة: *إنَّما المؤمنون إخْوَةٌ*. **الحجرات**:١٠.

يذكّرهم الصيام بتلك الوحدة وبهاتيك الأخوّة على الرغم من الواقع المؤلم الذي بدّل الوحدة تفرقًا، فلقد قسم الكفار - وا أسفاه - بلاد المسلمين إلى دول صغيرة متعددة، ودسّوا بين صفوفهم من ينادي بالاستمساك بالقوميات والاعتزاز بها، فآل أمرهم إلى النزاع والاختلاف فزاد ذلك من تمكّن أعدائهم منهم، واستولوا على ثرواتهم، واحتل اليهود بقاعًا من بلادهم.

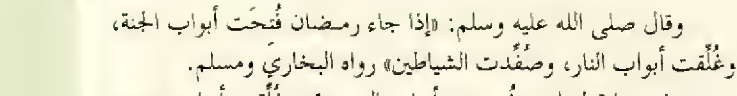
ولو كان المسلمون مستمسكين بالإسلام لبقيت لهم وحدتهم، ولما اعتدى اليهود على بلادهم، ولا نكّل النصارى بأبنائهم.

إن رمضان يذكرنا بهذه الوحدة وبتلك الأخوة، ويحملنا على أن نعيش في ظلالها. فنذكر إخواننا المنكوبين وندعو لهم ونحاول أن نعينهم بما نستطيع.

قال صلى الله عليه وسلم: «الصوم جُنَّة»(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

إنها صورة بيانية جميلة، فالجُنَّة ما يتقي به المحارب ضربات الأعداء، فالصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا، ويكون جُنّة للصائم من النار يوم القيامة إن أدّاه على وجهه الحقّ.

فالشياطين تُصفَّد في رمضان عن الصائم، ولا تجد سبيلاً لإغوائه لأنه أيقظ في نفسه مراقبة الله، ولا يمكن لمن يتصور مراقبة الله له أن يقدم على معصيته، إذ كيف يمكن للمرء المتلبّس بالعبادة أن يعصي ربّه؟؟



وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء رمضان فُتحَت أبواب الجنة، وغُلّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم: «فُتحت أبواب الرحمة، وغُلّقت أبواب جهنم وسُلسلت الشياطين».

وفي رواية لابن خزيمة: «غُلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفُتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر»(٤).

إن هذا الشهر موسم من مواسم الخير، فليغتنمه الراغبون في الخير، ولينشط فيه الدعاة إلى الله، فنفوس المسلمين فيه أكثر قبولاً للموعظة والنصيحة منها في غيره من الشهور.

إن معدن الخير موجود في عامّة المسلمين.

وإنك لتلمس عندهم رغبة في العودة إلى الله، وتلمس عند بعضهم إدراكًا لحقيقة الأزمة التي يمر بها العالم الإسلامي. فهم يعلنون أنّه لا حلّ للمعضلات التي يشكو منها الناس إلا بالرجوع إلى الإسلام وتحكيمه، وتدرك عند فئة منهم الوعي لمخططات الأعداء، فما أجدر الدعاة إلى الله أن ينشطوا في الدعوة والتوعية والإرشاد، ويستفيدوا من هذه الصحوة في هذا الشهر المبارك.

إنّه ينبغي لكل واحد منا أن يغتنم هذا الشهر المبارك شهر المغفرة والعتق من النار. فقد ورد في الحديث أن من أدرك رمضان ولم يُغفَر له كان من المبعدين:

عن جابر بن سَمُرة قال:

صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فقال: «آمين. آمين. آمين» ثم قال: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد! من أدرك أحد أبويه فمات فدخل النار فأبعده الله. قل: آمين. فقلت: آمين.

فقال: يا محمد! من أدرك شهر رمضان فمات فلم يُغْفَر له فأُدخل النار فأبعده الله. قل: آمين. فقلت: آمين.

قال: ومن ذُكِرْتَ عنده فلم يُصلّ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين. فقلت: آمين!(٥).

وفقنا الله إلى القيام بحق هذه العبادة، وجعلنا من المقبولين، وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله على محمد وآله، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- البخاري برقم ٨، ومسلم برقم ١٦، وأحمد ٢/٢٦، والترمذي برقم ٢٦٠٩، والنسائي ٨/١٠٧-١٠٨.

٢- ابن ماجه برقم ١٦٩٠، وهو حديث صحيح، وصحيح ابن خزيمة ٣/٢٤٢ برقم ١٩٩٧، والمستدرك ١/٤٢١.

٣- البخاري برقم ١٨٩٤، ومسلم برقم ١١٥١، وأحمد ١/١٩٥، ٢/٤٠٢، ٣/٣٩٦، والنسائي ٤/١٦٧، والطبراني في الكبير والأوسط. وانظر الترغيب والترهيب ٢/١٤، ومجمع الزوائد ٣/١٨٠.

٤- البخاري ١٨٩٨و١٨٩٩، ومسلم ١٠٧٩، ورواه أيضًا الترمذي برقم ٦٨٢، وابن ماجه برقم ١٦٤٢، وابن خزية برقم ١٨٨١ و١٨٨٢و١٨٨٣، وانظر الترغيب والترهيب ٢/٢٠

٥- رواه الطبراني وابن حبان من حديث أبي هريرة، ورواه ابن حبان أيضًا من حديث مالك بن الحويرث، ورواه الحاكم وغيره من حديث كعب بن عجرة، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس بنحوه، وانظر الترغيب والترهيب ٣/١٣٨، وهو حديث صحيح.

قصيدة

رمضان

أنت بما نُحِبُّ جَدِير

شعر:

يس قطب الفيل

شوقي عليّ مدى الشهور يجورُ ... ودَمي لبعدك، في العروق يمور
ومشاعري تهفو إليك وإن يكنْ ... أملي بقربك ما غزاه فُتُورُ
ومحبتي لك تستحث خواطري ... أن تستطيل وفي مَداك تدورُ
قبل المجيءِ لنا أراك عوالما ... منها على ملئي يفيض حبورُ
فإذا أتيتَ، وأنت أكرمُ زائر، ... للأرض هللتِ الرُبا والدورُ
واستنفرت سحبُ اليقين هطولها ... وانساب موجّ منه يورِق بُورُ
وسَمَا بنا وَرَعُ النهار، سَمَا بنا ... في ليلنا التسبيحُ والتكبيرُ
يا أيها الشهر الجليل حملتَنَا ... حَمْلاً لوادٍ فيه يشرقُ نورُ
دنياك دنيا لا أحيط بمثلها ... ولئن أجدتُ وبي زَهَا التعبيرُ
كم غَامَر البصرُ الكليلُ وطاف بي ... دنياك لكنْ عادَ وهو حسيرُ
ورؤاي تهتف: يا لَعجزك، والمدى ... حولي يجاهر: عدْ فأنت ضريرُ!
وأجيبُ: يا ملأ المحبة إنني ... بشرٌ يريدُ فيعتريه قصورُ
ما رحتُ أُنشِدهُ يفوق مداركي ... وإذا طمحت فإنّ ذاك غرورُ
لكنما أنا في مدار حقيقتي ... أسعى وأحسب أنني معذورُ
والجهر - في زمن البلاهة - منطق ... يحلو وإن لم تحتمله صدورُ
رمضان يا ملأ السماحة والرضا ... أقبِلْ فما لك في الشهور نظيرُ
تتغير الدنيا وأنت على المدى ... تأتي ولم يلحق بك التغييرُ
تمضي الشهور بنا ونحن مع الهوى ... نحيا وفي فلك الضَّياع ندورُ
وتلوح أنت على الربا فإذا بنا ... شوق يكادُ إلى سَنَاك يطيرُ
نستعذب الحرمانَ وهو مطيَّةٌ ... لجموحِ عصر للفَنَاءِ يسيرُ
ونلوذ بالرحمن، يوقظ مَنْ غَفَا ... منّا وعربَدَ في مداه فتورُ
ونظل نسبحُ في الضياء مواكبا ... جَذْلَى يطوف بها ويصعد نورُ
حتى إذا أزِف الوداع تراجعت ... هذي المواكبُ تعتدي وتجورُ
رمضان عُد بالخيرِ لي ولأمتي ... ما أشرقت بالخير منك بدورُ
وإذا رحلتَ، وأنتَ أكرمُ راحلٍ، ... فكُن الذي عند الحساب يُجيرُ
سنظلُّ يا رمضان نحلُمُ بالرضا ... ثقةً وأنت بما نُحِبُّ جديرُ

شهر رمضان

ملف خاص

صيام رمضان

منهج للتربية في الإسلام

صلاح أحمد الطنوبي

قال رَبُّ العزَّة والجلال: *يا أيُّها الذينَ آمَنُوا كُتبَ عَليكُم الصِّيامُ كمَا كُتبَ عَلَى الذينَ من قَبلكم لعلَّكم تَتَّقُونَ.* **البقرة:١٨٣. وَقال جلَّ جلاله:** *شَهرُ رَمَضَانَ الذي أُنزلَ فيه القُرآنُ هُدًى للنَّاسِ وبيِّنات مِن الهُدَى والفُرقان فَمَن شَهِدَ منكم الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ.* **البقرة:١٨٥.**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»(١).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «المراد بالإيمان: الاعتقاد بحقّ فرضية صومه، وبالاحتساب: طلب الثواب من الله تعالى..»(٢).

الصِّيامُ يُربي نَفْس المؤمن على كمال العبودية لله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة(٣) فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُث(٤) ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم، والذي نفسُ محمد بيده لخلوف(٥) فَمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»(٦).

فالصوم عبادة خالصة لله تعالى، لا يستولي عليه الرياء والسمعة، وليس كسائر الأعمال التي يطلع عليها الخَلْقُ. فالصائم يجوع ويعطش وأسباب الغذاء والرِّيِّ أمامه ميسرة، ولولا طاعته لله تبارك وتعالى وخشيته منه سبحانه وتعالى وامتثاله لأمره ورغبته في رضاه لما امتنع عن الطعام والشراب، وهو يشعر بالجوع، وتتوق نفسه إلى شربة ماء.

وقد خلق الله تبارك وتعالى الخلق لعبادته عز وجل، وأرسل الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى توحيد الله جل جلاله وعبادته سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: *وَمَا خلقتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ ليَعبُدُون.* **الذاريات:**٥٦. وقال تبارك وتعالى: *ولقد بَعَثْنَا في كُلِّ أمة رسولاً أن اعبُدوا اللَّهَ واجتَنِبُوا الطَّاغُوتَ.* **النحل:**٣٦. وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالعبادة حتى الموت مع ما كانت عليه نفسه الشريفة من تزكية وبلوغ لذرجات الكمال التي لا يرقى إليها بشر آخر. قال جَلَّ ثناؤه: *واعبُد ربَّكَ حَتَّى يأتيكَ اليقينُ.* **الحجر:**٩٩. واليقين: الموت.

الصيام وتربية الإرادة

يبدأ الصيام عمله في تربية الإرادة على مراحل:

فهو أولاً: لا يُعدُّ صياماً يؤجَرُ به فاعله ويثاب عليه في الآخرة إلا إذا كان بنية العبادة؛ لأنه بحكم هذه النية يمتنع عن الأكل والشرب والجماع مع سنوح فرصتها جميعًا له، ومع أنه لو شاء لأشبع نفسه من متعها ولذائذها.

وهو ثانيًا: حرمان موقوت بمدة في كل يوم يحددها بزوغ الفجر وغروب الشمس، وهذا شيء يقتضيه يقظةً وحذرًا حتى لا يخطئ فيفسد صومه إذ يتناول بعض المفطرات بعد بزوغ الفجر أو قبل غروب الشمس. وهو كذلك موقوت فرضه الأصلي بشهر بعينه هو شهر رمضان، حتى ليُكره للمسلم صوم يوم الشك قبله، ويحرم عليه صوم يوم العيد بعده.

وهو ثالثًا: إعداد للإرادة، وتسليح لها، حتى تكون قادرة على الانتصار في معاركها المستمرة مع البدن، فإن الجسم، بحاجاته المتجددة، يحاولُ دائمًا أن يقهر الإرادة، وأن يخضعها لقانون الغرائز. والإرادة الإنسانية، بنزعتها إلى السمو، حريصة دائمًا على أن ترفع معها الجسم إلى عالمها، وأن تبدله بحيوانيته المظلمة وبحاجات البدن الكثيفة، إنسانيةً مشرقة. وبنزعة الإرادة السامية يجدُ الصيام

مكانه في نَصْر الإرادة على البدن وفي السمو بإنسانية الإنسان على حيوانية الغرائز!

والصيام يكوّنُ الضمير الإسلامي اليقظ في الإنسان المؤمن. فإنَّ قضاء شهر بأكمله دون رَفَث، ولا صخَب، ودون قول للزور ولا عَمل به، ودون إشباعٍ لغرائز النفس الدنيا بضعَ عشرة ساعة في كل يوم مع الاستمرار على نية العبادة، والأخذ بالمنهج الإسلامي في السلوك إنَّ قضاء هذا الشهر على هذا النحو كفيل بأن يُربي الإرادة القوية في المسلم، وأن يتعهدها بكل ما يشد أزرها ويقيم كيانها.. وهكذا يُسهم الصيام بنصيبه في تربية الإرادة.

التقوى حكمة الصيام العليا

جعل الله عز وجل التقوى ثمرةً للصوم في قوله تعالى: *يا أيُّها الذينَ آمَنُوا كُتبَ عَليكُم الصِّيامُ كمَا كُتبَ عَلَى الذينَ من قَبلكم لعلَّكم تَتَّقونَ*. **البقرة:١٨٣**.

والتقوى حساسية في الضمير، وصفاء في الشعور، وشفافية في النفس، ومراقبة دائمة لله تعالى، وحذر من نكاله وعقوبته، وتجنُّب للمعاصي والآثام. والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية. والمخاطَبُون بالقرآن الكريم يعلمون مقام التقوى عند الله تعالى، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق موصّل إليها. والتقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين. قال جل جلاله: *ولقد وَصَّيْنَا الذينَ أُوتُوا الكتابَ من قَبلكم وإيَّاكُم أن اتَّقُوا اللَّهَ*. **النساء:١٣١**. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتّق الله حيثما كنت وأتْبِع السيئة الحسنة تمحُها وخالِق الناس بخُلقٍ حَسَنٍ». رواه الترمذي.

فقوله صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت» أي في السر والعلانية حَيث يراه الناس، وحيث لا يرونه، ومن عَلمَ أن الله مطَّلعٌ عليه حيثما كان يرى باطنه وظاهره وسرّه وعلانيته، واستحضر ذلك في خلواته أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر. قال الله تعالى: *إنَّ اللَّهَ كانَ عَليكُم رَقيبًا*. **النساء:١**.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «أتبع السيئة الحسنة» إشارة إلى طلب المبادرة بالتوبة وعدم تأخيرها؛ لأن قبول التوبة مشروط بأن يكون قبل حلول الموت. قال الله عز وجل: *إنَّما التَّوبةُ على اللَّه للَّذينَ يعملُونَ السُّوءَ بجَهالة ثُمَّ يَتُوبُونَ من قَريب فأُولئك يتُوبُ اللَّهُ عليهم وكانَ اللَّهُ عليمًا حَكيمًا. وليست التَّوبةُ للَّذينَ يعملونَ السَّيِّئَات حَتَّى إذا حَضَرَ أحَدَهُمُ الموتُ قالَ إنِّي تُبتُ الآنَ*. **النساء: ١٧و١٨**.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وخالق الناس بخُلقٍ حَسَن» منْ خصال التقوى ولا تتم التقوى إلاّ به. وأول الخلق الحسن أن تكفَّ عن الناس أذاك، وتعفو عن مساوئهم وأذيتهم لك، ثم تعاملهم بالإحسان القولي، والإحسان الفعلي، منْ بشاشة الوجه، ولطف الكلام. وقد عدَّ ربُّ العزة سبحانه وتعالى مخالقةَ الناس بخلق حسَن من خصال التقوى. قال تعالى: *وسَارعُوا إلى مَغْفرَة من ربِّكم وجَنَّة عَرْضُها السَّماواتُ والأرضُ أُعدَّت للمُتَّقين. الذينَ يُنفقُونَ في السَّرَّاء والضَّرَّاء والكاظمينَ الغيظَ والعَافينَ عَنِ النَّاس واللَّهُ يُحبُّ المحسنينَ. والَّذينَ إذا فَعَلُوا فاحشَةً أو ظلَمُوا أنفُسَهُم ذكروا اللَّهَ فاستَغفَرُوا لذُنُوبهم ومَنْ يغفرُ الذنوبَ إلاَّ اللَّهُ ولم يُصرُّوا على ما فعلوا وهُم يعلمونَ. أولئك جزاؤُهم مغفرةٌ من ربِّهم وجناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ونعمَ أجرُ العاملينَ*. **آل عمران: ١٣٣-١٣٦**.

الصوم تربية على الصبر

الصوم يعوِّد الإنسان التحكم في شهواته المادية ورغباته الأدبية، ويجعله قادرًا على مواجهة الظروف الحياتية الصعبة وبخاصة إذا كانت طارئة. قيلَ للأحنف بن قيس: إنك شيخٌ كبير، وإن الصيام يضعفك فقال: إني أعده لسفرٍ طويل والصبر على طاعة الله أهون من الصبرِ على عذابه.

وبخلق الصبر يتمكنُ الإنسان بطمأنينة وثبات أن يضع الأشياء في مواضعها، ويتصرَّف في الأمور بعقل واتزان. وصَبْرُ الإنسان في أموره يُعبِّر عن قوة إرادته، وكمال عقله وبعده من الطيش والرعونة، وحكمته في معالجة مشكلات الحياة. والصبر هو أعظم خلق نفسي وُضعَ موضع الابتلاء في ظروف هذهِ الحياة الدنيا. قال رب العزة والجلال: *أَمْ حَسبتُم أن تدخُلوا الجَنَّة ولَمَّا يَعْلَم اللَّهُ الذين جاهدوا منكم وَيَعْلَم الصَّابرينَ*. **آل عمران:١٤٢**.

والصبر ضرورة حياتية لكل عمل نافع؛ فكَسْبُ الرزق يحتاج إلى صبر، ومعاملة الناس تحتاج إلى صبر، والقيام بالواجبات والمطلوبات الدينية يحتاجُ إلى صبر، والكفُّ عن المحرمات والمكروهات يحتاج إلى صبر، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى صبر...

لذلك كان الإنسان بحاجة في كل سنة إلى دورة تدريبية يتدرب فيها على خُلُق الصبر، وذلك في شهر يعبدُ فيه ربه بعبادة تحتاجُ إلى صبر على الجوع، وصبر على الظمأ، وصبر على كفِّ النفس عن شهواتها. وشهر رمضان حقًا هو شهر هذه الدورة؛ دورة التمرن على خلق الصبر(٧).

رمضان شهر الرسالة الإسلامية

كان بدء نزول الوحي إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان؛ إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء. وكانت البداية في ليلة القدر من هذا الشهر الفضيل الذي منْ خصائصه أن الله عز وجل أنزل فيه القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدارس القرآن الكريم مع جبريل عليه السلام كل ليلة من ليالي رمضان، فكان يعرض الرسول عليه ما نزل من القرآن مرة كل سنة، أما في السنة التي توفي فيها فقد عرضه عليه مرتين. ويستفاد من هذا أنه يُستحب للمسلمين الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان، وفي هذا فضل عظيم. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعَشْر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولامٌ حَرف، وميم حرف»(٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرَة الكرام البَرَرَة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتعُ فيه وهو عليه شاق له أجران»(٩). وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: أي رَبِّ إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه. ويقول القرآن: مَنَعْتُهُ النَّوْم بالليل فَشَفِّعني فيه فيُشَفَّعَان»(١٠).

رمضان وليلة القدر

قال الله عز وجل: *إِنَّا أنزلناهُ في ليلة القَدْر. وما أدراكَ ما ليلةُ القدر. ليلةُ القدر خيْرٌ من ألف شَهر. تَنَزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها بإذن ربِّهم من كلِّ أمر. سلامٌ هي حَتَّى مَطلَعِ الفجر.* **القدر**: ١-٥. وقال تعالى: *إِنَّا أنزلناهُ في ليلة مُباركة إنَّا كنَّا مُنذرينَ. فيها يُفرَقُ كُلُّ أمرٍ حكيمٍ.* **الدخان**: ٣و٤.

وليلة القدر ليلة مباركة عظيمة خير من ألف شهر. وألف شهر تعادلُ ثلاثًا وثمانين سنة وثلث السنة، وهذا عُمر قلَّ من الناس مَنْ يبلغه. وقد جعلها الله تعالى مناسبة للتسابق في عمل الخير، والتكفير عمَّا سلف من سيئات ومخالفات.

ولقد أخفى الله تعالى ليلة القدر ضمن ليالي شهر رمضان، وأبان الرسولُ صلى الله عليه وسلم أن مظانَّ التماسها العشرُ الأواخر منه، وأكد التماسها في آحاد هذه الليالي؛ ليجتهد المؤمن في العبادة والطاعة طوال ليالي شهر رمضان. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحَرَّوْا ليلةَ القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»(١١). وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلَ العَشْرُ(١٢) شدَّ مئزره(١٣) وأحيا ليله، وأيقظ أهله(١٤). وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العَشْرَ الأواخر من رمضان(١٥).

ومن الخير للمؤمن أن يُكثر في الليالي التي يتحرَّى فيها ليلة القدر من الدعاء الذي علَّمه الرسولُ الكريم صلى الله عليه وسلم عائشةَ رضي الله عنها. فَعَن عائشة أم المؤمنين قالت: قُلْتُ: يا رسول الله، أرأيت إنْ علمتُ أيَّ ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: «اللهم إنك عفُوٌ تُحبُّ العفو فاعفُ عني»(١٦).

أدعو الله عزَّ وجلَّ أن يتقبل قيامنا وصيامنا ودعاءنا وذكرنا وشكرنا وعبادتنا..

هذا، وبالله تعالى التوفيق، والحمد لله على نعمة الإسلام وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الهوامش:

١- رواه البخاري ومسلم.
٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١١٥/٤.
٣- جنَّة: هو ما يُجنّ الإنسان أي يستره، والمعنى: أنَّ الصوم يستر صاحبه ويقيه من ارتكاب المعاصي والوقوع في المآثم الموجبة لدخول النار.
٤- الرَّفَث: المراد به هنا الفحش ورديء الكلام.
٥- الخُلوف: تغيُّر رائحة الفم من الصوم.
٦- رواه البخاري ومسلم.
٧- الصيام ورمضان، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ط١، ١٤٠٧هـ، ص١٥٨.
٨- رواه الدرامي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
٩- رواه البخاري ومسلم.
١٠- رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
١١- رواه البخاري.
١٢- أي العشر الأواخر من رمضان.
١٣- شدَّ مئزره: كناية عن اجتهاده في العبادة وتفرغه لها وابتعاده من حُظوظ النفس.
١٤- رواه مسلم.
١٥- رواه البخاري ومسلم وأحمد.
١٦- رواه أحمد وابن ماجه والترمذي بإسناد صحيح.

السمبوسة

في الأدب العربي

إبراهيم باجس عبدالمجيد

قلما تخلو مائدة رمضانية (خصوصًا في المملكة العربية السعودية) من طبق «السمبوسة»، يتناول الصائم بعضها مع قليل من الحساء، بعد إفطاره على تمرات، اقتداءً بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهذا الصنف من الطعام ليس وليد العصر، أو من «الأكلات الشعبية» التي عُرفت حديثًا، بل كان معروفًا عند العرب منذ مئات السنين، ويبدو أنهم أخذوه عن الفرس بعد الفتوحات الإسلامية، حيث اقتبسوا طريقة صنعه، واقتبسوا اسمه أيضًا، مع بعض التحريف والتبديل، فكان عند الفرس «سنبوسق» و«سنبوسك»، وسماه العرب «سنبوسة» أو «سمبوسة» بقلب النون ميمًا. وقد ورد هذا الاسم في معاجم اللغة الفارسية، مثل: «معجم الألفاظ الفارسية المعربة»، لأدي شير، وفيه: «سنبوسق: فطائر مثلثة تُعمل من رقائق العجين المعجون بالسمن، وتُحشى بقطع اللحم والجوز، معرب سنبوسة، والسنبوسك لغة فيه».

ومن الطريف أن نقرأ في كتب التراث العربي عن كيفية عمل «السمبوسة»، والأكثر طرافة أن يكون هذا الوصف شعرًا لا نثرًا، فقد أورد المسعودي في كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» ٣٦٥/٤-٣٦٦ للشاعر المغني إسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت:٢٣٥هـ) أرجوزة لطيفة في طريقة عمل «السمبوسة»، نوردها هنا مع توضيح بعض ألفاظها:

يا سائلي عن أطيب الطعام ... سألت عنه أبصرَ الأنام
اعمد إلى اللحم اللطيف الأحمرِ ... فَدُقَّه بالشحم غير مُكْثرِ
واطرحْ عليه بصلاً مدوَّراً ... وكرفسًا رطبًا طيِّبًا أخضراً
والقِ السذاب(١) بعده موفَّرا ... ودار صيني وكفَّ كزبرا
وبعده شيء من القرنفلِ ... وزنجبيلِ صالح وفلفلِ
وكف كمون وشيء من مري(٢) ... وملء كفين بملح تدمري(٣)
فدقه يا سيدي شديدا ... ثم اوْقِدِ النارَ له وقودا
واجعله في القدر وصُبَّ الماءَ ... من فوقهِ واجعل له غطاءَ
حتى إذا الماء فني وقَلاَّ ... ونشفته النار عنه كَلاَّ
فَلفَّه إن شئت في رُقاقِ ... ثم احكم الأطرافَ بالإزلاقِ
أو شئت خذ جُزءاً من العجينِ ... معتدل التفريك مستلينِ
فابسطه بالسُّويق(٤) مستديراً ... ثم اظفرن أطرافه تظفيراً
وصبَّ في الطابق زيتا طيبا ... ثم اقله بالزيت قليًا عجبا
وضعه في جامٍ له لطيفِ ... ووسطَه من خردلٍ حريفِ
وكُلْهُ أكلاً طيبًا بخردلِ ... فهو ألذ المأكلِ المعجلِ

.. وبالصحة والعافية.

الهوامش:

١- السذاب: نبات ورقه كالعصفر.
٢- المري: ما يؤتدم به من الطعام.
٣- تدمر: مدينة سورية أثرية.
٤- السويق: دقيق القمح أو الشعير أو الذرة المحمص.

شهر رمضان

ملف خاص

الخصائص الاقتصادية لشهر الصيام

زيد بن محمد الرماني

في كتاب المغني لابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) رحمه الله عرّف الصوم بأنه الإمساك، يقال: صام النهار إذا وقف سير الشمس، وقال تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام: *إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْمًا*. مريم:٢٦. أي صمتًا، لأنه إمساك عن الكلام. قال النابغة الذبياني:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمة
تحت العجاجِ وأخرى تعلكُ اللُّجما

ومن ثم، فالصوم في عرف الشرع واصطلاحه هو: إمساكٌ بنيّة عن أشياء مخصوصة في زمن مخصوص من شخص مخصوص كما قال بذلك علماؤنا.

والصوم له فضلٌ عظيم، فهو سرٌ وعملٌ باطن لايراه الخلق ولا يدخله الرياء، وهو قهرٌ لعدو الله إبليس اللعين، لأنّ وسيلة العدو الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ومادامت أرض الشهوات مخصبة فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى، وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك.

والصوم يربي في المسلمين ملكة الصبر والقدرة على قهر النفوس وتعويدها تحمّل الشدائد ومتاعب الحياة ومصاعبها.

إنّ اختصار وجبات الطعام اليومية من ثلاث وجبات إلى وجبتين اثنتين فرصة طيبة لخفض مستوى الاستهلاك، وهي فرصة مواتية لاقتصادنا، فنحن أمة مستهلكة أشارت كل الإحصاءات إلى أن أقطارنا كافة تستهلك أكثر من إنتاجها، وتستورد أكثر من تصديرها، وما هذا الاستهلاك الزائد دائمًا والاستيراد الزائد غالبا إلا عاملان اقتصاديان خطيران تشقى بويلاتهما الموازنات العامة وموازين المدفوعات.

ومن الواضح أن هناك علاقة طردية أصبحت بين شهر رمضان المبارك والاستهلاك المبالغ فيه. والمرء يدهش من هذا النهم الذي يستشري لدى الناس في هذا الشهر الكريم. فالكل يركض نحو دائرة الاستهلاك؛ والاستعداد للاستهلاك في رمضان يبدأ مبكرًا مصحوبًا بآلة جهنمية من الدعاية والإعلانات التي تحاصر الأسرة في كل وقت ومن خلال أكثر من وسيلة. وبذلك يكون المرء مهيأ تمامًا للوقوع في دائرة الاستهلاك الجهنمية، التي ليس لها - بدورها - حدود دنيا أو قصوى، ولا تتركه إلا بعد أن تتجرد جيوبه وحساباته - وبخاصة أصحاب الدخل الثابت والمحدود - من كل الأوراق النقدية أو ما يقوم مقامها.

إنّ خطة شاملة لمكافحة الشراهة الاستهلاكية أصبحت مطلوبة في رمضان وغير رمضان.

إنّ الإنفاق البذخي في رمضان أمر لا يمكن أن يتسق مع وضعية مجتمعاتنا الإسلامية التي هي، في أغلبها، مجتمعات نامية تتطلب بذل كل جهد وكل إمكانية للاحتراس من الهدر، وما نصنعه في رمضان هو بكل تأكيد هدر لإمكانات مادية، وهدر لقيم سامية، وهدر لسلوك منزلة القناعة.

إنّ هذه الحالة من شراهة الاستهلاك المتنامية فينا تدل على مدى التخلف السلوكي الذي تعيشه مجتمعاتنا الإسلامية، وتعكس واقع المسافة بين المبدأ والفعل، والتي تتسع يومًا بعد يوم. إنّ النظر من بُعد إلى صناديق القمامة وأكياسها يؤكد أننا في حاجة إلى ضرورة إعادة النظر في قيمنا الاستهلاكية باتجاه تعديلها لتصبح قيمًا إنتاجية، أو قيمًا استهلاكية رشيدة.

والاستهلاك أو تزايد الاستهلاك معناه المزيد من الاعتماد على الخارج،

ذلك لأننا لم نصل بَعْد إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي أو مستوى معقول لتوفير احتياجاتنا الاستهلاكية اعتمادًا على مواردنا وجهودنا الذاتية، وهذا له بُعْدٌ أخطر يتمثل في وجود حالة تبعية غذائية للآخر الذي يمتلك هذه الموارد، ويستطيع أن يتحكم في نوعيتها وجودتها ووقت إرسالها إلينا. ومن ثمّ، كان للاستهلاك أبعاد خطيرة تهدد حياتنا الاقتصادية، وتهدد أيضًا أمننا الوطني؛ فهل يكون شهر رمضان فرصة ومجالاً لامتلاك إرادة التصدّي لحالة الاستهلاك الشرهة التي تنتابنا في هذا الشهر الكريم؟

لقد درجت أمانينا على اغتنام فرصة الصيام لتقويم الروح بفوائد روحية، وتقويم الجسم بفوائد جسمية، فهل نتعود اغتنام الفرصة لتقويم اقتصاد الأمة وهو جسمها وروحها من داء عضال هو داء الاستهلاك الدائم من غير إنتاج كاف؟!

إنّ بعض معاني الصوم أنه إمساك عن شهوة البطن؛ وبالمعنى الاقتصادي، هو تخفيض الاستهلاك أو على الأقل ضبطه.

إنّ صفة استهلاك المسلم هي الكفاية لا التبذير، وإن منفعته وإشباعه لا يتحققان بالإشباع المادي فقط، بل من خلال الإشباع الروحي بأداء الواجب نحو المسلمين من مال الله الذي رزقه إياه. وإن منفعته تتحقق حتى من قيامه بواجبه نحو أهله وزوجه وولده. ولذا يسعى المسلم إلى مرضاة الله تعالى، فيشكر الله على نعمه، ويحمده كلما وفّقه إلى استهلاك شيء من رزق ربه. والمسلم ينفق ماله ليحقق منفعة بسد حاجته، وبلوغ منعته والكفاية عن الحرام، وتحقيق مرضاة الله ونيل ثوابه عزّ وجلّ.

إن شهر الصيام فرصة دورية لتعرُّف قائمة النفقات الواجبة بالمفهوم الاقتصادي، وقائمة الاستبعاد الإنفاقي، ثم هو فرصة لترتيب سلم الأوليات، ثم هو كذلك فرصة لتعرف مستوى الفائض الممكن.

إن شهر الصوم فرصة لتحقيق ترشيد أفضل، ولتوسيع وعاء الفائض الممكن، ولكن شريطة أنْ يرتبط بالقاعدة الإرشادية المعروفة: وكلُوا واشرَبُوا ولا تُسرفوا. الأعراف:٧، هذه القاعدة هي، بلاشك، ميدان الترشيد على المستوى الفردي والمستوى العام.

إنّ في شهر رمضان فرصة للقادرين لاستجلاء مشاعر المحتاجين، بما يحدثه الصوم من أثر حقيقي في نفوس القادرين إزاء المحتاجين.

ومما سبق، يمكن القول بأن الخصائص الاقتصادية المرتبطة بشهر رمضان هي خصائص كامنة في جوهر الصيام بوصفه مرتبطًا بقوى اقتصادية مثل الاستهلاك والإنفاق والإشباع، ومقدار المنفعة ودرجة الحاجة. وتحريك هذه الخصائص وتنشيط فاعليتها هو مهمة البشر، على مستوى الأفراد بضبط استهلاكهم وتقويم سلوكهم الاقتصادي، وعلى مستوى المؤسسات بتوفير النظم الكفيلة بحسن توجيه الأموال وحسن توظيف قوتها الاقتصادية.

والسؤال الدائم عما إذا كانت فوائد الصيام موقوفة على شهره الكريم أم مباحة للانتفاع بها باستمرار؟!

وجملة القول، فإن أغلب أقطارنا بحاجة إلى الاستمرار في تحريك هذه الخصائص وتنشيط فاعليتها في صيامها وفي إفطارها على السواء.

إن تكرار استقبالنا للشهر الكريم هو تذكرة متكررة بهذه الخصائص. وإذا نجحنا في تحقيق هذه الخصائص، علمنا كيف يكون الطريق إلى الله محفوفًا بالسعادة الاقتصادية.

قصيدة

الزكاة.. والوازع الديني

شعر: أحمد الهُويس

برحاب شهر الصوم والبركات   أيْقظتُ نورَ الله في مِشكاتي!!

وتَبتّلَ الإلهامُ مقروءَ الرؤى   وَحْيًا يُجاذبُ صحوة الآيات

وعَرفْتُ أن الحبَّ خير وسيلة   للعارفين.. مُهذّبٌ للذّات

خاطبتُ في الشهباء طهر ضميرها   لأضُمَّ فيها عزوتي وشتاتي

عَوْدًا إلى الله العظيم ودينه   بعدَ انبلاج الحقّ في النكبات

والحقّ يعلو فوق كلّ ضلالة   إذْ لا خداع يدوم في الساحات

ادفع زكاتك يا غنيُّ بنيّة   فلطالما الأعمالُ بالنيّات

واعلم بأن الله خيرُ ذخيرةٍ   للمحسنين.. ومُنْعِمُ البركات

فتّش عن الفقراء فرّجْ كربَهُم   عند اشتداد الفقر والحاجات

متعففٌ أخفى حقيقةَ ضُرِّه   قهرًا يُواري نافرَ الدّمْعات

ارحمْ عيال الله واجبرْ كسْرَهُم   من أقربين ومن ذوي الحاجات

فالوازع الديني ينمو بالتقى   ومَخافة الرحمن والصدقات

والوازع الديني برٌّ خالصٌ   يزكو بحبِّ الله والصلوات!!

والوازع الديني طهرُ سريرةٍ   ونزاهةٌ تسمو على الشهوات

المال ينمو بالتصدّق والندى   فاقرضْ إلهك واسعَ الجنّات

امْدُدْ جسورك للقلوب تَنَلْ بها   ما في القلوب ولاعِجَ اللوعات

راجعْ حسابات الولاء مُدقّقًا   واحذرْ مباغي الزيف والشبهات

ادفع زكاتك لليتيم وأمّه   ولكلِّ وجهٍ بائس النظرات

ادفع زكاتك للمريض مجاهراً   علَّ الشحيحَ يجُودُ بالزكوات

ادفع زكاتك فالحياة مريرةٌ   وأمَرُّ منها فاسدُ العادات

ردّوا فضول المال يا أهل الغنى   للمدْمنين ضراوة المأساة

فرْضٌ من الله الرحيم وخُطّةٌ   مَرْسومة في مُحْكم الآيات

فمصارف الصدقات خيرُ طريقة   تُهْدى إلينا أنبلَ الغايات

فهيَ التكافل والتراحمُ والنُّهى   للحافظين دلائل الخيرات

بالبِرِّ والإحسان يزكو روضُنا   بوَضَاءَة العُلماء والنّفحات

من مُهْجة الشهباء أهدي قبلةً   للخَيِّرين وصفوة السّادات

لغةُ السيوف أصالة وعقيدة   لَوْ تدركُ الشهباء كُنْهَ لغاتي

يا ملّةَ الإسلام كلُّ شريعةٍ   ليْست من القرآن أرضُ مَوات

شهر رمضان
ملف خاص

قوة الصوم في

د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي

إذا جاء شهر رمضان فإن الحق تبارك وتعالى يجدد الفرصة أمام الإنسان، ليلجم شهوات نفسه الجامحة، ويفطم دوافعها الأولية النهمة: قوة الشهوة بشقيها: شهوة الطعام وشهوة الجنس، والقوة الغضبية أيضًا. وثمرةُ ذلك لدى الصائم الخاشع سكينةٌ تتنزل عليه، وحلاوةٌ يجدها في قلبه، مما يلقى من التحررِ الداخلي من أغلال شهواته، ومما يجد من النور في بصيرته وهل يعد ذلك مغنم؟!

يتساءل ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) في كتابه «الروح»: «ترى ما حقيقة النفس؟ هل هي جزء من أجزاء البدن أو عَرَضٍ من أعراضه أو جسم سابق له مودَع فيه أم جوهر مجرد؟ وهل هي الروح أم غيرها؟ وهل اللوامة والأمارة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات أم هي ثلاث أنفس؟».

النفس البشرية: لغز وصراع!

والحق، أن طبيعة النفس البشرية ومصيرها قد شغل بها المفكرون والفلاسفة وعلماء الدين من القدامى والمحدثين. فلا يخلو مفكر أو فيلسوف من كلام على ماهية النفس؛ لأنها أقرب الأشياء إلينا. وهي إلي ذلك القرب لاتزال شديدة الغموض عصيّةً على الأفهام، وكلما خُيّل إلى المفكرين أنهم قد ازدادوا بها معرفة وعلمًا وبلغوا حقيقة أمرها وكشفوا سرها وعرفوا جوهرها؛ إذا هم يجدون تلك المعرفة سرابًا، وذلك الجوهر مظهرًا خلابًا.

على أن أحدًا لا يماري في أنه عادة ما يستشعر خواطر وخوالج تعتمل في داخله، وتحمله على اتخاذ مواقف سلوكية دون غيرها، وهذه هي «الدوافع النفسية»، التي يعدها علماء النفس القوة الداخلية الموجهة للسلوك، أو هي الحالة الداخلية التي تنزع بالإنسان نحو سلوك معين، ظاهرًا كان أم باطنًا، توسلاً لتحقيق أغراض بذاتها، أو أهداف بعينها.

وهكذا، فثمة «دوافع نفسية» أساسية، تؤثر في حياة كل منا، وهي: قوة الشهوة بشقيها: شهوة الطعام وشهوة الجنس، والقوة الغضبية أيضًا. فقوة شهوة الطعام، لازمة لاستمرار حياة الإنسان ووجوده، وقوة شهوة الجنس، لازمة للحفاظ على نوعه، أما القوة الغضبية فهي التي تُظهر ذاتَ الفرد وتثبت وجودها وتنتصر لها.

تلكم هي الدوافع النفسية الأولية؛ دوافع الغريزة التي تتصارع، داخل النفس البشرية، صراع الأضداد المتنافرة. فالنفس البشرية ـ على نحو ما خلقها الله ـ ذات طبيعة مزدوجة في استعدادها للشيء ونقيضه: للحق والباطل، وللخير والشر، وللفجور والتقوى. وفي ذلك يقول الله تعالى: *وَنَفْسٍ وما سَوَّاها. فَأَلْهَمَها فُجُورَها وتَقْوَاها. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاها. وقد خَابَ مَن دَسَّاها.* **الشمس**:٧-١٠. ويقول عز وجل مصورًا هذا الصراع الذي يثور في أعماقنا أبلغ تصوير: *واللَّهُ يريدُ أن يتوبَ عليكم ويُريدُ الذينَ يتَّبِعُونَ الشَّهَوَات أن تَميلوا مَيلاً عظيمًا.* النساء:٢٧. فهنا صراع بين إرادتين، كما تصور الآية الكريمة، وهو صراع يضع صاحبه في منطقة الجزر والمد، والجذب والشد. إن هاتين الإرادتين هما: إرادة الرحمن، وإرادة الشيطان. ولأجل ذلك، تأتي الآيات الكريمة، منددة ومحذرة من طريق الشيطان؛ طريق الاستغراق في شهوات الدنيا ورغائب النفوس: *زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والبَنِينَ والقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنعَامِ والحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا واللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ المَآب.* **آل عمران**:١٤.

يقول صاحب الظلال في أوائل سورة آل عمران: «إن الاستغراق في شهوات الدنيا ورغائب النفوس ودوافع الميول الفطرية هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار، ويدفع الناس للغرق في لجة اللذة القريبة المحسوسة، ويحجب عنهم ما هو أرفع وأعلى، ويغلظ الحس فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة القريبة ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللائقة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض، واللائقة كذلك بمخلوق يستخلفه الله في هذا المُلك العريض. ولما كانت هذه الرغائب وتلك الدوافع مع هذا طبيعية وفطرية مُكَلَّفَةً من قبل الباري ـ جل وعلا ـ أن تؤدي للبشرية دورًا أساسيًا في حفظ الحياة وامتدادها، فإن الإسلام لا يُعنى بكبتها وقتلها، ولكن بضبطها وتنظيمها وتخفيف حدتها واندفاعها، وإلى أن يكون الإنسان مالكًا لها متصرفًا فيها، لا أن تكون مالكة له متحكمة فيه، وإلى تقوية روح التسامي فيه والتطلع إلي ما هو أعلى» (الظلال: ١/٣٧٣).

وهكذا نجد القرآن الكريم ينير أمام الإنسان الطريق، ويوضح له، أن هذه الشهوات بدائية في حياته ومؤقته، وأن الإنسان والحيوان متساويان في هذه الدوافع، يقول: *ولَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرضِ واتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إن تَحمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أو تَترُكْهُ يَلهث.* **الأعراف**:١٧٦. ويطالب الإنسان بالتفكر والتدبر في هذه الشهوات وكبح جماحها، وعدم الميل كل الميل مع الإسراف فيها، يقول: *ويُرِيدُ الذينَ يتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أن تَمِيلُوا مَيْلاً عظيمًا.* النساء:٢٧. ويعد من كبح جماح شهواته وروضها إلى مدارج التوسط بجنات ورضوان، فيقول: *وأَمَّا مَنْ خافَ مَقَامَ رَبِّهِ ونَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوَى. فإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَى.* **النازعات**:٤٠-٤١.

ولأن الإسلام ـ كما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ـ منهج عملي للحياة، فإنه لا يكتفي بالتوجيهات والوصايا الإرشادية، التي تستثير في النفوس

مواجهة الغضب

دوافعها الخيِّرة، وترغّبها في خواتمها الطيبة، وتحذِّر من دوافعها الشريرة وتنفِّرها من عواقبها السيئة، بل إنه - إلى جانب ذلك - يقدم للمسلم منهجًا سلوكيًا قويمًا، يكفل بناء شخصيته بناءً سويًا، لتكون لبنة قوية في صرح مجتمع عزيز أبيّ.

بقي أن نعلم، أن فريضة الصوم التي افترضها الحقُّ تبارك وتعالى على المسلمين، هي لب هذا المنهج السلوكي القويم. فهذه الفريضة، هي بحقٍّ الأسلوب الفذ والخطة المثلى والسلاح العجيب، الذي يكفل تهذيب الدوافع الأولية في قوة الشهوة طعامًا أو جنسًا، والقوة الغضبية، وفطم هذه الدوافع في النفس البشرية بإلجام نزواتها عند حد الحاجة المعتدلة، حتى لا تتحوّل إلى شر مستطير.

أما أثر الصوم في تهذيب قوة الشهوة طعامًا أو جنسًا، فمما كثر الحديث فيه، حتى أصبح من قبيل المسلمات، وأما أثر الصوم في تهذيب القوة الغضبية، فهو ما نخصه بالحديث.

حقيقة القوة الغضبية

الغضب هو انفعال بشري ينبع من فطرة الإنسان، وهو غريزة شأنها شأن الغرائز الأخرى التي أودعها الله في النفس البشرية. فقوة الغضب - إذن - في طبيعة الإنسان وجبلته، ولا فكاك عنها، ولكن يمكن ترويضها وتوجيهها وجهتها الصحيحة. فللحق، تبارك وتعالى، حكمة في خلقها بحيث لا يُستغنى عنها بغيرها في وظيفتها، فهي حميّة تثور في الإنسان؛ ينصر بها المظلوم ويدفع بها العدوان، ويحقق بها ذاته، ويحمي بها نفسه وماله وعرضه وسائر مقدرات حياته، كما يغضب لمحارم الله إذا انتُهكت، ومقدسات دينه إذا اغتُصبت. ولقد امتدح اللهُ عباده بكونهم أشداءَ على الكفار رحماء بينهم: *مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ والذين مَعَهُ أشداءُ على الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُم تراهُم رُكَّعًا سُجَّدًا يبتغُونَ فَضْلاً من اللهِ ورضوانًا سيماهُم في وُجُوهِهِم من أثرِ السُّجُود*. الفتح: ٢٩. ولقد روى أنس بنُ مالكٍ رضي الله عنه قال: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقم لنفسه من شيء إلا إذا انتُهكت لله حرمة، فإذا انتُهكت لله حرمة كان أشدَّ الناسِ غَضبًا».

تلك هي مصارف الغضب المشروع ومقتضياته، وغير ذلك الغضب الذي يشيع بين الناس، وهو الغضب الذي يصدر عن نفوس تملكتها آفات العجب والكبْر والمباهاة والمنافسة والمحاسدة والحقد وطلب الأمور التي فيها لذة دنيوية يتنافس فيها الناس ويتحاسدون عليها. وهذا هو الغضب المذموم الذي حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من شروره ومفاسده. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني. قال: «لا تغضب»، فردد مرارًا، قال: «لا تغضب» رواه البخاري. وهكذا حسم النبي صلى الله عليه وسلم القضية كلها، في عبارة بليغة مختصرة، ولكنها تتسع - في الوقت نفسه - لكل معاني النجاة للفرد وللمجتمع.

الغضب هرمون يفرز

في مؤتمر دولي للطب النفسي، قال الخبراء: «إن الغضب صنف من الجنون القصير المدى، وإن الأعمال تجري في أثنائه بعد أن يتوقف العقل فما يعمل». وهذا حق، فإن من الغاضبين من يأتي من الأعمال - حال غضبه - بما لا يظن أحد أنهم أتوه، لفرط حمقه وفجاجته. وتسألهم عنها - فيما بعد - فيجيب المسؤول منهم: والله ما أدري ما دهاني في تلك الساعة. إن الذي دهاه الجنون؛ فما إن ينتاب الإنسانَ الغَضَبُ - بسبب إحدى الصور الذهنية المثيرة - حتى يتلبسه الشيطان، ويتقمص شخصيته، فيكون هو الشيطان نفسه في تصرفاته وانفعالاته الشخصية.

ومن وجهة النظر العلمية، فإنه إذا جاز لنا أن نزعم أن الجهاز العصبي مسؤول عن استقبال الصور الذهنية، ثم اتخاذ موقف معين إزاءها، فإننا نستطيع أن نزعم - في الوقت نفسه - أن الهرمونات بمنزلة الوقود اللازم للدفع بالإنسان؛ وحفزه إلى اتخاذ موقف أو آخر إزاء الموضوعات المتباينة.

وهكذا، فالذي يحدث: أن رسالة الغضب تصل إلى مستويات المخ العليا، حيث تستقبلها بعض مراكزه الكيماوية وتتفاعل معها، ثم تنقلها إلى الهيبوثلاموس HYPOTHLAMUS بطريقة كيماوية معجزة، ومنه إلى الغدة النخامية PITUITARY، وهي الغدة المسؤولة عن إفراز جمع من الهرمونات الرئاسية، التي يحملها الدم - على الفور - إلى بقية الغدد الهرمونية، لحفزها إلى إفراز هرموناتها في الدماء. والغدتان الرئيستان اللتان تنفعلان - عند الغضب - استجابة لأوامر الغدة النخامية هما: الغدتان الكظريتان (فوق الكليتين)، اللتان تفرزان هرمون الأدرينالين ADRENALIN المعروف بهرمون الغضب، أو هرمون الكروالفر، لأنه هو الهرمون المسؤول عن تجهيز الإنسان بالوقود الغضبي - إن جاز هذا التعبير. ولعلنا نذكر، أن الباحثين أجروا تجارب على الحيوانات، كالقطط، لمعرفة تأثير زيادة نسبة الأدرينالين في الدم، فوجدوا أنه لو حُقنت قطة وديعة بهذا الهرمون بتركيز واحد في المليون، لأدى هذا إلى تغيُّر في طبيعة (فسيولوجية) القطة، بحيث تنقلب إلى حيوان مفترس.

ونعود فنقول: إننا لا نستطيع أن نغضب إلا إذا جُهِّزنا بهذا النوع من الوقود الذي توفره لنا كمية الأدرينالين. وكلما زادت كمية الهرمون التي تنصب في الدم مباشرة زاد التهيؤ النفسي المزاجي والانفعالي للغضب. فالهرمون يندفع في لمح البصر إلى القلب، الذي يعيد ضخه إلى سائر أعضاء الجسم، ليحدث فيها من التغيرات العضوية (الفسيولوجية) والكيماوية الحيوية، ما يجعلها تتخذ وضع الاستعداد والتحفز. فهذا الهرمون يهيئ الإنسان الغاضب لقوى شيطانية رهيبة، بحيث يطغى عليه شعور عارم بالرغبة في البطش بكل ما يعترض سبيله.

للغضب آثار ظاهرة

للغضب علامات وآثار، تبدو في هيئة الغاضب ومنظره، وتؤثر بشدة في أعضائه الداخلية ومخبره، فتجعله أشبه ما يكون بوحش ضار وحيوان مفترس، فاقدًا لكل معنى إنساني جميل، مما تفرّد به الإنسان دون سائر المخلوقات. يقول الإمام الغزالي (ت:٥٠٥هـ) في الإحياء: «ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال من الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزَّبدُ على الأشداق، وتحمر الأحداق، وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة. ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياءً من قبح صورته واستحالة خلقته. وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبح صورة الباطن أولاً ثم قبحها إلى الظاهر ثانيًا، فتغيرّ الظاهر ثمرة تغير الباطن، فهذا أثره في الجسد».

وهذا حق فلو تأملنا غاضبًا، لوجدناه يصرخ يزمجر ترتعش يداه بتنفض بدنه، حيث تكون عضلاته المسؤولة عن الانقباض في حالة توتر عصبي، ولاسيما عضلات الذراعين والفخذين والساقين والقدمين كما يمتد تأثير

الغضب إلى البشرة، التي تكتسب حمرة بادية، بفعل تقلص جدران الشعيرات الدموية المنتشرة أسفل الجلد، وهو ما يؤدي إلى احتباس الدم في مناطق تشابك الشعيرات الوريدية بالشريانية (حالة احتقان). وكذلك يحدث تغير في شكل العينين، حيث تتسعان أكثر، وتتوسطهما الحدقتان، بحيث يحيط البياض بهما من كل جانب، كما يعلو الحاجبان وتتوتر الأجفان منسحبة إلى أعلى وإلى أسفل. وبسبب التوتر والاضطراب الذي يصيب عضلات وأوردة الوجه، تنكمش الجبهة وتتسع فتحتا الأنف وترتجف زوايا الفم.

ولئن كانت مظاهر الغضب الظاهرة قاسية إلى هذا الحد، فإن ما يحدث على مسرح الحياة الداخلية للغاضب أقسى وأشد.

وله آثار باطنة

لقد استقر رأي الباحثين، على أن مشاعر الغضب - دون غيرها من المشاعر الإنسانية - لا تكاد تترك جهازاً واحداً من أجهزة الجسم الحساسة لا تؤثر فيه بدرجة ما. بل إن تعرض الجسم لمثل هذه التأثيرات، على مُدد طويلة وبصورة متكررة، كفيل بتدمير كيماوية أعضائه وهدم أنسجته، وإصابته بالعلل والأسقام. وها هي ذي بعض الآثار الباطنة للغضب:

١- تؤثر مادة الأدرينالين، المفرزة في أثناء ثورة الغضب في الكبد، مما يدفعه إلى زيادة إفراز الجلوكوز في الدماء بنسبة تصل إلى ٢٠٪ موازنة بالوضع الطبيعي فإن كان الغاضب ممن يعانون من ارتفاع طفيف في مستوى سكر الدم، فإن الزيادة الحادثة، قد تتسبب في حدوث تغير ملحوظ في مستوى السكر، وقد تؤدي إلى حدوث غيبوبة سكرية.

٢- يُعدّ الجهاز الهضمي من أكثر أجهزة الجسم تعبيراً عن المعاناة من ثورة الغضب. فالبلعوم - على سبيل المثال - تقل فيه نسبة اللعاب، كما يجف الفم، ويحمرّ جدار المعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة، وتزيد أيضًا حموضة المعدة، محدثة قروحًا دقيقة، تلتئم عادة بعد زوال تأثير الغضب. أما لو استمر الغضب طويلاً واستمرّ الاحمرار والحموضة العالية في المعدة، فإن الغاضب يصبح معرّضًا بالفعل للإصابة بقرحة مزمنة. وتدل خبرة أهل الاختصاص، على أن الغضب يسهم في تأخير شفاء القرحة عند علاجها، كما ثبت لديهم دوره في إعادة ظهورها بعد تمام شفائها.

وقد لوحظ، أيضًا، أن الإفرازات الهضمية تقل لدى الغاضب كثيراً، فتزيد شكواه من سوء الهضم والانتفاخ عقب الأكل، وقد يعاني من إمساك مستمر وتقيؤ وغثيان. كما لوحظ أن المرضى الذين يعانون من القولون العصبي والذين يشكون من أعراضه، غالبًا ما يقعون تحت انفعالات كثيرة وهم في حال الغضب والتوتر الشديد.

٣- أن تغضب فهذا معناه اضطراب في عمل الكليتين. والأكيد أن الغضب يؤثر في كفاءة عمل الكلى، فيحول دون قيامها بإفرازها الطبيعي، كما تزيد نسبة أملاح البول، فيحدث اضطراب في توازن الأملاح، يؤثر في كميات أملاح معينة بالجسم.

٤- يؤثر انفعال الغضب الزائد في الحياة الجنسية للغاضبين فقد وجد أن الانفعال الشديد المصاحب للغضب يمتد أثره ليشمل الدورة الدموية الخاصة بالأعضاء التناسلية. وهو ما يظهر لدى الرجل الغاضب في صورة عجز جزئي عن قيامه بأداء وظيفته الحيوية، ولدى المرأة الغاضبة في صورة برود جنسي.

٥- غدد الجسم الصمّاء هي من أكثر مكونات الجسم تأثراً بالغضب فالغدة الدرقية - على سبيل المثال - قد تتضخم ويضطرب إفرازها الهرموني. أما الغدة الكظرية فعادة ما تفرز المزيد من هرمونات قشرتها مثل الكورتيزون، الذي يسهم في إعداد الجسم عضويًا (بيولوجيًا) للدفاع عن الإرهاق النفسي، مما يؤدي إلى إصابتها بالإعياء وفقد القدرة على العمل بصورة طبيعية متوازنة.

٦- يشعر الغاضب - حين غضبه - بضيق في الصدر، كما يصيبه النهجان والانبهار ويتنفس سريعاً محاولاً استنشاق مزيد من الهواء. وإذ ذاك، تزيد حموضة دمه، مما يؤثر في الأوعية الدموية المنتشرة في أطرافه، فيشعر بوخز خفيف وتنميل. كذلك قد يؤدي التنبيه الهائل لمراكز الانفعال غير الإرادي، الناتج من الغضب، إلى حدوث انقباض في الشُعَب الهوائية، مما ينذر بإصابة الغاضب، المقيم على غضبه طويلاً، بالربو الشُعبي.

٧- يؤثر هرمون الغضب في عدد ضربات القلب، بسبب تأثيره في مركز تنظيم ضربات القلب الكائن في الأذين الأيمن؛ فإذا كان القلب يدق في العادة من ٦٠-٨٠ دقة في الدقيقة، فإنه يدق عند الغضب من ١٢٠-١٤٠ دقة، وهو ما يتطلب كمية أكبر من الأكسجين بالدم. وهذا ما قد يعزّ لدى المرضى المصابين بتصلب شرايين القلب، مما يعرضهم للذبحة، أو لهبوط في عضلة القلب.

وقد يؤدي الغضب - أحيانًا - إلى عدم انتظام ضربات القلب بحيث تتحول من ضربات منتظمة وهادئة إلى ضربات غير منتظمة، وقد تسقط واحدة منها، أو تزيد واحدة أخرى (الضربة الإضافية).

وعلاقة ضغط الدم بالغضب معروفة، فالضغط ذلك الذي يقع بين ١١٠ ملليمترات من الزئبق و١٣٠، يرتفع عند الغضب إلى ١٨٠ و٢٠٠ ملليمتر. وقد تزيد - في بعض الأحيان - كثافة الدم بسبب الغضب الشديد، منذرة بتكون جلطة تسد الشرايين التي تغذي عضلة القلب، ويصرخ الغاضب من آلام الجلطة وأوجاعها.

الصوم هو الأسلوب الأمثل والسلاح الفعال الذي يكفل تهذيب قوة الشهوة وقوة الغضب، حتى لا تتحول إلى شر مستطير!

الغضب وآثاره في النفس والوجدان

الناس صنفان: صنف يرى الأمور بحياد وموضوعية، ويقوّم الأشياء بأسلوب عادل، بغير تحيُّز أو تعصب. لذا فهو حين يتعرض لمثير غضبيّ، يظل غضبه تحت سيطرة عقله وليس انفعاله، فهو غضب موضوعي عقلاني. وهذا يختلف عن الصنف الثاني، الذي لديه انحراف في الرؤية؛ يتحيز في اتجاهاته، ويتعصب لآرائه، والذي يجرفه غضبه دومًا إلى انفعال عاطفي زائد غير موضوعي وغير عقلاني وآية ذلك:

١- فقد القدرة على إدراك مقومات «الموقف الغضبي» وما يكتنفه من ملابسات، بسبب تركيز الغاضب على جانب معين من «الموقف» وجعله محور غضبه، ومن ثَمَّ فإن كثيراً مما تتلقاه حواسه من المحسوسات العصبية، لا يجد فرصة للترجمة الذهنية في مراكز الترجمة الإدراكية بالقشرة المخية. وإذن يتعذر انتقال تلك المحسوسات من الحالة الحسية إلى الحالة الإدراكية.

٢- تؤثر الحالة الانفعالية الغضبية في ملامح الصور الإدراكية لدى الغاضب، فتغدو مهوشة باهتة فلا هي واضحة المعالم، ولا هي متعيّنة التفاصيل. ويبدو هذا منطقيًا بالنظر إلى ما بين العقل والوجدان من تضاد؛ فكلما زادت سيطرة الفكر الوجداني، بما يعنيه من عواطف وانفعالات جامحة، انزوى الفكر العقلاني في ركن قصيّ.

قوة الصوم في مواجهة الغضب

٣- يؤدي الانفعال الغضبي إلى هبوط مستوى الإدراك لدى الغاضب إلى أدنى حد ممكن. وهكذا لا يقتصر فعل الغضب على عدم إدراك الحواشي التي تحيط بالموقف الغضبي، بل يمتد إلى الموضوع ذاته؛ فلا يدرك منه غير جانب ضئيل.

٤- يؤدي الغضب إلى تحريف صورة الواقع في خيال الغاضب، فيضخم الضئيل ويصغر الكبير فالكلمات الهامسة تستحيل في خياله إلى صرخات عالية منددة. فإذا راجعته مصححاً، وجدت منه إصراراً كأنما هو ينطق بالحق. فهذا من فعل الغضب في خياله.

٥- يتولى خيال الغاضب القيام بعمل تركيبات حركية متضخمة - ليس لها سند في الواقع - فالحركات العفوية الهادئة تصدر عن يدي (الآخر)، تغدو في مخيلة الغاضب حركات بذيئة لا تليق، كما تغدو تعبيرات الوجه الطبيعية، ابتسامات ساخرة.

٦- في حال الغضب، يفقد الإنسان قدرته على تمحيص الأمور، ويصبح عرضة للوقوع في براثن الاقتناع الذهني بفكرة أو قضية أو اتجاه، من دون توافر الأدلة الكافية على صدق الفكرة أو القضية أو الاتجاه. فهو اقتناع ساذج لا سندَ موضوعياً له.

سلوك الغاضبين

عادة ما يجرف الغضب صاحبه إلى انفعال عاطفي زائد، مما ينعكس على سلوكه، بحيث لا يكون متوازناً مع حجم المؤثر أو حجم الموقف الحقيقي. وآية ذلك:

١- يتسم حديث الغاضب بالعجلة والتدفق والانفعالية الزائدة، وبالصوت الزاعق المرتفع. لذا لا يكون حديثه مرتباً أو مقنعاً عقلياً. ولفرط غضبه، يصاب الغاضب عادة بما يُعرف بالحبسة، فلا يقدر على الإبانة، فيتوقف فجأة عن الحديث، مع ضغطه على حنجرته فهو، مع سكوته عن مواصلة الحديث، لا يتوقف عن الصياح ولأن الأفكار والكلمات المتجددة لا تسعفه، فإنه يضطر إلى تكرار العبارات نفسها، حتى لو كانت مجرد شتائم وعبارات بذيئة نابية.

٢- قد يلجأ الغاضب إلى تحطيم ما يلقاه من أشياء، أو يعمد إلى إفساد ترتيبها مثلما يفعل الأطفال حين يغضبون، حيث ينقضون على دُمَاهم ضرباً وتحطيماً، يفعل كذلك الغاضبون، حينما يحطمون - عن عمد - ما أمامهم من أشياء.

٣- تتسم تصرفات الغاضب بالطيش والبعد من الحكمة، بل إنه قد يعتدي على الآخرين بالضرب والإيذاء. وكلما كان انفعاله أشد وأقوى، كانت تصرفاته أسرع وأعنف.

٤- لا يحفل الغاضب كثيراً بما قد يترتب على تصرفاته الحمقاء من نتائج، حتى لو كان فيها ما يعود عليه أو على الآخرين بضرر بالغ جسيم.

فالواقع أن الغاضب، إلى جانب عدم تبصره بالمقومات الأساسية للموقف ذاته، لا يأخذ في حسبانه أيضاً، ما يمكن أن يترتب على تصرفاته في المستقبل القريب أو البعيد من نتائج. فهو، بالإضافة إلى عماه عن رؤية الحاضر، يعمى عن تبصر ما يحدث في المستقبل. ولا ريب، أن هذا كله سوف ينعكس بالشر على الغاضب نفسه، وعلى المجتمع من حوله. فمن آثاره: إضمار السوء وتوليد الحقد في القلوب وإيذاء الناس، وما يترتب على ذلك من فساد للحياة وانهيار للمجتمعات وتقطيع لأواصر المحبة بين الناس.

فالغضب - كما رأينا - هو مفتاح كثير من آثام الدنيا وشرورها بل هو جماع الشر كله.

منهج إرشادي في مواجهة الغضب

الغضب - كما عرفنا - غريزة إنسانية شأنها شأن الغرائز الأخرى التي أودعها الله في نفس الإنسان لتؤدي دوراً معيناً في الحياة، وفقاً لشروط معينة. تلك حقيقة واقعة يتفق عليها التصور الإسلامي ونظرة علم النفس الحديث. فالغضب - في حد ذاته - بوصفه غريزة، ليس هو المشكلة. إنما المشكلة تكمن في قابلية الإنسان

مؤكدة دور الإرشادات الدينية في تنمية الشخصية السويّة للإنسان، بما يجعلها عصيّة على القلق والتوتر والغضب المذموم.

وهذا حق، لأن المسلم القوي الإيمان، يلتزم في سلوكه قول الحق تبارك وتعالى: *والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن النَّاس واللهُ يحبُّ المحسنينَ*. **آل عمران**:١٣٤، وقوله تعالى: **خُذ العفوَ وأمُرْ بالعُرْف وأعرِض عن الجاهلينَ. الأعراف**:١٩٩. كما يلتزم ما جاء في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعية إلى ضرورة التحكم في النفس وضبطها وعدم الانقياد لرغباتها في الثوران والهياج والانتقام؛ لما في ذلك من ضعف واستسلام وانقياد لقوى الشر. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كَظَمها عبدٌ ابتغاءَ وجه الله» رواه ابن ماجه. وقد روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، عن النبي صلى الله عليه

مشاعر الغضب لا تترك جهازاً من أجهزة الجسم الحساسة إلا آذته. وتعرُّض الجسم للغضب كثيراً كفيل بتدمير كيماوية أعضائه!

للانفعال الشديد وسرعة الهيجان دون مسوّغ مقبول عقلياً وأخلاقياً ومجتمعياً. وترتبط هذه المشكلة بقدرة كل فرد على تنمية مواقفه وإدراكه وانفعالاته والوصول بها إلى مرحلة النضج الانفعالي، كما ترتبط بإمكانية كل فرد على إدارة الصراع الداخلي في نفسه حول قدراته ونزعاته وقيمه بطريقة واعية، لا تجعله دائم الثورة والتوتر. وترتبط هذه المشكلة - بعد ذلك - في أسلوب التعبير. إن التعبير عن الغضب بالانفعالات الساخنة، المبالغ فيها، هو أصل البلاء كله. فالمهم هو التحكم والسيطرة على الانفعال وعدم الاستسلام لثورة الغضب. وهذا ما حرص عليه المنهج الإسلامي في التربية بتقديم التوجيهات المثلى، التي تجعل هذه الغريزة تحت إشارة العقل والدين، فتنبعث حيث تجب الحمية، وتنطفئ حيث يحسن الحلم، وتضمن - إلى جانب ذلك - السير بها نحو حد الاعتدال المطلوب، الذي يسمو بحياة المسلم، ويخدم رسالته في إعمار الكون.

والمدهش أن نتائج الدراسات النفسية الحديثة، تأتي

وسلم أنه قال: «من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيِّره في أيّ الحُور شاء». وروى أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما كظم عبدٌ لله إلا ملأ جوفه إيماناً» وعند أبي داود: «ملأه الله أمناً وإيماناً».

على أن الإسلام لا يكتفي بالتوجيه الإرشادي وحده منهجاً للسمو بالنفس البشرية والاستعلاء بها على القوة الغضبية القاهرة، بل إنه يجعل في صيام شهر رمضان منهجاً عملياً تدريبياً، يكفل ترويض هذه الغريزة، والوصول بها إلى الاعتدال.

قوة الصوم في مواجهة هرمون الغضب

عندما يكون الإنسان هادئاً مطمئن البال، متمتعاً بالسلام النفسي، فإن جسمه يكون في حالة اتزان كيماوي، أو بتعبير آخر فإنه يكون في حالة اتزان هرموني. والهرمونات التي تفرزها الغدد الصماء في الدم مباشرة، هي المسؤولة عن تجهيز الإنسان بالحالات المزاجية والانفعالات المختلفة. وقد عرفنا أن هرمون

الأدرينالين الذي تفرزه الغدتان فوق الكليتين، هو المسؤول عن تجهيز الإنسان بالوقود الغضبي، فكلما زادت كميته في الدم، زاد التهيؤ النفسي والانفعالي للغضب. ولقد أكدت أحدث الدراسات، أن بعض سريعي الغضب يعانون - إلى جانب عدم نضجهم الانفعالي - من خلل هرموني بالزيادة في الكمية المطلوبة من الهرمونات للموقف الغضبي (الأدرينالين) فقد تكون الهرمونات المشاركة في التغيرات الجسدية (الفسيولوجية) والنفسية الغضبية كثيرة الكمية، بحيث يكون الشخص غاضباً لغير ما سبب ظاهر يدعو إلى الغضب، بل إنه قد يصل إلى درجة العداء السافر لكل من يحيطون به، أو يتعاملون معه، والاعتداء عليهم لأي سبب، أو لأسباب يختلقها أو يتعلل بها ليسوّغ عدوانه عليهم.

على أن الباحثين أثبتوا ما للصيام من قدرة لا تُنكر على تنظيم إفراز الهرمونات المختلفة بالجسم، ومن بينها هرمون الغضب. فالصوم من هذه الوجهة، يلطف من حدة تأثير الأدرينالين، ومن ثم يهدّئ من المشاعر الثائرة.

الصوم يهدئ الأعصاب المتوترة

يتباين الناس فيما يعبرون به عن مشاعر الغضب قليلاً أو كثيراً، ولا شك أن الأشخاص الذين لديهم أجهزة عصبية مُرهفة يكونون أكثر تعرضاً للهياج العصبي والانخراط في تعبيرات الغضب، من غيرهم ممن لديهم أجهزة عصبية متزنة. إننا لا يمكننا أن نتصور شخصاً غاضباً بغير أن تكون أعصابه متوترة مشدودة. فالحق، أنه ثمة تآزراً وتوافقاً بين حالة الإنسان العصبية (أعني حالة أعصابه)، وحالته النفسية. فعندما يكون الإنسان مطمئن البال، منشرح الصدر، ينعم بهدوء نفسي، فإن جهازه العصبي بجميع تفريعاته الممتدة في أنحاء الجسم، يكون بدوره في وضع استرخاء وسلام. وعكس ذلك صحيح أيضاً.

ويمكن القول، إن ثمة تبادلاً في التأثير، بين حالة المرء العصبية العضوية (الفسيولوجية) وحالته المزاجية. فلئن كانت الحالة المزاجية تحدد المقدار الذي يصل إليه توتر الأعصاب، فإن هذا الأخير أيضاً ينعكس بدوره على حالة المرء المزاجية. وها هي ذي صيغتنا الجديدة: يتسبب الضغط العصبي الذي يعايشه الناس في تعكير صفو بعضهم، ومن ثم ترتسم علامات الغضب على الوجوه. ولكن، ما الذي يرهق أعصاب الناس ويدفعهم إلى سرعة الغضب؟

إن العقل البشري والجهاز العصبي يصابان بالإرهاق من كثرة الاشتغال بأمور الحياة اليومية والصراعات البشرية والتكالب على الدنيا والنيل منها. والمرء يحتاج إلى هدنة يرتاح فيها، ويتخلص من ضغوطه، ومن ثم يتخلص من أحد الأسباب الرئيسة في إثارة غضبه على نحو غير طبيعي. وها هنا يتجلى كرم شهر الصوم العظيم وسخاؤه: إذ يبدو أن هذا الشهر الكريم هو خير هدنة للجسم، بعيداً من ماديات الحياة وصراعاتها؛ فتهدأ النفس، ويرتاح العقل، ويستعيد الجهاز العصبي قدراته وكفاءته على العمل من جديد. وقد أثبتت دراسات الباحثين على مجموعة من الصائمين، أن ممارسة الصوم مريحة للجهاز العصبي إلى درجة ساعدت على تبديد القلق والتوتر، كما أسهمت في استرخاء عضلات الجسم المتشنجة، الأمر الذي مكنهم من الوصول إلى أوضاع متقدمة في حركات اليوجا، ولولا ممارستهم للصوم لكان عليهم الانتظار وقتاً طويلاً. وقد أشارت دراسات أخرى إلى أن قدرة الصيام على تهدئة الأعصاب المتوترة، تكمن في علاجه لحالة الأرق. وبصيغة أخرى نقول: إن التأثير الفعال للصيام في تهدئة الأعصاب، يكمن في كونه مهدئاً طبيعياً للجهاز العصبي، يريحه من القلق والتوتر والغضب الذي يعود في معظم أسبابه إلى الأرق، فتستريح الأعصاب الداخلية للإنسان، مما يؤدي إلى النوم المريح. وثمرة ذلك كله، انتفاء سبب أساسي من أسباب الانفعال الغضبي غير السائغ وغير الطبيعي.

الصوم وإرادة كظم الغضب

الرجل الناضج وجدانياً، القوي الإرادة يغضب، ولكنه قادر - إذا هو اعتزم - أن يقلل من فرص غضبه ويكظم غيظه كثيراً. أما الرجل الذي لا يستطيع الإقلال من مرات غضبه، أو إذا غضب أفلت الزمام من يده، وأفلت شديداً، وأفلت كثيراً، فهذا رجل ضعيف الإرادة يحتاج إلى الصوم كثيراً وطويلاً. وتلك حقيقة علمية يعرفها رجال التربية وعلم النفس، حتى وجدنا الباحث الألماني الأشهر «جبهاردت» يضع كتاباً في تقوية الإرادة، فيتخذ من الصوم أساساً لهذه التقوية. ففي تجربة الصوم، تقوية لإرادة الإنسان الخيرة، فتصبح هي المحركة والموجهة والمهيمنة، وليست الدوافع أو الغرائز. ومعروف أنه متى قويت الإرادة في جانب الامتناع عن الشهوات ومتطلبات الغريزة، فإنها تقوى تلقائياً في سائر أوجه حياة الإنسان. فالإرادة هي بحق مفتاح التشغيل لكل الوظائف النفسية الأخرى. والإرادة القوية هي التي توظف كل الوظائف النفسية لخدمة صاحبها، وهي التي تحميه من كل ما يعترض مسيرة حياته، من مشاكسات ومضايقات.

على أننا نعود فنسأل عن الأساس الحيوي (البيولوجي) لهذه العلاقة الحميمة بين قوة الإرادة التي تُربى في حضن الصوم، وفضيلة كظم الغضب؟

يقول الباحثون في وظائف الأعضاء: إن الغدة الكظرية (فوق الكلية) المفرزة لهرمون الغضب، تخضع في نشاطها لجهتين أساسيتين، كلتاهما على صلة وثيقة بالمخ (حيث مراكز الإرادة والتحكم): الجهاز العصبي السمبتاوي، والغدة النخامية.

فالجهاز العصبي السمبتاوي، وهو المعروف بقدرته على حفز العضلات غير الإرادية والغدد على العمل تلقائياً؛ هذا الجهاز نفسه يرتبط عضوياً - من خلال عدد كبير من الوصلات العصبية - بالنخاع الشوكي، الذي هو امتداد عضوي للمخ. كذلك، فإن الغدة النخامية - المعروفة بقائد الفرقة (المايسترو) حيث تسيطر بإفرازاتها على جميع الغدد الصماء، بما فيها الغدة المفرزة لهرمون الغضب - تقع في قاع المخ، وتكون على صلة بمراكز الإرادة فيه. وبصيغة أخرى نقول: إن الارتباط بين المخ (ومن ثم مراكز الإرادة) وكل من الغدة النخامية، والجهاز السمبتاوي، كفيل بتمكين مراكز الإرادة من التدخل في الوقت المناسب، لكبح أي انفعال غضبي، أو أي مثير غضبي. ولا يحتاج الأمر سوى دقيقة ونصف الدقيقة من التريث، حتى تتدخل هذه المراكز، قبل أن يفلت الزمام. وهكذا، كلما زاد لدى الإنسان رصيد الإرادة وقويت لديه مراكز التحكم، زادت قدرته على ضبط انفعالاته الغضبية وثوراته. وهو أمر لا يوهب لغير الصائمين الصابرين ممن أثمر الصيام ثمرته الطيبة في نفوسهم.

الصوم وبيولوجية الصبر وكظم الغضب

يستلزم ترويض النفس على مجابهة قوة الشهوة بشقيها، وقوة الغضب، التحلي بقدر وافر من الصبر

أثبت الباحثون أن الصوم مريح للجهاز العصبي، مبدد للقلق والتوتر، مساعد على استرخاء عضلات الجسم المتشنجة!

قوة الصوم في مواجهة الغضب

الجميل. يقول الحق سبحانه: *وما يُلَقّاها إلا الذين صَبَرُوا وما يُلَقّاها إلا ذو حظٍّ عظيم*. **فصلت**:٣٥.

والصوم ـ كما نعرف ـ هو طريق الصبر، بل هو نصف الصبر، ففي الحديث النبوي: «لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم، والصوم نصف الصبر» رواه الطبراني في الكبير. فالصيام، إذ يدرب المسلم على الصبر على شهوتي البطن والفرج، إنما يُعدُّه بذلك للصبر في كل المواطن فإنه إذا صبر عن شهواته الحلال، فإنه يكون أشد صبراً على الشهوات المحرمة، وأشد صبراً إزاء تطلعات النفس وتماديها في ثورة الغضب. وعندما تقوى لدى الصائم طاقة الصبر، يصبح في قوة احتماله بدرجة عشرة من غير الصابرين يقول سبحانه وتعالى: *إنْ يَكُن منكم عشرُونَ صابرونَ يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئةٌ يغلبوا ألفًا منَ الذينَ كفروا بأنهم قومٌ لا يفقَهُون*. **الأنفال**:٦٥.

وهذه ظاهرة عجيبة، فقد ركب الحق تبارك وتعالى طاقات أجهزة الجسم البشري وأعضائه، على أن يقوم جزء يسير منها بالعمل، خلال حياته العادية الرتيبة، وادخر باقي طاقاته إلى حين يحتاج إليها الإنسان الصابر في الوقت المناسب فالمسلم الصابر لديه دومًا ذخيرة مخزونة من قوة الأعصاب والجلد، هي التي يستمد منها القدرة على كبح جماح غضبه، كلما جهل عليه جاهل. تلك عجيبة من عجائب الخلق، تعدل في روعتها ما عُرف مؤخراً عن آلية الصبر لدى الصائمين. فقد عرف الباحثون ما للصوم من قدرة في إثارة الجهاز العصبي المركزي، ومن ثم دفعه لإفراز مادة الأندروفين ENDROPHIN التي تساعد الخلايا العصبية على التحمل بدرجة أكبر. وقد عثر محللون على كميات زائدة من هذه المادة في دماء الأشخاص الذين يتحلَّوْن بالصبر الجميل، أو لديهم قدرة عالية على تحمل المصاعب والآلام.

ولأن هذه المادة تعين الإنسان على احتمال الألم، وتزيد من حصيلة الصبر في مواجهة المخاطر والصعاب، فقد أطلق عليها وصف «أفيونات المخ» أو «المورفينات الطبيعية». ومعروف علميًا، أن هذه المواد تسيطر على نشاط الغدة النخامية، ليس بصورة مباشرة، وإنما من طريق الجسم تحت المهاد (الهيبوثالاماس) الواقع في قاع المخ. ومعنى ذلك أن هذه المواد تؤدي وظيفتها، من طريق زيادة نشاط النهايات العصبية في الهيبوثالاماس، فتقلل إفراز مادة «الدوبامين» التي تنظم بدورها نشاط الغدة النخامية، مما يعيد التوازن الذهني والعصبي والحسّي للإنسان.

ونعود فنقول: إنها معجزة جديدة من معجزات الصوم فقد دلت آلاف الاختبارات التي أجريت على الصائمين طوال شهر رمضان، على تحرر المزيد من مادة الأندروفين الطبيعية، بشكل منتظم ومتكرر ويومي. وهو ما قد يفسر جزئيًا شعور الغبطة والفرح الذي يجتاح الصائمين، وقلة إحساسهم بآلام الجوع طوال ساعات النهار، وتحليهم بالصبر الجميل.

وهكذا يمكننا القول بأن للصبر مادة كيماوية، تزيد كميتها في الأجسام، كلما زاد رصيد أصحابها من الصبر، وهو ما يزيد لدى الصائمين. وإنها لمعجزة أخرى، نطالعها في آيات كريمة، وعد الله فيها عباده الصابرين بمضاعفة أرصدة طاقاتهم وقدراتهم الكامنة (ربما من طريق زيادة إمدادهم بهذه المادة العجيبة، بقدر صبرهم). ولننظر إلى جمال دعاء الصابرين، الذين يقولون: *ربَّنا أفرِغْ علينا صبراً وثَبِّتْ أقدامَنا وانصُرْنا على القومِ الكافرين*. البقرة: ٢٥٠. فكأنما الآية الكريمة تشير من طرف خفي إلى حقيقة «مادة الصبر»؛ تلك التي تأتي من أعلى طاقات الإنسانية العصبية، وتفرغ عليه عونًا وتثبيتًا ونصراً من عند الله القوي المتين.

قوة الروح في مواجهة قوة الغضب

لئن كان ظاهر الصوم، هو حرمان الجسد من شهوتي البطن والفرج، ساعات محددة في كل يوم من أيام رمضان، فإن هذا الحرمان ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة إلى غاية أو غايات تتصل بالجانب الروحي والنفسي من الإنسان، أكثر من اتصالها بالجسد. فالصوم ـ في حقيقته ـ ليس حربًا تدور رحاها بين الصائم وشهواته الجسدية، وإنما هو ـ في صميمه ـ حرب على شهوات كثيرة مندسة في كيانه، كشهوة التعالي على الناس، وشهوة الغضب وغير ذلك من شهوات. وإننا لنقرأ في آية الصوم: *يا أيها الذين آمنُو كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتبَ على الذين من قَبلِكم لعَلَّكم تتقونَ*. البقرة:١٨٣. وهو ما يدل على أن مهمة هذه الفريضة، تتمثل فيما يرجى من ورائها من آثار روحية، ومنافع تربوية تغيير من سلوك الصائم ألوانًا من الانحراف، وتتجه به نحو تقوى الله تعالى. تغيير السلوك ـ إذن ـ هو من مقاصد الصوم الأولى، ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لم يدعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشرابه» رواه البخاري. فالصوم الحق لابد أن يغير من سلوك الصائم، فيمسك لسانه عن الفحش في القول، والبذاءة في الكلام، واللغو في الحديث، والغضب في وجوه الناس. ولئن كان هذا السلوك منهيًا عنه في سائر الأيام، فإن حرمته آكد في شهر رمضان، لأنه يذهب بصومه: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوعُ والعطشُ». ولئن كان الله قد أباح درء السيئة بمثلها: وجزاءُ سيِّئة سيئةٌ مثلُها. الشورى: ٤٠، فإن الصائم لا ينبغي له تبادل السيئات مع من أساء إليه، ولكن عليه أن يتحصن بصومه في عفة وأدب: «الصيام جُنَّة، فإذا كان يومُ صومِ أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابَّهُ أحد أو قاتله فليقل: إني صائم إني صائم» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. فالصائم ليس بشتّام ولا صخّاب ولا عيّاب ولا نمّام ولا فاحش ولا متفحّش: «ليس المُؤمن بالطّعان ولا اللّعّان ولا الفاحش ولا البذيء» رواه البخاري.

وجدير بالصائم وقد بلغ هذه المنزلة الروحية العالية، أن يسمو عن الاستجابة لدوافع الغضب، ويعتاد فطامها. فإذا اعتاد ذلك شهراً، حتى فيما أباحه الله له من درء السيئة بمثلها، فلأن يعف عن الاستجابة لدوافع الغضب فيما حرم الله من التطاول على عباد الله طوال العام، أولى وأشد.

المراجع:

١. أبو العزايم، ج.م. ١٩٩٤م. القرآن والصحة النفسية، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الهلال، القاهرة.
٢. أحمد، ع. ١٩٩٤م. فضيلة كظم الغيظ، الأهرام، ١١ مارس، مؤسسة الأهرام، القاهرة.
٣. أسعد، ي.أ. ١٩٨٧م. سيكلوجية الغضب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٤. الدسوقي، أ. ١٩٩٢م. القوة مرتبطة بالحلم عند الغضب، منبر الإسلام، مايو، القاهرة.
٥. الشحات، ع.أ. ١٩٩٣م. الصيام وصحة الإنسان، دار المعارف، القاهرة.
٦. الشهري، ص. ١٩٨٩م. من الهدي التربوي النبوي، المجلة العربية، العدد ١٤٥، الرياض.
٧. الطويل، أ.ر. ١٩٩٤م. الصيام وإرادة التغيير، منبر الإسلام، فبراير، القاهرة.
٨. العبسري، ع. ١٩٨٧م. الصيام والصحة النفسية، الفيصل، العدد ١٢٣، الرياض.
٩. الغزالي، أ. إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص ١١٦.
١٠. القيشاوي، ف.ع. ١٩٩٦م. الصيام المفترى عليه، المنهل، العدد ٥٢٩، جدة.
١١. القطان، م. ١٩٨٩م. فطام النفس، الحرس الوطني، أبريل، الرياض.
١٢. حسين، أ. وعبدالخالق، م. وعبدالعال، ج. ١٩٨١م. صباح الخير أيها الغضب، طبيبك الخاص، مايو، دار الهلال، القاهرة.
١٣. حلاوة، ح. ١٩٩١م. الغضب، الناس والطب، العدد ١٧، القاهرة.
١٤. سبع، ت.م ١٤٠٥هـ. الصوم نبع سكينة وسلام، الوعي الإسلامي، العدد ٢٤٩، الكويت.
١٥. شندلر، ج. ١٩٩٧م. كيف تعيش ٣٦٥ يومًا في السنة؟ ترجمة إسماعيل مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
١٦. عبدالقادر، م.م. ١٩٨٦م. أحاديث طبية في شهر رمضان (الصيام غذاء وشفاء)، دار أخبار اليوم، القاهرة.
١٧. عبده، ع. ويحيى، ا.ا. ١٩٨٨م. حقيقة الإنسان، دار المعارف، القاهرة.
١٨. عكاشة، أ. ١٩٧٣م. ماذا يحدث في جسمك عندما تغضب؟ طبيبك الخاص، مارس، دار الهلال، القاهرة.
١٩. فاضل، خ. ١٩٩٢م. كيمياء السعادة والألم، العربي، العدد ٤٠٣، وزارة الإعلام، الكويت.
٢٠. قطب، س. في ظلال القرآن، الجزء الأول، ص٣٧٣.
٢١. كوت، أ. وإيجل، ج. وبو: ي. ١٩٨٢م. الصوم الطبي النظام الغذائي الأمثل، ترجمة فاروق آلبيق ومحمد الحمصي، مؤسسة الإيمان، بيروت.
٢٢. هاشم، أ.ع. ١٩٨٢م. رمضان والطب. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.



هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهراً للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س إذا بحثنا عن التميُّز والتقدم لأطفالنا في الغد، فلابد من معرفة ثقافتهم. ترى من المسؤول عن ثقافة الطفل: البيت أم دور التعليم؟

عكاشة آدم أحمد هرساوي
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ص.ب ٦٨٥٩، الظهران ٣١٢٦١.

إن الطفولة هي أمل المستقبل وصانعة الغد، ولهذا يجب أن نهتم بأطفالنا؛ وذلك بإعطائهم حقوقهم ورعايتهم حق الرعاية حتى ينعموا بحياة سعيدة، وحتى نضمن نهضة ورخاء وتقدمًا لمجتمعنا.

لقد وجَّه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان اهتمامًا خاصًا إلى الطفل وحقه في التعليم والتربية والثقافة التي تنمِّي شخصية الفرد، وترمي إلى تعزيز احترام الإنسان، وتنمية التفاهم والتسامح بين جميع شعوب العالم. كذلك أصدرت الدول العربية ميثاق حقوق الطفل العربي انطلاقًا من عقيدتها، ومن حقيقة أن الوطن العربي هو مهد الديانات وموطن الحضارات والثقافات ذات القيم الإنسانية السامية التي كرَّمت الإنسان.

ومن الحقوق الأساسية التي تضمَّنها ميثاق حقوق الطفل العربي: تأكيد حقوق الطفل في التعليم والتربية والثقافة في مرحلَتَي ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي ـ كحد أدنى ـ، وتنشئته على التفكير العلمي والموضوعي.

كل هذا يؤكد ضرورة الاهتمام بتربية الطفل وتثقيفه كحق من حقوقه. ولكن هل يكون ذلك مسؤولية البيت أم دور التعليم؟

نؤكد في الإجابة عن هذا السؤال أن ثقافة الطفل هي مسؤولية البيت ودور التعليم وجماعات الأقران (الأصدقاء) وكل المؤسسات المجتمعية الأخرى.

تتولى الأسرة الطفل عندما يولد بالرعاية والعناية والتربية والتثقيف لأنها هي المسؤول عن ذلك قبل أن يذهب إلى المدرسة ويحتك بجماعات الأقران ومؤسسات المجتمع. وتوفِّر الأسرة له كل هذا من خلال نقل المعارف والخبرات السابقة المختلفة، لأن الثقافة ما هي إلا ذلك التراكم المعرفي والخبرات التي اكتسبها الآباء من مواقف حياتية مختلفة، وحلول المشكلات التي واجهتهم، فهم لا يتركون الطفل يبدأ من حيث بدؤوا؛ بل ينقلون إليه كل المعارف وجوانب الثقافة المختلفة بعد تنقيتها من كل ما يتعارض مع القيم الإسلامية والتقاليد وما تعارف عليه المجتمع؛ حتى يشب الطفل واعيًا الجوانب الثقافية الإيجابية، ويضيف إليها من رصيده ـ كلما كبر ونما ـ ما يُغني هذه الجوانب إن شاء الله.

ولتحقيق ذلك يجب على الأسرة أن تعمل على مساعدة الطفل وتوجيهه وتقديم الإجابات الصحيحة الشافية عن كل ما يعنُّ له من أسئلة يحاول من خلالها اكتشاف البيئة المحيطة به، أو البيئات الخارجية الأخرى. كذلك يجب أن تهيئ له الفرص المناسبة والمواقف التي يستطيع من خلالها أن يكتسب بنفسه خبرات جديدة تُعينه في المواقف الحياتية اللاحقة.

ويجب أن تعمل الأسرة أيضًا ـ خلال المراحل المختلفة من عمر الطفل ـ على تنمية قدراته على القراءة النقدية والإبداع والتفكير العلمي وخطواته حتى لا يكون نمطيًا في حياته وتفكيره.

وبعد أن ينمو الطفل ويصل إلى سن المدرسة والاحتكاك بجماعات الأقران والمؤسسات الأخرى في المجتمع؛ يجب على

الأسـرة ألا تتـخلى عن دورها، بل يجب أن تشـارك المدرسـة والمؤسسات الأخرى.

وفي المدرسة ودُور التعليم يتم تقديم المعلومات والثقافة في صورة مناهج دراسية تناسب العمر العقلي والزمني للطفل. وهنا يجب أن نؤكد أن مصمِّمي المناهج ومُعِدِّي البرامج التعليمية والمعلمين أنفسهم يجب أن يهتموا بتقديم جوانب الثقافة المختلفة في صورة متكاملة، وألاَّ تُركز طرائق التدريس على التلقين والحفظ الذي لا يؤدي إلا إلى إنشاء مواطنين غير قادرين على التفكير العلمي أو التحليل النقدي أو الإبداع، أو حتى على مواجهة المشكلات التي تقابلهم في الحياة.

كذلك يجب أن تهتم المدرسة أيضًا بالجوانب الوجدانية والمهارية قدر اهتمامها بالجوانب المعرفية لدى أطفالنا؛ فكما تركز على المعلومات والمعارف، عليها أن تنمي لديهم القيم ومحاسن الأخلاق، وحب الوطن والاتجاهات الإيجابية، ونبذ الحقد والكراهية. كما يجب أن تعمل على ترسيخ الجوانب المهارية، وإكساب أطفالنا المهارات اليدوية والعقلية المختلفة التي تفيدهم وتخلق منهم مواطنين صالحين يقومون بدورهم في المجتمع على أكمل وجه.

إن مثل هؤلاء الأفراد هم الذين يستطيعون تحقيق النهضة والتقدم، وهم الذين تقع على عاتقهم مسيرة البناء في القرن الحادي والعشرين.

وخلاصة القول: يجب ألاَّ نقول: إما «البيت» أو «دور التعليم»؛ بل يجب أن نقول: إن البيت وجماعة الأقران ودور التعليم ودور العبادة ومؤسسات المجتمع كلها تشارك في ثقافة الطفل، وإنه لمن الضروري أن يتم ذلك بينها في تعاون وتنسيق وانسجام، حتى يتم تحقيق الهدف الأسمى، وهو التميز والتقدم لأطفالنا في جميع جوانب الحياة.

د. أحمد حسن محمد سيف الدين

أرى أن المسؤولية مشتركة؛ فكل من البيت والمدرسة يقتسمانها مناصفة، وإن كنت أميل إلى إعطاء الدور الأكبر للبيت.

إن البيت هو التربة التي تنمو فيها الأجيال، ولا صلاح لطفل في بيئة غير صالحة، وغير مؤهلة لأن تعطيه ضرورات العقل من المعارف الصحيحة، والتفسيرات المناسبة المقنعة.

إن الثقافة هي مجموع المعارف المتراكمة في نفس كل منّا، وبقدر صحة هذه المعارف وتنوعها وغزارتها يكون الفرد منّا مثقفًا، والعكس صحيح.

الطفل الذي يشب في بيت يهتم بالمعارف، والأمور العامة، والاستماع إلى المفيد من القول، ومناقشته بين الأب والأم، والإخوة الأكبر منه سنًا، يختلف - بلا شك - عن طفل آخر يشب محرومًا من كل هذه الأمور.

الطفل الذي يشب في بيت يصحح له معلوماته وينميها، ويصحح له أخطاءه ويبيّن له سرَّ خطئها، ويتابعه في سير دراسته، يختلف عن طفل تأتي إليه المعلومة مصادفة، ولا يجد من يفسرها له، أو يرشده إلى الصواب.

إن البيت - كما أرى - هو المسؤول الأول عن كم المعارف المختزنة في عقل الطفل الباطن والواعي، وهو المسؤول أيضًا عن كيفها، وهو وحده القادر على أن ينتج طفلاً صحيحًا، عقليًا ووجدانيًا، يكون قادرًا على استشراف آفاق الغد بكل احتمالاته.

أما المدرسة، فدورها لا يقل أهمية عن دور البيت، بل تحل المدرسة في كثير من الحالات محل البيت أيضًا؛ عندما تكون منابع الثقافة المنزلية جافة أو متخلفة. لكن المدرسة - كما أرى - مقيدة بأغلال المناهج الدراسية، ونوعية المدرس الذي يقدم المعلومة للطفل، فالمناهج التي تُقرُّها كل دولة لتلاميذها تشكل الأعمدة الرئيسة لمستقبل التعليم والثقافة فيها، وغير خافٍ ما تفعله مناهج تعتمد على اجترار المعلومات، وجعل الطفل مجرد صدى لأقوال الآخرين دون إعمال للعقل فيها! وفي المقابل نجد مناهج أخرى كل همها أن تشعل في عقل الطفل ووجدانه مبادئ الفهم والاستيعاب، والمناقشة والنقد البنَّاء، والتنافس الحر الشريف في سبيل الوصول للأفضل.

أما المدرس، فدوره كبير في إنارة وجدان الطفل وعقله، أو إطفائه وخموله؛ وهذا يعتمد على مقدار فهم المعلم نفسه لما يقدمه للطفل، وفهمه لدوره الحقيقي في التوجيه والإرشاد، وليس مقتصرًا على صب كم المعارف دون تفسيرٍ أو توضيحٍ أو شرحٍ أو نقدٍ أو إضافة إليها.

إن فاقد الشيء لا يعطيه، وكثير من معلمينا يفتقدون كثيرًا مما سبق، وهم في أشد الحاجة إلى دورات مكثفة حقيقية للوصول بهم إلى الحدّ الأدنى - على الأقل - مما يجب أن يكون عليه المعلم.

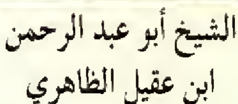
من هنا أرى أن البيت هو عماد الثقافة والفكر، وأن دور الأسرة دور فاعل وخطير في تشكيل مستقبل الطفل.

أما المدرسة فيأتي دورها في المرتبة التالية لدور البيت لكل ما سبق.

د. عبدالحميد عليوة مسعد







قال أبو عبدالرحمن: موضوع هذه الظاهرة شاعر عامي هو ابن لُعْبُون (ت:١٢٤٧هـ/١٨٣١م)، وما استعصى من شعره على فهم كثير من المدققين فسببه: إغراب منه، أو جهل من الشارح، أو خلل في الرواية سماعًا، أو خلل فيها تقييدًا؛ إما بتحريف؛ وإما بتصحيف، وإما باجتهاد خاطئ؛ وإما بتصرف عن عمد لنسيان الرواية الصحيحة في السماع أو استغرابها وعدم فهمها، ولعدم وضوح الرسم في المكتوب أو لاستغرابه.. فالعهدة على الشاعر، أو الشارح، أو الراوي.

والحاحي على ظاهرة «منهج النقد التفسيري التعاوني»، الذي بلورته في كثير من مباحثي، أنتج لي أن ابن لعبون نموذج وليس أوحد؛ لأن له نماذج من شعراء الفصيح والعامي.

ولم يعمر ابن لعبون إذ عمره اثنان وأربعون عامًا، ولا ريب أن تلقيه العلم وتأدبه بوالده انتهى منذ رحيله إلى الزبير وعمره سبعة عشر عامًا فحسب - وهو زمن قليل للمتلقي -. والتحم بمجتمعه الخاص بالزبير، ولا يُؤْثر أنه اتصل بعلماء البلد وتلقى عنهم، وإنما انهمك في الفن والشعر والعشق.

فالانقطاع للفن والبطالة في مجتمع متمدين (في الحياة العادية لا في التحصيل العلمي) سبب يُعَلَّل به ما في شعر ابن لعبون من ضعف.

والموجود من شعر ابن لعبون لا يمثل شعره كله، بل ضاع منه ما يستوي الاحتمال في تقدير كثرته أو قلته.. إلا أن من المتيقن ضياع جميع شعره قبل رحيله إلى الزبير.. ولاسيما شعره المتبادل بينه وبين الأمير عمر بن سعود.. إلا أن احتمال ضياع شيء من شعره لا يعني احتمال ضياع الأجود؛ لأن الرواية في العادة استقصاء، أو انتقاء.

قال أبو عبدالرحمن: وإنك لتعجب من شعر ابن لعبون كأنه صادر عن عدة شعراء لا عن شاعر واحد؛ فتجد الشعر العبقري، وتجد الشعر الضعيف، والمعنى المتكلف، والمعنى المدَّعَى على اللغة.. والسر في ذلك أن لابن لعبون حياة يومية عادية مع مجتمع غناء وعشق لا يهمه جودة الشعر، وإنما يهمه جودة الغناء واللغة والثقافة المحلية المشتركة لمجتمع غرام وغناء أمي.. ثم تضطره مشاركة المجتمع الأعم بشعر تسير به الركبان، فيتألق من فضل موهبته، وما لديه من ثقافة أدبية فصيحة وعامية لم ينمها ويوسعها.. فإذا أوشك على ضيق العطن أغرب على مجتمعه بلغة شعراء الفصيح ومعانيهم.

وأول ظاهرة لتثقف ابن لعبون بشعر الفصيح استحلاؤه بكاء الأطلال والديار، أو تقديم التحية لها على سنة الفصحاء.. وتجد بعد ذلك ملامح من مأثور الفصحاء في شعره كقوله عن الحمام:

بالصوت يلعي عليها ناس
متذكر فايت علومك

وعلوم الحمام التي فاتت (أي مضت) هي أسطورة الهديل.

ونجده يدلي بثقافته في الحديث الشريف على سنة أهل البديع فيقول:

حديثه بالهوى تروي صحاحه
ضعيفات النسايم بي ترنّ
عن الضحاك عن مبسم اقاحه
عن البراق عن ثغره روني

كما نجده يشير إلى بعض المأثور إدلالاً بثقافته على جيل عامي كقوله:

يافن كما تافي عهود السمول

ومن إشاراته إلى الشعر الفصيح إيماؤه إلى قول امرئ القيس في المعلقة:

كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل

وذلك في قوله في رباعيته:

وبقيت به طرب بالاحباب ماسل
عن لذة الكندي على ماي ماسل(١)

وأشار إلى قصيدة «بانت سعاد» بقوله في مربوعته:

خراعب اللي وصفهن بان بسعاد

وأما لغة ابن لعبون فقد أحيا ألفاظًا ومعاني فصيحة لم تكن تعرفها العوام، ولم تشتهر في شعرهم ومأثورهم قبله إلا أن تندر في شعر عامي قديم مشقف مثل: الزريف، والعطبول، وطالما، والفَرَق بمعنى الخوف، والخَلَد بمعنى البال؛ والدنيف، والوجيف، وغطريف، والغداف، وحم شفاه، واللعس، وأترع، وشَدّه، وخيم، والصريم؛ والغدان بمعنى النعمة واللين، والجداة، والمن بمعنى القطع، والشجي، ووجنة.

وقد يأخذ الكلمة الفصيحة من شعر شاعر، لكنه يوردها بصيغة عامية كما في قول امرئ القيس:

إلى مثلها يرنو الحليم صبابةً
إذا ما اسبكَرَّت بين درع ومجْوَل

ومجول على وزن مفعل بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الواو، فأورده ابن لعبون بصيغة المفعَّل بتشديد الواو.. قال:

غاب الرقيب وطولن التعاليل
عندي كما وصف القماش المجوَّل

والشمول في الفصحى بتخفيف الواو، وقد ضعَّفها ابن لعبون في قوله:

ما يفعله بي من صفاة الشموَّل

وبعض المرات يغرب ابن لعبون بمأثور من الفصيح يكون غريبًا على المثقفين الملمين

بآداب الفصحى كقوله:

وسط عانة تسدي الغزل وتنير

وزود لاهلها بالحياكة تجارة

فمن المرجح لديَّ أن تنير بمعنى تسحر.. أخذه من قول الفصحاء: نوّر.. أي سحر، ففعل فعل نورة الساحرة.

ولعله بمثل هذا، وباقتباساته، وأخذه من معاني الشعر الفصيح: انتقد ابن زهير شعره، فرد عليه ابن لعبون بقصيدته التي مطلعها:

انشدك عن بيض عليهن سراويل

وربما انتقده أيضًا لما في شعره من تضمين - وهو من عيوب القافية -، ولكثرة الضرورات في شعره من ألفاظ قلقة، وتصريفات غير مقبولة، لا في الفصيح ولا في العامي، كقوله عن الغواني: غوانيب، وتعبيره براين عن رائم في قوله:

لكنني من سطوة الله راين

يرميك من قوس المقادير بالبين

وكتعبيره في هذه القصيدة بملاين عن ملايين، وكتعبيره في القصيدة نفسها برجاين عن رجائك، وبماوين عن مائتين.

وقد يأتي ابن لعبون بالمعنى الفصيح بغير اللفظ الفصيح كما في قوله:

علمي بظل حسر فيه نداية

يريد منتديات.. وحسر لفظ فصيح لا تستعمله العامة لمعنى فصيح تعرفه العامة.

وفي جناس ابن لعبون المتكلف في مربوعته على قافية التاء كلمات غير مفهومة مثل مردل ومرعل.. فإما أن تكون الرواية غير محققة، وإما أن يكون ابن لعبون أتى بكلام غير مفهوم.

ومن لغته ما هو هندي الأصل مثل الراية المحورة عن راجا بمعنى عملة نحاسية زهيدة القيمة، وذلك في قوله:

سبحان من يخلف هل الراي رايه

ادعى الذهب صرفه كما صرف راية

وأما أخطاء الشراح فكثيرة، وأصلها شرح الأستاذ خالد بن محمد الفرج (ت: ١٣٧٤هـ) ثم تابعه الشراح، ومن ذلك تفسير الرياشي بالذي يتراءى من بعيد لبعيد، وذلك في قول ابن لعبون:

ما شفت اهل دعواي بالحب مرضى

فيما ادعوا والكل منهم رياشي

قال أبو عبدالرحمن: الصواب أن الرياشي ذو الريش وهو حسن الحال.. هذا معنى الفصحى التي يتعلق بنوادرها ابن لعبون فيُعجز فَهْمَ العامة، وهذا هو المعنى المناسب للسياق، فمُدَّعُو الحب لم يمرضوا، وإنما هم ذوو حال حسنة.. وقال ابن لعبون:

ناموا وانا ما نمت بين الهفاهيف

سهر ولا عاينت كود الهفاهيف

لو شوش افكاري هبوب الهفاهيف

اروت مجاريها ورود وعُطاش

وقد فسر الأستاذ خالد الهفاهيف الثانية بمعنى هي بي.. أي لا شيء.

قال أبو عبدالرحمن: هذا المعنى لا يُعرف في فصيح أو عامي، والأصل في المادة الخفة والسرعة لسير أو صوت، ثم تُوسِّع بها لما لا خطر له كهفيف الورقة في الهواء.

وفسَّر الهفاهيف الأولى بالستائر، وهذا محتمل؛ لأن للستائر هفيفًا، ولأن القميص الرقيق يسمى هفهافًا.. والأرجح أن الهفاهيف الأولى الأصوات والضوضاء، والهفاهيف الثانية موجودات جمادية لها هفهفة، والهفاهيف الثالثة الريح.. وبعد هذا كله فالمربوعة من الجناس المتكلف.

وبعض الشراح يفسر المفردة بما لا تدل عليه اللغة.. لا في الفصحى، ولا في العامية، وإنما يتوهم المعنى من السياق ككون الصفة ذميمة، والشاعر ينفيها عن الممدوح، فيأتي الشارح ويفسر المفردة بما يدل على الذم، كيفما اتفق، كقول ابن لعبون يمدح ابن ضاحي: «ذخري ملاذي وإن جذا كل سرسوب»، فقد فسر خالد الفرج السرسوب بالرجل اللئيم.. والأقرب أن يفسرها بالرجل الخالي من الخصال الحميدة، وهو دون اللئيم؛ لأن هذا سلبية في الخير، واللؤم إيجابية في الشر.. شبهه بالسريب الذي لا يغني.. والعوام تقول: الدلة تسرسب إذا لم يبق فيها غير السريب.. ولكن هذا المعنى الصحيح في لغة العوام غير راجح هنا؛ لأن العاطل إذا جذا لا يرتد هجاؤه بفخر على الممدوح إذا أقدم.. بل يمدح إذا أقدم وقد جذا الأبطال؛ لذا رجَّحتُ أن الصحيح «سرحوب» الفصيحة، وأنها من إضافات ابن لعبون إلى القاموس العامي من المطمور من الفصحى.. والمراد الجواد السريع.

ومثل ذلك تفسير خالد الفرج للنوس بمعنى التجفيف، وذلك في قول ابن لعبون:

تنوس الهبايب في مغانيه بالسفا

كنوس الهواجس عقب هذيك الاسلاف

وهذا التفسير لا يُعرف في عامي أو فصيح، وإنما المعنى تتحرك باضطراب، وقد أخذه ابن لعبون من الفصحى التي لا تعرفها العامة، وإنما يعرفون: ينوس المنازل بمعنى يمر بين الحين والحين، وهو قريب من المعنى الفصيح.

ومن التفسيرات الخاطئة تفسير الحاتم الحراجيج بالسريعات؛ لأن المراد الضامرات الشديدات.

وعن قول ابن لعبون: «مثل النعام بخبة الخال مرعوب» فسر الشراح الخبة بالخبب، وهو نوع من السير.. وإنما المراد الطريقة من الرمل.

وعن قوله: «غدرا شبوبه ساريات النحاحيب» فسرها بعضهم بمعنى ألقى بيرده.. وسبب هذا التفسير أنه أورد البيت هكذا: غادر شبوبه!!.. ومع فساد الرواية فليست غادر بمعنى ألقى.. لا في فصيح، ولا عامي!

وغفلة الشراح عن المعنى الفصيح لدى ابن لعبون جعلهم يقعون في أوهام لدى الشرح كتفسير خالد الفرج «المسنجف» بالمطرز في قول ابن لعبون:

تفرش لهن مسنجف الزل بتخوت

وإنما أراد المعنى الفصيح، وهو المستور من مادة «سجف».

وكتفسير الفرج «الخزاري» بأنها نوع من الحلي، وإنما هي من القماش في الفصيح والعامي.

وفي قصيدة ابن لعبون التي مطلعها:

يا ركب ما سرتوا بيوسف ليعقوب

قبل الفجر يتباج والليل غريبب

نماذج لأخطاء الجماع في الرواية، وشرح المفردة، وتفسير المعنى الإجمالي.. وهي نماذج حافلة.

وكذلك القصيدة التي مطلعها:

لو بى اتمنى قلت ياليت من مات

حيث الطرب ومزاح الاحباب فاته

وشرحي لشعر ابن لعبون في كتابي الذي أفردته له غني بالنماذج من أخطاء الشراح.. وقال ابن لعبون:

في مثلها يبلاك بلواي يا هي

ان كان انا اسهر وهو غط ياهي

وافتر في مغناك بصدود وورود

وسلمت بك ديباج وجهي وياهي

فسر الأستاذ خالد الفرج «ياهي» الأولى بمعنى كلمة نداء للتحقير، والثانية بمعنى نائم.

قال أبو عبدالرحمن: كل ذلك غير معروف في لغة العرب الفصحى والعامية، والصواب أن الأولى للتعجب على التقدير.. أي يا هي بلوى!! أي ما أعظمها!.. والثانية بمعنى متعب،

أي نام واهيًا.. والثالثة أصلها جاهي على إبدال الجيم ياء.. وقال ابن لعبون:

موريات يا السديري بالرضاف

ورية الوقاد للقدر الرهيف

فسرُّوا الرضاف بالموالاة والتواتر.. وهذا دلالة سياق لا معنى مفردة، وإنما الرضاف الحصى المفروشة يُحمى عليها.

وقال ابن لعبون:

عينت ثاقب أخذته بنت بنقير

شقحًا ظهيرة داخليه طهارة

وقد فسر الطهارة ببيت الخلاء!.. قال أبو عبدالرحمن: إنما الطهارة ما يقتضي تطهيراً من قذر وحيض، وذلك من أدب التعبير عن المستقذر بضده..

وقال ابن لعبون:

وبالعون مابك عقب شعرك تجارة

قال الفرج: بالعون كلمة تأكيد كالقسم.. قال أبو عبدالرحمن: إنما هي اختصار ياعونة الله، والمعنى بعون الله، فمآلها لفظًا إلى القسم، ومعناها اصطلاحًا النفي باستثناء.. أي ما بك تجارة إلا بعون.. وهي استثناء يعني الاستبعاد.. هذا هو مألوف جيل العوام في قول هذه الجملة.. وقال ابن لعبون:

تقول عذراهم عسى الستر فاله

ما كل رجال اشوفه برجال

قالوا في الشرح: كلمة تقال للعذراء من الفتيات.

قال أبو عبدالرحمن: إنما يقال ذلك للنساء.. وإنما المراد هاهنا الرجال.. يقال للرجل حالة تحقيره وتشبيهه بالنساء، فيدعى له بالستر كما يدعى لهن.. وقال ابن لعبون:

احسب رفيقي يستحي من ظلاله

واثره الى شاف المواليم خيال

فُسِّرت المواليم بالفرص.. قال أبو عبدالرحمن: هذا صحيح في غير هذا السياق؛ لأن اهتبال الفرص صفة مدح.. والسياق هنا سياق هجاء، فالمراد إذن المعنى الآخر للكلمة؛ وهو الولائم جمع وليمة كما قال حميدان الشويعر:

يحب الكامد والجامد

من مال غيره الى ايتلما

وقال ابن لعبون:

حيثه مدير للقنازع وفتال

قالوا في الشرح: القنازع الرؤساء.. قال أبو عبدالرحمن: بل القُنْزُع الفتى الخفيف السرع النَّدْب.. وقال ابن لعبون:

ركب الرديف وراعي الكور حول

فجاءت عند محمد سعيد كمال: وكُب بالواو مشكلة بضم الكاف وتشديد الباء.. فالضبط متعمد وليس تطبيعًا.. قال أبو عبدالرحمن: إنما هي بالراء، والجملة مثل سيار معروف.

وقال ابن لعبون: يا ركب ويلاه من سيف كسيف.. فسروا الكسيف بالرديء، وادعوا تحريفها عن كثيف.. قال أبو عبدالرحمن: المعنى ضيق العيش.

وقال ابن لعبون: خطلان الأيدي كالأسود الهزابير.. فسروها بطول الأيدي.. قال أبو عبدالرحمن: هو طول وارتخاء، ومعنى الارتخاء هو المُراعي؛ وعكسه قبض اليد.. والجملة كناية عن الكرم.

ويقول ابن لعبون: مالون يا قلب دوى به جراح.. ويفسر الفرج جملة مالون بأنها كلمة إعذار وعتب.. قال أبو عبدالرحمن: إنما هي «مالوم».. أي لا لوم عليه.. والعوام يعاقبون بين النون والميم كما يعاقبون بين النون والدال في مثل كود بمعنى غير، فيقولون: كون.

وقال ابن لعبون: مطفي حرارات الجوى والمشاحي.. ففسر الفرج المشاحي باللوم.. قال أبو عبدالرحمن: المشاحي الآفاق البعيدة، وأراد التعب الحاصل عن السير فيها. وقال ابن لعبون:

ريف الضعيف الى ثوى به وطاح

دهر قطع للمشوي له وله زاح

قال الفرج: «من قطع ثناه إذا ضرب عرض [يعني عرضًا]، أو قطع ذكره وعفا أثره».. ثم تابعه الشراح كالعادة بنقل اللفظ نصًا بلحنه.

قال أبو عبدالرحمن: إنما أراد قطعه الدهر من أثنائه.. وهذا أحد المعنيين المحتملين، ولكن تكلف التشريع البديعي جعله يتصرف في البناء.

وشبيه بالتفسير الخاطئ الضبط الخاطئ للفظ غير مفهوم كما في رواية الفرج:

العيب من ذار الخمر والحجارة

ثم جاء محمد سعيد كمال وضبطها بضم الخاء كأنه يحيل إلى معنى معروف.. وإنما هي الخمر بفتح الخاء، وذار تحريف لدار.

ومن التحريف الوارد في المطبوع قوله:

ما هوب طوع داع ليه صبابة

خلي هم والتعب به صبابة

لو ناسمونا ذاير له صبابة

ذيك الحباري كان لانا ولا هي

وقد نص الأستاذ خالد الفرج على أن هذه الرباعية لا تخلو من تحريف، ومعناها غامض.. وأما ابن عواد فكان في مخطوطته يتصرف من قبله، وقد رسم الرباعية هكذا:

ما هوب مثلي طوع راعي صبابة

لو نسم ادنى ذار بي له صبابة

خلي هم وانصب للامة صبابة

ذيك الحبارة كان لانا ولا هي

قال أبو عبدالرحمن: هذا كلام غير مفهوم ولا موزون.. وعند ابن حاتم: داعي لي صبابة.. والتعب بيه.. لو سنم ادنى داري لي صبابة.. وعند ابن دخيل:

ما هوب طوع طايع له صبابة

خل هماه والصب همه صبابه

لو سيم ادنى ذاري له صبابه

ذيك الحبارة كان لاني ولا هي

قال أبو عبدالرحمن: كل هذا هذر غير مفهوم.. ومن هذه الروايات ومن دلالات السياق يترجح أن الصواب:

ما هوب طوع داعي له صبابة

وما بعد ذلك فهو على الغموض واليقين بالتحريف.. ومع التحريف المحتمل، فالقصيدة ضعيفة متكلفة الغرض والمعنى مثل قوله:

قالوا تعال وجيت ابى اشوف ويلاه

متوحد يعبد حسانيه ويلاه

وابليت عمري في مراميه ويلاه

من ضيع الدنيا ودينه سوى هي

فجعل انفرادها بالحسن عبادة منها لحسنها، وجمع الحسن على الحساني.. وهذا الجمع عند العوام إنما هو بمعنى الحسنات.. وأوهم الشطر الأخير أنها ضيعت دينها ودنياها، وإنما أراد أنها ضيعت دنياه هو ودينه.

والأولى: وإذا هو، والثانية: ويلاهي بمعنى يلهو.. والثالثة أصلها ويلاه.. من الويل للتوجع والتلهف.

ومن العجيب قول خالد الفرج: يعبد حسانيه ويلاه.. أي عتقاءه ويلهو بهم!.

الهوامش:

١- ما سل الأولى بمعنى: ما أسأل.



الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي

الثّقافة يجب أن تنبع من ذات الأمّة وتراثها

أجراه: محمد الصادق عبداللطيف

هو ناقد أسهم بجهد وافر في الكشف عن الظواهر الأدبية، واستطاع أن يحدد ملامح الدراسات الأدبية بأبعادها النقدية والنظرية، وتمكّن بثقافته الموسوعيّة أن يقدّم آراء ونظريات عن الجذور العربية. هو عالم موسوعي، له طموح علمي حقّقه في كتبه التي ألفّها، وفي الرسائل الجامعية التي أشرف عليها. يُطلق عليه في مصر «عاشق المعرفة» وفي المغرب العربي «الجاحظ المعاصر». وهو مهتم بشؤون الفكر والأدب. كتب في الدين والتاريخ، وفي الأدب، وفي النقد والنصوص، وفي التفسير والحديث، وفي البلاغة والنحو واللغة، ومختلف الدراسات الإسلامية.

وللغوص في أعماق هذا المفكّر كانت هذه المطارحة الأدبية، وكان هذا البوح لقراء المجلة الأعزاء بالحوار مع وجه من وجوه الفكر الشامل.

ـ التراث.. ماذا يعني في نظركم هذا الكنز، وما أثر ذلك في الثقافة الإنسانية والعربية على الخصوص؟

* التراث العربي ذو تاريخ عريق وفكر أصيل وضوء باهر، منير للعقل البشري، تراث خلّفه أسلافنا العلماء والمفكرون والفلاسفة والأدباء والشعراء والفنانون، باللغة العربية، تراث عظيم له تاريخه وكيانه وقيمته، وله خطره وأثره في الفكر الإنساني.

تراث يجيء بعد تراث الأمم القديمة: تراث مصر القديمة، تراث الإغريق، تراث الهند، تراث الرومان والصين، ولكنه يمتاز منهم جميعًا ببقاء اللغة العربية التي كُتبَ بها حية مقروءة، لأنها لغة القرآن، تراث فيه القرآن الكريم وفيه تراث أعلام الفكر الإسلامي العربي، تراث خالد يتوّجه كتاب الله بتاج الشرف والعزة والجلال والخلود، تراث يستند عبر الزمن إلى العصر الحديث، تراث مجيد يجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين العراقة والتجديد، بين الفكر والأدب، بين العبقرية والخلق، بين الروح والسلوك والأخلاق والعقائد والتشريع والفن.

ـ ولكن كيف يتم إيصال هذا التراث؟

* إن أغلب التراث العربي يحمل وسائل النهضة والتجديد والبناء، لذا علينا:

أولاً: العناية بتحقيق التراث.

ثانيًا: العناية بتصوير المخطوطات العربية ونقلها تمهيدًا لتحقيقها ونشر كنوزها.

ثالثًا: قيام دراسات علمية واسعة حوله.

ـ هل للتراث دور في حياتنا المعاصرة؟

* الاهتمام بتاريخنا الحضاري وانتمائنا العربي يجعل كلَّ أديب مبدع مشدودًا إلى قراءة التراث والاستفادة منه ومن التأثر به، والامتزاج بأنسجته وبطاقته الوجدانية والفكرية والعلمية.

ـ وإحياء التراث.. ترى هل يوجد اهتمام بهذا المخزون وكيفية الاستفادة منه آنيًا؟

* إحياء التراث ضرورة من الضرورات

الأكيدة. والتراث العلمي هو جزء من هذا التراث، ونهضتنا المعاصرة تحتاج إلى هذا التراث العلمي الذي خلفه لنا العلماء العرب؛ ألم يكن هو سر نهضة أوربا وحضارتها، ومن منّا لا يعتز بالجاحظ والكندي والفارابي وابن سينا؟ التراث في أخص تحديد له هو كلّ ثروتنا من مبادئ حضارية ونصوص ووثائق خطيّة وكتب ولوحات فنية...إلخ.

لقد تعرض هذا التراث لحملة مخطَّطة من الاستعمار وأنصار التغريب بإثارة الشبهات حوله ورميه بالانتقاص بهدف قطع حاضر الأمة عن ماضيها، مُدَّعين أن سبيل النهضة هو تجاهل هذا الماضي الذي ذهب ومات. إن المعرفة بتاريخنا وتراثنا تغذي في أبنائنا شعورهم بكيانهم، وتقوّي تمسّكهم بجذورهم، وتجعلهم يحافظون على تماسك الحلقات التي تربط الماضي بالحاضر.

ـ والنقد يعتمد على مناهج ومدارس، وفي العربية يعتمد على مدرسة البلاغة.. ما أسس هذه المدرسة؟

* هناك أكثر من نظرية نقدية نستطيع أن نجدها عند نقّادنا العرب القدامى، مثل: نظرية البديع في كتاب «البديع» لابن المعتز، ونظرية النَّظْم في كتاب «دلائل الإعجاز» للجرجاني ونظرية المعنى في كتاب «نقد الشعر» لقُدامة، وغيرها من النظريات التي لم نشعر بأهميتها إلا بعد أن طُبعت هذه الكتب وأحدثت أثرها في جيل النقاد المحدثين. والجاحظ بشّر بالأدب المقارن في كتابه «البيان والتبيين» حين ذكر صوراً من بلاغة العرب ووازنها بصور من البلاغة الفارسية والهندية، فكأنه كان يبذر بذور هذا الأدب المقارن الذي قُنِّن اليوم في الآداب الغربية، وكان نتاج هذه الموازنة لونًا من ألوان الأدب المقارن الذي لم يعرفه الغرب إلا في القرن التاسع عشر.

ـ وما أهم ملامح هذا المذهب وعناصره؟

* ـ لقد لقنهم الحداثة والمذاهب النقدية الحديثة وقيمتها والاستفادة منها والرجوع إليها.

ـ الكشف عن النظريات النقدية وإفرادها بالبحث (النظرية العمودية، نظرية النَّظْم والإعجاز، نظرية البديع، نظرية الطبقة، نظرية الفحولة الشعرية).

ـ تحليل المضامين النقدية الحديثة من تجربة وصدق فنّي وصورة وموسيقى في ضوء التذوق الفني للنص الأدبي.

ـ الكشف عن شخصية الناقد الأول في أدبنا العربي القديم وإزالة الغموض عنها.

ـ ماذا تعني الثقافة عندكم؟

* الثقافة في حضارة أية أمّة يجب أن تشعّ من ذاتها وشخصيتها وتراثها، وإذا اعتمدت على الثقافات الخارجية فهي لا تستطيع أن تساير ذوق الأمة ومشاعرها ووجدانها.

ـ والنقد والتواصل الأدبي وحركة الشعر اليوم!

* التواصل الأدبي أمر حتمي لحياة الأديب ونهضته ولرفع مستوى الأدباء وتكريم منزلتهم الأدبية، يتضح ذلك في المهرجانات الأدبية، وفي الندوات الفكرية والأمسيات الشعرية، وفي الكتب والدواوين والمجلات التي تحمل أفكار الأدباء وآراءهم في مختلف شؤون الفكر، ممّا يؤدي إلى تفاهم الأدباء حول كل مشكلات الأدب والنقد والشعر، واتفاقهم حول القضايا الأدبية التي تقتضي قيامهم بحمل المسؤولية حيال مستقبل الأدب.

الشعر والنقد توأمان: الشعر صَاحِبَ النقد، والنقد صَاحَبَ الشعر، والشعر والنقد وجهان لعملة واحدة.

الجاحظ بشَّر «بالأدب المقارن» في كتابه «البيان والتبيين» حين ذكر صوراً من بلاغة العرب ووازنها بصور من البلاغة الفارسية والهندية!


محمد عبد الغني حسن — د. أحمد زكي أبو شادي

أنا أرفض أن يقال عن الشعر العمودي: إنه شعر تقليدي لأن هذه التسمية ابتدعها فريق للإساءة إلى العربية وإلى تراث العرب الشعري. الشعر العمودي ليس مرادفًا للتقليد أو التقليدي، إنه شعرنا الأصيل الذي اهتز له الذوق العربي على مرِّ الأجيال، ولا تزال جماهيرنا تهتزّ له وتصغي. أما الشعر الحديث فلن تجد له صدى عند أية أذن عربية، وكل الشعر الحديث سوف تمحوه الأيام. هل نقول عن قصائد المتنبي وابن الرومي والمعري إنها شعر تقليدي!

وليعلم القراء والدارسون أنني لن أستطيع أن أمحو تراثًا شعريًا ذاك الذي كتبه الشعراء العرب خلال مئات السنين لإنتاج شعري جديد لا يزال تحت التجربة وعمره أقل من نصف القرن، وقد رفضه من قبل العقاد وصالح جودت وعزيز أباظة ومحمد عبدالغني حسن ومختار الوكيل ووديع فلسطين وسواهم.

ـ ورابطة الأدب الحديث ما ركائزها في العالم العربي اليوم؟

* لم تنشأ الرابطة من فراغ، فقد كانت امتدادًا لمدرستين عريقتين هما:

أ ـ مدرسة أبولو التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبوشادي وترأسها أمير الشعراء شوقي، وكانت ترمي إلى: السمو بالشعر العربي وتوجيه الشعراء توجيهًا شريفًا، ومناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر، وترقية مستوى الشعراء ماديًا وأدبيًا واجتماعيًا والدفاع عن كرامتهم.

ب ـ مدرسة رابطة الأدباء التي يرأسها الدكتور إبراهيم ناجي حيث نجحت لتكون

الثقافة يجب أن تنبع من ذات الأمة وتراثها

الضيف في سطور:

- هو محمد بن عبدالمنعم بن عبدالمنعم بن خفاجي بن سليمان بن حسن بن مصطفى بن أحمد الخفاجي.
- ولد في تلبانة مركز المنصورة في ٢٢ يوليو/ تموز ١٩١٥م - ١٠ رمضان ١٣٣٣هـ.
- نال شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر عام ١٩٤٦م، برسالته عن الشاعر العباسي عبدالله بن المعتز.
- عين رئيسًا لقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية ١٩٧٣م، ثم عميدًا لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع أسيوط ١٩٧٤م.
- عين عضوًا في المجلس الأعلى للأزهر، وعضوًا في مجلس جامعة الأزهر ١٩٧٤-١٩٧٨، وعضوًا في لجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب ١٩٧٣م، وعضوًا في شعبة الآداب في المجالس القومية المتخصصة منذ عام ١٩٧٦م إلى اليوم، وخبيرًا في مجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٨٤م.
- نال وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى ١٩٨٣م، وأسس بالاشتراك مع الدكتورين: مختار الوكيل وعبدالعزيز شرف جماعة أبوللو الجديدة ١٩٨٢م، وتولى رئاسة رابطة الأدب الحديث ١٩٨٣م.
- اختير أستاذًا زائرًا في كلية الآداب جامعة الخرطوم السودانية عام ١٩٧٥م.
- شارك في مهرجانات شعرية وأدبية كثيرة في عدد من العواصم العربية والعالمية.
- أصدر سلسلة موسوعة الأدب العربي في مئة كتاب مطبوع، وسلسلة الدراسات الإسلامية في مئة كتاب مطبوع.
- له نحو خمسمئة كتاب مطبوع من بينها: كتب عن الإسلام، وكتب عن النقد، وأخرى في الأدب، وفي التاريخ، وفي اللغة. ومن آخر ما صدر له:

نحو بلاغة جديدة، كيف تكتب بحثًا جامعيًا، خلود الإسلام، فلسفة التاريخ الإسلامي، الفكر الإسلامي، تحقيق ديوان الإمام الشافعي، التفسير الإعلامي للأدب العربي - بالاشتراك مع د. عبدالعزيز شرف -، التفسير الإعلامي للسيرة النبوية - بالاشتراك معه أيضًا -، الإسلام والعصر، موسوعة ألفاظ القرآن، مدارس الشعر، مدارس النقد، أصول النقد، مواكب الحياة، وله تفسير للقرآن الكريم (١٣ جزءًا).

- من دواوينه الشعرية:

وحي العاطفة ١٩٣٦م، أحلام الشباب ١٩٤٩م، أحلام السراب ١٩٦٩م، الديوان الإسلامي ١٩٧٢م، نغم من الخلد ١٩٧٣م، على الضفاف ١٩٨١م، أشواق الحياة ١٩٨٣م، أغنيات من عبقر ١٩٨٧م، نشيد الذكرى ١٩٨٨م، نشيد الصحراء، طبعة ثانية ١٩٨٨م، ملحمة السيرة النبوية الخالدة ١٩٨٨م، أحلام المساء ١٩٨٨م.

واجهة للطيف الثقافي في العالم العربي، والذي انفجر في مطلع الخمسينيات ومهّد للأجيال الواعدة، وهذه كانت كخلايا النحل. ولم تكن الرابطة هي الرئة الوحيدة التي يتنفس بها الأدباء الشبان هواء الثقافة، بل كان لها طابعها المتميّز الذي تحسّ فيه دفء الدّار ولون الجامعة، بل هي للسماع ونقد المسموع، وفيها كان النقّاد يشمّون رائحة المستقبل ويلمحون كل ألوان الطيف الثقافي.

الرابطة تعمل على إغناء الحركة الأدبية المعاصرة وتشجيع النقاد والأدباء والقراء، ومن مظاهر هذا التشجيع رصد جوائزها المادية التي تمنحها للفائزين في المسابقات، وطبع الدواوين والمجموعات القصصيّة وتقويم أعمال الشبان من قبل النقاد الكبار، سواء في شكل ندوات أو كتابة مقدمات.

- وماذا عن الرومانسيّة وعلاقتها بالتراث العربي وبخاصة الشعر؟

* الرومانسية الأوربية فيها خصائص شعراء العرب العُذريين، وفيها أيضًا خصائص القراء الصوفيين، والكلاسيكية القديمة والجديدة كذلك تحمل صفات مذهب العمودية في الشعر العربي (أفسّر العمودية بأنها تلك التي تعتمد على الأصول التراثية في بناء القصيدة). إن في مذاهبنا الكثيرة الغنى، وإني لا أمانع قراءة المذاهب الغربية. لكن لا ننظر إليها على أنها فكر أدبي خارق للعادة ومعجز للفكر العربي النقدي، أنا أراها صورة مصغرة قد تتلاقى مع فكرنا القديم والحديث.

أما الرواية الرومانسيّة فقد شهدت مرحلة ازدهارها في العشرينيات حيث كانت مذهبًا أدبيًا ونقديًا جديدًا يمثل التطوّر الفكري والأدبي في أوربا، فبدأ ظهوره في العالم العربي؛ لكن فكرة الرومانسيّة التي في الزاوية تمثلت في الشعر وفي مدرسة أبولو بالذات، حيث بدأت تنتهي بتأثير التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم كله وبتأثير الأفكار الجديدة وسيادة الواقعية، كل ذلك أدّى إلى تقلص ظل الرواية الرومانسية، لغة الوجدان، ولا أعتقد خلال المرحلة الحالية عودتها لأن الواقع أكبر من الأحلام.

- وعن تجربتك الشعرية والمؤثرات التي بلورتها؟

* تجربتي الشعرية تتمثل لدي فيما يلي وأدرسها في غيري من خلال: ذوق الأديب وموهبته وثقافته وبيئته وحياته، ثم هي مع ذلك تجربة عاطفية عشتها وكتبت فيها أحلى قصائدي.

إن مفهومي للشعر هو أنه حديث الذكريات وأقاصيص الحياة في أوسع نطاقها، ومفهومي للشعر أنه موسيقى الحياة وصورة شعرية قبل كل شيء، ويأتي المضمون الإنساني أو الذاتي أو الوطني مصاحبًا للشكل الفني للقصيدة؛ ومهما اختلفنا في الشعر فلن نختلف حول أنه موسيقى قبل كل شيء.

- نصيحتك للأدباء الشبان والهواة.

* أنصح للشباب بالقراءة خاصة في التراث، قراءة جيدة حتى يكسبوا اللغة وقوالبها ويعتادوا أساليبها وطرائق تعبيرها وأدوات بناء الأسلوب، وإذا كانت هناك صورة للثقافة الأدبية العامة فإني أقول للشبان: إن هذه الثقافة العامة تفتح الأبواب بين الإنسان وعصره، وتضع الأديب على أول الطريق وتضع بين يديه مفاتيح الأدب كلها، ألم يكن العقاد، وهو تلميذ في الابتدائي، يقرأ الأدب الإنجليزي ويترجم منه؟! وأيضًا أنصح للشباب بقراءة أدب التراث (الجاحظ والتوحيدي والهمذاني والحريري) وأن يصحبوا التراث طويلاً، فالتراث هو الوسيلة للتفوق في الأدب والشعر واللغة، والقراءة في التراث هي قوة ملحوظة في اللغة والأدب، ومن دون ذلك لن تجد الأديب الذي ترضى عنه وتحبّه وتؤثره على نظرائه.

تصنيف جديد للأدب الأندلسي

د. أحمد عبدالقادر صلاحية

يمتد الأدب العربي في الأندلس طوال ثمانية قرون ونيّف (٩٢-٨٩٧هـ)، وهي تكاد تطابق وتكافئ ما نعرفه من الشعر العربي في المشرق منذ العصر الجاهلي: قرابة ١٥٠ سنة قبل الهجرة، حتى نهاية العصر العباسي (٦٥٦هـ). فإذا كان الشعر العربي في المشرق قد قُسم أقساماً متعددة واتصف كل قسم من هذه الأقسام بصفات معينة، فمن الخطل ألا يُقسم الشعر العربي في الأندلس - المقارب له زمنيًا - أقسامًا متعددة، ومن الخطأ أن يوصف جميعًا بوصف واحد كما فعل - ويفعل - كثير من دارسي الأدب الأندلسي المحدثين.

إلا أن الشعر الأندلسي يختلف عن الشعر المشرقي بأنه لم يمرّ بمراحل النشوء والنمو وتكوين الشخصية، ثم اصطباغها بالصبغة الإسلامية وتطورها، فقد وفد الشعر العربي إلى الأندلس في ريعان شبابه وعنفوانه، حاملاً تقاليد جاهلية عريقة، وأفكاراً إسلامية، وعصبيات الدولة الأموية؛ لذلك فإننا حينما نتحدث عن أوليات الشعر الأندلسي، فإننا لا نتحدث عن مراحل هلهلة الشعر، ثم إحكام نسجه وزركشته، ولا نتحدث عن مولود خديج ألقي قبل تمام أيامه، أو غير مكتمل الخلق، وإنما نتحدث عن فتى فتيّ زادته الأيام فتوة ونبلاً، أو عن فتاة صبية زادتها البيئة فتنة وجمالاً، وبعبارة أخرى نصف شعرًا ذا تاريخ أصيل أثيل انتقل إلى بيئة سياسية واجتماعية واقتصادية وطبيعية مختلفة فأثّر فيها وتأثر بها، ونجم عن ذلك شعر أندلسي مميز تتشابك فيه خيوط المؤثرات الداخلية والخارجية، وتتمازج في لحمة الشعر وسداه.

وإذا كان التاريخ تسجيلاً حقيقيًا لوقائع الحياة وأحداثها، فإن الأدب تصوير حقيقي أو رمزي أو مُتَخيَّل لبعض وقائع الحياة وأحداثها، وإن كان للحياة السياسية أثر بارز في حياة الأدب، فإن للأدب - أيضًا - أثرًا بارزًا في توجيه الحياة السياسية ولاسيما في الأندلس، إذ كان الأدب سلّمًا لارتقاء المناصب العالية، وكان كثير من الملوك والخلفاء والأمراء ممن يعانون الأدب ويشجعون أهله ويثيبون أصحابه، وكان بعضهم من العلماء والشعراء الكبار كالمعتمد (ت:٤٨٨هـ) وأبيه المعتضد (ت:٤٦١، أو٤٦٤هـ) والمظفر بن الأفطس (ت:٤٦٠هـ). ومع ضخامة أثر الظروف السياسية في الأدب وشدّتها، فإنهما لا يسيران معًا بسرعة واحدة في خطين متوازيين تمامًا، فلم يُزْهِر الأدب بازدهار السياسة توًا، ولم يذبل بذبولها فورًا، فإن قرائح الأدباء ليست رهنًا بها ولا وقفًا على المدح والممدوح، وإن نورها لا يخبو بزوال دولة وقيام أخرى، ولكن الأدب من دون شك يتأثر تأثرًا بالغًا - إيجابًا

وسلبًا ـ وفق اهتمام حكّام البلاد بالأدب أو إهمالهم لـه. وثمة أمر آخر شديد الأهمية هو أن الواقع الشعري في الأندلس قد خالف قاعدة ازدهار الأدب باشتداد عود السياسة، فقد ازداد الأدب توهجًا وصقلاً بضعف الحياة السياسية في الأندلس في إبان تلاشي الدولة الأموية القوية هناك وانقسامها ممالكَ ضعيفة للطوائف المختلفة فيها. لذلك كله فإن الأدب الأندلسي بحاجة إلى دراسة، بل دراسات جديدة، وتصنيف جديد لا يقسر على التصنيف التاريخي المعروف، بل يهتدي به ويتجاوزه ـ بعد الإحاطة به علمًا وفهمًا ـ إلى التاريخ الفني الذي ينطلق من استقصاء الشعر واستقرائه. وإذا كان التاريخ الأندلسي ينشعب إلى خمسة أقسام رئيسة هي:

١ـ عصر الولاة والدولة الأموية في الأندلس: (أ ـ الولاة ٩٢-١٣٨هـ. ب ـ الإمارة ١٣٨-٣١٦هـ. ج ـ الخلافة ٣١٦-٤٢٢هـ).

٢ـ عصر ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٨٤هـ.

٣ـ عصر المرابطين ٤٨٤-٥٤٢هـ.

٤ـ عصر الموحدين ٥٤٢-٦٦٧هـ.

٥ـ عصر بني نصر ٦٢٩-٨٩٧هـ.

فإن الأدب الأندلسي قد مر بمراحل كثيرة متوالية تختلف قليلاً عن التقسيم التاريخي السابق، ويجمل بالبحث أن يُجمل مسيرة الشعر الأندلسي راصدًا مراحل تطور الخيال والإحساس بالأندلسية فيه:

أولاً: المرحلة المشرقية (٩٢-٢٠٠هـ):

أ ـ عصر الولاة (٩٢-١٣٨هـ):

كان الأدب في هذه المرحلة مشرقيًا، أو على الأصح أمويًا، لا لشيء سوى أن أصحابه كانوا مشرقيين قدموا مع الفتوح أو من الطارئين على الأندلس بعدها بقليل، ولم يبق لنا من شعر هذا العصر سوى نماذج قليلة جدًا؛ من ذلك قول أبي الأجرب جَعْوَنَة بن الصِّمة الكلابي (ت: قبيل ١٣٨هـ):

ولقد أراني من هَوايَ بمنزلِ
عالٍ ورأسي ذو غَدَائِرَ أفرعُ
والعيشُ أغْيَدُ، ساقطٌ أفنانُهُ
والماءُ أطيبُهُ لنا والمرتَعُ(١).

ب ـ تأسيس الإمارة وتوطيدها (١٣٨-٢٠٠هـ):

تثبت النماذج المتبقية من شعر هذا العصر سماته المشرقية الأموية في حماسته ومتانته وخشونته وبدويته وقلة اهتمامه بالصور الفنية، فهو شطر ثان للشعر الأموي وامتداد له في تلك البقاع القاصية، ومن الشواهد الشعرية الدالة على ذلك قول الحكم الرَّبَضي بن هشام ابن عبدالرحمن الداخل، ثالث أمراء الأندلس (ت: ٢٠٦هـ):

رَأبتُ صدوعَ الأرضِ بالسيف راقعا
وقِدْمًا لأمْتُ الشَّعبَ مُذْ كنتُ يافعا
فسائلْ ثغوري هَلْ بها اليومَ ثغرةٌ
أبادرُها مستنضيَ السيفِ دارعا
وشافِهْ على الأرضِ الفضاء جماجمًا
كأقحاف شِريانِ الهَبيدِ لوامعا
تُنبِّيكَ أني لم أكنْ في قِراعهمْ
بوَانٍ، وأني كنتُ بالسيف قارعا
وأني إذا حادُوا جزاعًا عن الردى
فما كنت ذا حَيدٍ عن الموت جازعا
حميتُ ذماري فاستبحتُ ذمارهم
ومن لا يُحامي ظَلَّ خزيانَ ضارعا
ولما تساقينا سجالَ حروبنا
سقيتهم سَجْلاً من الموتِ ناقعا
وهل زدتُ أن وفَّيتهم صاعَ قرضهم
فوافوا منايا قُدِّرتْ ومصارعا
فهذي بلادي إنني قد تركتُها
مِهادًا، ولم أتركْ عليها منازعا(٢).

ثانيًا: المرحلة المترجحة بين القديم والحديث المشرقيين وملامح أندلسية (٢٠٠-٣٠٠هـ):

اتسم الشعر في هذه المرحلة بطغيان الخصائص المشرقية القديمة، واصطباغ شطر من الأساليب والمعاني والألفاظ والأخيلة بالصبغة البدوية، وإلى جانب ذلك ظهور آثار المنهج المشرقي المحدث الذي يميل إلى السهولة والعذوبة والبعد من الصور البدوية والألفاظ الخشنة، من أمثلة ذلك قول يحيى بن حكم الغَزَال (ت: ٢٥٠هـ):

قال لي يحيى وصرنا
بين موجٍ كالجبالِ
وتولّتنا رياحٌ
من دَبور وشَمالِ
شقّتِ القِلْعَيْن وانبتْ
ـتَتْ عرى تلك الحبالِ
وتمطّى ملكُ المو
تِ إلينا عن حيالِ
فرأينا الموتَ رأي الـ
ـعينِ حالاً بعد حالِ
لم يكن للقوم فينا
يا رفيقي رأسُ مالِ(٣).

الشعر الأندلسي لم يمر بمراحل هلهلة الشعر، ثم إحكام نسجه، ولم يكن مولودًا خديجًا؛ بل كان ذا تاريخ أصيل انتقل إلى بيئة اجتماعية وسياسية مختلفة!

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل بدأت تتشكل في الشعر الأندلسي بعض الملامح الأندلسية التي تبدت في الميل إلى الإبداع في الأخيلة، والتأنق في عرض المعاني، وبدايات ظهور وصف الطبيعة كقول محمد بن يحيى القَلْفَاط (ت: ٣٠٢هـ):

مُزْنٌ تغنَّين الصَّبا فإذا همى
لَبّتْ حَيَاهُ روضةٌ غنّاءُ
فالأرضُ من ذاك الحيا مَوْشيّةٌ
والروضُ من تلكَ السماءِ سماءُ
ما إنْ وشتْ كفّا صناعٍ ما وشى
ذاك الغناءُ بها وذاك الماءُ
زهرٌ لها مقلٌ جواحظُ تارةً
ترنو، وتاراتٍ لها إغضاءُ(٤).

ثالثًا: المرحلة الأندلسية الأولى (٣٠٠-٤٠٠هـ):

تزاحمت في هذا القرن التيارات المشرقية الثلاثة؛ طريقة العرب القدامى، وطريقة المحدثين، والطريقة التي مزجت بينهما، والتي تسمّى بالاتجاه المحافظ الجديد، ومن الأخيرة قول محمد بن مطرف بن شُخَيْص (ت: قبيل الأربعمئة) يصف الزهراء:

هذي مباني أميرِ المؤمنينَ غدتْ
يُزري بها آخرُ الدنيا على الأوَلِ
كذا الدراري وجدنا الشمسَ أعظمَها
قدرًا وإن قَصُرَتْ في العلو عن زُحَلِ
لقد جلا مصنعُ الزهراءِ عن أثرٍ
موحَّدِ القدرِ عن مِثْلٍ وعن مَثَلِ
فاتت محاسنُها مجهودَ واصفِها
فالقولُ كالسكتِ والإيجازُ كالخطلِ
كم عاشقَين من الأطيارِ ما فَتِئا
فيها يرودانِ من روضٍ إلى غَلَلِ
إذا تهادى حَبابُ الحوضِ حتّهما
على التنقّل من نَهْلٍ إلى عَلَلِ

كأنما أفرغتْ ألواحُ مرمرِه
من ماءِ عصراءَ لم يجمدْ ولم يَسِلِ
أو قُدّ من صفحاتِ الجوِّ يومَ صفا
وَرَقَّ من أجلِ كونِ الشمسِ في الحَمَلِ
يزري برقة أبشارِ الخدودِ جرى
ماءُ الحياءِ بها في ساعةِ الخجلِ
إذا استوتْ فوقه زُهْرُ النجومِ غدتْ
تثور من مائه نارٌ بلا شعلِ
وإن حداه نسيمُ الريح تحسبه
صفيحةَ السيفِ هزّتْها يدُ البطلِ(٥).

واستفاد الشعر العربي من هذه الطرائق جميعها وتفاعل بها، وكوّن معها شخصيته المميزة ولونه الزاهي بسعيه إلى الابتكار في الخيال والاختراع في الصور وتطلّب الإبداع والغرابة، وتبحّر الوصف عامة، واتسع وصف الطبيعة وجزئياتها خاصة كقول جعفر بن عثمان الحاجب المصحفي (ت: ٣٧٢هـ) في وصف سفرجلة:

ومصفرةٌ تختالُ في ثوبِ نرجسٍ
وتعبَقُ عن مسكٍ ذكيِّ التنفسِ
لها ريحُ محبوبٍ وقسوةُ قلبه
ولونُ محبٍّ، حلّةَ السقم مكتسِ
فصفرتُها من صفرتي مستعارةٌ
وأنفاسُها في الطيبِ أنفاسُ مؤنسي
فلما استمَّتْ في القضيب شبابَها
وحاكتْ لها الأنواء أثوابَ سندسِ
مددتُ يدي باللطفِ أبغي اقتطافَها
لأجعلها ريحانتي وسط مجلسي
وكان لها ثوبٌ من الزُّغْبِ أغبرٌ
يرفُّ على جسمٍ من التبرِ أملَسِ
فبزّت يدي - غَصْبًا لها - ثوبَ جسمها
وأعريتُها باللطف من كلِّ مَلْبَسِ
ولما تعرّتْ في يدي من بُرودها
ولم تبقَ إلا في غُلالةِ نرجسِ
ذكرتُ بها من لا أبوحُ بذكرِه
فأذبلها في الكفِّ حرُّ تَنَفُّسي

رابعًا: مرحلة تبدّر الأندلسية (٤٠٠-٥٥٠هـ):

تقسم هذه المرحلة قسمين: الأول عصر ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٨٣هـ)، والثاني عصر المرابطين (٤٨٢-٥٤٢هـ)، وفيها بلغ الشعر الأندلسي أوجه في الروعة والجودة وسمو الخيال، وتخمرت أندلسيته التي تجلت أساسًا في الخيال والإبداع في الصور والانتقال إلى طور فني تغزر فيه الصور الفنية الثنائية في القسم الأول كقول أحمد بن عبدالله بن زيدون (ت: ٤٦٣هـ):

إنَّ مَنْ أضحى أباه جَهْوَرٌ
قالتِ الآمالُ عنه فَفَعَلْ
ملكٌ لذَّ جنى العيشِ به
حيث وِرْدُ الأمنِ للصادي عَلَلْ
يا بني جَهْوَرَ الدنيا بكمْ
حَلِيَتْ أيامُها بعد العَطَلْ
إنما دولتكم واسطةٌ
أهدتِ الحُسنَ إلى عِقدِ الدولْ

انقسم الشعر في الأندلس عدة عصور بدأت بالروح المشرقية، ثم بالاصطباغ بالملامح الأندلسية، ثم بلوغ الأوج في الجودة، بعدها أخذ في الانحدار!

نحن من نعمائكم في زهرةٍ
جددتْ عهدَ الربيع المُقْبَلْ
طابَ كانونٌ لنا أثناءَها
فكأنَّ الشمسَ حلّتْ بالحَمَلْ
زهرتْ أخلاقُكم فابتسمتْ
كابتسام الوردِ عن لؤلؤ طَلْ
أيها البحرُ الذي مهما تفضْ
بالندى يُمناه فالبحرُ وَشَـلْ
من لنا فيك بعيب واحدٍ
تُحْـذَرُ العيـن إذا الفضلُ كَمَـلْ
شرفٌ تَغنى عن المدح بـه
مثلَ ما يَغْنى عن الكُحْلِ الكَحَلْ(٧).

وتكثر الصور المركبة والكثيفة في القسم الثاني، وبذلك استطاعوا أن يغيّروا في بنية الشعر العربي، كما غيّروا في شكله الخارجي في الموشحات من قبل، ومن النماذج التي تثبت ذلك قول إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة جنّان الأندلس (ت: ٥٣٣هـ):

وصقيلةِ النُّوارِ تلوي عِطْفَهَا
ريحٌ ـ تلفُّ فروعَها ـ مِعْطارُ
عاطى بها الصهباءَ أحوى أحورٌ
سحّابُ أذيال الصِّبا سحّارُ
والنُّورُ عِقْدٌ، والغصونُ سوالفٌ
والجِزْعُ زَنْدٌ، والخليجُ سِوارُ
بحديقةٍ مَثَلَ اللمى ظلاً بها
وتطلّعتْ شَنَبًا بها الأنْوارُ
رقص القضيبُ بها وقد شرب الثرى
وشدا الحمامُ وصفّق التيّارُ
غنّاءَ ألحفَ عِطْفَها الوَرَقُ الندي
والتفّ في جنباتها النُّوّارُ
فتطلّعتْ في كلِّ موقعٍ لَحْظَةٍ
من كلِّ غُصْنٍ صفحةٌ وعِذارُ(٨).

خامسًا: مرحلة تناقص الاتساق الأندلسي (٥٥٠-٨٩٧هـ):

تشمل هذه المرحلة عصري الموحدين (٥٤٢-٦٦٧هـ)، وبني نصر (٦٢٩-٨٩٧هـ)، وفي كلا العصرين استحالت الترسبات الثقافية أكوامًا هائلة، وغدا الإبداع أشد صعوبة، واضطر الشعراء لتكرير كثير من الصور والمعاني وتحويرها من الشعر المشرقي والأندلسي المتقدم عليها، وإن لم تنفد الخيالات الشعرية لدى مبرزيهم ولم تنتف نزعتهم الوصفية، ولم ينته جنوحهم إلى الإبداع والاختراع. ومن شعر عصر الموحدين قول إبراهيم بن سهل (ت: نحو ٦٥٩هـ):

خضعتُ وأمرُك الأمرُ المطاعُ
وذاعَ السرُّ وانكشفَ القناعُ
وهل يخفى لذي وجد حديثٌ
أتخفَى النارُ يحملُها اليَفاعُ
بعثتُ وسيلةً لك من ودادي
فصافحَ وفدَها منك الضياعُ
هلكتُ بما رجوتُ به خلاصي
وقد يردي سفينتَه الشراعُ
نفى سهري الخيالَ فهل رُقادٌ
يُعارُ لوصل طيفك أو يباعُ
لقد أربى هواكَ على عذابي
كما أربتْ على الأدب الطباعُ
أخافُ عليك أن أشكوكَ بثي
مشافهـةً فيخجلك السماعُ
وإن عبّرتُ عن شوقي بكُتْبٍ
تلهّبَ في أناملي اليراعُ(٩).

ومن شعر عصر بني نصر قول لسان الدين ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ):

إليكَ مددتُ الكفَّ في كلِّ لأواءِ
ومنكَ عرفتُ الدهر ترديدَ نَعْماءِ
ويسّرتني قبل ابتدائي ونشأتي
لشقوةِ بُعدي أو سعادة إدنائي
تعاليتَ يا مولاي عن كلِّ مُشْبِـه
فيا جَلَّ ما طوَّقتَ من غُرِّ آلاءِ
إذا اعتبرتْ نفسي سواكَ بفكرتـي
فيا خُسْرَ أوقاتي وضيعةَ آنائـي
وإن أبصرتْ عيناي غيرَك فاعلاً
فقد تهتُ للأوهـامِ في جنح ظلماءِ
بمالكَ من سرٍّ بدأتَ به الورى
وعلمٍ محيطٍ بالوجود وأسماءِ
أعِنّي وطهّرني وخَلّصْ حقيقتي
إليك وأيِّـدْ نورَ سـرّي ومعنائي(١٠).

وعلى ذلك فقد ظل شعرهم دون شعر أولئك الفحول في مرحلة الاتساق الأندلسي، وتحدر تدريجيًا مع تحدر الوجود العربي في الأندلس، وانتهت حياة الشعر والشعراء في الأندلس قبل أن يمر شعرهم بمرحلة الشيخوخة.

الهوامش:

١- ابن سعيد، علي بن موسى: المُغرب في حُلَى المغرب، تح. د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٨م، ١٣٢/١.
٢- المصدر نفسه ٤٤/١، وانظر: المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٨٨م، ٣٤٢/١ والبيت الأخير منه.
٣- الغزال، يحيى بن حكم: ديوانه، جمع وتحقيق د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٩٨٢م، ص١٠٠.
٤- الصفدي، خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات. ج ٥، باعتناء س. ديدانيغ، جمعية المستشرقين الألمانية بفيسبادن، ١٩٧٠م، ١٩٢/٥، ٢٠٠.
٥- ابن شُخيص، محمد بن مطرف: شعره، جمع وتحقيق د. أحمد عبدالقادر صلاحية، دار ابن القيم، دار شراع، دمشق ١٩٩٢م، ص٨٠، ٨١، ٨٢.
٦- ابن خاقان، الفتح بن محمد: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح. محمد علي شوابكة، دار عمار، دار الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص١٦٦.
٧- ابن زيدون، أحمد بن عبدالله: ديوانه، شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٣، ١٩٦٥م، ص٥٠، ٥١.
٨- ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح: ديوانه، تحقيق د. السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٦٠م، ص٢٨١.
٩- ابن سهل، إبراهيم: ديوانه، تقديم د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٨٠م، ص٢٣٠-٢٣١.
١٠- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله: ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، تحقيق د. محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط١، ١٩٧٣م، ص٢٤١-٢٤٢.



صور من الرفق بالحيوان عند المسلمين

د. محمود جبر الربداوي

قال الشاعر زياد الأعجم يخاطب حمامة تغنّي على غصن شجرة وقد فقدت إلْفها:

تَغَنّي، أنتِ في ذممي وعهدي ... وذمة والدي أن لا تُضاري
وعشك أصلحيه، ولا تخافي ... على زُغب مصغرةٍ صغارِ
فإنّكِ، كلما غنّيتِ صوتًا ... ذكرتُ أحبتي وذكرتُ داري
فإما يقتلوكِ طلبتُ ثأرًا ... لأنك، يا حمامةُ، في جواري

على وفرة المظاهر السلبية التي تتميز بها حضارة القرن العشرين؛ كاتساع المد الاستعماري والمحافظة على مكتسباته، والحروب القارية والمحلية، والصراع المنبعث من المَيْز العنصري، والظلم الدامي الذي تمارسه بعض الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة؛ والكيل بمكيالين تتخذهما الأمم ذوات التفوق العسكري والدبلوماسي، والحصارات الاقتصادية التي تتخذ شكل عقوبات تُطبق على شعوب نامية ومجتمعات متخلفة، أقول: على ذلك فقد نبتت في رحم هذه الحضارة بعض المظاهر الإيجابية التي غَدَت كأنها نقاط مضيئة في محيط دامس الظلمة. من هذه المظاهر الإيجابية ما أطلق عليه: منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان، ومؤسسات محاربة التمييز العنصري. وعُقدت مؤتمرات للمحافظة على نظافة البيئة والدعوة إلى نظام عالمي يشمل سكان هذه الكرة الأرضية التي غَدَت، بفعل ثورة الاتصالات، قرية صغيرة، وأُسِّسَت جمعيات إنسانية تجاوز اهتمامُها ونشاطُها الإنسان وقضايا مصيره إلى الحيوان، فكانت «جمعيات الرفق بالحيوان». وإذا كان عندنا ما نقوله مدحًا أو ذمًّا لهذه المظاهر الإيجابية التي يقبل النقاش فيها الجدلَ؛ لا حول مشروعيتها، وإنما حول صور التنفيذ الجائرة التي اتخذتها، فإننا نكتفي، في هذه الحلقة، بالوقوف عند الظاهرة الأخيرة التي هي «الرفق بالحيوان» التي تزعم حضارة هذا القرن أنه من منجزاتها، ونذهب نحن إلى أن ظاهرة الرفق بالحيوان ظاهرة بعيدة الجذور في الحضارة الإسلامية. فالذي يرجع إلى المصادر المعرفية للوقوف على تاريخ بدايات الرفق بالحيوان في الغرب ترشده الموسوعات إلى أن أول جمعية أُسست للرفق بالحيوان كانت في بريطانيا سنة ١٨٢٤م، وتأخر تأسيسها في أمريكا إلى سنة ١٨٦٦م(١)، ثم شاعت جمعيات الرفق بالحيوان في عرض قارتي أوربا وأمريكا على نطاق واسع، وهي، وإن لم تلق مثل سعة الانتشار هذه في قارة آسيا، إلا أنه كان معمولاً بها قبل تأسيس جمعياتها في الغرب بقرون طويلة، فشعوب آسيا أغلبهم من المسلمين، والإسلام بمقدار ما قدَّس حقوق الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، ووصفه دستور الإسلام الأول: القرآن فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ **الإسراء**: ٧٠؛ لم ينس حقوق المخلوق الحي الآخر وهو الحيوان، فأوصى الإنسان بالرفق به. والحيوان، وإن اختلف عن الإنسان بخاصة جوهرية هي العقل، فقد اتفق معه في عدة خواصّ، كالمأكل والمشرب والتناسل والحياة والموت والإحساس. فلكل هذه الخصائص المشتركة أكد الإسلام وجوب الرفق بالحيوان، وإن كان قد سخَّره، بدوره، للإنسان، إلا أن العناية الإلهية جعلت لكل فصيلة من الحيوان حكمة من الخلق يؤديها أفراد الفصيلة، لتخدم هذه الفصائلُ النوعَ البشري الذي أكرمه الله ونَعَّمَه. ولهذا كثُرت في القرآن السور التي تحمل في عنواناتها أسماء فصائل حيوانية كالأنعام والنحل والنمل والبقرة والفيل والعنكبوت. وإذا كان الحيوان في القرآن جيء به للعظة والعبرة فإن المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وهو الحديث النبوي، قد أكد فكرة الرفق بالحيوان. فمَن منَّا لم يقرأ حديث المرأة والهرة ويدرك دلالته في الرفق بالحيوان، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذْ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض»(٢). فجزاء امرأة تسجن هرة حتى تموت أن تُعذَّب وتدخل النار، أما جزاء من يرفق بالكلب، والكلب على موقف الإسلام السلبي منه لنجاسة بعضه، يكون الرفق به وسيلة لشكر الله وغفرانه لمن أشفق عليه. روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خُفّه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رَقِي، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له».

فقصتا الهرة والكلب قصتان رمزيتان تضمنهما الحديث النبوي ليعلِّم الرسولُ صلى الله عليه وسلم المسلمين فكرة الرفق بالحيوان، ولو تتبعنا تتمة الحديث الأخير لأدركنا حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يغرس فضيلة الرفق بالحيوان في نفوس المسلمين حيث سأله أصحابه: يا رسول الله! إنّ لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر»(٣).

وعزز رسول الله صلى الله عليه وسلم المبدأ النظري الذي تضمنته القصتان الرمزيتان السابقتان بسلوك عملي يتبدى فيه الرفق بالحيوان في الموقف

الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَةً معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تعرش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «مَن فجعَ هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: «من حَرَّق هذه؟» قلنا: نحن. قال: «إنه لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا ربّ النار»(٤).

فكل هذه الأحاديث تنبع من نفس رجل مؤمن بالرفق بالحيوان أيًا كانت فصيلته، نفس رجل حريص على أن ينقل هذا الشعور بالرفق إلى أصحابه وأتباعه، وإلى كل أمته من بعده، هذا الرفق الذي عبّر عنه في مناسبة أخرى عندما قال: «إن الرفق لا يوجد في شيء إلا زانه، وما يُنزع من شيء إلا شانه»(٥). وجذور هذا الرفق موجودة في الشخصية العربية القديمة، مع اختلاف في الغاية. فقد روي لنا عن العرب أنهم كانوا يأكلون الجراد، فإذا مر بهم سرب تابعوه حتى يصطادوه، فوقع سرب منه حول خباء مدلج بن سويد الطائي فحماه نخوة، لأنه عدَّه مستجيراً ببيته، فسمي: مجير الجراد(٦) ومثل هذا فعل حارثة بن مر. وأما ثور بن شحمة العنبري فكان يسمى: مجير الطير، وكليب يسمى: مجير الصيد(٧) وهكذا.

والفارق بين عطف الجاهليين على الحيوان نخوةً وعنجهية، وعطف المسلمين امتثالاً لتعاليم دينهم واستجابةً لنوازع إنسانية، فارق الغاية والدافع. وإذا تركنا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الظاهرة والتفتنا إلى مواقف المسلمين من بعده ألفينا ثلة من الأدباء يؤلفون في «الحيوان» ويبثون في مؤلفاتهم الكثير من القصص التي تؤيد هذه الفكرة التي ترسخت لدى العرب، ولعل من أحفلها بهذا المفهوم كتاب «الحيوان» للجاحظ وكتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري. هذا في أوساط المؤلفين. أما في أوساط الشعراء فباب الحديث عن الحيوان والرفق به، باب واسع، تناولوا فيه ضروبًا مختلفة من أنواع الحيوان، حتى الوحوش المؤذية عاملوها برفق وكرم وسجية، كالذي قرأناه في شعر الفرزدق عندما استضاف ذئبًا جائعًا فاقتسم معه زاده، وصوَّر لنا هذه الاستضافة في القصيدة النونية التي يقول فيها:

وأطلسَ عسّالٍ، وما كان صاحبًا،
دَعَوْتُ بناري، مَوْهِنًا، فأتاني(٨)
فلما دنا قلتُ: ادنُ، دونك، إنني
وإيَّاك في زادي لمشتركان
فبِتُّ أَقُدُّ الزاد(٩) بيني وبينه
على ضوء نارٍ مرة ودخانِ
تَعَشَّ، فقد عاهدتني لا تخونني
نكن مثلَ من يا ذئبُ يصطحبانِ
وأنت امرؤٌ، يا ذئب، والغدرُ كنتما
أُخَيَّينِ كانا أُرضِعا بلبانِ
ولو غيرَنا نَبَّهتَ، تلتمس القرى
رماكَ بسهمٍ أو شَباة سنانِ(١٠)

ولأبي العلاء المعري موقف من الرفق بالحيوان تجاوز فيه الخطوط الحمر المتفق عليها؛ سواء في قصيدته الحائية أم في إشفاقه على الحشرات المؤذية كالبرغوث الذي قال فيه:

تسريح كفِّكَ برغوثًا ظفرتَ به
أبرُّ من درهمٍ تُعطيه محتاجا

غير أن وجهة النظر هذه تظل وجهة نظر شخصية مبالغًا فيها؛ نتيجة عوامل ذاتية أكثر منها موضوعية أملتها عوامل نفسية واجتماعية، أما أفكاره الأكثر اعتدالاً وواقعية في الرفق بالحيوان فنجدها في مثل قوله:

أحسنْ إلى الناقة الوجناء تبعثُها
فيما تشاء، وأكرِمْ عِشرة الفَرَسِ

وقوله:

وكم طيرٍ قُصِصْنَ بغير ذنْبٍ
وأُلزِمْنَ السجونَ فما نهضْنَهْ

فأبو العلاء، وهو الرجل الكفيف، لا يقوى على أكثر من الدعوة إلى الرفق بالحيوان، فيكتفي بالإشفاق على الطيور التي قُصَّت أجنحتها وأُودِعَت في الأقفاص. أما الشاعر المنازي الذي رأى حمامة بسوق باب الطاق في بغداد، غريبة حزينة تنوح في قفص فعمد إلى شرائها وإطلاقها وقال:

ناحت مُطَوَّقةٌ بباب الطَّاقِ
فجرى سوابقُ مدمعي المُهراقِ(١١)
حنَّت إلى أرض الحجاز بحُرقة
تُشجي فؤادَ الهائم المشتاقِ
إنَّ الحمائم لم تزل بحنينها
قِدْمًا تُبكِّي أعينَ العشاقِ
كانت تُفَرِّخ في الأراك، وربَّما
كانت تُفرخ في فروع الساقِ
تَعِسَ الفراقُ، وجُدَّ حبلُ وتينه
وسقاه من سُمِّ الأساود ساقي(١٢)
يا ويحه ما باله قُمريَّةً(١٣)
لم تدر ما بغدادُ في الآفاقِ
فأتى الفراقُ بها العراقَ فأصبحت
بعد الأراك تنوحُ في الأسواقِ
فشريتُها، لما سمعتُ حنينها
وعلى الحمامة عُدْتُ بالإطلاقِ
بي مثلُ ما بكِ يا حمامةُ، فاسألي
مَن فَكَّ أسرك أن يَحُلَّ وثاقي

والحمامة في ديوان الشعر العربي تشغل مساحة كبيرة منه، وثمة حلقة قادمة عن «الحمام والسلام» سأعرض فيها ما يندرج تحت هذا العنوان.

ولكيلا نبتعد من صلب موضوعنا (الرفق بالحيوان) نختم كلامنا بأبيات للشاعر زياد الأعجم الذي يُحكى أنه وفد على حبيب بن المهلب، فأكرمه، فجلسا يومًا في بستان فَغَنَّت حمامة على غصن فطرب لها زياد، فقال له حبيب: إنها فاقدة إلفًا كانت تُرى معه، فقال زياد: هو أشد لشوقها. ثم أنشد:

تَغَنّيْ أنت في ذِمَمي وعهدي
وذمّة والدي أن لا تُضاري

إلخ الأبيات التي هي موضوع هذه الحلقة. فضحك حبيب ثم قال: يا غلام هَلُمَّ القوس، فجاء الغلام بها، فنزع لها حبيب بسهم فأصابها فوقعت ميتة، فنهض زياد مغضباً وقال: أخفرتَ - أبا بسطام - ذمتي، وقتلت جاري؟! وشكاه إلى المهلب فغضب على حبيب، وقال: أما علمتَ أن جار أبي لبابة جاري، وذمته ذمتي، والله لألزمنك ديَة الحرّ، وأخذ له من ماله ألف دينار. فقال زياد من أبيات:

لله عينا من رأى كقضيّة
قضى لي بها شيخُ العراقِ المهلبُ
قضى ألف دينار لجار أجرتُه
من الطير إذ يبكي شجيًا ويندبُ

هذا جزاء دنيوي على الرفق بالحيوان، ليت شعري ما الجزاء الأُخروي؟!

الهوامش:

١- الموسوعة العربية الميسرة، مادة جمعيّة.
٢- رياض الصالحين ٤٧٥، وخشاش الأرض: هوامها وحشراتها.
٣- رياض الصالحين ٧١.
٤- رياض الصالحين ٤٧٧، والحُمَّرة: طائر كالقطا، وتعرش: تظلل بجناحيها وتحوم، وللحديث رواية أخرى.
٥- رواه مسلم، وللرفق معنى آخر.
٦- مجمع الأمثال ٢٢١/١.
٧- الأغاني ٢٩/٥.
٨- الأطلس: الذئب الذي في لونه غبرة إلى السواد، والعسال: الذي في عدوه اضطراب وإسراع، والموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.
٩- أقُدُّ الزاد: أقسم الطعام.
١٠- القرى: طعام الضيف. شباة السنان: حربة الرمح.
١١- المطوقة: الحمامة. المهراق: المسال.
١٢- جدّ: قُطع (ويروى: جُذّ بالمعجمة)، الوتين: شريان القلب. الأساود: الأفاعي.
١٣- القمرية: نوع من الحمام.

مكتشفات أثرية عن حضارة الخرطوم الباكرة



فخاريات من حضارة الخرطوم الباكرة

د. عبدالرحيم محمد خبير

شهد إقليم الخرطوم(*) في أواسط السودان ظهور العديد من الحضارات التي ترجع إلى أزمان سحيقة في تاريخ البشرية. ومن أقدم الحضارات التي ترجع للعصر الحجري الوسيط MESOLITHIC حضارة الخرطوم الباكرة EARLY KHARTOUM CULTURE (٧٥٠٠-٥٠٠٠ق.م تقريبا) التي عُثر على بقايا موجوداتها (أدوات حجرية، فخارية، عظمية، وغيرها) في مناطق متفرقة من هذا الإقليم، مما يشير إلى أنه كان أحد المناطق التي أدت أدوارًا مهمة جدًا في مسار الحضارة الإنسانية لحقبة ما قبل التاريخ في وادي النيل والعالم القديم(١-٢).

وسيقتصر الحديث هنا على كشف أثري مهم عن «حضارة الخرطوم الباكرة» في إقليم الخرطوم هو موقع «السروراب». يبعد هذا الموقع قرابة ٢٣ كيلا شمال مدينة الخرطوم على الضفة الغربية لنهر النيل، ويمتد إلى مسافة ثلاثة كيلو مترات إلى الداخل، وتبلغ مساحته نحو ٣٠٠٠ متر مربع. ويبدو أنه كان يشغل حيّزًا أكبر مما هو عليه الآن. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الموقع الاستيطاني يندرج في نطاق مشروع العمل الآثاري لجامعة الخرطوم في شمال مدينة أم درمان، والذي خصص في الأساس لتدريب طلاب إجازة (بكالوريوس) الآثار الجامعية منذ عام ١٩٧٣م؛ فضلاً عن إجراء البحوث بوساطة أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا للمواقع الأثرية التي تضمُّها المنطقة.

بدء التنقيب والمكتشفات

بدأ التنقيب في هذا الموقع عام ١٩٧٥م حيث أجرى الباحث العباس سيد أحمد محمد عدة مجسَّات اختبارية لبعض أجزاء هذا الموقع شكلت جانبًا أساسيا من أطروحته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج ببريطانيا(٣). أما القسم الأكبر من هذا الموقع فقد اضطلع بمهمة حفره كاتب هذه السطور؛ حيث شكل جزءًا مهمًا من دراسته لفخاريات عصر ما قبل التاريخ في أواسط السودان باستخدام المنهج العلمي الفيزيائي والكيمياوي عام ١٩٨٧م(٤). أماطت التنقيبات في هذا الموقع اللثام عن أشتات كثيفة من الكِسَرِ الفخارية، فضلاً عن أعداد وفيرة من الأدوات الحجرية والبقايا العظمية وبعض الرخويات والمواد العضوية.

مجموعة الفخاريات التي تم العثور عليها في هذا الموقع كانت كِسَرًا بأحجام وأشكال مختلفة. ويبدو أن معظمها لأوان مفتوحة تشمل الزبديات وقدور الطبخ، يزدان أغلبها بزخارف على شكل نقاط أو حزوز أفقية. ومن أبرز الزخارف ذات الأهمية الكرونولوجية (الزمنية) الحزوز المتموجة المتصلة التي وجدت بوفرة وتتركز في الطبقات المبكرة للموقع. وتظهر الأمثلة الأخيرة (الفخاريات المتموجة الزخارف) تشابهًا لصيقًا في أنماطها بتلك النماذج التي وجدت في مناطق متباعدة في وادي النيل والبحيرات الاستوائية، وفي شمال أفريقيا وغربها.

تتميز الآنية الفخارية بأنها يدوية الصنع، تميل في معظمها إلى اللون المحمر والبني الداكن، وأبان التحليل المعملي الذي أجراه كاتب هذا المقال، باستخدام المنظار (الميكروسكوب - البترولوجي) والاختبارات الكيماوية في جامعتي الخرطوم وفاخنين (هولندا)، أن عجائن هذه الفخاريات خشنة، خُلطت بالرمل (الكوارتز) والصخر الرملي وتكاد تخلو من المواد العضوية. ويظهر بعضها سطوحًا متآكلة بفعل الاستخدام وعوامل التعرية. كما أثبتت التحاليل المختبرية أن العجينة التي صُنعت منها أواني موقع السروراب متوافرة محليًا؛ مما يشير إلى أن التصنيع قد تم تنفيذه في المستوطنة ذاتها أو المنطقة التي حولها.

أما الأدوات الحجرية فمعظمها يشتمل على: هلاليات، مكاشط متنوعة، نوى رقائق، مثاقب وأحجار للطحن وجدت على بعضها آثار سحن المُغرة الحمراء، وربما استُخدمت لتحضير بعض الأطعمة النباتية أيضاً.
والمواد الخام المفضلة التي استُخدمت في الصناعة هي: الكوارتز، الريوليت، الحجر الرملي والطيني، الشيرت، الخشب المتحجر. وكل هذه المواد متوافرة محليا بالقرب من الموقع الأثري موضوع البحث.
تضم المواد العظمية بقايا فقاريات أسماك، وصنّارات ذات أشواك استُخدمت للصيد، فضلاً عن عظام صنوف من الحيوانات لم تكتمل دراستها بعد بصورة تفصيلية. أما مجموعة الرخويات فهي تومئ إلى ظروف مناخية مطيرة (عصر الهولوسين) في حقبة ظهور مستوطنة السروراب، كما تشير إلى معدل سقوط للأمطار يصل إلى ٥٠٠ مليمتر في العام.
وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المستوطنة اعتمدت في خطتها المعيشية على قنص الطرائد وصيد الأسماك وجمع الثمار البرية. ولم يتم العثور على أدلة تشي بمعرفة الزراعة وتدجين الحيوان والمباني الثابتة. ولعلها كانت تمثل معسكر تخييم لمجموعة سكانية شبه مستقرة على ضفة نهر النيل خاصة، وأن سُمْكَ الطبقات الاستيطانية يصل إلى ما يقرب من المتر في بعض الجهات.

أهمية نتائج التنقيب

من النتائج المهمة لحفرية هذا الموقع الحصول على تاريخين بكربون ١٤ المشع لبعض الطبقات التي تحتوي على معثورات تشمل كسرًا فخارية أبرزها النماذج ذات الزخرفة المتموجة المتصلة، علاوة على أدوات حجرية وعظمية ومواد عضوية. ويشير التاريخ المعطى للطبقة العلوية للمربع رقم ٢٧ (٣٠ سم تحت سطح الأرض الحالي) إلى حقبة زمنية تصل إلى ٧٣٨٠ +-٩٠ سنة قبل الميلاد، في حين يصل عمر الطبقة السفلية (٥٠سم تحت مستوى السطح الحالي) إلى حقبة تصل إلى ٧٤٢٠ +-٨٠ سنة قبل الميلاد.
ويجدر التنويه بأن أكثر مواقع فخاريات «حضارة الخرطوم الباكرة» قدمًا في أفريقيا، كما هو جلي من نتائج كربون ١٤ المشع، تشمل موقع تنتورها (الصحراء الليبية) ويؤرخ للحقبة بين ٧٤٧٠-٦٩٨٠ق.م، ونبته - بلايا (الصحراء الغربية المصرية) ويقع بين ٦٢٤٠-٥٧٠٠ق.م(٥)، وموقع كهف - قمبل في منطقة البحيرات الاستوائية، واستمر خلال الحقبة بين ٦٦٥٠-٦١٦٠ ق.م(٦).
وبإلقاء نظرة فاحصة على ما تم إيراده آنفًا يمكننا ترجيح الاحتمال بأن منطقة الخرطوم كانت مهد صناعة الفخار في قارة أفريقيا، ولاسيما أن أقدم مواقع حضارات الفخار الأفريقية ذات تواريخ تقل بدرجة ملحوظة عن موقع السروراب في أواسط السودان.
ثمة نتيجة مهمة أخرى لحفرية موقع السروراب في أواسط السودان، هي توافر مجموعة فخارية تمثل الأنموذج المميز لحضارة الخرطوم الباكرة التي وجدت مستوطناتها أيضا في العشرات من الأماكن المتباعدة جغرافيًا، وقد شملت وادي النيل، ومنطقة البحيرات الاستوائية، وشمال أفريقيا وغربها.

وربما كان ذلك بدواعي اتصال حضاري مباشر أو غير مباشر؛ حيث إن الظروف الجغرافية المطيرة في عصر الهولوسين كانت مواتية للتنقل والتداخل الحضاري عبر بقاع شاسعة. وكان القاسم المشترك لهذه المستوطنات المنتمية لحضارة الخرطوم الباكرة هو اشتراكها في قيم ومفاهيم جمالية عَبَّرت عن نفسها بصورة جلية في نماذج مميزة من صناعة الفخار وزخرفته بطرز متفردة، أبرزها الطراز ذو الزخرفة المتموجة المتصلة. وهذا التجانس القيمي والجمالي يعضد فرضية مؤداها أن هذه المستوطنات المتباعدة الأطراف تمثل أنموذجًا لمنطقة ثقافية مشتركة، بؤرتها الخرطوم، خلال المرحلة المتأخرة لحقبة ما قبل التاريخ في أفريقيا.
ولا ريب أن معرفة قدماء السودانيين المبكرة لتنقية الفخار (حضارة الخرطوم الباكرة)، وبخاصة عملية التحكم في درجات الحرارة واستخدامها الأمثل بوساطة الأفران، مكنتهم لاحقًا من الاستيعاب السريع لتقنيات المعادن، ولاسيما النحاس والحديد، والاستفادة منها في شتى ضروب الحياة. فقد كشفت نتائج التنقيبات الحديثة لموقع مملكة كرمة (٢٥٠٠-١٥٠٠ ق.م) جنوب الشلال الثالث عن بعض أفران صهر النحاس. ومن جهة أخرى فقد وُجدت أنواع متنوعة من الأدوات الحديدية أبرزها آلات زراعية وأدوات جراحة طبية مجلفنة لحمايتها من الصدأ، والعديد من أفران الصهر، وكميات كبيرة من نفايات الحديد في مدينة مروى (البجراوية) عاصمة مملكة كوش الثانية (مروى) (٩٠٠ق.م -٣٢٥م) في شمال السودان. ولعل الباحث أ.هـ. سايس A.H. SAYCE (١٩١٢م) كان محقًا عندما وصف هذه المدينة بأنها «برمنجهام أفريقيا»(٧).
تجدر الإشارة هنا إلى أن معبد الأسد (للمعبود المحلي أباد أماك) وبعض الأهرامات الملكية السودانية القديمة (الكوشية) قد بُنيت فوق ركامات من خبث الحديد. وتمثل أفران صهر المعادن في مملكتي كرمة ومروى تطورًا جليًا لا تخطئه العين عن أفران حرق الفخار التي ظهرت بداياتها في مراكز حضارات الخرطوم الباكرة (٧٥٠٠ - ٥٠٠٠ق.م) والشهيناب (٤٥٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م) وشندي (التراجمة والكدادة) (٣٤٥٠ - ٣٠٠٠ق.م) وربك (٥٠١٠ - ٣١٧٠ ق.م) في أواسط السودان وجبل مويه (٣٨٠٠ - ٢٤٠٠ق.م) في إقليم النيل الأزرق بجنوب شرقي البلاد؛ فضلاً عن مواقع أخرى في أجزاء متفرقة من السودان.

الهوامش:

(*) يقع بين: ١٥ْ - ١٦َ ٤١ً شمالاً، ٣٢ْ ٣٤َ شرقًا.

1-ARKELL, A.J.1949: EARLY KHARTOUM. LONDON, OXFORD UVIVERSITY PRESS
2- CLOSE, A.E.1993: FEW AND FAR BETWEEN: EARLY CERAMICS IN NORTH AFRICA. MS.ON FILE, DEPARTMENT OF ANTHROPOLOGY SOUTERN METHODIST UNIVERSITY, TEXAS.
3- HAALAND, R. 1987: SOCIO - ECONOMIC DIFFERENTIATION IN THE NEOLITHIC SUDAN. B.A.R. INTERNATIONAL SERIES 350, OXFORD.
4- KHABIR, A.M.1987: NEW RADIOCARABON DATES FOR THE EARLY KHARTOUM TRADITION. CURRENT ANTHROPOLDGY, VOL.39,NO 3: 377-380.
5- MOHAMMED ALI, A.1982: THE NEOLITHIC PERIOD IN THE SUDAN. B.A.R INTERNATIONAL SERIES 149, OXFORD.
6 - SAYCE, A.H. 1912: EXCAVATIONS AT MEROE. PART 11, THE HISTORICAL RESULTS. J.LAAA.4: 53-65.
7 - SUTTON, J.E.G. 1974: THE AQUATIC CIVILIZATION OF MIDDLE AFRICA. J.H. 4: 527-547.



رؤى إيمانية في شعر الأمير الصنعاني

د. عبدالله أبو داهش

أهمل مؤرخو الأدب العربي منهج أدبهم الإسلامي، حينما لم يظهروه في مسار منهجهم الحديث، حيث غاب عنهم الكثير من أعلامه الشعراء الذين هم أحق به من غيرهم. ومن أولئك الشعراء الذين يستحقون الوقوف والنظر: الشاعر العالم محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني(١) (١٠٩٩-١١٨٢هـ) الذي بلغ الآفاق بعلمه وذكره، ولاغرابة في ذلك فهو صاحب كتاب سبل السلام(٢)، وناظم القصيدة الدالية التي أنشأها في تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حينما تخلى عنه الكثير من العلماء، ومطلعها:

سلام على نجد ومَنْ حلّ في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

***

قفي واسألي عن عالم حلّ سُوحَها
به يهتدي من ضلّ عن منهج الرشد
محمد الهادي لِسُنَّة أحمد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي(٣).

أقول: إن هذا الشاعر يستحق من الدارسين الدرس والتحليل، فهو صاحب تلك القصائد الرائعة التي جلا في مضمونها حقيقة إيمانه، وأوضح في معانيها تصوره الإسلامي لله سبحانه وتعالى وأنه «موجود، وأن وجوده حق ثابت، وأن جميع ما عداه من الموجودات، إنما هو من صنعه، وأنه ظاهر الوجود فما من مخلوق إلا وفيه شاهد على وجود الله، وقدرته، وعلمه وحكمته، وكماله، وبديع صنعه»(٤)، قال تعالى: *هذا خَلْقُ اللَّه فَأَرُوني ماذا خَلَقَ الَّذينَ من دُونه بَل الظَّالمونَ في ضلال مُبين*. **لقمان: ١١**

وإذا أشدنا بأهمية شعر الصنعاني الأمير، وذكرنا غيابه عن منهج دارسي الأدب الإسلامي فانظر إليه وهو يحقق القول السابق، إذ قال:

«القلب أعلم يا عذول بدائه
ما غير داء الذنب من أدوائه»
والذنب أولى ما بكاه أخو التقى
وأحق منك بجفنه وبمائه
فوَ مَنْ أحبّ لأعصينّ عواذلي
قسمًا به في أرضه وسمائه
من ذا يلوم أخا الذنوب إذا بكى
إن الملامة فيه من أعدائه
فوَ حَقّ من خاف الفؤادُ وعيدَه
ورجا مثوبته وحسن جزائه
ما كنتُ ممن يرتضي حسن الثنا
ببديع نظمي في مديح سوائه
من ذا الذي بسط البسيطة للورى
فرشًا وتوّجها بسقف سمائه؟!
من ذا الذي جعل النجوم ثواقبا
يهدي بها السارين في ظلمائه؟!
من ذا أتى بالشمس في أفق السما
تجري بتقدير على أرجائه؟!
أسِواهُ سوّاها ضياءً نافعًا
لا والذي رفع السما ببنائه
من أطلع القمر المنير إذا دجا
ليل فشابه صُبحَه بضيائه؟!
من طوّلَ الأيامَ عند مَصيفها
وأتت قصارًا عند فصل شتائه؟!

من ذا الذي خلق الخلائق كُلها
وكفى الجميعَ ببرِّه وعطائه؟!
وأدرَّ للطفل الرضيع معاشَه
من أمه يمتص طيب غذائه؟
يا ويحَ من يعصي الإله وقد رأى
إحسانه بنواله وندائه(٥).

وانظر إلى الشاعر نفسه في قصيدته الآتية إذ يقول:

من ذا سواك أدرّ كل سحابة
بالماء فهي سحابة وطَفاء؟
نسجت حواشيها الرياح فأصبحت
في الجو وهي على الثراء كساء
وحدا بها حادي الرُّعود وساقها
برقٌ فهذا النارُ وهي الماء
وتآلفُ الضدين قدرةُ قادر
إعدامه سيّانِ والإنشاء
وترى الثرى لم تبق فيه غبرة
قد عاد وهي الروضة الغناء
بينا تراه هامدًا متخشعًا
ميتًا أتاه بالحياة حَيَاء
فأعاده حيًا وروضًا ناضرًا
وعليه تُنسَج حُلةٌ خضراء
يأتي بأرزاق العباد عجائبًا
شتى هما صنفان فيه سواء
متخالفات خِلقه وطبيعة
والطعم مُرٌّ حامض حلواء
قل للطبيعيِّ الجهولِ عَلامَ ذا
والتربُ أصلُ جميعها والماءُ
وكذاك ابْنا آدم هذا أتى
ذكرًا وذا أنثى وذا خنثاء
فالكل مختلف كذاك صفاتهم
فيهم غدا الشوهاء والحسناء
مثل اللغات يكون فيهم ألثغ
ومُفَوّهٌ خضعت له البُلَغاء
والكل من ماء مهين صُوِّروا
في باطن الأرحام كيف يشاء
هذا الدليل بأن ربك واحد
يختار لا قسْرٌ ولا إلجاء
فله الثنا والحمد منا دائمًا
يأتي به الإصباح والإمساء(٦)

وإزاء هذين النصين الأخيرين السابقين نقول: إن الشاعر وفق كثيرًا في رسم واقع ذلك الملكوت الذي ينصرف في كليته لتوحيد الله تعالى وتسبيحه، وهو بهذا العرض الشعري قد ملأ فؤاد المسلم إيمانًا وتصديقًا فزاده ثقة إيمانية حقيقية، وأسعد ناظره فهو جذلان بمرأى الوجود في عناصره الكثيرة، وآياته الواسعة؛ انظر إليه يستجلي هذه العناصر الشاهدة على عظمة الخالق وإتقان صنعه سبحانه وتعالى عما يصفون: *صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ*. **النمل**:٨٨.

فهذه الأرض شاهدة على ما فيها من آيات، وتلك السماء وقد جللت الوجود بدراريها، وبديع صنعها، وتلك الشمس قد عظمت في الأفق فهي تجري بحسبان. وذلك القمر المنير ينير الوجود ويسعد الناظر بكماله وتمامه، وتلك الأيام في تقلبها بين القصر والطول، وهؤلاء الخلق بألوانهم، وأجسامهم، وأرزاقهم. وذلك الطفل الذي يمتص طيب الغذاء من أمه في سيرورة عجيبة. مَنْ خلق هذه الأسباب جميعها، ومن كونها؟ إنه الله سبحانه وتعالى، وهذه آياته. ألا يستحق العبادة وحده دون سواه؟ فما أبعد الجاحدين من الحق! وما أعظم جبروت الطغاة الملحدين.

يا ويحَ من يعصي الإله وقد رأى
إحسانه بنواله وندائه

ويمضي الصنعاني الأمير في قصيدته الثانية يجلي الأمر، ويزيده وضوحًا، حيث حقق عظمة هذه الآيات وأظهرها، فهذا السحاب قد أدرّ ماءً عذبًا صافيًا لا يحاط بهيئته، وهذه الرياض قد كساها النبت، ونمت أزهارها فيه خضراء جميلة، ذات نضرة وبهاء، وهذه الأرزاق مقسمة مقننة، وذلك اللسان في تنوع كلامه، وتعدد لغاته. فمن بَرأ هذا الوجود، وأتقن صنعه؟ إنه الله الذي لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

هذا الدليل بأن ربك واحد
يختار لا قسْرٌ ولا إلجاء

لقد بنى الشاعر قصيدتيه الأخيرتين على بحر شعري واحد هو: الكامل التام، ومضى يلهم الروح فجورها وتقواها، ويبث في مكنونها حقيقة التوحيد، وعظمة الخالق في لغة يسيرة سهلة، ثقافتها الإسلامية عميقة، وتكوينها الأسلوبي معتدل مقبول، في قافية سلسة سهلة تجري على اللسان والأذن بعذوبة واعتدال؛ فلقد أشرقت تلك الأبيات بصورها المركبة ذات الحس والمرأي ومعانيها الرفيعة ذات السمو والتفوق، فهي واضحة جلية للناظر، فما أحوجنا لمثل هذا الأدب، وما أحرانا بمنهج أدبي إسلامي سوي .

الهوامش:

١- انظر ترجمته في الأعلام للزركلي.
٢- هو شرح بلوغ المرام لابن حجر.
٣- ديوانه ١٢٨، ١٢٩.
٤ - نحو مذهب إسلامي لعبد الرحمن رأفت الباشا، ٩٨.
٥ - ديوانه ٥.
٦- ديوانه ٧.



عمر عبدالله

القدوة الحسنة هدته إلى الإسلام

مولده

كان في بريطانيا عام ١٩٥٦م، لأبوين نصرانيين، يجمعهما الزواج والأسرة، ويفرق بينهما المذهب، فالأب كان يعتنق المذهب البروتستانتي، أما الأم فكاثوليكية، ولهذا حار بينهما، حتى خيَّره أبواه بين المذهبين، فاختار أن يكون بروتستانتيًا، لكن دون اقتناع قوي أو تعصب لهذا المذهب.

الجار المسلم

كان عمره لا يتجاوز ست سنوات حين سمع - للمرة الأولى - عن الإسلام، عندما سكنت بجوارهم عائلة مسلمة من الباكستان، ذلك أن حقبة الستينيات الميلادية شهدت هجرات باكستانية كثيرة إلى بريطانيا بحثًا عن مورد أفضل للرزق، وكان الطفل النصراني يجد لدى الأسرة الباكستانية المسلمة من الحب والحنان والعطف ما جعله يتعلق بها كثيرًا، ويمضي لديها أوقاتًا طويلة يستأنس فيها بصحبة أفرادها، مما أتاح له أن يراها تمارس العبادات الإسلامية من وضوء وصلاة بانتظام كل يوم في مواعيد محددة، فكان هذا بداية تعرفه إلى الإسلام وسماعه به.

وشاءت عناية الله أن تعمل والدة عمر في محل يملكه باكستاني، ولم يكن لذلك التاجر المسلم الباكستاني ولد، فكان يفيض بعاطفة الأبوة على الصبي النصراني، وكثيرًا ما اصطحبه معه إلى منزله ليقضي بعض الوقت مع أسرته، فكان يلمح لوحات إسلامية على جدران الحجرات، وكذلك سورًا من القرآن الكريم، فيسأل صاحب المنزل عنها؛ فلا يزيد في إجابته له على النطق باسم: الله.

مع إخوة مسلمين

ومضت الأيام، وصارت سنُّ عمر عبدالله ستة عشر عامًا، واقتضت ظروف الحياة أن يضطر للانتقال إلى مدينة أخرى فانقطعت صلته بالعائلة الباكستانية الطيبة والتاجر الباكستاني الحنون.

وفي مدينته الجديدة أمضى عمر قرابة ثلاث سنوات في سكن يتبع جمعية الطلبة النصارى، وكان يقيم في الجمعية طالبان مسلمان من الأردن، ومجموعة من الطلبة المسلمين من ماليزيا، وشاءت عناية الله أن يرتبط عمر بصداقة وطيدة مع الطالبين الأردنيين، ولاحظ حرصهما الشديد على أداء مناسك الإسلام من صلاة وصوم وعبادة، وداعبه أمل في أن يحدثاه عن دينهما، فكانا يتحدثان معه قليلاً عن الإسلام، لكنهما لم يدعواه إلى الدخول فيه أو الإيمان به، تاركين ذلك لحكمة الخالق التي لا تنسى أحدًا، وتجعل كل شيء مرهونًا بوقته.

التعرف إلى الإسلام

وحين عاد الطالبان الأردنيان إلى بلدهما، اقترب من الطلبة الماليزيين، ووجد فيهم ما وجده لدى صديقيه السابقين من حرص على أداء شعائر الإسلام، فطفق يرقبهم، وهو يتمنى في داخله لو استطاع أن يؤمن كما يؤمنون، حتى يبدد الخواء الروحي الذي يحياه.

كان عمر في تلك المرحلة قد تزوج واحدة من بنات جنسه النصارى، فكان زواجه بها عقبة حالت دون تمكنه من إشهار إسلامه، لعلمه أنها لن تقبل به؛ واصطرع في داخله نداءان: بين حاجته الدنيوية إلى الزوجة، وحاجته الروحية إلى أن يلبي نداء الفطرة، ويعتنق ما يؤمن به حقًا، حتى انتهى الصراع بانتصار فطرة الروح على فطرة الجسد، وطلق زوجته كي تنطلق روحه إلى آفاق أسمى من الدنيا الزائلة.

ولم يكد عام ١٩٧٨م يحل، حتى شعر بشيء في داخله يناديه لمصارحة زملائه الماليزيين برغبته في التعرف إلى الإسلام والدخول فيه، وما إن فعل حتى وجد ترحابًا وتفهمًا، وتعلم منهم - على امتداد عام ونصف العام - الكثير عن جوهر الإسلام وحقائقه، بدءًا بالشهادتين، وانتهاء بالصلاة والعبادات والمعاملات.

قد يسأل سائل: وماذا كان موقف أسرته من إشهاره إسلامه، وكيف تقبَّل والداه وشقيقاته هذا النبأ؟ للحقيقة أن الأخ عمر عبدالله لم يجد أي صعوبات مع أسرته، إذ كان كل ما يهم الأسرة أن تظل صلته بها قوية، فتركوه وشأنه بعدما لاحظوا أن إسلامه لم يقطع الصلات بينه وبينهم؛ بل على العكس زادها قوة ومتانة معرفة المهتدي الجديد أن الإسلام يحضُّ على صلة الرحم.

الزواج من مسلمة

مشكلة واحدة كانت تُنغِّص عليه حياته، هي البحث عن زوجة مسلمة يسكن إليها، وتعصمه من الوقوع في الخطأ. وشاءت عناية الله أن يعود صديقاه الأردنيان إلى بريطانيا، وما

إن علما بهذه الرغبة، حتى أخذاه إلى مدينة ليستر، حيث يكثر المسلمون هناك، وأقام أحدهما مأدبة دعا إليها بعض من يعرفهم من المسلمين، وخلال المأدبة سأل المضيف ضيوفه عما إذا كان لأحدهم بنت يزوجها لعمر، ثم أردف وامتدح المهتدي الجديد وأخلاقه، فقام أحد الحضور وسأله عن الصفات التي يريدها في الزوجة، فأجاب عمر أن ما يهمه بالدرجة الأولى أن تكون عارفة بالقرآن الكريم واللغة العربية، فرحب الرجل بإجابته وعرض عليه صورة أخته، فلاقت قبولاً لديه، فما كان من أخ العروس إلا أن أرسل لأهله في الهند مستشيرًا الرأي، فجاءه الرد بالموافقة، وتم الزواج وفقًا الله. ويعيش الزوجان اليوم حياتهما في منزل تحوطه الرحمة، وتحف به المودة والسكينة، وقد أثابهما الله على حسن إيمانهما ورزقهما من فضله من البنين والبنات، ويتلقى أولادهما دروسًا في اللغة العربية والقرآن الكريم ليشبوا مسلمين صالحين.

مفارقة مبكية

ومن المفارقات المبكية التي يرويها عمر عبدالله، أنه تتبع أخبار التاجر المسلم الباكستاني الذي كان يعطف عليه في صباه، ويأخذه إلى منزله، وعلم أن الرجل طَلّقَ زوجته، وأن الحكومة البريطانية، بعد أن انفصل الزوجان بالطلاق، قضت بسحب وصايتهما على ابنتهما، وأخذت الطفلة ـ وكانت في الثالثة من عمرها ـ لتتربى وسط عائلة إنجليزية نصرانية تبنتها، وغيرت اسمها من سارة إلى سوزان، وحولتها إلى النصرانية. والبنت اليوم عارضة أزياء، كما يقول عمر، تذهب إلى الكنيسة، بعد أن كانت تنتمي إلى أشرف دين، وهذه ضريبة قاسية يدفع ثمنها أطفال أبرياء وُلدوا مسلمين، وأقاموا في مجتمع غير مسلم، وحكم انفصال والديهم بأن يرتدوا عن دينهم. وهي مأساة تتكرر كثيرًا بين أبناء المسلمين في المجتمعات غير المسلمة، وتستوجب البحث عن حل لها.

قصيدة

حديث النفس

شعر: جبر عبدالمعطي جبر

إذا ما قلتُ يا قلبي تمنَّ   فشمسُ حياتك العجلَى تغيبُ

تفرقني بشدتها المنايا   وتذروني بقوتها الخطوبُ

وأمسي بعض أشلاء ابن آدم   له في كل ناحيةٍ غروبُ

وأمسي من كآبتها حزينًا   ومَنْ حولي بزخرفها طروبُ

فكيف يقومُ باللأواء قلب   له في كل آونةٍ وجوبُ

ويدعوني إلى السرَّاءِ طيفٌ   خؤونٌ في زخارفه كذوبُ

فلا يغررك يابن الطين عيشٌ   ولا دنيا مزينة لعوبُ

فلا ينجي من الأقدارِ خوفٌ   ولا ينجو مع الحذرِ الأريبُ

ولا يجدي مع الأرزاءِ فكرٌ   ولنْ يجدي إذا وقعتْ نحيبُ

فإن العمرَ أنفاسٌ وتمضي   وتُكتبُ في صحائفنا الذنوبُ

ولا يغررْك دجّالٌ كذوبٌ   خبيثٌ في مكائده عجيبُ

ولا تسلك سوى التوحيد دربا   إذا كَثُرَتْ على المرءِ الدُّروبُ

ولا تقصد سوَى الإخلاص قصْدًا   إذا اجتمعتْ على الدنيا القلوبُ

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح الفوزان

وسواس في الوضوء

بعد أن أنتهي من الوضوء، أشعر أنني قد أخطأت في موضع ما، فأعيد وضوئي، حتى يتكرر ذلك أكثر من خمس مرات. ما العمل في هذه الحالة؟

طارق الحارثي
مسقط، سلطنة عمان.

هذا من الوسواس فعليك بعدم الالتفات إليه. والشك إذا حصل بعد الفراغ من العبادة لا يُلتفت إليه فكيف بالوسواس؟! فعليك بالاستعاذة من الشيطان وقراءة المعوذتين، وسيذهب عنك إن شاء الله ما تجد.

الفريضة والنافلة

هناك من يرى أن الأوْلى في أماكن العمل أن يؤدي الإنسان الفرائض من الصلاة، وتؤجل السنن ليؤديها في البيت، لأن العمل فرض يتقدم على أداء السنة؟ فهل هذا صحيح؟

تامر محمد الوهيبي
أبو ظبي، الإمارات.

الواجب أن تؤدى صلاة الفريضة في المسجد مع الجماعة. والمستحب أن تؤدى النافلة في البيت لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة». ويجوز أن يصلي النافلة في المسجد؛ خصوصًا إذا خشي أن ينساها أو ينشغل عنها إذا خرج من المسجد.

الخصام مع الأخ

أحب أخي كثيرًا، ولكن حين حدوث مشكلة معه لا أبادره بالسلام، لأننا سرعان ما نعود إلى الخصام، مما يجعلني أحبذ بقاء الجفوة بيننا طلبًا للسلامة وراحة البال، فما الحل في مثل هذه المشكلة.

نواف العجمي
الأحمدي، الكويت.

عليك أن تصالحه وتبادره بالزيارة والسلام وتَفَقُّد أحواله لأن له حقًا عليك واجبًا بموجب القرابة. وقطع الأرحام من كبائر الذنوب ويوجب لعنة الله على القاطع، وصلة الأرحام من الحقوق الواجبة في الشريعة ولو قطعوك، فإنه لا يسقط حقهم عليك.

الربح الزائد على الحد

أذهب إلى المدينة وأشتري بعض البضائع لأبيعها في القرية بضعف ثمنها أو حسب مقتضيات الحال، حتى إنني قد أكسب أضعاف ثمنها، فهل تجارتي هذه حلال مكسبها؟

جمعه حادين
الحصاحيصا، السودان.

لا يجوز لك الزيادة في بيع السلع على الناس عما تساويه في السوق لما في ذلك من التغرير بالناس واستغلال حاجتهم. والربح الذي جرت به العادة لا بأس فيه. أما الزائد على ما جرت به العادة فلا يجوز.

ممارسة النساء الرياضة في النادي

أذهب إلى النادي القريب من بيتنا لممارسة رياضة المشي أو لعب التنس مع صديقاتي.. هل في فعلي هذا ما يضير؟

سهير الشناوي
القاهرة، مصر.

الواجب على المرأة الستر والبقاء في البيت فلا تخرج إلا لحاجة لابد منها، مع التزام الستر والبعد من مواطن الفتن. وتزاول المشي واللعب المباح في بيتها.

الأخذ من مال الزوج من دون علمه

اعتدت أن آخذ من جيب زوجي بعض النقود القليلة من غير علمه، فهل من الواجب أن أخبره عما آخذه في كل مرة.

سميرة إبراهيم، جدة

لا يجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها شيئًا إلا بإذنه. إلا إذا كان يُقَصِّر عليها في النفقة الواجبة فلا بأس في أن تأخذ من ماله ما يكفيها ويكفي أولادها بالمعروف.

صلاة الصبح بعد شروق الشمس

إذا استيقظ المرء بعد شروق الشمس فهل تجب عليه صلاة الصبح قبل دخول وقت الظهر؟ وإن كان جُنُبًا لا يستطيع الاغتسال إلا بعد دخول وقت الظهر، فهل يتيمم ويصلي أو ينتظر وقت الظهر؟

ياسين البرني
نهج فرنسا، تونس.

من فاتته صلاة بسبب نوم أو نسيان وجبت عليه المبادرة إلى أدائها على الفور حالما يستيقظ أو يتذكر. وإن لم يكن عنده ماء وعلم أنه يحصل عليه قبل خروج الوقت فإنه ينتظر حتى يحصل على الماء. أما إن كان الوقت سيخرج قبل حصوله على الماء فإنه يتيمم ويصلي في الحال. وفي هذه الحالة المسؤول عنها لا يؤخر صلاة الفجر إلى دخول وقت الظهر؛ بل يتيمم ويصلي في الحال.

حمزة شحاتة

عبقري زمانه!



رواد الأدب في بلادنا كثر. ولست بمدعٍ أنني عرفتهم جميعًا. ولكن الأقطاب منهم كان لي مع بعضهم لقاء، كما أتاح لي عملي في الصحافة الاقتراب كثيراً من آخرين منهم. وعن هؤلاء وأولئك يسعدني أن أكتب لـ «مجلة الفيصل» بعض ما عرفته عنهم أو تعلمته منهم.

٣



عبدالله عمر خياط

الذين يعرفون الأستاذ الكبير عبدالله عبدالجبار يعرفون أنه من الذين يضنون بالكلمة التي لا جدوى من ورائها، كما يعرفون عنه حق المعرفة أنه يرفض الثناء عليه، ومنه، لمن لا يستحقه. ولهذا فنحن عندما نقرأ المقدمة التي كتبها للمؤلف الذي صدر عن «دار المريخ للنشر» بعنوان «حمار حمزة شحاتة» ندرك تماماً أن كل حرف في هذه المقدمة إنما هو بعض الحقيقة التي تجسد بعض قدرات الأستاذ حمزة شحاته والقليل من إبداعاته التي بزَّ بها جميع أقرانه.

يقول الأستاذ عبدالله عبدالجبار في تلك المقدمة: «نحن تجاه قطعة أدبية، إن لم تبلغ الطول الذي اصطلح عليه عادة نقاد الغرب، فهي كذلك ليست قصيرة إلى الحد الذي تدخل به في الكلمات القصار التي تكتبها الصحف السائرة اليوم كفكرة الأستاذ علي أمين بجريدة الأخبار مثلاً.. إنها قطعة بين بين.

ثم هي بعد ذلك فكرة جديدة - أو على الأقل - في إحساس كاتبها الأديب السعودي. فهي حين كتبها قبل أكثر من ربع قرن لم يكن توفيق الحكيم الأديب الجهبذ قد أصدر كتابيه «حمار الحكيم» و«حماري قال لي»، ولم تُترجم كذلك رائعة «خيمنز» «أنا وحماري»؛ وإذا رجحنا أنه قرأ كتاب «خواطر حمار» للكونتيس «دوسيجور»؛ فإننا نلاحظ أنه لم يسرق من ذلك الكتاب، ولم يتأثر بتلك الخواطر أو المذكرات التي يرجح أن توفيق الحكيم قد تأثر بها واقتبس منها.

ولما شرع حمزة شحاته في كتابة سلسلة مقالاته الأدبية تحت عنوان «خنفشعيات» بجريدة «صوت الحجاز» حرص على أن ينوه في تمهيده لها بما يتوخاه من الجدة والابتكار فقال:

«فليسخر الأدباء من هذه الخنفشعيات، وليقولوا عن أسلوبها: إن المتانة تنقصه، وإن ألفاظها لا تترابط فنيًا أو موسيقيًا، وليصبوا عليها كل ما تعلموه من العقاد والمازني وطه حسين ومن كل أديب في مصر وسورية والمهجر.

ليسخروا ما شاؤوا فإنَّا لا نختار أن نكذب على الواقع، ولا نختار المشي على أيدينا ورؤوسنا، فإنما خلق الله الأقدام وحدها للمشي.

وبعد، فإنَّا لن نقلد أحدًا، ولن نسرق، وحسب القارئ منا هذه الأمانة في الوقت الذي عَمَّت فيه فوضى التقليد، وأصبحت كثرة الأدباء لصوصًا، وغدا الأدب «لصوصية» لا يطلب للبراعة فيها أكثر من جلادة الوجه، وخفة اليد، والصبر على المكابرة».

هذا الذي يقوله حمزة شحاتة فيما كتبه عن الأدباء ونقله عنه عبدالله عبدالجبار؛ يذكرنا بما جاء في المقدمة التي كتبها في صدر الكتاب الذي وضعه الأستاذ عبدالسلام الساسي باسم «شعراء الحجاز» حيث يقول الأستاذ شحاتة: «إن بواعث الشعر - فكرية كانت أو نفسية - هي ذات بواعث الحياة وانفعالاتها، ومعانيه وخيالاته وصوره هي التي تجول في كل نفس وفكر غامضة مكبوحة، أو واضحة طليقة، وباهتة أو لامعة.

والكلام هو وسيلة تصويرها والتعبير عنها، أو هو مادة بنائها، فلا جرم إن كانت ديباجة الشاعر وأسلوبه قوة وضعفًا وانطفاء ونصوعًا وصحة واعتلالاً، هي الدلالة والفارق والمقياس وميزان الحكم على قدرة الصناعة وحذقها وأهميتها واكتمال أدواتها.

ونذير الكلام على طريقة أخرى فنقول: إن بواعث الشعر هي بواعث الغناء في كل نفس إنسانية، ونظن الأمر في هذه الفكرة من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل أو موازنة.

وباعث الغناء يقر في نفس كل إنسان تقريبًا، فكل إنسان يُغنِّي لنفسه بكلام ذي معنى يصنعه ويستعيره، أو يدندن بشيء يقل أو ينعدم نصيب المعنى وأثره فيه، وما في ذلك ضير ولا به غرابة، فهو طبيعي بل ضروري في كثير من الأحوال؛ فلو سأل سائل: لماذا يغني لنفسه؟ لما كان هذا السؤال إنكاراً أو اعتراضًا، وإنما يكون تقصيًا للأسباب والبواعث والعلل.

أما إذا سأل: لماذا يغني الإنسان للناس؟ فإن السؤال هنا يشمل الإنكار أو احتماله، ويشمل مسوغات الإقرار لفتح بابها أو قفله قبولاً أو رفضًا.

والإنسان إذا غنّى للناس ـ احترافًا أو هواية ـ كان أول واجباته وأخلقها بالالتزام والرعاية من جانبه أن لا يقول شيئًا على أنه باب من أبواب الكلام يفهم، بل شيء يستحب ويطرب ويحرك الإقبال من باب حسن التصويت ورخامة التنغيم وقوة الاستجابة للمشاعر أولاً.

فهذه الصفات تنزل منزلة الأسلوب واتساق العرض وجماله وتأثيره في بسط النفس واجتذابها إلى ما تحتها أو وراءها من غرض هذا المعنى الماثل في المقطوعة المغناة أو القول المردد.

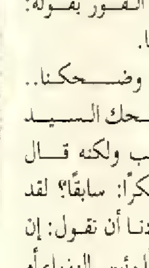
وقد يفتقد في المغني حسن الصوت ولطافته، فيستعيض السامع من ذاك قوة النبر، أو امتداد النفس، أو عمق الترجيع، أو القدرة على الضبط والتوازن، أو سعة الحيلة في التصرف؛ فهذا تحريك للإقبال والتأثر والانفعال في السامع بلون أو أكثر من ألوان القدرة والحذق يعوضه عن فقدان مطلبه الأساسي من المغني.

فإذا حُرم المغني من ذلك كله ولم تبق له إلا قوة المعنى وجماله وبراعته في بناء المقطوعة، لم يَعُدْ أن يكون مردداً أو مرتلاً أو منشداً.. وهذا على أي حال غير مطلب الغناء والتطريب، وغير ما يستحق به رافع عقيرته: اسم المغني أو المطرب».

بل إن شحاتة يختم تلك المقدمة للكتاب الذي ضم شعر عامة الشعراء من أبناء جيله بقوله: «وبعد فإن من شعراء هذه المجموعة من لا يفخر الحجاز وحده بهم ويتيه، بل كل بلد عربي، وهم: السرحان، وعواد، وقنديل، وحسين عرب، وأشباههم في معظم السمات وفي بعضها دون جملتها.

ومنهم مستحق الرثاء، ومنهم مستوجب التعزير، حتى يعلن التوبة من رفع عقيرته بمثل هذا الهراء الذي ظنه شعراً، فأفسد به ـ أو كاد ـ جو هذه المجموعة الرقيق حتى أوشك أن يتحول به إلى جو مظاهرة من المظاهرات التي يغلب عليها عنصر الرعاع والدهماء، وغفر الله لي أو لسعادة الأستاذ الشيخ محمد سرور الصبان، فهي جريرة من جرائر تقديمه للشعراء الثلاثة في «غرة المحرم ١٣٦٨هـ»، فَتَحتْ هذه الشقوق والغيران، فانطلقت منها هذه الأحياء الشاعرة، تكثيراً للعدد، أو تسويقًا لدعوة الأستاذ الكبير، أو تحقيقًا لأمله العريض، أو إغراقًا للسوق بالعملة الرديئة على الطريقة الشائعة، والله من وراء القصد وهو الغفور الرحيم».

.. وحمزة شحاتة الشاعر فنان متقلب المزاج عنيد لرأيه. ولهذا نعود ثانية لخاتمة المقدمة التي كتبها الأستاذ عبدالله عبدالجبار لكتاب «حمار حمزة شحاتة» لنقرأ رأيه الذي يقول فيه: «حينما التقى الشاعر التونسي «الطيب الشريف» بأديبنا الجهير «حمزة شحاتة» ولم يكن يعرفه من قبل تطوع أحد الأصدقاء بالتعريف فقال: الأستاذ حمزة شحاتة.. من كبار المفكرين.







محمد حسن عواد — عبدالله عبد الجبار — عبد السلام الساسي

وقاطع حمزة على الفور بقوله: سابقًا.

وضحكنا.. وضحك السيد الطيب ولكنه قال مستنكرًا: سابقًا؟ لقد تعودنا أن نقول: إن فلانًا رئيس الوزراء أو الوزير سابقًا، ولكن كيف يكون المفكر مفكراً سابقًا؟ هل تركت الفكر يا أخي؟ فأجابه حمزة: لا.. الفكر هو الذي تركني!

وحمزة أديب معروف باللسن والقدرة على الحجاج والجدل الطويل، حتى ليظل في بعض الأحيان يناقش عشرين ساعة متصلة دون سأم أو كلل، ومع ذلك يرى نفسه الأديب الصامت، ويتمنى أن يجد البشر وسيلة للتفاهم غير الكلام، ويتنبأ بأن إنسان المستقبل سيستغني عن اللغة وسيتفاهم الناس بانتقال «موجات الأفكار». وكلما أمعن الناقد في دراسة حمزة ألفى نفسه إزاء شخصية يتعانق في طواياها الإنسان بالفنان.. وهو يمارس الوظيفة ويحل مشكلات الحياة بروح الفنان.. يقول لصاحب العمل: «إنني سأتخلى عن العمل بعد أسبوع فلتبعث مديراً جديداً يتسلم مني الإدارة في هذه الفترة». وإذا تباطأ الرد كتب له مرة أخرى: «أمامك يومان للتسلم لأني سأركب الطائرة إلى لبنان أو إلى مصر».. ويسافر فعلاً سواء تسلم منه العمل أم لا.

وحينما كان محاسبًا للبعثات السعودية بمصر كان يقضي وقت الدوام وهو يناقش طلاب الجامعة في شؤون الحياة والفكر والأدب فيستهويهم حديثه، ويشعرون أنهم إزاء مفكر غير عادي.. ويظل معهم على هذا النحو إلى أن يحين وقت انصراف الموظفين إلى دورهم فيبدأ في عمله الرسمي.. ويحبس نفسه وموظفيه المساكين إلى الليل.

والمزاج الفني يتحكم في مجرى حياته ومعاملاته مع الناس، فبينما تراه يدقق في القرش ويحاسب على الهللة حتى يقبضها، تراه، في موقف آخر، يترك ألوف الجنيهات تذهب هدراً، لأن الذي استدان منه اتخذ في النصب عليه وسيلة فنية استهوته ووافقت مزاجه الفني.

وقد حكى لي مرة قصة التفاؤل والتشاؤم في الدَّيْن (بفتح الدال).

قال بطل القصة لصديقه: إنني أفضل الاستدانة من الأستاذ حمزة على غيره من الناس.

فسأله الصديق: لماذا؟

فأجابه: لأنه متشائم وغيره من الناس متفائل.

قال له: أرجو إيضاحاً أكثر.

فقال له: إن المتفائل يظل يلح على غريمه ويمد يده ولا ييأس أبداً حتى يتقاضى دينه، أما الأستاذ حمزة فيدِّين الشخص ويعرف مقدماً ٩٩٪ أنه لا يرد دينه.. فهو إذن متشائم وأنا أموت في المتشائم.

وحمزة شحاتة من نتاجه الأدبي يقف على نقطة الالتقاء أو خط التماس بين الفلسفة والأدب، وهو في هذه السمة يشبه أبا العلاء المعري الذي يعجب أديبنا به وبآثاره أيما إعجاب.

وإذا أردنا أن نطبق عليه تصنيف علم الطبائع للأمزجة، ألفيناه يمثل الطبع العاطفي، على حين يمثل زميله محمد حسن عواد الطبع الغضبي.

وأصحاب الطبع العاطفي ـ بفطرتهم ـ يترجحون بين الانطوائية والانبساطية، وهذه الميزة تبدو واضحة في حمزة شحاته سواء في حياته أو في شعره، فقد يهرب من المجتمع ويتقوقع داخل داره أو غرفته متأملاً أو منغمسًا في قراءات طويلة عميقة متنوعة، يقرأ كل شيء، ولا يكاد يظهر للناس، حتى إذا ظننا أو اعتقدنا أنه قد آثر الوحدة والانعزال، ألفيناه فجأة يغشى المجالس والمجتمعات، ويلقى أصدقاءه ومعارفه، وينغمس في دنيا الحياة والأحياء والبيع والشراء، ويمثل الروح الانبساطية بأجلى معانيها، ولكنه لا يلبث أن ينصرف تدريجيًا إلى حياة الانطواء والانفراد».

وللأستاذ الكبير محمد حسين زيدان رحمه الله رأي يقول فيه عن حمزة شحاتة: «شقوة كبرى أن نحرم أنفسنا من العطاء لأبنائنا حين لا نعرفهم بشاعر كبير هو حمزة شحاتة».

وعندما طالبته بالكتابة عنه، وكنت يومها سكرتيراً لتحرير جريدة «البلاد» ليعرف الأبناء عبقري زمانهم سارع وكتب مقالاً مطولاً كان مما قال فيه: «من السهل أن أكتب عن حمزة شحاتة الشاعر، ذلك أنه فيما عرفت عنه وما خبرته فيه يتمتع بازدواجية في كثير من مسالكه الفكرية والوجدانية، ازدواجية ليس فيها التنافر، وإن استنفر بها إعجاب الأصدقاء وخصومة المنافسين. فالاعتدال في إبراز هذه الازدواجية يصعب أن يفهمه الذين لا يعرفون قوة إعجابه بنفسه وقوة تعجبه من مزايا

عبقري زمانه! ٣

الآخرين أو رزاياهم، فالحياة عنده كتاب مفتوح لا يتركه مهملاً دون قراءة؛ فهو شديد الحرص على دراسة كل ما أحاط به فإذا هو يتمتع بفراسة لا تكاد تخطئ يميز بها الجيد وغير الجيد. هو ممتع إلى حد كبير حين يتحدث أو يحاور، أو حتى يخاصم، ومنغص إذا انصرف عن مشاعر الوجدان وإيحاءات الفكر لأنك ستجده حينذاك إنسانًا يركب العادة ولا يركبه التعود، فسرعان ما ينصرف عن إنسان مجرد ليرجع إلى نفسه إنسانًا مفكرًا شاعرًا يجود بكل البديع من إبداع طبيعة الصوفية الفكرية فيه، فهو يتمتع بصوفية الفكر وزهادة الوجدان والعقل المنظم، بينما هو بهذه الازدواجية تضيق حينما يركب العادة بالتعامل مع الماديات.

قلت مرة: لكي تحب حمزة شحاتة عاشره ولا تناكره. هو كالوردة شُمها ولا تضمها. ارتفع بالنثر إلى مقام كبير أمدته بذلك ثقافة واسعة ودراسة متصلة. فهو في نثره يرتفع عن الرافعية دون تعقيد كأنه ينتصر لطه حسين على العقاد فهو في نظري الناثر.

نفاخر به، ولا أحسبني أتزيد حين أصفه من أوائل كتاب هذا العصر، لكنه يحرجني حين شح علينا بما نثر. وبخلت الظروف أن نحيط بكثير من شعره. فلا أعرف فينا من أجاد النثر وأجاد الشعر في وقت واحد غير حمزة شحاتة أو حسين سرحان، وكأن ما وصف به المنفلوطي أمير البيان شكيب أرسلان ينطبق على

لبمخض زبده، نحن في المدينة لم نكن نعرفه، في قطيعة من الاتصال، ولكن أستاذنا عبدالوهاب آشي الذي عرّفني به يُكبِرُه، حتى قال بعبارة لطيفة: إن هذا الحمزة شحاتة نخافه كثيرًا بينما هو المرجّى فينا كثيرًا. وكان ذلك في عام ١٣٥٢هـ.

إن حمزة شحاته هو الفاصلة في مقدمة الطليعة؛ إن شق الطريق إليها عمر عرب شاعرًا، فإن حمزة شحاتة قد أتم البنيان شاعرًا وناثرًا، فقوة التحدي فيه كثيرًا ما تصيبه بالتعدي، لا يلبث بعدها إلا أن يذهب وازع التحدي ليزول منزع التعدي.. فالتحدي في أن يرفض كل ما يتصور أنه النقص يوصف به. إذا ما عرف أن بعض الشباب يدرسون الرياضة العليا، غاب يصوم في صومعته عن رؤية الناس ليدرس، حتى إذا تم له العلم جاء برفض استعراض العضلات أمامه ليستعرض عضلات الفكر والعلم الذي درس أمام هؤلاء. وحصل له مرة أخذني معه ليسأل الشيخ الجليل محمد بن مانع، يرحمه الله، عن مسألة في الفقه، فأخذ الإجابة، ولكنه لم يكتف بها، فأحب أن يجيب هو نفسه عن سؤاله وربطني أمامه في أيام من أيام الصيف، يضع المحلّى لابن حزم والمغني لابن قدامة نقرأ ونقرأ ليتزود بالفقه، كأنه ما أحب أن يلجأ مرة أخرى ليسأل فقيهًا عن مسألة، وتلهيت عنه أعد الغداء فإذا بي أسمع خبط الكتاب على الأرض. يقول لي: تعال..

كان حمزة شحاتة فنانًا متقلب المزاج عنيدًا لرأيه. وكان معروفًا بالقدرة على الحجاج والجدل؛ إلا أنه يتعامل مع مشكلات الحياة بروح الفنان!

حمزة شحاتة أكثر من انطباقه على شكيب أرسلان. فوصف المنفلوطي يقول عن شكيب أرسلان: لو لم يكن شاعرًا مجيدًا لكان ناثرًا مجيدًا إلا أنهما كفّتا ميزان إذا شالت إحداهما رجحت الأخرى.

وكفة الميزان في حمزة شحاتة في ميزانه. لا تميل كفة عن أخرى. كأنما هي وزن السبيكة من الذهب بسبيكة أخرى لا تزيد عنها ولا تنقص.

وميزة لحمزة شحاتة أن تفهمه حين تقرأ بالأذن، لأن ما يكتبه له جرس منغم، كأنما طبيعة الشعر فيه قد تزينت بموهبة الموسيقى، فإجادته للأنغام، وضربه للعود، صنعا له أن يكتب الكلمة المنغمة كأنها ملحمة بنغم وزنه الموسيقار، فهو من الكتاب الذين تريد فهمًا له حين ترفع صوتك بالقراءة.

إن حمزة شحاتة يزن الرجال بميزان التحدي حتى ليلجأ لأسلوب السخرية، ويثير من يريد التعرف عليه

تعال. يقرأ لي نصًا من حديث في خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك أن أنصاريًا شكا الزبير بن العوام، فإذا الرسول يصدر أمره، يقول للزبير: احبس الماء حتى يبلغ كعبيك ثم أطلقه، عندها رمى الكتاب من يده له فرقعة ويقول لي: ما هذا؟ إن مجتمع المدينة كم عدد الناس فيه؟ كم هي الأحوال التي تطرأ لتوجب الفتوى؟! إن هذا لعجيب كأن حكمة الله، وبقدرته يخلق الأحداث ليكون التشريع: عشر سنوات في المدينة لهذا المجتمع الصغير، أضع أمامي أحد عشر مجلدًا من «المحلّى»، واثني عشر مجلدًا من «المغني»، كلها تشريع وكلها فقه؟ هذا عجيب؟ وأحضرت عددًا من الهلال، فيه بحث قيم كتبه الدكتور أنور المفتي - يرحمه الله - عن الجبر والاختيار والقدر بتشريح طبي، قرأناه مرتين، فإذا بحمزة شحاتة يخرج مقصًا من جرابه يقص مقال المفتي. لقد حل أنور المفتي بالتشريح بعض

المعضلات.. هكذا حمزة شحاتة.. شبع فكره بالدرس، وأشبع أسلوبه بفكر نظيف، ولكن إياك أن تلمزه في معارفه حتى في لعبة «الكيرم»، حتى نغم على وتر العود، كأنما أراد أن يكون موسوعة ثقافية متحركة».

وبعد أن يروي الأستاذ زيدان في مقاله بعض المواقف التي يبرهن بها على عظمة الأستاذ شحاتة، ينهي الحديث بهذه الصورة المقارنة: «من هنا برز عبدالله عريف بين أنداده، فإذا هو النديد ذو المكانة يزيد في الإمكان، لأنه قد سلك الطريق ومع غيره صنع ذلك، فكثير هم الذين أعطاهم حمزة شحاتة الكثير من وقوفه معهم.

حمزة شحاته، ونزار قباني انطلقا فعكسا التقليد في الشعر والنثر، فالشعر قيد والنثر انطلاق، ولكنهما حمزة شحاتة ونزار قباني انطلقا فعكسا التقليد في الشعر دون قيد وتقيدًا بالنثر بكل القيود. قلت هذا في نزار ثم سمعت نزارًا يقوله عن نفسه؛ ومعنى ذلك أن حمزة شحاتة ناثر في القمة لا يكاد يبلغ الكثير منا مبلغه في وحدة الموضوع رغم الإطناب والإفصاح. وأعني بالقيد الإمساك بوحدة الموضوع والتمسك بمواءمة الفكر للفكرة، فلا تجد في فترة التمزق والانحلال والتحلل من فكرة أوضحها إلى غموض يفضحها، فالإيضاح هو نوع من الفضيحة في التعبير عن الفكر الجريء.

أما شعره فقد انطلق، تحسبه كمهيار، تحسبه كالشريف الرضي وأحيانًا كشوقي.. قيد واحد في الشعر هو أنك لا تجد فيه إلا رقة المحدثين حتى تجنب أن يكون مَقُودًا للمتنبي، فهو على عكس شوقي، فشوقي قيّده المتنبي بقيد من حرير ترى ملامحه واضحة في الاتساق والفحولة في عدم التنافر بين القوافي.

إن حمزة شحاتة كما قلت فيه قبل أكثر من أربعين عامًا هو الذي قبل الحياة لإنتاجه بالتخفي لا بالخوف، فحمزة شجاع إلى أقصى حد، لكنّ فيه شيئًا من الجبن، كان شعره هو رأس ماله، فهو الجبان في عدم الإعلان عن هذا النتاج خوفًا عليه لا خوفًا منه، وقد أرسلت له كتابًا يقرؤه كتبت في ورقة أقول له: تريد أن تكون عدمًا في الحياة وأنت حياة في العدم؟ فجاءني يقول لي: لا تخرجني من الخوف على ما أنتجت نظمًا ونثرًا، لأني أعرف مجتمعي، فهو لايزال يسمينا الأدباتية.

هكذا حمزة شحاتة، كان نهرًا واكب نهضة بلاده، رحمه الله».

وإلى الحلقة القادمة لنقرأ معًا بعض رسائله التي يرى فريق من الناس أنها صورة معبرة لحقيقة أفكاره وعمق ثقافته.



اللغة العربية

بعض خصائصها ـ شهادات أجنبية بأهميتها ـ مخططات لإضعافها

محمد نعمان الدين الندوي

اللغة ليست أداة للتخاطب والتفاهم فحسب، بل هي أحد المقومات الرئيسة التي تُكوِّن عقلية الأمة وفكرها وشخصيتها، وتحقق وحدتها، وتترجم عن ملامحها ومعالمها وهويتها، وتعبر عن أحوالها وأسرارها ودقائقها، ولعل المفكر الألماني «فختة» عبر عن هذا بقوله: «إن اللغة هي الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان».

فهي ـ اللغة ـ مظهر معبر عن حقيقة الأمة بكل ما فيها من أفكار وخصائص ومعتقدات وتاريخ، وكلما دقت تراكيبها دلت على قدرات أهلها، وكثرةُ مشتقاتها تدل على غناها وسعتها.

العرب ولغتهم

«فالعرب ولغتهم امتزاج حضاري حقيقي، لا يفصل بينهما فاصل، ولا يحول دون تفاعلهما حائل، يثبت ذلك معتقد، ويوطّده محيط، وتؤكده بيئة.

واللغة العربية فيها صورة العرب كاملة، منها تعرف طباعهم، وبها تميز خلقهم، ومن خلالها تحكم على عاداتهم وتفهم تقاليدهم، وتقدر اتجاههم. هي ديوان مفصل واضح لكل ما يخصهم، وعن كل ما يعنيهم. ولأنها كذلك، فقد اهتموا بها، والتفتوا إليها، وغاروا عليها، لأنها تنقل أفكارهم صادقة أمينة بينهم وبين غيرهم كما يريدون، وبالصفة التي يختارون»(١).

سعة اللغة العربية

اللغة العربية لغة السعة والثراء والغنى، يدل على ذلك ما يأتي:

* عدد الألفاظ المستعملة من اللغة العربية خمسة ملايين وتسعة وتسعون ألفًا وأربعمئة لفظ من جملة ستة ملايين وستمئة وتسعين ألفًا وأربعمئة لفظ. بينما نجد غيرها من اللغات الأوربية لا يبلغ عدد مفرداتها معشار ما بلغته مفردات العربية.

وبديهي أنه لايمكن لأحد ـ مهما اجتهد وبلغ في اللغة شأوًا بعيدًا ـ إحصاء جميع الألفاظ في العربية، ويعني ذلك أن العدد الحقيقي للألفاظ العربية أكثر بكثير مما عُدَّ منها.

* كثرة الأسماء لمسمى واحد، فقد حصر بعضهم أسماء السيف والأسد في لغة العرب فكانت أوراقا عدة كما ذكر ذلك ابن سنان الخفاجي..

* اللغة العربية لغة اشتقاقية تقوم على أبواب الفعل الثلاثي. ولذلك فإن خزائنها من المفردات يمكن أن تزداد دائمًا، لأن الاشتقاق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة.

وتحمل كل الكلمات المشتقة من أصل ثلاثي معها المعنى الأصلي، بخلاف غيرها من اللغات الاشتقاقية، فمشتقات: «علم: عالِم، عَلِم، علّم، أعْلَم، نجد مقابلاتها في الفرنسية كالتالي: Informer, Seenee, Enseigner, Savair, Savant؛ وهذه كلمات بعيدة عن الأصل»(٢).

والاشتقاق من أغرب كلام العرب، ومن أبرز مزايا هذه اللغة وخصائصها، وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قوله فيما صح عنه: «يقول الله: (أنا الرحمان، خلقت الرحم، وشققت لها

من اسمي)». والحديث في مسند الإمام أحمد رحمه الله(٣).

* اللغة العربية سهلة كتابة وقراءة، فهي تُقرأ كما تُكتب، وتُكتب كما تُملى إلا بعض القواعد القليلة التي لا يُحتفل بها عند الموازنة بخلاف اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية.

* للفصحى طرق عديدة في وضع المصطلحات، أهمها «الارتجال، والقلب، والاشتقاق، والنحت والتعريب»(٤).

قال الإمام الشافعي رحمه الله عن سعة العربية: «لسان العربية أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، والعلم باللغة عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل اللغة».

ثم العجب ممن يشكو من فقر اللغة وعجزها عن تلبية مستحدثات العصر ومواكبة التطور العلمي الهائل.. ولله در الشاعر العربي حافظ إبراهيم الذي قال على لسان العربية:

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي
وناديت قومي فاحتسبْتُ حياتي
رَمَوْني بعُقمٍ في الشباب وليتني
عَقَمْتُ فلم أجزع لقول عُداتي
وسعتُ كتاب الله لفظًا وغاية
وما ضِقْتُ عن أيٍ به وعِظَاتِ
فكيفَ أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلة
وتنسيق أسماءٍ لمخترَعَاتِ
أنا البحرُ في أحشائه الدُّرُّ كامنٌ
فهل ساءلوا الغوَّاصَ عن صَدَفاتي؟

العربية لغة الحكمة والكمال والقوة والمرونة

العربية لغة الفصاحة والبيان والفخامة والقوة والحكمة، فقد نُقل عن الفارابي: «إن هذا اللسان كلام أهل الجنة، وهو المُنَزَّه بين أهل الألسنة عن كل نقيصة، والمعلَّى من كل خسيسة».

واللغة العربية لغة ناضجة، وينطبق هذا النضج على نحوها ومفرداتها وتركيباتها وسماتها الدلالية وتأثيرها الملموس في الكثير من لغات العالم عامة واللغات السامية خاصة.

ولتوضيح هذا النضج اللغوي ضرب الأستاذ عبدالله مجددي المثال الآتي قائلاً: «إن نظام الإعراب هو من أهم النظم اللغوية التي تميز العربية من غيرها من اللغات، فقد أعطى هذا النظام الدقيق مرونة خارقة للمتكلمين بالعربية تجعلهم غير ملزمين بترتيب عقيم للكلمات يدل على الوظائف النحوية لها. بينما تُلزِم الكثيرات من اللغات متكلميها بترتيب معين للكلمات يميز الوظائف النحوية فيها، ويضيع هذا التمييز إذا اختل هذا الترتيب، فالإنجليزية مثلاً تتبع ترتيب: فاعل - فعل - مفعول، فإذا أردت أن تقول: (أكل زيد طعامًا) يجب أن يكون الترتيب: (زيد أكل طعامًا) ولا يجوز أن تقول: (أكل زيد طعامًا) ولا: (طعامًا أكل زيد) ولا: (أكل طعامًا زيد).. بينما يجوز لك أن تقول كل ذلك بالعربية، وذلك لوجود علامات الإعراب التي تلحق بأواخر الكلمات وتميز الفعل من الفاعل من المفعول». ونظام الإعراب هذا يدل على المرونة التي تتميز بها اللغة العربية من غيرها من اللغات.


حافظ إبراهيم

تأثير العربية في اللغات الأخرى

أما تأثير العربية في غيرها من اللغات، فحدِّث عن البحر ولا حرج. ومن مظاهر التأثير أن كثيراً من لغات العالم تستعمل الرسم العربي للحروف في كتابتها مثل الفارسية، والأردية، والبنجابية، والبشتو - المستعملة في أفغانستان - والماليزية، والكانوري، والهوسا، وفيل - في السنغال -. كما أن اللغة العبرية بها آلاف الكلمات العربية التي تُنطق باختلافات طفيفة عن نطقها العربي. وللعربية تأثيرها الكبير في اللغات الأوربية، ففي الإسبانية مثلاً يوجد ما يربو على ٢٥٠٠ كلمة من أصل عربي. كما أن معظم الكلمات الإسبانية المبدوءة بأل هي من أصل عربي، ومن المعروف أن كثيرا من المصطلحات العلمية الأوربية في علوم كثيرة هي من أصول عربية وضعها العرب، وبقيت في اللغات الأوربية، دون أن يكون لها مرادفات لاتينية أو إسبانية(٥).

يتكلم العربية في الوقت الحاضر قرابة ١٣٩ مليون نسمة من مجمل سكان البلاد العربية. وبمقابلة العربية بلغات العالم الأخرى فإنها تُعدّ اللغة السادسة من حيث عدد المتكلمين بها كلغة أم، كما تُعدّ اللغة الأكثر انتشاراً في إفريقيا وغرب آسيا؛ كونها اللغة الدينية لأكثر من مليار مسلم ينتشرون في بقاع الأرض(٦).

الخصيصة الكبرى والشرف الأعظم للعربية

لقد حظيت اللغة العربية بالميزة الكبرى من بين سائر لغات العالم، الميزة التي استحقت بها الخلود والصمود والشرف الباقي إلى يوم القيامة، وهي أن الله سبحانه اصطفى هذه اللغة لتكون وعاء كتابه الأخير الذي أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيًا: *إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرآنًا عربيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*. **يوسف**:٢.

من هنا تنبع الأهمية الكبرى للعربية.. الأهمية الدينية والثقافية والتاريخية. فهي - العربية - مفتاح كنوز الكتاب والسنة، والمدخل إلى فهم التراث الإسلامي العظيم، وهي التي حفظت روائع حضارتنا الإسلامية الزاهرة.

ومن هنا - أيضا - تكتسب العربية خلودها وبقاءها إلى قيام الساعة، وذلك لكونها لغة القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه وتخليده: *إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ*. **الحجر**:٩.

ومن أثر نزول القرآن بالعربية - أيضا - أنه وصل بين أبناء الأمة الواحدة بهذه اللغة على مختلف الأجيال، ولهذا نفهم كلام العرب الذي قالوه قبل عشرات القرون؛ بينما الفرنسيون والإنجليز وغيرهم لا يستطيعون أن يفهموا ما كُتب قبل أربعمئة سنة إلا بجهد جهيد وبالاستعانة بالمعجمات لحل غموض اللغة التي يسمونها الكلاسيكية أو القديمة بعد أن تغيرت قواعدها على عكس العربية(٧).

من مظاهر تأثير العربية في غيرها من اللغات، أن كثيراً من لغات العالم تستعمل الرسم العربي للحروف في كتابتها، مثل الفارسية والأردية والبنجابية وغيرها!

العربية والسلف

لقد أحب السلف رحمهم الله العربية حبًا عظيمًا واهتموا بها، ووهبوا نفوسهم للغتهم وآدابها؛ فنقحوها، ووضعوا قواعدها، وأصّلوا نحوها وصرفها، حتى بلغت درجة من الكمال والصفاء أهّلتها لما قامت به في بناء أعظم حضارة عرفتها الإنسانية، وخلفوا لنا تراثا جليلاً، فلا يخفى على مُطّلع «ما خلفه ابن جني الذي كان متمكنًا من اليونانية لأنه رومي، وما خلفه أبو علي الفارسي الذي كان متمكنا من الفارسية من تراث عظيم في العربية، مع أن الرومية والفارسية كانتا أزهى لغتين في زمانهما بعد العربية، وكذلك كان شأن الكثير من سلف هذه الأمة»(٨).

وهناك الكثير من العلماء والأئمة الذين يروى عنهم ما يدل على حبهم للعربية وإعجابهم بعبقريتها وشعورهم بفضلها ومكانتها، وإيجابهم تعلمها لفهم الكتاب والسنة وعلومهما.

يقول أبو الرَّيحان البيروني: لأن أُشتَمَ بالعربية خيرٌ من أن أُمْدَحَ بالفارسية».

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإن عربي»، وقال: «تعلموا العربية فإنها من دينكم».

الصلة بين التفسير والعربية

لقد اشترط العلماء شروطا عدة لمن يقوم بتفسير القرآن الكريم، منها معرفة اللغة العربية، يقول السيوطي: «لا شك أن علم اللغة من الدين، لأنه من فروض الكفايات، وبه تُعرف معاني ألفاظ القرآن الكريم والسنة»، ويتحدث عن الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم فيقول: «يجوز تفسير القرآن لمن كان جامعًا للعلوم التي يحتاج إليها المفسِّر، وهي خمسة عشر علما: أحدها: اللغة، لأن بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، الثاني: النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلابد من اعتباره، الثالث: التصريف، لأنه به تُعرَف الأبنية والصيغ».

ويروى عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: «لا أُوتَى برجلٍ يفسِّر كتابَ الله غيرَ عالمٍ بلغات العرب إلا جعلتُهُ نَكَالا».

ويروى عن مجاهد أنه قال: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب».

وقال ابن تيمية رحمه الله: «إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

الصلة بين الفقه والعربية

وللعلماء الكبار أقوال تدل على أهمية العربية في مجال الفقه وأصوله، يقول الآمدي: «وأما ما منه استمداد علم أصول الفقه، فعلم الكلام وعلم العربية والأحكام الشرعية.. فأما علم العربية فلتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها من جهة الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق وغيره مما لا يُعرف في غير علم العربية».

ويقول الأسنوي: «إن علم الحلال والحرام الذي به صلاح الدنيا والآخرة مستمد من علم أصول الفقه وعلم العربية، فأما العربية فلأن أدلته - من الكتاب والسنة - عربية، وحينئذ يتوقف فهم تلك الأدلة على فهمها والعلم بمدلولها على علمها».

أبو يوسف والكسائي والعربية

تحتفي أغلب الكتب بقصة الكسائي مع أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، رحمه الله، بحضرة الرشيد. ومفاد القصة أن أبا يوسف كان يغيظ الكسائي كثيراً بالتهوين من شأن العربية، فأراد الكسائي أن يبين له أهميتها فيما هو من مجال أبي يوسف ومن صحيح اختصاصه وهو الفقه والفتيا، فطرح عليه الكسائي هذا السؤال: «ما رأيك يا أبا يوسف في رجلين قال أحدهما: (أنا قاتلُ غُلامك) بإضافة قاتل إلى الغلام، وقال لك الآخر: (أنا قاتلٌ غُلامَك) بتنوين قاتل ونصب الغلام به، أيهما كنت تقتص منه؟ فقال أبو يوسف: كلاهما، فقال له الكسائي: أخطأت! القاتل هو الأول، أما الثاني فإنه يتوعد ولم يقتل بعد. عندها سلم أبو يوسف للكسائي، وزادته الحادثة - وحوادث أخرى تتناقلها الكتب فيما بين هذين العالمين الجليلين - علمًا ويقينًا بأهمية اللغة العربية»(٩).

مَن العربي؟

قد يسأل سائل: من العربي؟ هل العربي من وُلِد في بلد عربي؟ أو من ينتمي إلى سلالة عربية أو من يتكلم العربية؟

وقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم - نفسه - إجابة واضحة عن هذا السؤال في الحديث الذي رواه الحافظ ابن عساكر بسنده إلى مالك عن الزهري عن أبي سَلَمة بن عبدالرحمن قال: جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال: هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هؤلاء؟ (يشير إلى سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم) فقام إليه معاذ، فأخذ بتلابيبه حتى أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقولته، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا يجر رداءه حتى دخل المسجد ثم نودي: الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس! إن الرب واحد، وإن الأب واحد، وإن الدين واحد، ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم، وإنما العربية لسان، فمن تكلم العربية فهو عربي» فقال معاذ وهو آخذ بتلابيب الرجل: ما تقول في هذا المنافق؟ فقال: «دعه إلى النار»، قال: فكان ممن ارتد فقُتل في الردة.

إذن العربي ليس بالولادة أو بالنسب أو السلالة، وإنما بالكلام فمن تكلم العربية فهو عربي! فيجب «على العرب الذين حملوا راية الإسلام أن يدركوا أن العروبة ليست دمًا، وإنما هي لسان، وأن الولاء ليس لأنسابهم، وإنما هو للدين الجامع»(١٠).

اعترف كثير من المستشرقين بأهمية اللغة العربية ودورها في تاريخ الحضارة؛ بل قال بعضهم إنها نشأت متكاملة لم تعرف الطفولة اللغوية التي عرفها غيرها من اللغات!

شهادات أجنبية بفضل العربية

لقد اعترف الأجانب من المستشرقين والغربيين بأهمية العربية ودورها في تاريخ العلم والمعرفة والحضارة وخصائصها اللغوية، وتفوقها على غيرها

بعض خصائصها ـ شهادات أجنبية بأهميتها ـ مخططات لإضعافها

من اللغات، (والفضل ما شهدت به الأعداء)، ونقدم فيما يلي بعض هذه الشهادات:

عن قدرة العربية الكبيرة على اشتقاق الألفاظ وظواهرها الصرفية العجيبة، يقول إرفنج IRVING: «إن هذه القوة (في العربية) في اشتقاق الألفاظ تقودنا إلى هذه الثروة المدهشة من المفردات التي نواجهها حين نتكلم العربية... إن الجذور الصرفية العربية الكثيرة جدا بالإضافة إلى الموازين الصرفية الكثيرة جدا أيضا تجعل العربية من أوسع وأعظم اللغات في العالم، وإذا أخذنا هذه الخاصية فقط من بين جميع خاصيات العربية بعين الاعتبار فإن العربية جديرة بأن نسعى إليها ونتعلمها، وإنها واحدة من اللغات الكلاسيكية العظيمة، وتقف جنبا إلى جنب مع الإغريقية».

وقال المستشرق الألماني مزنباج ـ وهو يعترف بالدور الكبير الذي قامت به العربية في تاريخ العلم والمعرفة ـ: «ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التاريخ بها لا يكاد يأتي عليهم العد، وإن اختلافنا عنهم في الزمن والسجايا والأخلاق قد أقام بيننا ـ نحن الغرباء عن العربية ـ وبين ما ألّفوه حجابًا لا يتبين ما وراءه إلا بصعوبة».

ويقول أرنست رينان: «فهذه اللغة.. تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي، لقد كانت هذه اللغة منذ بدايتها على درجة من الكمال تدفعنا إلى القول بإيجاز إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحاضر لم تتعرض لأيّ تعديل ذي بال، فاللغة العربية لا طفولة لها، ولا شيخوخة أيضا منذ ظهرت على الملأ، ومنذ انتصاراتها المعجزة، ولست أدري إذا كان يوجد مثل آخر للغة جاءت إلى الدنيا مثل هذه اللغة من غير مرحلة بدائية ولا فترات انتقالية ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق».

تقصيرنا تجاه العربية وإحياء اليهود العبرية

وخلف من بعد السلف ـ الذين قاموا خير قيام بما عليهم تجاه لغتهم التي اعترف بفضلها وأهميتها ومكانتها حتى الأعداء ـ خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ تنكروا للغتهم واحتقروها ونظروا إليها نظرة ازدراء وجفاء، واتهموها بالعجز والقصور وعدم صلاحيتها للعصر التقني (التكنولوجي) بعد أن ظلت ـ أكثر من ألف عام ـ لغة العلم والحضارة والثقافة، نبغ خلالها عباقرة أفذاذ أغنوا المكتبة العربية الإسلامية في جميع العلوم والفنون وشتى أنواع المعرفة بفيض هائل وآثار متنوعة وتراث غزير.

كل ذلك في الوقت الذي أحيا فيه اليهود لغتهم العبرية الميتة منذ مئات السنين، واستطاعوا في مدة قصيرة أن يجعلوها لغة جاهزة لتستأنف دورها من جديد، فهي الآن كذلك.

وأخبر تقرير ـ نُشر أخيرا(١١) ـ، أن المستشارين والموظفين من اليهود الذين يملؤون ردهات الحكومة الأمريكية يتخاطبون فيما بينهم بالعبرية حتى في أثناء ساعات العمل. أما نحن فنستحي من التحادث والتخاطب بعربيتنا، ونتباهى باللغات الأجنبية.

وإن هذه الفكرة ـ فكرة احتقار العربية وأنها لم تعد صالحة للعصر ـ رسمها في عقول الأجيال الاستعمارُ الذي وضع في مخططه القضاء على ما تبقى من حضارتنا بعد أن سرق جلها؛ فحارب القرآن ولغته وألغاها من التعليم.

لماذا الهجوم على العربية بالذات

لأنها ليست مجرد أداة للتفاهم والتخاطب فحسب، بل لأنها لغة الدين والعقيدة. إنها اللغة التي حفظت تراث المسلمين وعلومهم عبر خمسة عشر قرنا.

فمن هنا.. ركز الأعداء جهودهم على إضعاف هذه اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم؛ سواء بالدعوة إلى العامية؛ أو كتابتها بالحروف اللاتينية.. وكل ذلك يستهدف هدفا واحدا هو القضاء على الفصحى! وإن القضاء على الفصحى يعني انقطاع صلة المسلمين بلغة القرآن الكريم، ويعني انقطاعُ الصلة بلغة القرآن الكريم الانقطاعَ ـ ولا قدَّر الله ذلك ـ عن الدين والعقيدة والتراث.

إننا لا ندعو إلى هجر اللغات الأخرى، فالمسلمون بحاجة ماسة إلى تعلم اللغات الأجنبية لكي يقوموا بدعوة الإسلام وتبليغه إلى أبنائها بلسانهم، ومعروف «أن سلفنا رحمهم الله كانوا يؤلفون ويدرسون بالعربية ما ينقلونه عن اللغات القديمة التي أجادوا معرفتها والترجمة عنها، وهذه آثارهم في مكتبات العالم مخطوطة بالعربية، أو مترجمة عنها إلى اللاتينية تشهد بنبوغهم العلمي والفلسفي وتقدمهم على العلماء والفلاسفة من كل لسان عرفه العالم القديم(١٢).

ضرورة الحفاظ على العربية

ولكننا ندعو إلى الحفاظ على العربية، فإن الحفاظ على العربية يعني الحفاظ على ديننا وثقافتنا وهويتنا وتاريخنا ومُثلنا.

لقد آن الأوان أن نفضح خطط الأعداء ونكشف عن نواياهم الخبيثة، ونثبت للعالم أن هذه اللغة لغة غنية باقية خالدة لأنها لغة القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه إلى قيام الساعة، ونرعاها حق الرعاية، ولا ندعها تتعرض للتقويض والانهيار والغزو اللغوي الشرس الذي يتسرب إلينا بشتى الأساليب.

لقد آن الأوان أن نجعل العربية أداة تواصل حيّ في شتى مجالات الحياة الجادة، وبين الأغلبية الساحقة من الأمة، وأن نعمل على إغنائها والنهوض بها إلى المستوى الرفيع، والحفاظ على سلامتها ورشاقتها وجمالها وخصائصها وجعلها ملائمة لحاجات العصر، وإيجاد كلمات عربية عما يجدّ اليوم من مصطلحات في هذا العصر.

ألهمنا الله الغيرة على عرض عربيتنا وشرفها وكرامتها ووفقنا لخدمتها خدمة الأبناء البارين السعداء.

الهوامش:

١ـ د. عبدالعزيز الخويطر: أهمية اللغة العربية، مقال نشر في جريدة عكاظ.
٢ـ أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن.
٣ـ عبدالجواد محمد محمد قطب: أضواء على مكانة اللغة العربية، مجلة المنهل، صفر ١٤١٣هـ.
٤ـ أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن.
٥ـ٦ـ عبدالله مجدّي: الاعتزاز باللغة ليس مزايدات شعارية، مجلة «الدعوة» السعودية، ١٤١٣/٣/٢٧هـ.
٧ـ٨ـ مجلة المنهل، صفر ١٤١٣هـ.
٩ـ د. محمد بن خالد الفاضل: المعاجم العربية: النشأة والترتيب، مجلة الحرس الوطني، صفر ١٤١٣هـ. والجدير بالذكر أن بحث الدكتور الفاضل من المراجع التي استفيد بها في إعداد هذا المقال.
١٠ـ محمد الغزالي: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ص١٠٦، الطبعة الأولى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
١١ـ انظر: مجلة المجتمع، ص٢٩ العدد ١١٢١، جمادى الأولى ١٤١٥هـ.
١٢ـ مجلة المنهل، صفر ١٤١٣هـ.

العنوان: مجالس شهر رمضان.
المؤلف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
الناشر: دار الحديث، القاهرة،
ط:١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

غلاف الكتاب

الكتاب الذي بين أيدينا يقع في ثلاثين مجلسًا، استوعبت كثيرًا من أحكام الصيام والقيام والزكاة والأخلاق والآداب التي يحتاج إليها المسلم في هذا الشهر العظيم.
ويبدأ المجلس الأول بالحديث عن فضل شهر رمضان الذي أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، وذكر بعض فضائل هذا الشهر كتصفيد المردة واستغفار الملائكة للصائمين والمغفرة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك.
ثم تناول في المجلس الثاني فضل الصوم، فهو السبب في مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، وزيادة الأجر والثواب، وأن الله اختصه لنفسه من بين سائر الأعمال وهو الذي يجزي به، وهو وقاية من النار، ويشفع لصاحبه يوم القيامة.
وبسط القول في المجلس الثالث في أحكام الصيام الفقهية، وفي المجلس الرابع في أحكام قيام رمضان وعدد ركعات التراويح. وتحدث في المجلس الخامس عن فضل تلاوة القرآن وفضائل بعض السور والآيات. وناقش في المجلس السادس إلى المجلس الحادي عشر أقسام الناس الذين يجب عليهم الصيام، والذين لايجب عليهم؛ كالمسلم البالغ العاقل المقيم القادر، والصغير، والمجنون، والمسافر، والمريض، والمرأة الحائض، والمرضع أو الحامل، وآداب الصيام الواجبة والمستحبة.
وأوضح في المجلسين الثاني عشر والثالث عشر فوائد تلاوة القرآن، وأنه سيأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه وحجة لهم أو خصمًا لمن لا يعمل به وحجة عليه. وأشار إلى منزلة الحفظة في أعلى الجنان، كما ذكر آداب تلاوة القرآن كالخشوع وتحسين الصوت، والترنم به وترتيله.
وتكلم في المجلسين الرابع عشر والخامس عشر على مفطرات الصيام السبعة، وعلى شروط الفطر بالمفطرات، وما لا يفطر، وما يجوز للصائم، وفصَّل القول في ذلك.
وبيَّن في المجلسين السادس عشر والسابع عشر الأحكام الفقهية المتعلقة بالزكاة، وذكر أنواعها وأوضح مصارفها ومستحقيها.
وتناول في المجالس الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين أسباب النصر على الكفرة من تقوى لله وإعداد العدة، وفصَّل الكلام على غزوة بدر الكبرى التي وقعت في رمضان وكانت منعطفًا كبيرًا في حياة المسلمين؛ حيث انتقل فيها المسلمون من طور الضعف إلى طور القوة والهجوم. وأشار إلى العبر والعظات من هذه الغزوة العظيمة التي سميت بغزوة الفرقان. كما بسط القول في غزوة فتح مكة شرفها الله عز وجل؛ ذلك الفتح المبين الذي أزهق الباطل وحطم الشرك والكفر وقضى عليهما إلى يوم القيامة، وارتفع الأذان فوق بيت الله الحرام، وعز الإسلام وقوي ودخل العرب كلهم في دين الله أفواجًا.
وتحدث في المجلسين الحادي والعشرين والثاني والعشرين عن فضل العشر الأواخر من رمضان وفضل ليلة القدر، وما يجب على المسلم أن يفعله من مضاعفة للعبادة، واعتكاف.
وحفلت المجالس الثالث والعشرون والرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون والسابع والعشرون بحديث مستفيض عن وصف الجنة وأوصاف أهلها، ووصف النار وأسباب دخولها. جعلنا الله من أهل الجنة وأعاذنا من النار برحمته ومنّه وكرمه وعفوه.
أما المجلس الثامن والعشرون فقد عقده للحديث عن زكاة الفطر وأحكامها الفقهية ومستحقيها. وتحدث في المجلس التاسع والعشرين عن التوبة ووجوبها وشروطها. وختم المجلس الثلاثين بالحديث عن رحيل شهر رمضان وهل كان لنا أو علينا، وعن ضرورة استمرار أعمال الخير بعد رمضان من صيام وقيام وإنفاق..

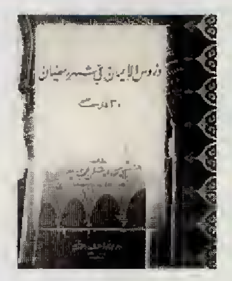
العنوان: من معارك المسلمين في رمضان.
المؤلف: د. عبدالعزيز بن راشد العبيدي.
الناشر: مكتبة العبيكان ط١، ١٠١ ص.

غلاف الكتاب

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه أن هذا الكتاب كان في أصله حلقات إذاعية أذيعت في برنامج رمضاني من إذاعة القرآن الكريم في الرياض عام ١٤١٣هـ. كما ذكر أن بعض الإخوة أشاروا عليه بإخراجه في كتاب تعميمًا للفائدة، وقد أحسن إذ فعل.
بعد المقدمة الموجزة تحدث المؤلف عن دوافع الجهاد الإسلامي وبواعثه وأهدافه وحقيقته، وأنه إيصال دين الله للعالم أجمع، وتبليغه لكل الناس، لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وهذا لا يتحقق إلا بإزالة العوائق التي تحول بين الناس وهذا الدين المتمثلة في أولئك الطواغيت الذين يتحكمون في عباد الله، ويمنعون دعاة الله من الوصول إليهم. وليست غاية الجهاد الغنيمة أو الفيء، ولا قهر الناس وإكراههم وإجبارهم على الدخول في الإسلام كما يذكر بعض المستشرقين وأذنابهم، ولا الدفاع عن النفس كما ذكر بعض المسلمين للرد على حملات المستشرقين المسعورة

ضد الجهاد الإسلامي.
ثم بدأ بأول سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من هجرته بقيادة أسد الله حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وكانت مؤلفة من ثلاثين رجلاً كلهم من المهاجرين. وكان لواؤها الأبيض أول لواء يرفعه صلى الله عليه وسلم. وقد أوقعت هذه السرية الرعب في قلوب المشركين، لأن المسلمين تحولوا من الضعف إلى القوة..
ثم تناول غزوة بدر الكبرى التي وقعت في السنة الثانية للهجرة، وبسط الكلام عليها متحدثًا عن سحق رؤوس الشرك ونصر المسلمين المؤزر المبين وتأييد الله للمسلمين بالملائكة، وفرح الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الغزوة التي سماها الله غزوة «الفرقان». والدروس والعبر التي أخذت من هذه الغزوة.
بعد ذلك تحدث عن فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، ذلك الفتح المبين العظيم الذي أخزى الله فيه الكفر والشرك إلى يوم القيامة، وانتشرت بعده كلمة التوحيد تملأ أرجاء الأرض كلها.
ثم استعرض الكاتب المعارك التي وقعت في شهر رمضان من زمن النبوة حتى يومنا هذا. مثل وقعة البويب سنة ثلاث عشرة للهجرة بين المسلمين والفرس، وفتح النوبة سنة ٣١هـ وهي الجبال الجنوبية لمصر، وفتح الأندلس سنة ٩٢هـ، وفتوح المسلمين في فرنسا سنة ١٠٢هـ، ومعركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ، وفتنة الخُرَّمية سنة ٢٢١هـ، وفتح عمورية سنة ٢٢٣هـ، وفتح حارم سنة ٥٥٩هـ، وفتح صفد واستردادها من الصليبيين سنة ٥٨٤هـ، ومعركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، وفتح أنطاكية سنة ٦٦٦هـ، وفتح أرمينيا الصغرى سنة ٦٧٣هـ، ومعركة شقحب سنة ٧٠٢هـ قرب دمشق بين المسلمين والمغول، وكان قائد أهل دمشق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي راح يحرض المسلمين ويحثهم على الجهاد، ويشحذ عزائمهم حتى تحقق لهم النصر بإذن الله. ثم فتح جزيرة قبرص سنة ٨٢٩هـ، وفتح البوسنة والهرسك، وبلاد الصرب وعاصمتها بلغراد سنة ٨٢٧هـ، وأخيرًا معارك المسلمين في الحبشة سنة ٩٣٥هـ.
واختتم كتابه بالحديث عن عوامل النصر وهي:
الإيمان الصادق الخالص بالله سبحانه وتعالى، والثبات عند لقاء العدو، والإعداد المادي للقوة، والاتصال الدائم بالله سبحانه وتعالى بالذكر والدعاء، وطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله، والابتعاد من النزاع والشقاق، والصبر على المحن والآلام، والحذر والبعد من البطر والرياء والبغي. واستشهد على ذلك كله بالآيات القرآنية.

الدرس السادس عن نزول القرآن في شهر رمضان. وتكلم في الدرسين السابع والثامن على الصبر في هذا الشهر العظيم وأنواعه، وأن الجنة هي جزاء الصابرين. وذكر في الدرسين التاسع والعاشر المواساة وأثرها بين المسلمين، وتفطير الصائمين، وتفريج الكروب وأثر ذلك في تماسك المجتمع المسلم. وأشار في الدرس الحادي عشر إلى معاملة الخدم والإحسان إليهم وإكرامهم واحترامهم. ثم تحدث في الدرس الثاني عشر عن صلة الأرحام والإحسان إلى ذوي القربى. أما الدرسان الثالث عشر والرابع عشر فقد خصصهما للحديث عن كرم رسول الله وجوده وبخاصة في شهر رمضان، وعن الإنفاق في سبيل الله وتأدية الزكاة، وذكر مقادير الزكاة.
وفي الدرس الخامس عشر تناول الكذب والزور وتعارضهما مع الصيام والإيمان. وفي الدرس السادس عشر تحدث عن صحة الجسم في شهر رمضان. وأما الدرسان السابع عشر والثامن عشر فقد بسط القول فيهما على غزوة بدر الكبرى وأن المسلمين تحولوا بسببها من الضعف إلى القوة. والدروس والعبر المستفادة من هذه الغزوة.
وفي الدرس التاسع عشر ناقش موضوع الدعاء وأسباب عدم الاستجابة، وشروط الدعاء. ثم تحدث في الدرس العشرين عن العشر الأواخر من رمضان وقيام الليل والاعتكاف. وتكلم في الدرس الحادي والعشرين على فتح مكة، وتحطيم الأصنام وهزيمة الشرك إلى الأبد. وفي الدرسين الثاني والعشرين والثالث والعشرين تناول سلوك المسلم في شهر رمضان وأخلاقه من ترك السباب والرفث والصخب.
ثم تحدث في الدرس الرابع والعشرين عن حساب النفس في هذا الشهر وما قدمت من أعمال وذكر الموت. وفي الدرس الخامس والعشرين تناول موضوع العمرة في رمضان وأنها تَعدلُ حجة.


غلاف الكتاب

العنوان: دروس الإيمان في شهر رمضان.
المؤلف: د. عبدالمهيمن طحّان.
الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - مكة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ١٤٠ص.

يقع الكتاب في مقدمة موجزة وثلاثين درسًا. وقد ذكر المؤلف في المقدمة أن الكتاب مجموعة من الدروس كتبها لتُذكِّر المسلمين أبواب الخير في شهر رمضان، وترشدهم إلى أنواع من الطاعات، وتدلهم على كثير من القربات في شهر الخير والإحسان، ولتساعد أئمة المساجد في إلقاء موعظة يومية على المصلين.
ثم بدأ الكتاب بالدرس الأول ثم الثاني وتناول فيهما الحديث عن شهر رمضان المبارك وفضائله والأعمال التي على المسلم أن يقوم بها من بذل وإنفاق في سبيل الله، وذكر لله سبحانه وتعالى. وتحدث في الدرس الثالث عن شهادة أن لا إله إلا الله وهي الخصلة التي يُرضي بها العبد ربه بالإكثار من ذكرها وهي المدخل إلى التوحيد الخالص. وساق بعض الأحاديث في فضل ذكر لا إله إلا الله.
وفي الدرس الرابع تحدث عن الاستغفار وأورد الآيات والأحاديث الدالة على فضل الاستغفار. وتناول في الدرس الخامس الحديث عن الجنة والنار. ثم تحدث في

وتكلم في الدرس السادس والعشرين على ليلة القدر وفضائلها وميزاتها وتحديدها. وفي الدرس السابع والعشرين تحدث عن زكاة الفطر ومقدارها وفضيلتها. وتحدث في الدرس الثامن والعشرين عن الكِبْر وأنه سبب في عدم دخول الجنة. وفي الدرس التاسع والعشرين تناول نتيجة الصيام وغايته وهي التقوى. وفي الدرس الأخير ذكّر الناس باستمرار الطاعات والصيام وعدم قَصْرِ ذلك على رمضان.

ظاهرة الزمن

عند كتّاب السِّيرة الذّاتية السّعُوديين ١

عبدالله الحيدري

القصيبي ومشكلة الزمن

استطاع غازي القصيبي - إلى حد بعيد - أن يسيطر على مشكلة الزمن التي يضل كثيرون بسببها عندما يعودون إلى الوراء فلا يملكون السيطرة على الترتيب الزمني.

ومنذ الصفحة الأولى من «سيرة شعرية» يطالعنا القصيبي بلعبة زمنية مبسطة، وذلك باختياره النسق الزمني الهابط (النازل)، الذي يعني عرض الكاتب «زمن الكتابة نهاية زمن الحكاية، ثم يبدأ بالنزول تدريجيًا حتى يوصلنا إلى الأصل»(١).

وبيان ذلك يتم بتحديد زمن الكتابة، وهو عام ١٤٠٠هـ، وعمره أربعون سنة، أما زمن الحكاية فهو سن الثانية عشرة، أو قبل ذلك(٢)، يقول: «يصعب عليّ الآن وأنا أقفز قفزًا إلى بوابة الأربعين أن أعود بذاكرتي إلى اليوم الذي بدأت فيه علاقتي بالشعر...»(٣).

فنلحظ أنه افتتح الكتاب بعمره زمن الكتابة في محاولة منه للأخذ بيد القارئ إلى الوراء ليرافقه في تعرّف سيرته الشعرية والمؤثرات فيها. وهذا المستوى الزمني يُعرف - كما تقدم - بالنسق الزمني الهابط، ففيه يبدأ الكاتب بزمن الكتابة، ويحاول النزول تدريجيًا، ليصف العوامل والمؤثرات التي أسهمت في وصوله إلى ما وصل إليه الآن (زمن الكتابة).

وإذا ما تم تجاوز زمن الكتابة إلى زمن الحكاية الذي يمكن تحديده بالنقطة التي عاد إليها الكاتب، وجدنا الأحداث تتجه من الحاضر - المستقبل، وهنا يبدأ نسق زمني آخر هو «النسق الزمني الصاعد»، ففي «هذا النسق نجد توازيًا بين أزمنة الأحداث، فالأحداث تتتابع كما تتتابع الجُمَلُ على الورق بشكل خطوط»(٤).

«عندما أعود بذاكرتي إلى سنوات الدراسة الابتدائية».

«على أنني لم أحاول أن أكتب بيتًا من الشعر إلا مع أول سنة من سنوات الدراسة الثانوية».

«وأعتقد أنني في حدود الرابعة عشرة بدأت أكتب شيئًا يصلح أن يُسمّى شعرًا»(٥).

ويأخذ النسق الزمني الصاعد بالتنامي: «ومع العام السادس عشر طرأ - فيما أتصور - تحسن واضح على ما أكتب مسّ الشكل والمضمون»(٦).

ونتعرّف بعد ذلك تجربته مع نشر ديوانه الأول، ثم دراسته الجامعية في القاهرة، ثم العليا في أمريكا وبريطانيا، فالحياة العملية في المملكة، إضافة إلى نشر الدواوين الأخرى.

كل ذلك وزمن الأحداث يتنامى صعودًا، ويتجه من الحاضر إلى المستقبل؛ فترتيب «الأحداث بهذا الشكل المتصاعد، أو لنقل: المتنامي، يوازي زمن كتابتها، فكلاهما يبدأ من نقطة واحدة لا تلبث، إذا عاينّاها هندسيًا، أن تتحول إلى خط يمتد أمامنا من أول حدث» حتى السطر الأخير في الكتاب(٧)، وفيه يعود بنا إلى ما بدأ الكتاب به، وهو خطاب القارئ في إطار زمن الكتابة»(٨).

وهكذا نرى أن هناك تلاحمًا وانضباطًا بين المستويات الزمنية لدى غازي القصيبي. على أنه قد يُضطر - أحيانًا - إلى القطع الزمني برفق، ليعود مرة أخرى لاستكماله. ففي سَيْر الأحداث صعودًا إلى المستقبل نراه يعمد إلى اختراق الزمن الذي يتحدث عنه إلى زمن آخر بعيد عنه، أو يعود إلى حادثة أو ظاهرة سبق أن تجاوزها في سياقه الزمني الصاعد.

وهذا الصنيع يُدعى «النسق الزمني المتقطع»، ففي هذا النسق «تتقطع الأزمنة في سيرها الهابط [النازل] من الحاضر إلى الماضي، أو الصاعد من الحاضر إلى المستقبل، لتستقبل زمنًا آخر يوسع مدة جريان الأزمنة»(٩).

ومثاله لدى القصيبي يتمثل في إثارته لقصة كتابته باسم مستعار، ثم قطع الزمن الحاضر - المستقبل؛ ليعد بإكمال الحدث: «ولهذا الاسم قصة سأعود إليها بعد قليل»(١٠)، ثم واصل الحديث عن إرسال قصيدته إلى مجلة «المصوّر» ثم لم يلبث أن قطع الزمن المتصاعد من الحاضر - المستقبل، بالانتقال إلى المستقبل البعيد عن زمن الحكاية: «... المهم أن صالح جودت استمر ينشر لي بالاسم المستعار حتى التقيت به في القاهرة بعدها ببضع سنوات وأخبرته بالقصة...»(١١)، وذلك باستخدام أسلوب الحذف «ببضع سنوات»، ثم نراه يعود بالنسق الزمني إلى الوراء بالحديث عن تشجيع الأسرة له وأثر ذلك في مواصلته لكتابة الشعر.. ثم عاد مرة أخرى لوَصْل الزمن الذي سبق أن توقف عنده حيث وعد بالحديث عن قصة الاسم المستعار، وسبب اختيار الاسم، وذلك باستخدام النسق الزمني الهابط (النازل)(١٢).

وهذا التلاعب الزمني سلاح ذو حدّين، فإذا أحسن استخدامه أصبح عامل تشويق للقارئ، وإن لم يتحقق ذلك أصاب السرد الزمني بالتداخل والاضطراب والتخلخل.

ولقد وفق غازي القصيبي في سيطرته على المستويات الزمنية التي يتحدث عنها؛ لأنه لم يفصل بين أزمنته بحوادث متداخلة وطويلة؛ ولأن عبارات الربط بين الأزمنة اصطبغت بالتشويق والإثارة.

وفي محاولة منه لمنع الاستطراد أن يصيب الترتيب الزمني بالتداخل، فإن القصيبي يلجأ كثيرًا إلى أسلوب «الحذف»، وهو شكل من أشكال السرد «يتكون من إشارات محددة، أو غير محددة للفترات الزمنية التي تستغرقها الأحداث في تناميها باتجاه المستقبل، أو في تراجعها نحو الماضي»(١٣). كقوله: «واستمرت المحاولات الشعرية طيلة السنتين التاليتين»، «ثم بعد أن مرت السنوات والتحقت بالجامعة..»، «إثر رجوعي إلى الرياض عدت إلى كلية التجارة مدرسًا، فرئيسًا لقسم العلوم السياسية، فعميدًا..»(١٤).

وكثيراً ما يعمد غازي القصيبي من حاضر (زمن الحكاية) إلى حاضر (زمن الكتابة)، لربط بعض الظواهر التي يتحدث عنها، وتفسيرها، وتحليلها، أو على الأقل ربطها بالحاضر الذي يكتب فيه. ومثال ذلك قوله: «وفي حوالي السادسة عشرة اكتشفت إبراهيم ناجي، وبدأ إعجابي الشديد به»، (وهذا الخبر يمثل زمن الحكاية الحاضر)، فإذا هو يصل العبارة السابقة بقوله: «... هذا الإعجاب الذي استمر حتى هذه اللحظة»(١٥)؛ فالعبارة الأخيرة تتضمن قفزاً زمنيًا من حاضر زمن الحكاية (سن السادسة عشرة) إلى حاضر زمن الكتابة أو الخطاب (سن الأربعين)، غير أن هذه النقلة الزمنية لم تصب السرد بالقطع، بل أعطت السياق ربطًا بين ذوقه الشعري أوائل الشباب، وذوقه الحالي.

عزيز ضياء والتكثيف الزمني

يستخدم عزيز ضياء في سيرته الذاتية «حياتي مع الجوع والحب والحرب» النسق الزمني الهابط، وذلك أنه ابتدأ بالتساؤل عن أول صباح في حياته، تمهيداً للعودة للماضي البعيد لتذكر هذا الحدث. فزمن الخطاب (أو زمن الكتابة) نقطته الأولى، وهي محاولة التذكر لحادثة ماضية، ولم يعمد إلى بدء الحديث عن هذه الحادثة مباشرة ثم الاتجاه بالسرد والسياق الزمني إلى المستقبل في نسق زمني متصاعد (الحاضر - المستقبل)، بل ذهب يفتش عن الماضي البعيد. يقول: «من الذي يستطيع أن يذكر أول صباح في حياته؟»؛ ويجيب: «أنا أذكر أول صباح في حياتي»(١٦).

وراح بعد ذلك يقص ما وعته ذاكرته عن ذلك الصباح البعيد. فالملاحظ أن المسافة بين (زمن الكتابة) و (زمن الحكاية) مسافة طويلة، ولكنها لم تحدَّد بسنة معينة - ولو بصورة تقريبية - كما فعل غازي القصيبي حين فرر منذ بدء سيرته الشعرية أن العودة إلى سن الثانية عشرة تقريبًا - وهو الآن يقفز إلى الأربعين - لمن الصعوبة بمكان(١٧).

وقد احتفل عزيز ضياء بوصف الشعور النفسي بالزمن في سرده للأحداث، ومن ذلك روايته لقصة السرقة التي تعرض بيتهم لها في حلب(١٨)، فنراه يتوقف مشدوهًا وهو يرصد الأحداث المتلاحقة السريعة التي تمت في تلك الليلة التي يصفها بأنها «ليلة رعب وإرهاب»(١٩).

ففي مقابل الزمن الماضي البعيد الذي يعيد تصوره بصيغة الحاضر نراه يحاول أن يوازي بين الزمن الماضي بأحداثه السريعة، والسرد الحاضر بأنفاسه المتلاحقة، فيقول: «ولكن سرعان ما يعود إلى الهمس»، «وما هي إلا لحظات»، «كل ذلك تم في لحظات»، «ثم يسود الصمت...»(٢٠).

فهذه الأحداث المرعبة تمت في مدة وجيزة، لكن انعكاسها على نفسيته كان مكثفًا ممدَّداً كأنه أيام، ولذلك فإنه يعلق (زمن الكتابة) على هذه الليلة التي مر على



د. غازي القصيبي

محمد عمر توفيق

أحداثها أكثر من سبعين عامًا قائلاً: «لم أنسها قط!»(٢١).

إن عزيز ضياء هنا لا ينقل زمنًا محدود المساحة بطريقة سردية لا توحي إلا بالزمن التقليدي وحسب، ولكنه يعمد إلى تكثيف الأحداث في مساحة زمنية قصيرة؛ ليمنحها امتداداً نفسيًا، وليس قياسًا فلكيًا.

وشبيه بذلك تكثيفه للزمن حول جزئية لها في نفسه نصيب من الدهشة، يقول: «فلم يكن يشغلني طوال ذلك اليوم، وإلى أن أظلم الليل إلا (البابور في الليل)؛ ولذلك فقد ظللت أقاوم النعاس بعد الغروب فترة لا أدري كم طالت؟»(٢٢).

فالسياق الزمني هنا (طوال/ طالت) خرج عن مساره الواقعي إلى زمن آخر متخيل مرتبط بنفسيته وتفكيره، فهو إذن زمن نفسي لا واقعي نتج بسبب الرغبة الشديدة لأن ينقضي اليوم ليرى القطار (البابور) في الليل!.

وقد يشعر عزيز ضياء بالصراع الزمني داخله نتيجة تتابع الأحداث في مدة زمنية قصيرة: «.. ما أخذ يتلاحق من الأحداث بعد ذلك اليوم كان أكثر وأعنف وأبشع من أن تتحمل استيعابه الذاكرة في تلك السن الصغيرة»(٢٣).

وقد يعمد إلى التلاعب بالزمن، فيضع الماضي القريب في صراع مع الحاضر الذي يعيشه، فلا يكاد - من ثم - يتبين المستقبل: أيكون امتداداً للماضي الذي يتمناه؟ أم للحاضر الذي يعيشه؟ يقول: «... واضطجعت أنا على الفراش ذلك اللحاف المهترئ الذي بقي لنا خلال ترحالنا الطويل، وما لبثت أن استغرقت في النوم... كان إحساسي في هذه اللحظات أن ترحالنا كان أكثر إمتاعًا واطمئنانًا من هذا البيت المظلم»(٢٤).

وفي وصفه إحدى الليالي المثيرة التي عاشها في طفولته، وبقيت في ذاكرته جيداً بسبب أحداثها المتلاحقة، نراه يلجأ إلى نسف النظام الزمني، فهذه الليلة ربما كانت «من أطول وأعجب الليالي التي عشتها في طفولتي...»(٢٥).

مخطط بياني حول اتجاه الزمن في « سيرة شعرية »

(الشكل رقم ١)

زمن الكتابة x ←——— النسق الزمني الصاعد
زمن الحكاية ←———

النسق الزمني الهابط ———→ x زمن الحكاية
زمن الكتابة x ←———

النسق الزمني المتقطع

(الشكل رقم ٢)

زمن الكتابة	الوعد بالحديث عن قصة الاسم المستعار	لقاؤه بصالح جودت بعد سنوات	الحديث عن قصة الاسم المستعار
زمن الحكاية	نشر قصيدة له في المصور باسم مستعار	الحديث عن تشجيع الأسرة له	

ظاهرة الزمن

عند كُتَّاب السيرة الذاتية السعوديين ١

فالليلة هي الليلة في الحساب الفلكي لم يتضاعف زمنها دون غيرها من الليالي، ولكن الزمن الذي يصفه عزيز ضياء هنا لم يكن دهريًا بقدر ما كان زمنًا نفسيًا.

ولقد ألغى الكاتب هنا بوصفه هذه الليلة بأنها طويلة عقاربَ الساعة، وعاش زمنه هو... زمنه الخاص.

رسم الزمن النفسي عند كاتبين

ووراء القضبان الحديدية أخذ كاتب آخر هو حسن محمد كتبي يرسم خارطة للزمن بإحساسه النفسي، فالزمن الخارجي لديه يمثل الزمن/ الحياة، والزمن الذي يعيشه في السجن يمثل الزمن/ الموت، يقول: «كانت أيام السجن بطيئة ضيقة، لا تفنيها قراءة، ولا نوم، ولا حديث، وكأن الساعة الواحدة كألف ساعة، واليوم من أيامه كألف يوم»(٢٦).

فكتبي هنا يسجّل إحساس السجين بالزمن إحساسًا نفسيًا يختلف عن الزمن الذي يحسب بالساعة؛ لأن الساعة عند الشعور بالضيق «قد تمتد لتصبح خمسين أو مئة ساعة بالحاسب الآلي»، فهي ساعة نفسية وليست محسوسة مدركة.

وهذا «التباين الغريب بين الساعة بالقياس الآلي، و.. الساعة الذهنية»(٢٧) لا يدركه إلا المكتوون بالمستوى الزمني داخل المستشفى أو السجن، أو أي سجن آخر ربما لا يكون بالضرورة محسوسًا مشاهدًا.

وفي حين كان حسن كتبي يصف يوم السجن بأنه كألف يوم، ها هو ذا يصف الزمن خارجه بأن «كل دقيقة بعد الحرية مشحونة بالسعادة، مثلما كانت كل دقيقة في السجن مشحونة بالقنوط»(٢٨).

فالزمن تراه الآن في حساب كتبي لا يلتزم القياسَ الآلي (الشمسي)، وإنما يرتبط بالحالة النفسية السعيدة التي جعلت الدقيقة الواحدة في حساب الزمن مشحونة بالسعادة بما يعادل أيامًا وراء القضبان!

وعن «المستقبل» بوصفه بناءً زمنيًا، نجد حسن كتبي ينظر إلى هذا القادم الذي يمثل لديه الطموح نظرتين: فالأولى بريئة ساذجة لا تحمل عمقًا، فنراه يتعشق القراءة في الكتب القديمة بحيث رأى نفسه كأنه يعيش بين مؤلفيها: «لقد اكتملت هذه الأحاسيس في روحي ونضجت في وقت مبكر جدًا من عمري؛ حتى لقد كانت تدفعني لاستباق الزمن، وأذكر كيف كنت في سن الثامنة عشرة من عمري أعتكف في غرفة لا يعرف الضوء منفذًا إلى قلبها إلاّ من خصاص بابها، لأكدّ ذهني في حفظ كتاب من ألغاز كتب أصول الفقه.. وكان أسمى أمل لي في الحياة أن أجدني في يوم من الأيام في المسجد الحرام وحولي هالة من الطلبة!»(٢٩).

وإذا كانت هذه الصورة الساذجة للمستقبل يرسمها حسن كتبي بنفس يبدو عليها التفاؤل والانشراح «وكنت أشعر بمنتهى الغبطة إذا استطاعت ذاكرتي الضعيفة المكدودة أن تعي بعض جمل منه»(٣٠)، فإنه بعد ذلك ينظر إلى المستقبل نظرة فيها الكثير من الحيرة والتروي والتطلع، فالمستقبل يراه حافلاً بالمفاجآت والأحداث، ومركبة الزمن تحمل الناس إلى تلك الأحداث شيئًا فشيئًا، وليس عليهم سوى الانتظار: «هذه هي حياتي... ولست أدري بما يأتي به الغد، وآمل أن يأتي بكل خير، والغيب أفق زاخر بالمفاجآت والأحداث، تحملنا إليها مركبة الزمن من أيام وليال، وكلما اقتربنا من حلقة من حلقاته عرفنا ما تكنه من غيب مسطور»(٣١).

ولعل من المفارقات الطريفة التي نقلها حسن كتبي من السجن ومحمد عمر توفيق من المستشفى أن الأول كان يشعر بالراحة حين يحل عليه ضيف جديد، لإحساسه بأنه يكسر رتابة الزمن، ويجدد اليوم الكئيب الذي يضايقه وهو وراء القضبان: «وكان الشيء الوحيد الذي يجدِّد من أيامه [أي السجن] هو دخول ضيف جديد على أضيافه، إذ إنه ينشر في الفترة الأولى من مقامه بينهم ألوانًا جديدة من المواضيع والحديث والنكات..»(٣٢).

أما الآخر (محمد عمر توفيق)، فقد كان يساوره إحساس لئيم - كما يصفه - «إذا خرج أي مريض إلى النور خارج المستشفى»(٣٣).

ولقد قضى توفيق ستة وأربعين يومًا في مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت لعلاج ذراعه الأيمن بعد أن تهشم في حادث أليم بمكة المكرمة، فكيف كان شعوره بالزمن في أيامه في المستشفى؟

ذلك ما يصفه بدقة في كتابه «أيام في المستشفى» حين يقول: «ليل طويل يذكرني بليل امرئ القيس، فأتخيله على السرير يهذي بانفعالاته إذا أقبل الليل، ويتمثله كموج البحر أرخى سدوله إلي... إلى أن أنسجم وأردد معه - ولو في سري -: ألا أيها الليل الطويل ألا انجل!»(٣٤).

ولكم تغيظه الساعة بعقاربها التي تبدو له وكأنها لا تتحرك:

«كانت عقارب الساعة تغيظني، فلا ينتقل عقرب الدقائق إلا كما أنتقل أنا لو كنت أمشي على قدميَّ حائرًا في الربع الخالي. وأحسست بالدقيقة وبالثانية وبالساعة وباليوم»(٣٥).

ولا تكاد تفارقه محنة الشعور بالزمن والفراغ الشديد الذي يمتد كلما رفع بصره إلى الساعة ووجد «أن عقاربها تتحرك بمنتهى الهدوء بين الثواني والدقائق»(٣٦).

ويصف مرور الزمن عليه وهو أسير المرض بأنه كان «ثقيلاً في الليل والنهار»(٣٧).

ويطبق عليه الفراغ بالخناق بحيث لم يعد له من وسيلة لملء الزمن سوى بقتله - كما يعبِّر - بلعب (الدومينة) التي كانت تستغرقه وبعض أصدقائه في المستشفى يقتلون بها الزمن «على حد تعبير مؤسف كهذا التعبير»(٣٨).

فهو - استنادًا إلى ما تقدم - لا يميل إلى تسجيل اللحظات الزمنية تسجيلاً خارجيًا يقيس فيه الأبعاد الزمنية على طريقة التطور التاريخي من يوم إلى يوم حتى يصل إلى نهاية الأيام، ولكنه يحيل كل هذه اللحظات الخارجية إلى لحظة زمنية تتحرك داخله، وتتحول إلى كتلة واحدة يُلقي عليها من مشاعره الذاتية، ويلوّنها بأحاسيسه.

فالساعة الموضوعة على الحائط أمامه - والتي كانت عقاربها تغيظه - رمز للزمن الخارجي القائم على التوقيت الشمسي، لكنه يرفض هذا الرمز؛ لأنه يرفض الزمن الخارجي، ويريد أن يعايش داخله النفسي الملوَّن بأحاسيسه الخاصة.

فهو هنا يُوجد مستويين من الزمن: المستوى الخارجي الشمسي، والآخرَ: المستوى الداخلي النفسي الذي يعيش داخله، ويمثل مستوى أعمق؛ لأنه تعبير عن مشاعره وأحاسيسه الخاصة.

الهوامش:

١ـ د. موريس أبو ناضر، الألسنية والنقد الأدبي. بيروت: دار النهار للنشر ١٩٧٩م/ [١٣٩٩هـ]، ص٨٦.
٢ـ سيرة شعرية ١٧. وقد صدرت الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ.
٣ـ المصدر السابق ١٧.
٤ـ الألسنية والنقد الأدبي٨٨.
٥ـ٦ ـ سيرة شعرية ١٨، ٢٠، ٢٨.
٧ـ انظر: الألسنية والنقد الأدبي ٨٩.
٨ـ سيرة شعرية ١٥٣.
٩ـ الألسنية والنقد الأدبي ٨٩.
١٠ـ١٢ـ سيرة شعرية ٢٤، ٢٥، ٢٦.
١٣ـ الألسنية والنقد الأدبي ١٠١. والإشارات الزمنية منها الظاهر مثل: وقضى عشر سنوات. أو بعد مرور سنتين. ومنها الضمني أو الافتراضي، حيث ينتقل بنا الكاتب من مرحلة زمنية إلى أخرى من دون تحديد الوقت الذي استغرقته هذه المرحلة (المرجع السابق ١٠١).
١٤ـ سيرة شعرية ١٩، ٢٥، ٨٦، وانظر ١٠٤.
١٥ـ سيرة شعرية ٣٨، وانظر كذلك ٥٠.
١٦ـ حياتي مع الجوع والحب والحرب ١٨/١.
١٧ـ انظر سيرة شعرية ١٧.
١٨ـ عزيز ضياء من مواليد المدينة المنورة، وقد اضطر إلى السفر إلى الشام بصحبة أسرته إثر قرار والي المدينة العثماني - آنذاك - فخري باشا تهجير سكانها بسبب أحداث الحرب العالمية الأولى. وقد توفي عزيز ضياء إلى رحمة الله يوم السبت ٦ شعبان ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/١٢/٦م (انظر: الحركة الثقافية في شهر لهذا العدد).
١٩ـ٢٣ـ حياتي مع الجوع والحب والحرب ٤٤/١، ٤٤، ٤٤، ٦٢، ١١٤.
٢٤ـ المصدر السابق ٢٠١/١. وهو هنا يصف مشاعره وقد عادت أسرته من الشام إلى المدينة بعد رحلة شاقة كانت محفوفة بالمخاطر.
٢٥ـ حياتي مع الجوع والحب والحرب ٥١/٢.
٢٦ـ هذه حياتي ١٠٧.
٢٧ـ فن السيرة الأدبية ٢٢٣.
٢٨ـ٣٢ـ هذه حياتي ١٠٩، ٥٦، ٥٧، ٥٦، ١١١، ١٠٧.
٣٣ـ٣٨ـ أيام في المستشفى ٧٠، ٤٦، ٥٤، ٦١، ٧٦.



أحمد أمين
رحلة بين القضاء والأدب والناس

يوسف الشاروني

«لو استعرضت حياتي من أولها إلى آخرها لكانت شريطًا فيه شيء من الغرابة، وفيه كثير من خطوط متعرجة. فما أبعد أوله عن آخره! وما أكثر ما فيه من مفارقات، وتغير في الاتجاهات، ومخالفة للاحتمالات.. ولم أذكر فيه - أي في كتاب حياتي - كل الحق، ولكني لم أذكر فيه أيضًا إلا الحق، فمن الحق ما يَرْذُل قوله، وينبو عن الأذن سماعه. وإذا كنا لا نستسيغ عُرْيَ كل الجسم، فكيف نستسيغ عُرْيَ كل النفس؟».

تلك كلمات من كتاب «حياتي» لأحمد أمين الذي وُلد عـام ١٨٨٦م(*) في حي متواضع بقسم الخليفة بالقاهرة، وكانت الحارة التي سكنتها أسرته طويلة ظليلة، ساكنة هادئة، يغلب عليها الظلام أكثر مما يغلب النور لضيق في مسلكها وطول في مساكنها(١).

المدرسة الأولى تحفها الصرامة!

وكان والد أحمد أمين، الشيخ إبراهيم، أزهريًا يعمل في نسخ المخطوطات والكتب، وقد جعل من بيته كتّابًا لأولاده. وطاعة الصغار في هذا البيت لم تكن طاعة بنوّة فحسب، بل طاعة تلميذ لمعلم. ويحدثنا أحمد أمين في سيرته الذاتية «حياتي» أنه نشأ في بيت تُستنشق فيه رائحة الدين نقاذة زكية، ويغلب عليه الجد والتحفظ وقلة المرح، وأن هذا البيت كان مدرسته الأولى التي تكونت فيها عناصر جسمه وخُلُقه وروحه.

أما مدرسته الثانية فكانت حارته التي لعب فيها مع أبنائها، وتعلّم منهم مبادئ السلوك، وتبادل معهم عواطف الحب والكره، والعطف والانتقام، والألفاظ الرقيقة وألفاظ السباب. ومن حارته هذه وما حولها انطبعت في ذهن الصبي أحمد أمين أول صورة للحياة المصرية في سلوكها وأخلاقها وعقائدها وخرافاتها وأوهامها ومآتمها وأفراحها وزواجها وطلاقها. كما تعلم منها اللغة العامية القاهرية، من ألفاظ وأساليب وأمثال وزجل(٢).

تغذّى بالحزن وهو جنين!

ولم يكن والد أحمد أمين قاسيًا في تعليمه ورعايته فقط، بل كان كذلك عنيدًا شديدًا كثير الخصام مع أمه حتى إنها رحلت بصغارها إلى بيت أبيها ولبثت عنده سنتين. كما أنها فقدت أخته وهو جنين، وكانت تعد القهوة لضيوف أهلها فشبّت النار في الطفلة وأحرقتها وأمه حامل به، فتغذى أحمد أمين من حزن أمه وهي حامل به ثم في أثناء رضاعته. لهذا سأل: هل كان لهذا الحزن تأثير فيما ظهر عليه من الوجوم؟ ويصور أحمد أمين في كتابه «فيض الخاطر» أمه فيقول: «إنها امرأة أميّة إذ لم يكن شائعًا في عهدها تعليم البنات، لكنها أوتيت من الحنو والرحمة ما عوّض عليه وعلى إخوته من حنان أبيهم. وكانت في أخلاقها الوداعة والسذاجة. وقد أحبها الأهل والجيران، ونهضت بأعباء البيت وخدمة الأولاد، وَرَعَتْهم بمحبتها وعطفها حتى عمّرت وأدركت الثمانين».

أما مدرسة أحمد أمين الثالثة فكانت «الكُتّاب» الذي دخله وهو في الخامسة من عمره، وقد صوّر أول المشاهد التي انطبعت في ذهنه من مدرسته الأولى تلك، فقد كانت الرهبة التي تسيطر عليه من هول الكتّاب وشيخه. وقد تردد أحمد أمين إلى أربعة كتاتيب، حتى تعلّم القراءة وحفظ كثيرًا من سور القرآن، كما تعلّم الكتابة ومبادئ الحساب. وفي البيت كان أبوه الأزهري يتلقى أولاده بجفاء ويراقبهم في مذاكرة القرآن وحفظ النصوص(٣).

من الأزهر.. إلى التدريس

ومن الكتّاب انتقل أحمد أمين إلى المدرسة الابتدائية حيث قضى ثلاث سنوات. لكن الوالد لا يكتفي بما يتعلمه ابنه في المدرسة كغيره من صغار التلاميذ، إنما يضع له برنامج عمل وتعليم مرهق يمتد

من بعد الفجر إلى ما بعد العشاء. ونظرة إلى هذا البرنامج توضح مدى شدته وغرابته وتناقضه. ولعل السبب في ذلك كما يروي أحمد أمين أن أباه كان حائراً في أمر مستقبله بين توجيهه إلى التعليم الديني أو المدني. وبعد تردد شديد من الوالد يستخير الله ويخرج ابنه من المدرسة وقد أدرك الرابعة عشرة من عمره ليلبسه الجبة والعمامة. وقد أعدّه ذلك الزي ليصبح من طلاب الأزهر يجلس في إيوانه وصَحْنِه مع غيره من الطلاب.

لكن رغبة العيش دفعت أحمد أمين ليغيّر بيده مجرى حياته الأزهرية، فبعد دراسة لم تطل مدتها دخل امتحاناً للتعيين مدرساً للغة العربية في مدرسة خاصة بطنطا، فلما نجح في الامتحان أخبر أباه فوافقه بعد تفكير، إذ وجد أن الدراسة في الأزهر قد تضيّع عمر ابنه ولا يحصل في نهايتها على مثل هذه الوظيفة، فرضي له بها فاتحة لكفاحه في أول حياته.

وكان سفره إلى طنطا هو المرة الأولى التي يغادر فيها القاهرة بعيداً من أسرته، وفي ذلك يقول: «لو سمع شاب الآن وسنّه ستة عشر عاماً كسنّي أنه سيسافر إلى ستغافورة أو طوكيو أو الملايو ما حَمَل الهمّ الذي حملْتُه من أجل سفري إلى طنطا. فلم أركب القطار في عمري، ولا رأيت الأهرام، ودنياي هي ما بين بيتي والأزهر». ثم يقابل بين نفسه وابنه يوم كان في مثل سنه هذه، فيراه يرحل مع طلبة الجامعة إلى أوربا في فرح واغتباط، فيعجب لسرعة تطور الجيل الجديد في زمن قصير.

ثم انتقل أحمد أمين مدرساً للغة العربية بالإسكندرية في مدرسة «راتب باشا»؛ مما زاده اعتماداً على نفسه وأسرع به إلى النضج وقد بلغ الثامنة عشرة. وهناك عجب للبحر وللمستوى الحضاري في ذلك الثغر الجميل، فكان يطيل الجلوس إلى الأمواج ينسى بها اضطرابه وإحساسه بالغربة حتى أصبحت تلك عادته. ولعل حبه للإسكندرية ولبحرها كان أيضاً بسبب اتصاله بأول أستاذ أثّر فيه، هو الشيخ «عبدالحكيم محمد» أستاذ اللغة العربية في مدرسة رأس التين الثانوية، وهو أديب تخرج في دار العلوم، عرفه فكان له أخاً كبيراً، وكان متديناً يؤيد الإمام محمد عبده في دعوته للإصلاح. وقد ظل تأثير ذلك الأستاذ عميقاً في نفس أحمد أمين الذي ظل مرتبطاً به سنوات طويلة، فكان يقول عنه: «كنت خامداً فأيقظني، وأعمى فبصّرني، وعبداً للتقاليد فحررني».

تردد بين القضاء والتدريس

ثم عاد أحمد أمين إلى القاهرة ليصبح عام ١٩٠٦م مدرساً للغة العربية في المدرسة التي كان تلميذاً بها، فأحس كأنه غريب عاد إلى وطنه. لكن عمله في التدريس بمدرسة بنباقادن الثانوية لم يَطُل، فقد افتتحت مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٠٧م لتخريج قضاة شرعيين. واختار المسؤولون لهذه المدرسة ناظراً ذا كفاءة علمية وأخلاقية هو «عاطف بركات» الذي يعده معلّمه الثالث بعد والده والشيخ عبدالحكيم محمد، ذلك أن «عاطف بك بركات» أثر فيه تأثيراً كبيراً. وتخرج أحمد أمين في مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩١١م حاصلاً على شهادة العالميّة، فعُيّن فيها مدرساً منذ تخرجه حتى عام ١٩١٣م، نُقل بعدها قاضياً بمحكمة أسيوط الشرعية، ثم عاد مدرساً مرة أخرى بمدرسة القضاء الشرعي حتى عام ١٩٢١م، ثم تنقل في المحاكم المصرية حتى استقر في كلية الآداب عام ١٩٢٦م بالجامعة التي بدأت أهلية ثم صارت حكومية.



د. زكي نجيب محمود — الشيخ محمد عبده

الانفتاح على الثقافة الأجنبية

ولم يقتنع أحمد أمين بما تلقاه في البيت والمدرسة من ثقافة، فقد أدرك وهو قبل الثلاثين أنه لا بد له من تعلّم لغة أجنبية، وبعد تردد بين الفرنسية والإنجليزية اختار الإنجليزية. وفي ذلك يقول: «ماذا كنت أكون لو لم أجتز هذه المرحلة؟ لقد كنت ذا عين واحدة فأصبحت ذا عينين، وكنت أعيش في الماضي فصرت أعيش في الماضي والحاضر، وكنت آكل صنفاً واحداً من مائدة واحدة، فصرت آكل من أصناف متعددة على موائد مختلفة، وكنت أرى الأشياء ذات لون واحد وطعم واحد، فلما وضِعَت بجانبها ألوان أخرى وطعوم أخرى تفتحت العين للموازنة، وتفتح العقل للنقد. ولو لم أجتز هذه المرحلة ثم كنت أديباً لكنت أديباً رجعياً، يُعنى بتزويق اللفظ لا جودة المعنى، ويعتمد على أدب الأقدمين دون أدب المحدثين.. ولو كنت مؤلفاً لكنت أجمع مُفَرَّقاً أو أفرِّق مجتمعاً من غير تمحيص ولا نقد، فأنا مدين في إنتاجي الضعيف في الترجمة والتأليف والكتابة إلى هذه المرحلة بعد المراحل الأولى. وهذه الزهرة الجديدةُ أُلفت باقةً مع الأزهار القديمة».

ومع اشتغاله بالتدريس بمدرسة القضاء الشرعي، واهتمامه بتعلم اللغة الإنجليزية، فإنه حرص على تثقيف نفسه سياسياً واجتماعياً من أكثر من مصدر. فقد اتصل بجريدتي اللواء والمؤيد، ووجد في نفسه تجاوباً مع ما تنشرانه من مقالات سياسية واجتماعية، كما اتصل بالحزبين الوطني والأمة، وبصحيفة حزب «الإصلاح على المبادئ الدستورية» المسماة بالجريدة ورئيس تحريرها أحمد لطفي السيد، الذي كان مكتبه يُعدّ منتدى للشباب المثقف، كما كان يحضر ما يُلقى في فناء دار «الجريدة» من محاضرات سياسية(٤).

في معترك الثورة.. ونشأة لجنة التأليف

ثم اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، وبعد انتهائها في عام ١٩١٨م، اندلعت الثورة المصرية في أوائل مارس عام ١٩١٩م. وفي هذه الثورة قام أحمد أمين بدور بارز، فقد انتدبه سكرتير الوفد المصري للتوعية السياسية بين الجماهير بإلقاء الخطب في المساجد عقب صلاة الجمعة وكتابة المنشورات الوطنية. كذلك إرسال تقارير إلى سكرتير الوفد في باريس لإطلاع سعد زغلول عليها في أثناء قيامه بالدعاية للقضية المصرية هناك.

وفي الوقت نفسه بدأ المثقفون في مصر يؤلفون لجاناً لدراسة مصر من نواحيها المختلفة: لجنة اقتصادية وأخرى سياسية وثالثة للتربية والتعليم، لكن هذه اللجان ما لبثت أن توقّفت، ولم يبق منها إلا «لجنة التأليف والترجمة والنشر» التي أنشأت مطبعة خاصة بها، كما أصدرت مجلة «الثقافة». وقد وثق به زملاؤه فعهدوا إليه برئاسة اللجنة طوال حياته، يُعاد انتخابه رئيساً لها كل عام.

وقد عمل أحمد أمين قاضياً في الواحات الخارجة في صحراء مصر الشرقية مدة من الزمن، بعدها انتقل للتدريس في كلية الآداب بفضل صديقه طه حسين. وقد أتاحت له الجامعة السفر إلى الخارج في مهمات علمية كالآستانة، والشام في شتاء عام ١٩٣٠م، والعراق مع بعض أساتذة الحقوق والآداب. كذلك حضر مؤتمراً للمستشرقين

أحمد أمين رحلة بين القضاء والأدب والناس



أحمد أمين.. القاضي الشرعي

في لندن عام ١٩٣٢م ألقى فيه بحثًا عن نشأة المعتزلة، كما حضر مؤتمرًا آخر للمستشرقين في بروكسل عام ١٩٣٨م. وسافر إلى الحجاز للحج عام ١٩٣٧م، وذهب إلى لايدن بهولندا لحضور مؤتمر للمستشرقين، وفي الطريق إلى المؤتمر ذهابًا وإيابًا زار فرنسا وانجلترا وإيطاليا فضلاً عن هولندا.

بين الإبداع والتحقيق والترجمة

وخلال حياته الجامعية اتفق مع الدكتور طه حسين والأستاذ عبدالحميد العبّادي على وضع مشروع خلاصته دراسة الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث في عصورها المتعاقبة من أول ظهور الإسلام، فيختص الدكتور طه بالحياة الأدبية، والعبّادي بالحياة التاريخية، وأحمد أمين بالحياة العقلية. لكن المناصب التي أسندت إلى زميليه حالت دون إنجاز ما تعهدا به، أما أحمد أمين فقد أنجز ما تعهد به وأصدر سلسلة: فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظُهر الإسلام، في ثمانية أجزاء، بحث فيها الحالة العقلية في الحياة الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى نهاية القرن الرابع الهجري. لكن الأجل لم يمهله حتى يُتم هذه السلسلة بإصدار «عصر الإسلام» ثم «الإسلام في عصر النهضة الحديثة».

لكن هذه السلسلة لم تكن كل نتاجه العلمي، فهناك أيضًا: يوم الإسلام، حي بن يقظان، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، الأخلاق، حياتي، فَيْض الخاطر (وهو مجموعة مقالات أدبية واجتماعية وسياسية في تسعة أجزاء)، الشرق والغرب، النقد الأدبي (جزءان)، هارون الرشيد، الصعلكة والفتوة في الإسلام، المهدي والمهداوية، إلى ولدي. كما كتب بالاشتراك مع الدكتور زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، وقصة الفلسفة الحديثة (جزءان)، وقصة الأدب في العالم (أربعة أجزاء). كما اشترك في نشر الكتب التالية وتحقيقها: الإمتاع والمؤانسة، ديوان الحماسة، العقد الفريد، الهوامل والشوامل، خريدة القصر وجريدة العصر (الجزء الأصلي منها). بالإضافة إلى ترجمته لكتاب مبادئ الفلسفة. كما ألّف كتبًا مدرسية هي: المنتخب من الأدب العربي، المفصّل في الأدب العربي، المطالعة التوجيهية، تاريخ الأدب العربي.

وبالإضافة إلى هذه الأعمال العلمية والأدبية اتجه أحمد أمين إلى المقال الأدبي لأنه - كما يقول -: «أقرب أنواع الأدب إلى نفسه وأصدقها في التعبير عنه، ولأنه يفتح عينه للملاحظة والتجربة، ويُسَرّي عن نفسه بالإفراج عما اختزنه من حرارة». كما كانت أحاديثه الإذاعية أشبه ما تكون بمقالاته من حيث موضوعاتها وأساليبها، إلا أنه تعمد في هذه الأحاديث أن تكون أسهل موضوعًا وأبسط تعبيرًا لتناسب جمهور السامعين(٥).

وفي عام ١٩٤٥م انتُدب - وهو أستاذ بكلية الآداب - مديرًا للإدارة الثقافية بوزارة المعارف، وهناك اقترح إنشاء «جامعة شعبية» تقبل الطلبة والطالبات دون التقيد بسن محدد، ولا امتحان قبول ولا الحصول على شهادة في النهاية، ويلتحق الطلبة حسب ميولهم في شُعَبها الدراسية المتنوعة من مهنية وفنية ونظرية. وتم إنشاء «الجامعة الشعبية» في القاهرة أولاً، ثم تم تعميمها بفتح فروع لها في باقي المحافظات، حيث أصبح موظفو السينما - على سبيل المثال - ينتقلون إلى الفلاحين في القرى وإلى العمال في المصانع، يعرضون الأفلام الثقافية ومعهم بعض المحاضرين. وقد تطورت هذه «الجامعة الشعبية» حاليًا إلى ما يُعرف باسم «قصور الثقافة» التابعة للثقافة الجماهيرية التابعة لوزارة الثقافة. وقد ظل أحمد أمين رئيسًا لمجلس إدارة «الجامعة الشعبية» طوال حياته.

كذلك أولى اهتمامه، وهو في الإدارة الثقافية، إلى تشجيع ترجمة أُمّات الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية. وكان ذلك نواة توسعت فيها الوزارة فيما بعد إلى ما عُرف باسم «مشروع الألف كتاب»، وتبنته بعد انقطاعه الهيئة المصرية العامة للكتاب فيما يُعرف باسم «مشروع الألف كتاب الثاني».

نشاطه في المجمع اللغوي

وفي عام ١٩٢٧م كان المجمع العلمي العربي بدمشق قد انتخبه عضوًا مراسلاً. وفي عام ١٩٣٩م أُسندت إليه عمادة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وقتئذ (القاهرة حاليًا). وفي عام ١٩٤٠م ضمه مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى عضويته. وقد اشترك أحمد أمين في أكثر من لجنة من لجان المجمع مثل: الأدب، المجلة، اللغة والنحو، ألفاظ الحضارة، المعجم الوسيط، معجم القرآن، قواعد تيسير اللغة والنحو، قواعد تيسير الإملاء العربي ورسم الحروف، وغيرها من اللجان التي بلغ عددها ثلاث عشرة لجنة. وقد بقي شعاره فيما يتصل بالمجمع اللغوي، وفي تعبيره تأليفًا ومحاضرة: اكتُبْ على سَجِيّتك، وفكِّرْ بلغة العصر وروحه. وفيما يتعلق بتيسير القراءة والكتابة في العربية، فإنه لم يتحرج من موافقة الذين اقترحوا تسكين أواخر الكلمات تفاديًا للحن في الإعراب، كما كان هدفه جَعْل اللغة العربية أكثر مرونة ومطاوعةً لألفاظ الحضارة ومصطلحاتها. كما عُني أحمد أمين في مرحلة من حياته باللهجة العامية المصرية وتتبع ما يتداوله الناس في معيشتهم من فكاهات أو حكمة أو مثل أو نادرة أو حكمة؛ فسَجّلها وصنّفها لينشر ذلك كله في معجمه «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»، الذي نُشرت طبعته الأولى عام ١٩٥٣م عن لجنة التأليف والترجمة والنشر.

جائزة الدولة.. ومعهد المخطوطات

وقد حصل أحمد أمين على أول جائزة للدولة في الأدب في مصر عقب إنشائها عام ١٩٤٨م، وذلك بعد إحالته إلى المعاش بعامين، وكانت الجائزة عن كتابه «ظُهر الإسلام». كما توّجته جامعة القاهرة في العام نفسه بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية.

وبعد إحالته إلى التقاعد عينته جامعة الدول العربية مديرًا لإدارتها الثقافية، فأنشأ بإدارتها معهدًا للمخطوطات العربية، مزودًا بالآلات اللازمة لتصوير المخطوطات القديمة داخل مصر وخارجها.

ولعل أروع صفحات سيرته الذاتية «حياتي» تلك التي يتحدث فيها عن مرضه وشيخوخته، فيحدثنا عن اضطرابه وجزعه لإصابته بمرض انفصال

تنوعت حياة أحمد أمين في نشأته الأولى بين مدارس ثلاث: والده بصرامته، والحارة بصخبها وتموجاتها، وأستاذه الشيخ عبدالحكيم الذي ترك فيه أثرًا بالغًا!

الشبكية الذي حرمه الكتابة والقراءة، كما يحدثنا عن الإيمان كأحسن عزاء في المحن، كما ضاعف المرض عنده حاسة السمع لتعوض ما أصاب حاسة البصر بحيث أصبح يعرف كل إنسان من صوته بمجرد أول كلمة ينطق بها. ومع العلاج بدأ البصر يعود إليه تدريجيًا، لكن الأطباء منعوه من القراءة والكتابة. وتبلغ المأساة ذروتها عندما ننتقل مع أحمد أمين إلى مكتبته لنستمع إلى مناجاته لها في كلمات هي عصارة الألم والأسى فيقول: «وأدخل المكتبة لذكرى الماضي فيزيد ألمي، غذاء شهي وجوع مفرط وقد حيل بين الجائع وغذائه. وأتساءل: ... وهذه الآلاف من الكتب آلاف من الأصدقاء.. أراهم ولا أسمع أحاديثهم، ويمدون إليَّ أيديهم ولا أستطيع أن أمد إليهم يدي». وهنا يقفز إلى ذهنه الدكتور طه حسين فيقول في مجال الموازنة بينهما: «الأستاذ الدكتور طه حسين أقرب إلى المثالية وأنا أقرب إلى الواقعية، وهو فنان يحكمه الفن وأنا عالم يحكمه المنطق، وهو يحب المجد ويحب الدويّ وأنا أحب الاختفاء وأحب الهدوء، وهو مغالٍ إذا أحب أو كره وأنا معتدل إذا أحببت أو كرهت، وهو نشيط في الحكم على الأشخاص والأشياء وأنا بطيء، وهو واسع النفس أمام الأحداث وأنا قلق مضطرب غضوب ضيق النفس بها، وهو ماهر في الحديث إلى الناس فيجذب الكثير وليست عندي هذه المقدرة فلا أجتذب إلا القليل، وهو في الحياة مقامر يكسب الكثير في لعبة ويخسره في لعبة، وأنا تاجر إن كسبتُ كسبتُ قليلاً في بطء، وإن خسرت خسرت قليلاً في بطء، يحب السياسة لأنها ميدان المغامرة وأنا لا أحبها لأني لا أحب المغامرة». ثم يختتم هذه الموازنة بقوله: «ولعل الخلاف بيننا في المزاج هو الذي ألّف بيننا، فأشعَرَه أنه يكمّل بي نقصه وأشعرني أني أكمّل به نفسي».

وقد توفي أحمد أمين عام ١٩٥٤م عن عمر ناهز الثامنة والستين.

تراث ضخم ممتد الأثر

وقد تفاوتت مؤلفات أحمد أمين ما بين الدراسة وأدب المقالة والرسالة والترجمة والتحقيق، لكن منهجه كان واحدًا فيها قائمًا على الإخلاص للبحث والدرس. وقد لخص لنا الدكتور زكي المحاسني في كتابه «محاضرات عن أحمد أمين» المحاور الثلاثة في كتابه «فجر الإسلام» - ١٩٢٨م - الذي يبحث الحياة العقلية في القرن الأول للهجرة وهي: أثر الفُرس في العرب، ثم مَنْ هم الخوارج وما أثرهم في الحياة العقلية الإسلامية، أما المحور الثالث فهو المعتزلة. أما ضُحى الإسلام فقد تناول العصر العباسي الأول الذي ينتهي بخلافة الواثق بالله - وقد حدده تاريخيًا بين سنتي ١٣٢-٢٣٢ هـ -، وهو عصر كان له لون علمي خاص به سواء في الأدب أو السياسة، كما امتاز بغلبة العنصر الفارسي، وعُرف بحرية الفكر ووجود طائفة المعتزلة التي كانت تقود الحركة الفكرية إلى جانب الشيعة والخوارج. كما ظهر فيه التدوين الذي حفظ التراث الإسلامي من الثقافات غير العربية. وقد قسّم أحمد أمين كتابه ضحى الإسلام أربعة أبواب: الحياة الاجتماعية، فالثقافات المختلفة، فالحركات العلمية والفكرية، وأخيرًا المذاهب الدينية.

وإذا كان أحمد أمين قد تحدث عن المعتزلة في فجر الإسلام وضحاه، فإنه عاد في كتابة «ظهر الإسلام» - الذي نُشرت طبعته الأولى عام ١٩٥٠م - ليتوسع في الحديث عن المعتزلة ودورهم الذي مارسوه في تاريخ الفكر الإسلامي، وفي الحديث عن طبيعة العقل الواعي الذي ظهر لدى العرب وهم يناقشون أمور الدين والدنيا بحرية وتجرد وتمكّن؛ مما أتاح للفكر الإسلامي الصمود أمام التيارات الجارفة التي أتت من الفكر الآري والسامي كالفرس الذين دخلوا الإسلام، والروم والسريان واليهود. لكن المعتزلة لم تكن غير فرقة من بين فرق خمس رئيسة هي بالإضافة إلى المعتزلة: أهل السنة، والشيعة، والخوارج، والمرجئة. ومما يلاحظ أن أحمد أمين كان يمس الآراء الخطرة في الاعتقاد بين تلك الفرق بحصافة وغير تحيز. وإذا كان الضحى في ثلاثة أجزاء فإن الظهر كان في أربعة أجزاء: الجزء الأول: الحالة الاجتماعية والعقلية منذ زمن المتوكل إلى أواخر القرن الرابع الهجري، والثاني: تاريخ العلوم والآداب والفنون في القرن الرابع الهجري، والثالث يتناول الحركات الفكرية والاجتماعية والفنية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن، أما الجزء الرابع والأخير فيبحث في الحركات الدينية المختلفة.

أما «يوم الإسلام» فهو من مؤلفاته الأخيرة إذ نشره عام ١٩٥٢م؛ أي قبل وفاته بعامين، وهو في هذا الكتاب يتحرر من منهجه الأكاديمي، فلا عناوين ولا أبواب أو فصول؛ بل مجرد نجوم ثلاثة تفصل بين بعض الكلام وبعضه الآخر، وقد أراد أن يوضح فيه - على حد قوله - كيف كان الإسلام يعامل غيره من أهل الأديان أيام عزه وسطوته، وكيف كان يعامل غيره أيام ضعفه ومحنته. ويتبع الكتاب ثبتٌ يذكر فيه الأحداث الجسام التي مرت بدنيا الإسلام منذ الهجرة النبوية حتى نشأة القضية الفلسطينية.

كذلك شارك أحمد أمين في تحقيق التراث بتحقيق نسخة خطية لحي بن يقظان للسهروردي المقتول عام ٥٧٨هـ/١١٩١م، نشرها مع كل من حي بن يقظان لابن طفيل (٥٠٦هـ/١١١٠م-٥٨١هـ/١١٨٦م) وابن سينا المتوفى عام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م، وقدم لها ببحث كان قد أعده بمناسبة اشتراكه في المهرجان الألفي لابن سينا. وطبعته دار المعارف لتوزيعه على أعضاء المهرجان في بغداد وطهران. ثم نشرته مؤسسة الخانجي بمصر مع المكتب التجاري ببيروت ومكتبة المثنى ببغداد في عام ١٩٥٨م.

كذلك نشر أحمد أمين كتابه «زعماء الإصلاح» عام ١٩٤٨م، اختار فيه عشرة رجال ممن عدّهم من أكابر المصلحين للشرق الإسلامي والعربي هم: شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وعبدالرحمن الكواكبي، وجمال الدين الأفغاني، ومدحت باشا التركي، والهنديان أحمد خان وأمير علي، وخيرالدين باشا التونسي، وعلي باشا مبارك، وعبدالله النديم، والشيخ محمد عبده.

وهكذا ترك أحمد أمين تراثًا ضخمًا في الدراسات الإسلامية الحديثة، أفاد فيه من المستشرقين منهجًا وبحثًا كما أفادوا منه، كما امتد تأثيره في كثير من جوانب حياتنا الثقافية التي وضع نواتها بحكم الوظائف التي تولاها ونمت واتسعت بعد وفاته.

حرص أحمد أمين على تثقيف نفسه سياسيًا واجتماعيًا، وكان له دور بارز في الثورة المصرية عام ١٩١٩م. ومن آثاره: إنشاء معهد المخطوطات بالجامعة العربية

الهوامش:

(*) في تاريخ مولده خلاف. فالموسوعة العربية الميسرة تذكر أنه في عام ١٨٨٧م، أما «الأعلام» للزركلي فيذكر أنه عام ١٨٧٨م.

١- من مقال الدكتور أحمد زكي: صديقي أحمد أمين، في كتاب الذكرى الأولى.

٢- أحمد أمين، حياتي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٩م، من مقدمة الدكتور عبدالعزيز عتيق، ص١١.

٣- د. زكي المحاسني، محاضرات عن أحمد أمين، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٦٢-١٩٦٣م، ص٢٨.

٤- مقدمة «حياتي»، ص١٨.

٥- المرجع السابق ص٣١.

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع

الجيل

«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

AL JEEL



تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.





لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة

ماليزيا

عناصر مختلفة تتعاون من أجل البناء

عواطف شلبي

كانت أول ملاحظة لنا ونحن نخترق شوارع العاصمة الماليزية «كوالالمبور» أنها مدينة غير عادية.. إننا في هذه المدينة لا نرى حضارة واحدة، ولكنا نتجول في رحاب عدة حضارات تتباين ثقافاتها وأزياؤها وأطعمتها وفنونها ومعروضاتها. وإذا كنا قد رأينا التنوع الثقافي والحضاري نفسة في سنغافورة، فإنه يختلف هنا في ماليزيا عنه في سنغافورة، نظراً لأن أكثرية سكان سنغافورة من الصينيي الأصل. أما ماليزيا فإن الغالب فيها هو العنصر الملايوي المسلم حيث ترتفع فيها المآذن، وتسمع فيها أينما تسير نداء «الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله» يتردد عاليًا مدويا في أوقات الصلوات الخمس.

وفي أي شارع تسير تجد النساء المسلمات وهن يرتدين الحجاب الإسلامي. والفتاة المسلمة دائمًا فتاة وقور محتشمة تتصرف دائمًا بأدب وحياء شديدين يفرضهما الإسلام على كل فتاة مسلمة.

تنوع في الأزياء والثقافات

في شوارع كوالالمبور وجدنا مهرجانًا للأزياء من كل الثقافات: الزي الرسمي للفتيات الماليزيات المسمى: الباجوكوروم، والمكون من (جونلة) طويلة عليها معطف طويل من القطن المطبوع، والثوب الحريري الصيني المعروف، والساري الهندي بأنواعه كافة، والأزياء الأوروبية العصرية.

هذا التنوع خاصية من أهم خصائص ماليزيا التي تعطيها شخصيتها المميزة، فإن السكان الذين يبلغ عددهم قرابة ١٧ مليون نسمة ينقسمون إلى عنصرين رئيسين، هما العنصر الملايوي ونسبتهم ٤٨٪ وهم السكان الأصليون، ويدينون بالإسلام، ويتحدثون لغة الباهات أو الماليزية. والعنصر الصيني ونسبتهم ٣٦٪ ويدينون عادة بالبوذية والكنفوشيوسية، ويتحدثون عدة لغات صينية هي الكانتون والماندرين والهوكين. يليهم العنصر الهندي ونسبته ١١٪ ويدينون غالبًا بالهندوسية، ويتحدثون بعض اللغات الهندية مثل التاميلية والبنجالية والأردية والهندية. وتتعايش هذه العناصر المختلفة معًا لكنها لم تنصهر في بوتقة المجتمع الواحد، وظل كل عنصر من تلك العناصر محتفظًا بثقافته ولغته وتقاليده ودينه، وهم، على هذا، متوافقون متعاونون.

وتتركز السلطة السياسية في أيدي أبناء العنصر الملايوي حيث يحتلون غالبية الوظائف والمناصب في الحكومة، فمنهم الحكام في تسع من الولايات الماليزية التي يبلغ عددها ثلاث عشرة ولاية، والشيء الذي يسوّغ هذا الوضع هو أن الملايويين هم الأغلبية، أما الصينيون فإنهم يحتفظون بالقوة الاقتصادية التي تتركز في أيديهم، والسبب في هذا راجع إلى طبيعة العنصر الصيني الذي يتفوق في الأعمال والمهن، والذي كان قد وُجِّه إلى ماليزيا أساسا من أجل العمل في المزارع والمناجم، فنمت لديه القدرات العملية والروح الادخارية الاستثمارية. وكانت هذه العوامل وراء احتفاظهم بالقوة الاقتصادية، بينما يميل العنصر الملايوي إلى الحياة البسيطة والاهتمام بالروحانيات. ومما يذكر بصدد هذا أن الملايويين المسلمين يهتمون جداً بأداء فريضة الحج، وقد كان الملايوي حتى وقت قريب يبيع ممتلكاته، أو ينفق كل ما ادخره في حياته في سبيل أداء تلك الفريضة مهما كانت احتياجاته أو احتياجات أسرته إلى تلك المدخرات، لدرجة أن بعضهم ممن لا يملك غير البيت الذي يؤويه كان يبيع بيته من أجل أداء فريضة الحج ولا يفكر أين سيقيم بعد ذلك. المهم في نظره هو أن يصبح حاجًا.

وقد فطنت الحكومة الماليزية إلى وسيلة لتنظيم هذا الأمر بحيث لا

يكون تدبير نفقات أداء الحج هو الشغل الشاغل لكل ملايوي مسلم، يصرفه عن الاهتمام بتطوير نفسه وتطوير حياته وحياة أسرته، فقامت في عام ١٩٦٢م بإنشاء «هيئة صندوق الحج»، واسمها بالماليزية «طابون حاج». ومما يُذكر أن تلك الهيئة قد قامت بناء على موافقة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر عند زيارته لماليزيا عام ١٩٦٢م. وتقوم هيئة صندوق الحج أو «طابون حاج» باستثمار مدخرات المسلمين ودفع الزكاة نيابة عنهم، كما تقوم بمساعدتهم على أداء فريضة الحج مقابل مدخرات بسيطة يدفعونها ابتداء من سن الطفولة. وهذه الهيئة معنية بتنظيم شؤون الحج كافة، وإحدى ميزاتها التي ساعدت على إنجاحها هي المركزية التامة في إتمام إجراءات الحج، إذ تتركز في أيديها شؤون الحج كافة، ولها مساكن لإقامة الحجاج الماليزيين في مكة والمدينة وعرفات؛ وبذلك استطاعت هذه الهيئة طمأنة كل ماليزي مسلم على أنه سوف يتمكن من أداء فريضة الحج مادامت هناك جهة تقوم نيابة عنه بتمهيد كل السبل التي تمكنه من إتمامها. وبذلك تفرغ الماليزيون المسلمون للقيام بدورهم في عملية التنمية والتقدم الاقتصادي من طريق توجيه مدخراتهم للاستثمار والمشاركة الإيجابية الفعالة في النهضة الصناعية التي تشهدها ماليزيا جنبا إلى جنب مع الماليزيين الصينيين.

السعي إلى تحقيق اقتصاد قوي

ولعل من أهم ما يسترعي الأنظار في ماليزيا، بالإضافة إلى تكوينها السكاني، ما حققته من طفرة اقتصادية بوصفها دولةً نامية في جنوب شرقي آسيا. فقد نجح الاقتصاد الماليزي في العشرين سنة الأخيرة في تحقيق تقدم ملحوظ، بحيث أصبحت ماليزيا تُعَدّ في النمور الاقتصادية شأنها في ذلك شأن هونج كونج وسنغافورة وكوريا الجنوبية وتايلاند، ويرجع هذا التقدم إلى السياسة الاقتصادية الجديدة التي تقوم على التخطيط، والتي بدأتها الحكومة في عام ١٩٧١م، وهي تهتم بمشروعات البنية الأساسية وإقامة المشروعات الخاصة في المجالات كافة، كما تهتم بإعطاء أولويات وامتيازات للعنصر الملايوي بحيث ترتفع نسبة مشاركته في نمو الاقتصاد. ويعتمد الاقتصاد الماليزي على التجارة الخارجية التي تمثل ٦٥٪ من الدخل القومي؛ وأهم الصناعات في ماليزيا الأجهزة والمعدات الكهربائية والإلكترونية ومنتجات المطاط والمنسوجات والمنتجات التعدينية.

وفي عام ١٩٩١م قدمت الحكومة خطة اقتصادية تحمل اسم «خطة التنمية الاقتصادية» تغطي المدة من ١٩٩١ إلى ٢٠٢٠م، وتسعى للوصول بماليزيا إلى مرتبة الدول المتقدمة بالمعايير الاقتصادية والاجتماعية في عام ٢٠٢٠م. وقد اهتمت الأجهزة والقطاعات كافة بدراسة الخطة وطرائق تنفيذها، ووضعت برنامج عمل لتنفيذها خلال العشر سنوات التالية حتى عام ٢٠٢٠م. ويعد هذا البرنامج امتداداً في الوسائل والأهداف للخطة



روعة البناء وجمال التصميم في مساجد ماليزيا


مبنى السلطان عبدالصمد العلامة المميزة لماليزيا


بقايا القلعة البرتغالية القديمة في ماليزيا

الاقتصادية المعروفة باسم السياسة الاقتصادية الجديدة، والتي تبنتها الحكومة عام ١٩٧١م مدة عشر سنوات، ونجحت في تحقيق أهدافها من حيث استئصال الفقر ورفع مستوى المعيشة، وتضييق الفجوة الاقتصادية بين العنصر الملايوي والعنصر الصيني بزيادة نصيب الملايويين، حيث نجحت الخطة في تمليكهم ٣٠٪ من أسهم الشركات الخاصة والأجنبية، وزيادة مشاركتهم في النشاط الاقتصادي.

جغرافية ماليزيا وشيء من تاريخها

وتشمل التركيبة السكانية لماليزيا، بالإضافة إلى العنصر الملايوي المسلم الغالب والعنصر الصيني الذي يليه في العدد والقوة، عنصراً آخر له دور مهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لماليزيا هو العنصر الهندي، الذي بدأت هجرته إلى جزر الملايو (ماليزيا) في أوائل القرن الحالي بتشجيع من بريطانيا التي كانت تستعمر تلك المناطق آنذاك.

وإن نظرة على جغرافية جزر الملايو (ماليزيا) وتاريخها لتوضح كيف تعايشت هذه العناصر المتباينة جنبا إلى جنب مع احتفاظ كل منها بعاداته وتقاليده ولغته وخصائصه الأخرى كافة، ولكنها - في الوقت نفسه - تعمل متعاونة من أجل تطوير الدولة لتصبح إحدى القوى الاقتصادية البارزة في منطقة جنوب شرقي آسيا وعلى الساحة الدولية.

وتنقسم ماليزيا قسمين، الأول: هو شبه جزيرة الملايو التي تتصل شمالاً بحدود تايلاند وجنوباً بجزيرة سنغافورة وغربا بمضايق ملاكا أو «ملقا» وشرقًا ببحر الصين العظيم، وبها العاصمة كوالالمبور ومقر الملك ومجلس النواب (البرلمان) ورئاسة الوزراء، ويقطن به أربعة عشر مليونًا من السكان. والقسم الثاني هو جزيرة برونيو التي تضم ولايتي صباح وسراواك. والسوسراواك هي عاصمة هذا القسم، وتقع جزيرة برونيو شمال إندونيسيا - وهي غير سلطنة بروناي - ويقطن في جزيرة برونيو ثلاثة ملايين من السكان.

ولا يُعرف على وجه الدقة بداية تاريخ ماليزيا، ويوجد العديد من الآراء حول بداية نشوئها، لكن المعتقد أن أول كيانات سياسية قامت في شبه جزيرة الملايو ظهرت في الشمال منذ عام ٩٠٠ ق.م واستمرت إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، حيث وقعت بعض هذه الكيانات تحت سيطرة الإمبراطوريات المجاورة. وبحلول القرن الرابع عشر الميلادي برزت إمبراطورية ملقا، وكان هذا الوقت هو العصر الذهبي للقوة السياسية للملايو، وقد تزامن هذا مع بداية انتشار الإسلام في جنوب شرقي آسيا.

وفي هذا الوقت تحول أهل ملقا إلى الدين الحنيف، وقد كان للإسلام تأثير كبير في شبه جزيرة الملايو، وكان أحد أهم العوامل التي ساعدت في تكوين الملامح الرئيسة للمجتمع الملايوي. وإلى جانب إمبراطورية ملقا كانت هناك إمبراطورية برونيو التي بسطت نفوذها على الكثير من المناطق الساحلية لشبه الجزيرة.

وفي بداية القرن السادس عشر، وبالتحديد من عام ١٥١١م، سقطت ملقا في أيدي البرتغاليين، وكانت هذه بداية التسلل الأوربي إلى الملايو. وفي عام ١٦٤١م سقطت ملقا في أيدي الهولنديين. ولم يستطع الاستعمار البرتغالي أو الاستعمار الهولندي إحداث أي تغيير اجتماعي في المجتمع الملايوي.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر امتد النفوذ البريطاني - الذي كان يحكم قبضته على الهند - إلى شبه جزيرة الملايو، فأخذ

ماليزيا

عناصر مختلفة تتعاون من أجل البناء

سنغافورة من سلطان جوهور، وملقا من الهولنديين، وبعد عدة سنوات أصبحت مناطق سنغافورة وملقا مستوطنات للبريطانيين وسميت بمستوطنات المضايق، وكانت تدار من خلال إدارة بريطانية متمركزة في الهند. وتطورت تلك المناطق وبرزت فئة تجارية جديدة في مستوطنات المضايق، وزادت الاستثمارات في شبه الجزيرة. وقد احتكرت الطبقة الحاكمة النشاطات الاقتصادية في الولايات الماليزية. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ الغزو الاقتصادي لشبه الجزيرة، وبدأ رأس المال يتدفق، بالإضافة إلى قدوم أعداد كبيرة من عمال المناجم الصينيين.

وبحلول عام ١٨٦٧م انتقلت إدارة مستوطنات المضايق من المكتب المتمركز في الهند لتصبح في يد المكتب الموجود بشبه جزيرة الملايو، وفي عام ١٨٧٤م وُقِّعَت اتفاقية بين بريطانيا وحكومات دويلات جزر الملايو، وبمقتضى هذه الاتفاقية أخذ البريطانيون بعض الاختصاصات التي كان يتولاها الأمراء والسادة (الأرستقراطيون) الملايويون، وكان ذلك بداية لتغييرات جذرية في المجالات السياسية والإدارية، وتم تعيين بعض المستوطنين البريطانيين في مناصب حكومية مهمة ليكونوا بمنزلة مستشارين لسلاطين جزر الملايو في الشؤون السياسية والإدارية والاجتماعية كافة، ما عدا الشؤون التي تتعلق بالدين والعادات والتقاليد.

وقد شهدت الملايو فيما بعد موجة جديدة من الهجرة كانت قادمة هذه المرة من الهند، وذلك منذ إدخال صناعة المطاط في عام ١٩١٠م. وقد تم هذا بتشجيع من بريطانيا منذ استعمارها لجزيرة بينانج PENANG الماليزية عام ١٧٨٦م، ثم ميناء ملقا وجزيرة سنغافورة فيما بعد، وكانت بريطانيا ترمي من وراء استقدام الأيدي العاملة الهندية والصينية إلى الاستغلال الأقصى لمناجم القصدير ومزارع المطاط.

وفي أواخر عام ١٩٤١م احتلت اليابان شبه جزيرة ماليزيا وسراواك بعد أن هزمت بريطانيا، وقد استمر الاحتلال الياباني حتى عام ١٩٤٥م عندما هُزمت اليابان وعاد النفوذ البريطاني من جديد.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية، ومع نمو الشعور الوطني ضد الاستعمار البريطاني، عرضت بريطانيا مشروع تكوين اتحاد الملايو بحيث يضم الولايات التسع في شبه جزيرة الملايو، بالإضافة إلى ملقا وبينانج، على أن تنشأ حكومة مركزية يتنازل لها السلاطين عن امتيازاتهم، وبحيث يُعطى حق المواطنة للمهاجرين؛ الأمر الذي أثار الملايويين على هذا المشروع، وكانت تلك المعارضة هي نقطة البداية لتكوين منظمة الملايو الوطنية المتحدة التي عرفت باسم «حزب الأمنو»، وتولت المفاوضات مع بريطانيا ونجحت في تعديل مشروع الاتحاد ليُبقي على نظام السلاطين، ويعطي السلطة السياسية للملايويين. وقد تم تنفيذ المشروع في شباط/ فبراير ١٩٤٨م. وقد أجريت أول انتخابات عامة عام ١٩٥٥م لاختيار أعضاء المجلس النيابي الاتحادي (البرلمان الفيدرالي). وقد ائتلف حزب الأمنو مع الحزب الصيني والحزب الهندي وفازوا بالأغلبية وكوّنوا أول وزارة برئاسة «تنكو عبدالرحمن»، وفي الوقت نفسه قاد الصينيون الشيوعيون - بدعم من الصين - حرب العصابات لنشر الشيوعية في بلاد الملايو، وقد انحصر نشاطهم مع نهاية الخمسينيات في منطقة الحدود مع تايلاند، حتى تم حل الحزب الشيوعي في عام ١٩٨٩م وتمت تصفية النشاط المسلح على الحدود.

وفي أوائل الستينيات دعا تنكو عبدالرحمن لتكوين دولة ماليزيا لكي تضم كذلك سنغافورة وصباح وسراواك وبروناي التي كانت تحت سيطرة بريطانيا. وقد أجري الاستفتاء الشعبي في صباح وسراواك في كانون الثاني/ يناير ١٩٦٢م، وأسفر عن موافقة الأغلبية على الانضمام إلى الاتحاد الفيدرالي لدولة ماليزيا، والذي أعلن في ١٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٣م ليضم صباح وسراواك وسنغافورة، أما بروناي فقد ظلت مرتبطة ببريطانيا حتى استقلت عام ١٩٨٤م. وقد اعترضت إندونيسيا والفلبين مدّعيتين حقهما في هاتين الولايتين؛ مما أدى إلى توتر العلاقات بينهما وبين ماليزيا حتى تم تطبيع العلاقات بينها في عام ١٩٦٦م. وقد انفصلت سنغافورة عن ماليزيا في عام ١٩٦٥م لعدم التوافق بين الحكومة الفيدرالية والحكومة المحلية.

كوالالمبور.. واسطة عقد فريد من الجمال!

قضينا في مدينة كوالالمبور أربعة أيام لا أبالغ عندما أقول: إنها مرت بنا كما لو كانت أربع ساعات. وقت حافل بالنزهات الجميلة والمسرات البريئة البديعة والمشتريات الجيدة الصنع الرخيصة السعر.



الحياة البرية في ماليزيا: تكثر الطيور المختلفة الأنواع والألوان

تتوسط مدينة كوالالمبور منطقة رائعة الحسن تسمى حدائق البحيرة، بحيرة تاسك بردانا TASEK BER-DANA، وهي بحيرة صناعية ضخمة بدأ إعدادها منذ أخريات القرن الماضي في وسط ٩٢ هيكتاراً من الحدائق الغنّاء.

في وسط حدائق البحيرة يقوم بارتفاع يصل إلى أكثر من ١٥ متراً ونصف المتر، التمثال القومي أو نصب الأبطال الذي أقيم حديثًا في عام ١٩٦٦م، وهو تمثال من البرونز يمثل سبعة رجال من قوات الأمن الماليزية يجسدون الصفات العسكرية الماليزية السبع: القيادة، والوحدة، والقوة، واليقظة، وتحمل المعاناة، والشجاعة، والتضحية. والتمثال محاط بالنافورات الضخمة.

وفي أعلى منطقة حدائق البحيرة يتعالى مبنى البرلمان مطلا على كل هذا القدر من الجمال الفتان: الخضرة والهدوء والماء والزهور المنسقة تنسيقًا بديعًا، ومبنى البرلمان برج ضخم يتألف من ١٨ طابقًا، ويعد من أهم معالم كوالالمبور بواجهاته الزجاجية اللامعة.

وفي المنطقة ذات الجمال الطبيعي الأخاذ والمناظر الرائعة الجذابة التي تقع خلف التمثال القومي الماليزي توجد مجموعة من التماثيل التي تتجلي فيها روعة فن النحت، وهي تماثيل صنعها فنانون من الدول المؤسسة لرابطة الآسيان وفازوا عنها بجوائز قيمة في مسابقات نظمت في كل دولة من الدول الخمس المؤسسة للآسيان، وهي: إندونيسيا وسنغافورة وتايلاند وبروناي والفلبين التي يضمها تجمع يرمي إلى التعاون بين تلك الدول في جميع المجالات ولاسيما المجال الاقتصادي. وكلمة آسيان هي تجميع للأحرف الأولى من الكلمات الإنجليزية التي تعني اتحاد دول جنوب شرقي آسيا.

في كل زاوية وكل ركن من أركان حدائق البحيرة كانت تطالعنا تنويعات من الزهور رُصَّت بعضها بجوار بعض في تنسيق ينم على فن جميل. ولا يمكنني، وأنا في معرض الحديث عن الجمال الطبيعي الخلاب لمنطقة حدائق البحيرة، أن أنسى حديقة الأوركيد التي تجمع أنواعا مختلفة من الزهور التي تبهج العين: تشكيلة جذابة من أنواع الأوركيد المستورد، ونباتات أخرى بعضها مهجن وبعضها ماليزي تُعرض في تلك الحديقة التي يمكنني أن أضعها في قائمة أجمل الحدائق التي رأيتها في حياتي.

من معالم كوالالمبور

من أهم المعالم التي شدت انتباهنا في مدينة كوالالمبور: محطة السكك الحديدية، وهو مبنى عريق مطليّ باللون الأبيض، وهو على الطراز الإسلامي الذي يتميز بالأقواس والمنابر التي تعلوها القباب وتعطيها شخصيتها المميزة وتجعلها واحدة من أشهر محطات السكك الحديدية في العالم. يرجع تاريخ إنشاء تلك المحطة إلى بدايات هذا القرن حيث أقيمت لتحل محل المحطة القديمة التي كان الإنجليز قد أنشؤوها في عام ١٨٨٥م. ولا يقل عن هذا المبنى، في الأناقة والذوق المعماري، مبنى آخر يفصله عنه نفق يسير به المشاة؛ ذلك المبنى هو مبنى إدارة السكك الحديدية.

وفي مدينة كوالالمبور عدد من المساجد التي يتجلى فيها جمال التصميم والفخامة والعظمة. أول هذه المساجد المسجد القومي أو مسجد نيجارا الذي صممت القبة الرئيسة فيه على شكل نجمة لها ١٨ قمة تشير إلى أركان الإسلام الخمسة والولايات الثلاث عشر التي تتكون منها ماليزيا. تزين هذا المبنى النافورات وأحواض المياه، ويضم مكتبة بالإضافة إلى أماكن الصلاة والمئذنة التي ترتفع إلى ٧٣ متراً. ولا يقل عن ذلك الجامع، فخامة وروعة، مسجدٌ آخر يُسمى المسجد الجامع الذي تحيط به من كل ناحية أشجار نخيل جوز الهند، ويتميز بمئذنتيه اللتين ترتفعان بارتفاع تلك الأشجار.

وعلى مقربة من المسجد القومي ومحطة السكك الحديدية، وعلى أطراف حدائق البحيرة يقع واحد من أهم المزارات السياحية في كوالالمبور هو منزل «تون عبد الرازق». وتون عبدالرازق هو ثاني رئيس وزراء لماليزيا بعد الاستقلال، ويُطلق عليه اسم: أبي التنمية، فهو الذي اضطلع بمهمة وضع أول خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في ماليزيا. في ذلك المنزل الذي يُسمى «سري تامان» كان يحيا رئيس الوزراء الماليزي الشهير، ومازالت ذكرياته وأوراقه وكتبه وتسجيلاته وخطبه والهدايا التي قدمها له الملوك والرؤساء من الدول المختلفة، ومجموعة نادرة من العصي التي كان يتكئ عليها في سيره، ومكتبته وحجرة نومه باقية هناك. كما أن أقلامه وأشياءه كافة مازالت موضوعة كما هي في الأماكن التي كانت فيها وقت حياته.



من شواطئ ماليزيا الخلابة

ماليزيا

عناصر مختلفة تتعاون من أجل البناء

عرض للمهارات في الهواء الطلق!

يتحتم على كل مهتم بمعرفة تاريخ مجتمع ما وحضارته أن يتعرَّف الحِرَفَ التي يبرع فيها ذلك المجتمع، فهي دائمًا تعبير عن خصائصه وصفاته الحضارية وثقافته، وهذا ما يدفعني للبحث - في كل دولة أزورها - عن المناطق التي تنتج المصنوعات الحرفية وتعرضها. وفي السوق المركزي بكوالالمبور وجدت عرضًا يجمع الفنون والحرف التي ينبغ فيها أبناء الولايات الماليزية كافة، وتُباع فيه أنواع شتى من المنتجات لفنانين وحرفيين محليين تُعرض بطريقة جذابة مثيرة تدفع الزائر إلى الشراء دون أن تكون لديه النية لذلك مسبقًا، ودون تفكير في مدى احتياجه إلى الشراء. وفي هذا السوق تجد الفنانين يتنافسون منافسة حرة شريفة في تقديم خدماتهم للمترددين إليه، وبخاصة السياح الأجانب. فهذا يعرض أن يرسم لك صورة شخصية (بورتريه) في ربع ساعة، وآخر يغريك بأنه لن يستغرق من وقتك أكثر من خمس دقائق ليفرغ من البورتريه المطلوب وعليك أن تختار، وفي سرعة فائقة وبدقة وإتقان غريبين يتم رسم البورتريه. وآخرون يقفون أمام أنوال النسيج، صناعات فورية تتم أمام عيون المتجولين. ويسألك أحدهم: هل تريد أن أنسج لك على الفور مفرشا أو فوطة أو ملاءة وأكتب لك اسمك عليها؟ ويتم كل ذلك على الفور لتعود فتتسلم ما طلبت بعد أن تفرغ من جولتك بالسوق العامرة بفنانين وصناع مهرة عرفوا كيف يستفيدون من الوقت ومن مهاراتهم في إنتاج يحقق لهم مزيدا من الكسب، ويحقق لبلادهم الرخاء الذي يطمحون إلى تحقيقه، ويسيرون بخطى حثيثة للوصول إليه قبل عام ٢٠١٠م، وهو التاريخ الذي حددته خطتهم القومية ليصبحوا عنده في عداد دول العالم المتقدمة.

أما تجمع الحرفيين الذي يسمى «كاريانيكا» فيتكون من مبان خشبية على الطراز الماليزي التقليدي تجاورها دكاكين صغيرة، كل جانب منها يمثل الصناعات الحرفية والفنون التي تتخصص فيها إحدى الولايات الماليزية ويبرز اختلاف الثقافات. وتنتشر في ذلك السوق المحلات الصغيرة التي تقدم الأطباق المحلية أيضا بوصفها نوعًا من الحرف، ويلاحظ عليها أن أسعارها زهيدة جدا والمنافسة فيها واضحة.

فنون متنوعة من النسيج

وفي مجال الاهتمام بالحرف والصناعات المحلية التي تشتهر بها ماليزيا، كانت لنا زيارة لمركز «سوتراسيمي»، وكلمة «سوترا» في اللغة الملايوية تعني حريراً أما كلمة «سيمي» فتعني زرعًا، أي إن هذا المركز هو مركز زرع الحرير، ويعدُّ هذا المركز أكبر مشروع من نوعه في العالم، وينتج سنويًا ستة أطنان من الغزل، و١٢٠ ألف متر من النسيج يتم نقلها من المركز مباشرة إلى مصانع «الباتيك». وفن الباتيك فن دقيق تشتهر به ماليزيا وإندونيسيا، وهما أول دولتين في العالم برعتا في هذا الفن الذي يحتاج إلى مهارة عالية وصبر ومثابرة في رسم نقوش الباتيك التي تُستخدم فيها الألوان الزاهية، ثم تُطبع على قماش مصبوغ، بعد ذلك يتم استخدام الشمع بعد الطباعة لحفظ الألوان، ثم بعد ذلك غسل الألوان. وقد شاهدنا تلك الخطوات وهي تجري في تتابع دقيق بأحد مصانع الباتيك الكثيرة المنتشرة في ضواحي كوالالمبور، والتي تستعين بأعداد كبيرة من الأيدي العاملة اللازمة لهذه الصناعة اليدوية الدقيقة.

أما نسيج «السونجكت» فهو فن من الفنون السائدة في ماليزيا وتتخصص فيه النساء، وهو فن النسج بالخيوط الذهبية والفضية في أشكال معينة خاصة من غزل الحرير والقطن، ويتم تشغيل نول «السونجكت» بوساطة سيدتين تقوم واحدة منهما بالنسج، أما الثانية فتختص باختيار الشكل وترتيب الخيوط.

احتفالات وعروض ثقافية

ومازلنا في مدينة كوالالمبور، أربعة أيام فقط لا يمكن أن تكفي! إن الوقت في هذه المدينة يمر بسرعة مذهلة، مدينة الغرائب والمتناقضات، المدينة الهادئة الصاخبة، المثيرة الناعمة، المتدينة المتحضرة، القديمة الحديثة، تجمُّع غريب بين أضداد شتى مختلفة متباينة، لكنها هنا تنسجم وتتآلف بعضها مع بعض، وتعطي في النهاية صورة متكاملة متوافقة.

وما أحلى الليل في كوالالمبور، إنها ليست مدينة النهار الجميل الصاخب المملوء بالحركة والنشاط والعمل فقط، بل هي مدينة الليل الجميل أيضًا، إنها مدينة النهار والليل معا.

كانت المدينة طوال الليالي الأربع التي قضيتها فيها تتلألأ متزينة بالأنوار الكهربائية الملونة المعلقة على المنازل والمصالح الحكومية وكل الأبنية احتفالاً بمناسبة عزيزة عليهم جميعًا، هي أعياد الاستقلال. وما أكثر الأعياد والاحتفالات والكرنفالات في ماليزيا، وما أحلى الرقصات الشعبية والعروض الثقافية التي كنا نشهدها كل ليلة في فنادق كوالالمبور مع تناول وجبة العشاء الذي يسمونه العشاء الراقص، تقدم الفرق الفنية معه عروضا من الرقص التعبيري الذي يمثل قصصًا وحكايات يظهر فيها الراقصون وهم يرتدون الملابس المحتشمة المزركشة والحلي الملونة، ويتزينون بالقلائد والأقراط المصنوعة من المعادن الرخيصة كالنحاس أو الصفيح، محلاة بالخرز والترتر، ويؤدون رقصاتهم الراقية المستوى الرائعة الفن دون ابتذال أو إثارة، بحركات فنية محسوبة مدروسة.

ولا يمكنني أن أنهي حديثي عن كوالالمبور دون أن أذكر الأثر الماليزي المهم الذي يُتَّخذ علامة مميزة لكوالالمبور - مثل الأهرام بالنسبة لمصر أو برج إيفل بالنسبة لباريس وساعة بج بن بالنسبة للندن - هو مبنى السلطان عبدالصمد، وهو بناء أقيم بين أعوام ١٨٩٤، ١٨٩٧ ويتميز بأقواسه المنحوتة، وقبابه البصلية الشكل، وبرج الساعة الذي يرتفع لأعلى ليصل إلى ٤١ متراً، وتوجد بهذا المبنى الشهير المحكمة العليا.

هذه هي مدينة كوالالمبور عاصمة ماليزيا التي أدهشتني حقا، وكانت مفاجأة رائعة لم أتوقعها قط، فلم يكن بوسعي أن أتصور أنني سوف أجد في هذه المدينة الأسيوية الحديثة الاستقلال كل هذه العمائر الشاهقة الارتفاع، وتلك الناطحات للسحاب، والطرق الممهدة وذلك الانسياب في المرور. كيف تحقق كل هذا في غضون سنوات معدودات؟ إنه التخطيط السليم المدروس الذي يحقق المعجزات، والتطبيق الذكي المخلص للخطط الموضوعة التي بفضلها صارت المعجزة واضحة للعيان!



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

الهفوات النادرة

تأليف: غرس النعمة الصابئ
المتوفى سنة ٤٨٠هـ.

هب أنك في حضرة ملك أو سلطان أو وزير تحادثه ويحادثك، ثم بدرت منك زَلَّةٌ لا يليق أن تقع منك أمام عامة الناس، بَلْه كُبراءهم، فما موقفك حينئذ؟ لا أظنك ستستطيع وجدان العبارة التي تعتذر بها إلى ذلك السلطان أو الكبير في قومه، وكأني بك وجبينُك يتحدر عرقًا، ولسانك يتلعثم وهو يبحث عن كلمة أو بعضها يمحو بها زلته.

وكتاب «الهفوات النادرة» لغرس النعمة الصابئ يتعرض لمثل هذه الزلات التي وقعت من أناس مرموقين في العلم والأدب والوجاهة أمام مَنْ هم أعلى منهم رتبة وعلمًا.

ولا بأس بالتعريف المختصر بمؤلف هذا الكتاب قبل أن نعرض نماذج مما أورده في كتابه، فنقول: هو أبو الحسن غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم، ويعرف بابن الصابئ، لأن أباه كان على دين الصابئة قبل إسلامه. وابن الصابئ من بيت مشهور بالرئاسة والفضل والتقدم والوجاهة والكتابة والبلاغة، فورث هذه الصفات الحميدة عن أسلافه. وتوفي سنة ثمانين وأربعمئة، وكانت ولادته سنة عشر وأربعمئة.

وقد طُبع الكتاب بتحقيق الدكتور صالح الأشتر في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وهي طبعة لا بأس بها مع وجود بعض الأخطاء والهنات الواقعة في التحقيق، ولعل الله ييسر إعادة تحقيق هذا الكتاب وطبعه، خصوصًا وقد نفدت الطبعة الوحيدة منه.

ونورد بعض النوادر والهفوات التي سردها غرسُ النعمة في كتابه «الهفوات النادرة»:

حكى أبو عبيدة، قال: كان عجلُ بن لُجيم من مُحمَّقي العرب، فقيل له يومًا: إن لكل فرس اسمًا، فما اسم فرسك، فإنه جواد؟ قال: أسمِّه، قالوا: فسمِّه، ففقأ إحدى عينيه، وقال: قد سميته الأعور! وفيه يقول الشاعر:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وهل أحدٌ في الناس أحمقُ من عجل
أليس أبوهم عاب عَيْنَ جواده ... فسارت به الأمثالُ في الناس بالجهل

وحكى السلامي الشاعر، قال: دخلت على عضد الدولة، فمدحته فأجزل عطيَّتي من الثياب والدنانير، وبين يديه جامٌ خسرواني، فرآني ألحظه، فرمى به إليّ وقال: خذه، فقلتُ:

وكل خير عندنا من عنده

فقال عضد الدولة: ذاك أبوك! فبقيتُ متحيِّرًا لا أدري ما أراد، فجئت أستاذًا لي، فشرحتُ له الحالَ، فقال: ويحك! قد أخطأت خطيئةً عظيمة؛ لأن هذه الكلمة لأبي نواس يصف كلبًا حيث يقول:

أنعتُ كلبًا أهلُه منْ كدِّه ... قد سَعِدَت جدودُهم بجَدِّه
وكلُّ خيرٍ عندهم من عنده

قال: فعدتُ متَّشحًا بكساء، ووقفت بين يدي الملك أرعُد، فقال: ما لك؟ قلتُ: حُممتُ الساعة، فقال: هل تعرفُ سبب حُمَّاك؟ فقلت: كنت أنظر في شعر أبي نواس فحُممتُ! فقال: لا تخف، فلا بأس عليك من هذه الحمى.

وحدَّث عيسى بن هلال بدمشق، قال: حدثنا أبو حَيْوَةَ شُريح بن يزيد، قال: كان سعيدُ ابن سنان أبو مهدي مؤذن الجامع بحمص، وكان شيخًا صالحًا يُسحِّر الناسَ في شهر رمضان، ويقول في تسحيره إياهم: يا أهل حمص، أسخنوا قديراتكم، وعجِّلوا في أكلكم قبل أن أؤذن فيُسخِّم الله وجوهكم!

وحُكي أن أبا عبدالله بن الجصَّاص صلى خلف إمام، فلما قرأ: غَيْرِ المغضُوبِ عليهِم ولا الضَّالِّين، قال ابن الجَصاص: إي لعمري!

وحكي أيضًا أن أبا عبدالله ابن الجصاص كان جالسًا يحادثُ المقتدرَ بالله، فنام، فقال له المقتدر: هو ذا تنام يا أبا عبدالله؟ فقال: تحت داري كلابٌ ما يدعوني أنام الليل، فقال له: تقدَّم إلى الغلمان بطردهم، فقال: يا أمير المؤمنين، هم شيءٌ لا يُطاقون، والله إنْ كلّ كلب مثلي ومثلُك كرتين! فضحك المقتدر، وقال: بل مثلك وحدَك! واستيقظ ابن الجصَّاص، فخجل واعتذر.

وبعد.. فهذه سقطات وزلات وقعت من أناس أمام كبراء قومهم وهم بشر مثلهم، فلم يدروا كيف يعتذرون، وودوا عندها لو لم يكونوا بشرًا، فكيف بنا - أخي القارئ - ونحن نخطئ ونزلُّ أمام ملك الملوك سبحانه، فلا نعتذر ولا نرعوي ولا نتوب، فهل من توبة؟

السواك

بين غيرة الشعراء وآراء الأطباء

د. حسان شمسي باشا

يُروى أن عليًا كرم الله وجهه دخل على سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء رضي الله عنها فرآها تستاك، فأنشد قائلاً:

هَنِيتَ يا عودَ الأراك بثغرها
ما خفتَ مني يا أراكُ أراكا
لو كان غيركَ يا سواكُ قتلتهُ
ما فاز مني يا سواكُ سواكا

وقال بشار بن برد في محبوبته:

يا أطيبَ الناس ثغرًا غير مختَبرِ
إلا شهادة أطراف المساويكِ
فقد زُرتِنا مرةً في الدهر واحدةً
ثَنِّي ولا تجعليها بيضة الديك

فمحبوبته طاهرة مطهَّرة، وهي أطيب الناس ثغرًا، ويشهد لها بذلك أطراف المساويك، إذ لم يمسّ شفتيها أحد إلا المساويك. ثم يطلب من حبيبته النقية أن تزوره مرة أخرى ولا تجعل تلك الزيارة بيضة الديك، لأنهم يزعمون أن الديك يبيض في الدهر مرة واحدة فقط!!

وكثيرا ما غار الشعراء من عود الأراك تستاك به الحبيبة، قال ابن المعتز:

أغارُ عليك من قلبي إذا ما
رآكِ، وقد نأيت وما أراكِ
ومن عين الرسول ومن كتابِ
إذا ما فُضَّ مسَّتْهُ يداكِ
ومن طَرَفِ القضيبِ من الأراكِ
إذا أعطيته، يا سُرّ، فاكِ

وقال صفي الدين الحلّي:

غارتْ وقد قلتُ لمسواكها
أراكَ تجني ريقها يا أراكْ
قالت: تمنيتَ جنى ريقتي
وفاز بالترشاف منها سِواكْ

وقال الشاعر وهو يتحدث إلى محبوبته:

يا سيدي إن جزتَ وادي الأراكْ
وقبَّلَتْ أعوادُهُ الخضرُ فاكْ
ابعث إلى المملوكِ من بعضهِ
فإنني والله ما لي سواكْ

وهو هنا يخاطب المحبوب، ويطلب منه أن يبعث له بالسواك (أو بعضه) الذي استخدمه، والذي حظي بثغر المحبوب وقبَّله، ويقسم بأنه ليس له سواك: أي ليس له أحد غير المحبوب، أو ليس له سواك يستاك به.. وهو من تداخل المعاني اللطيفة.

ويقول دَوْقَلَة المنبجي في «دعديته» وهو يصف ثغرًا حوى اللآلئ والدرر، ورضابًا كأنه العسل حلاوة وعذوبة:

وتجيلُ مسواكَ الأراكِ على
رتلٍ كأنَّ رضابَهُ الشهدُ

ويعدد الشعراء فوائد السواك، فيقول أحدهم:

إن السواكَ يُستحبُ لسنّة
ولأنه مما يطيب له الفمُ
لم تخشَ من حَفَرٍ إذا أدمنْتَهُ
وبه يُسالُ من اللهاة البلغمُ

السواك في السنة الشريفة والطب

وقد ذكر الشاعر من فوائد السواك أربعًا: فهو سنة ثابتة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج الشيخان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة».

وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب» أخرجه البيهقي وأحمد.

وهو يطيب نكهة الفم، ويحسن صحته، ويقي من داء الحفر (وهو التهاب ما حول السن) وينزع البلغم. وأكد الطب الحديث فوائد السواك، فقد جاء في بحث للدكتور طارق الخوري نُشر في مجلة طب الأسنان الوقائي الإكلينكي CLINICAL PREVENTIVE DENTISTRY عام ١٩٨٣م: أن أغصان الأراك تحتوي على: مادة الكلور التي تفيد في إزالة الصبغة والتلوين من على الأسنان، ومادة السيلكا وهي مادة تبيض الأسنان، ومادة صمغية RESNIS وتعمل على تغطية المينا وحمايته من التسوس، ومادة ثلاثي المثيل أمين وتعمل على التئام جروح اللثة، ومواد قلوية تعمل على منع التسوس.

وقد عرض الأستاذ الدكتور محمد علي البار في كتابه القيم «السواك» آخر الأبحاث التي نشرت حول موضوع السواك؛ ومنها بحث للدكتور عبدالرحيم محمد (من الرياض) والدكتور جيمس ترند (من الولايات المتحدة) وقد أكدا وجود مواد قاتلة ومواد مضادة للالتهاب ومضادة للتسوس في أعواد الأراك.

والقَلَح أحد المظاهر الرئيسة لعدم تنظيف الأسنان، إذ هو رواسب عضوية وغير عضوية وفضلات الأكل والبكتيريا. وبمرور الزمن تتصلب، ولاسيما إذا أهمل الشخص تنظيف أسنانه.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مالي أراكم قلحًا؟ استاكوا» رواه أحمد.

وقال الأعشى يذم قومًا:

قد بنى اللؤمُ عليهم بيته

وفشا فيهم من اللؤم القَلَحْ

وعودة إلى الشعراء والمساويك. فهذا ابن زيدون يجد في بقية مسواك الحبيب متنفسًا يعوضه عن لقيا الحبيب، يقول:

أهْدي إليَّ بقيةَ المسواكِ

لا تُظهري بخلاً بعُود أراكِ

فلعلَّ نفسي أن يُنفِّسَ ساعةً

عنها، بتقبيل المقبِّل فاكِ

ويقول عبيدالله بن عبدالله:

وإذا سألتكِ رشْفَ ريقكِ قلت لي

أخشى عقوبة مالك الأملاكِ

ماذا عليكِ؟ جُعلتُ قبلكِ في الثرى،

من أن أكون خليفةَ المسواكِ

أيجوز عندكِ أن يكون متيَّمٌ

صبٌّ بحبِّك دون عود أراكِ؟

فمك عنوان شخصيتك

لاشك أن رائحة الفم تعطي انطباعًا خاصًا عن نظافة الشخص وعنايته بفمه، وقد يتجنَّب الناس من كانت رائحة فمه كريهة ويهربون منه إذا تحدث، أو يديرون رؤوسهم عنه. وقد يكون لذلك أثر سلبي في العلاقات الزوجية، مما قد ينذر بانهيارها أو على الأقل اضطرابها.

تحتوي أغصان الأراك على مادة الكلور التي تفيد في إزالة التلوين من على الأسنان، ومادة السيلكا التي تبيضها، ومواد قلوية تعمل على منع التسوس!

«والبَخَرُ ـ كما جاء في لسان العرب ـ: الرائحة المتغيرة من الفم. وبَخِرَ بَخراً وهو أبْخر». وقيل: إن عبدالملك بن مروان كان أبخَر، فعضّ يومًا على تفاحة ورمى بها إلى زوجته، فدعت بسكين، فقال: ما تصنعين بها؟

قالت: أميط الأذى عنها، فشقَّ عليه ذلك منها فطلَّقها.

وحكي أن أبخَرَ تزوج امرأة، فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها وأنشدت تقول:

يا حبُّ والرحمنِ إنَّ فاكا

أهلكني فوِّلني قفاكا

إذا غدوتَ فاتخذ مسواكا

من عرفط إن لم تجد أراكا

ولكن ما أسباب رائحة الفم؟

جاء في موسوعة FAMILY HEALTH: أنه نادراً ما تكون رائحة الفم الكريهة عرضًا لمرض ما، فهي غالبا ما تنجم عن التدخين أو شرب الخمر، أو أكل الثوم والبصل، أو إهمال نظافة الفم والأسنان. أما الإمساك وعسر الهضم فلا يسببان عادة رائحة كريهة من الفم.

وتقسم أسباب رائحة الفم الكريهة قسمين:

الأول: الأسباب الناشئة عن الفم:

وأهمها جفاف الفم وهو سبب رئيس لانبعاث رائحة سيئة من الفم. وقد يحدث جفاف الفم في أثناء النوم، حيث تتحلل بقايا الطعام بفعل البكتيريا، فتنتج رائحة غير مستحبة عند الاستيقاظ من النوم. كما يلاحظ ذلك عند الذين يتنفسون من طريق الفم بسبب الإصابة بالزكام.

والجوع سبب آخر من أسباب رائحة الفم الكريهة. ولكن ريح فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» رواه البخاري.

كما أن التدخين يؤدي إلى انبعاث رائحة سيئة من الفم. وبعض الأطعمة كالثوم والبصل تجعل الجسم يتخلص من هذه المواد في صورة مواد طيارة فتخرج مع النفس رائحة غير مستحبة. ولا غرابة أن ينهى رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم آكل الثوم والبصل عن إيذاء المصلين بالرائحة، فقد قال: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» رواه مسلم.

ولا شك أن إهمال العناية بنظافة الفم هو السبب الرئيس لسوء رائحة الفم، كما أن قروح الفم وأمراض اللثة ونخر الأسنان تسبب رائحة كريهة في الفم.

وأما المجموعة الثانية من الأسباب ـ وهي غير شائعة ـ فتشمل: التهابات الجيوب الأنفية، والتهاب اللوزتين، وتقيحات الرئة، وأمراض الكبد والكلى.

ويصف صفي الدين الحلي شخصًا يدعى «أبا علي» له رائحة كريهة في الفم فيقول:

لو أنَّ لريح نكهته هبوبٌ

لأوشكت الجبالُ لها تذوبُ

إذا ما عابَ ضرس أبي عليٍّ

فليس يطيق يقلعه الطبيبُ

وإننا لنبعث بمشاركتنا الوجدانية لأطباء الأسنان الذين يعالجون مثل أبي علي، ونحيي فيهم ثباتهم وشجاعتهم الفائقة!

قصة قصيرة

حياة مِيسُون

تأليف: كنجسلي أمس

ترجمها (بتصرف): محمد أبكر محمد يوسف

ـ هل يمكنني أن أشاركك في الطاولة؟

كان صاحب السؤال رجلاً متوسط الحجم في ملابس غير لافتة للنظر، وقف يتطلع، بوجهه الخالي من أي تعبير، إلى «بتجرو» الذي جلس وبيده كوب من العصير مواجهًا إيّاه من وراء طاولة في الركن. لو اختلفت الظروف وكان الجوّ هائجًا مائجًا قد يكون لبتجرو شأن آخر مع ذلك الرجل؛ لكنه قال في هدوء:

ـ على الرحب والسعة تفضل بالجلوس. هل ترغب في تناول شيء؟

ـ لا، ليست لدي رغبة في شيء، أشكرك.

قال الرجل المتوسط الحجم ذلك وهو يختلس النظر إلى الكوب المملوء تمامًا أمامه.

كان جو المقصف عاديًا، النادل يذهب ويجيء على عادته، الروّاد يجلسون مثنى وفرادى.. ليس ثمة ما يسترعي الانتباه.

ـ لم نلتق من قبل، أليس كذلك؟!

ـ لا أظن.

ـ حسنًا، حسنًا. اسمي بتجرو، دانيل ر. بتجرو. وما اسمك؟

ـ اسمي ميسون، وإن أردته كاملاً فهو جورج هربرت ميسون.

ـ حسنًا. أعتقد أن هذا أفضل، أليس كذلك؟ جورج.. هربرت.. ميسون. لفظ بتجرو الكلمات الثلاث القصار بتؤدة وكأنه ينوي حفظها.

ـ آن الأوان لتعطيني رقم هاتفك.

للمرة الثانية أوشك ميسون ألا يستجيب للهجة بتجرو الآمرة، لكنه لم يزد على قوله:

ـ يمكنك أن تأخذ اسمي من دليل الهواتف بكل سهولة ويسر.

ـ لا، ربما تكون هناك أسماء عديدة.. لا ينبغي لنا أن نضيع وقتنا سدًى. أرجوك.

ـ أوه. حسنًا؛ إنها معلومة في متناول الجميع على أية حال: اثنان، ثلاثة، اثنان، خمسة..

ـ لحظة، إنك سريع جدًا. اثنان.. ثلاثة.. اثنان..

ـ خمسة، أربعة، خمسة، أربعة.

ـ ياحسن الطالع. يجب أن أحاول حفظ ذلك.

ـ لِمَ لا تكتبه إن كان مهمًا عندك إلى هذه الدرجة؟!

عندئذ ابتسم بتجرو ابتسامة ماكرة سرعان ما تلاشت، وحلت محلها نظرات استياء.

ـ ألا تعلم أن ذلك غير ضروري؟ على كل حال: اثنان، ثلاثة، اثنان، خمسة، أربعة، خمسة، أربعة. الأفضل أن أعطيك الآن رقم هاتفي، سبعة..

ـ لا حاجة بي إلى رقمك، يا سيد بتجرو.

قال ذلك ميسون مبديًا نفاد صبره، وأردف:

ـ وعليّ أن أخبرك بأنني نادم على إعطائك رقمي.

ـ لكن لا بد أن تأخذ رقمي.

ـ هذا كلام فارغ؛ لن تستطيع أن ترغمني.

ـ عبارة إذن.. دعنا نتفق على عبارة نتبادلها في الصباح.

ـ هل لك أن تخبرني ماذا تريد من هذا كله؟

ـ أرجوك إن الوقت يمر بسرعة.

ـ لازلت مُصرًا. هذا أمرٌ..

ـ كل شيء قد يتغير في أية لحظة، وقد أجد نفسي في مكان مختلف كل الاختلاف عن هنا، قد يحدث هذا لك أيضًا، حسب ظنّي، ذلك على الرغم من شكي فيما إذًا..

ـ السيد بتجرو، عليك أن تختار واحدًا من اثنين: إمّا أن توضح ما تريد وإمّا أن تبتعد عني.

ـ موافق.

قال ذلك بتجرو الذي بدا استياؤه أكثر جلاءً.

ـ لكنني أخشى ألا يُجدي ذلك، كما ترى لمّا بدأنا حديثنا حسبتك شخصًا حقيقيًا وذلك للطريقة التي...

ـ دَعْكَ من استخدام العبارات الصبيانية الرنّانة.. أستحلفك بالله!

إذن فقد وجدتني شخصًا غير حقيقي!

قالها بصوت خافت مشوب بالغضب.

ـ لمْ أرمِ إلى ذلك، وإنما قصدت المعنى الحرفي للكلمة فحسب.

ـ يا الله.. هل أنت مجنون؟

ـ لا.. إنني نائم.

ـ نائم!!

بدا شكٌ في وجه ميسون الذي يعسر وصفه.

ـ نعم كما قلت لك. في البداية ظننتك شخصًا آخر في حالتي نفسها: إذ حسبتك نائمًا نومًا عميقًا، وحالمًا، ومدركًا للحقيقة وتوّاقًا إلى تبادل الأسماء وأرقام الهواتف، وما إلى ذلك، بهدف الاتصال هاتفيًا في اليوم التالي لتأكيد وقوع التجربة المشتركة. قد يثبت هذا للعقل شيئًا يجدر ملاحظته، أليس كذلك؟ إن الناس يتصلون ببعضهم بعضًا من خلال أحلامهم.. من المؤسف أنه يندر أن يرى الإنسان نفسه في حلمه: لقد استطعت أن أجري التجربة أربع أو خمس مرات خلال العشرين عامًا الماضية، ولم أوفّق قط؛ إما بنسيان التفاصيل، وإمّا لعدم وجود شخص بالمواصفات التي لديّ، كما حدث الآن. على أنني سأستمر..

ـ أنت مريض.

ـ أوه، لا.. لا.. أعجب بالطبع أن أجد شخصًا مثلك. يا لحظِّيَ العاثر! ومع ذلك أعتقد أنه لا بد أن تحاول فهم كنه الأمر فورًا، فربما أكون مخطئًا.

ـ ما قلته يبعث على التفاؤل.

هَدَأ ميسون وأشعل سيجارة بتأنٍّ، واستطرد:

ـ لا أعرف إلا القليل جدًا عن مثل هذه الأمور. لكنك لم تذهب بعيدًا إذ اعترفت بأنك قد تكون مجانبًا للصواب. والآن دعني أؤكد لك أنني لم أظهر للوجود من خمس دقائق داخل رأسك. اسمي، كما أخبرتك من قبل، جورج هربرت ميسون. في الرابعة والستين، متزوج، ولدي ثلاثة أطفال، مهنتي بيع الأثاث.. أوه.. لا بدّ أن أعطيك خطوط حياتي العريضة فقط، وإلاّ فإن الأمر قد يستغرق الليل كله، مثلما قد يحدث لأي شخص ذاكرته عادية. لنشرب عصيرنا ونذهب سويًا إلى منزلي، ومن ثم يمكننا أن..

ـ أنت رجل في حلمي وتقول ذلك؟!

قالها بتجرو صائحًا، وأردف:

ـ اثنان، ثلاثة، اثنان، خمسة، أربعة، خمسة، أربعة. سأجرّب هذا الرقم إن كان موجودًا بالفعل، ولكن لن تردّ عليّ أنت... اثنان، ثلاثة، اثنان..

ـ لماذا أنت غاضب هكذا، يا سيد بتجرو؟

ـ بسبب ما سيحدث لك في أية لحظة.

ـ ماذا.. هل أفهم من هذا أنك تهددني؟

كان صدر بتجرو يعلو ويهبط بسرعة.. وجهه المتغضن قليلاً بدأ يخشوشن، ومعطفه الصوفي بدأ يفقد معالمه. صاح:

ـ الهاتف! ربما يكون الوقت قد فات!

ـ هاتف!

ردّد ميسون الكلمة، وهو يطرق بعينيه وهما شبه مغمضتين.. ولازالت هيئة بتجرو تتغير.

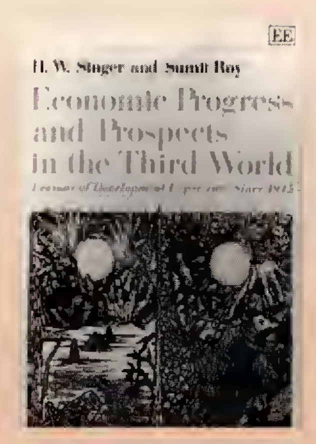
ـ يا هذا الذي قرب فراشي! إنني أستيقظ!

حاول ميسون القبض على صاحبه من ذراعه، لكن الذراع كانت قد فقدت معظم ملامحها، وأصبحت خيطًا ضوئيًا رفيعًا بدأ يتلاشى، ولمّا ألقى ميسون نظرة على تلك اليد التي حاولت القبض، وهي يده؛ رأى بجهد أن أصابعه قد اختفت، فلم يعد لكفه ظاهر ولا باطن ولا جلد ولا أي شيء على الإطلاق!!

التقدم الاقتصادي

وتوقعات المستقبل في العالم الثالث

كانت عملية التطوير، وما يتبعها من نمو اقتصادي، وقضاء على الفقر، وتحقيق للعدالة في التوزيع، خلال العقود الأخيرة في شتى أنحاء العالم، ولاسيما في العالم الثالث، غير متكافئة. فما ملامح المستقبل بالنسبة لهذه المجالات؟ وهل سترتقي الأحوال صُعُدًا نحو الأفضل، أم ستنكفئ هبوطًا باتجاه الأسوأ؟ هذا ما يجيبنا عنه كتاب جديد صدر حديثًا باللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة، ويركز على تحليل التحولات الرئيسة في التخطيط والتفكير المتعلقين بالتطوير، على المستويين الدولي والمحلي؛ بدءاً من الأربعينيات حتى مطلع التسعينيات. كما يتضمن الكتاب، أيضًا، دراستين لحالتي نيجيريا والهند.



بقلمِ:
هـ. سنجر و س. روي
عرض وتحليل:
ياسر الفهد

ولم يتم اختيار هذين البلدين، على أساس كونهما نموذجًا لتمثيل دول العالم الثالث، وإنما لأن تجاربهما في التطوير توفر مجالاً رحبًا لتحليل نجاح السياسات وإخفاقها. وكلتاهما دولتان كبيرتان يجمعهما الدخل الفردي المنخفض، وتوسع القطاع الزراعي، والرغبة في صعود سلم التصنيع، ولكن أولاهما تمثل الاقتصاد المفتوح، والثانية تعكس تجربة الاقتصاد المغلق.

ويبين الكتاب، أنه بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، أصبحت هناك فرصة لإعادة هيكلة النظام الاقتصادي العالمي. ومع انقراض النظام القديم، انبثقت رغبة عارمة في التعلم من دروس الماضي بهدف تجنب الأخطاء في الأحكام والسياسات الاقتصادية مستقبلاً.

يبدأ المؤلفان باستعراض السياسات الاقتصادية في الأربعينيات. وقد تميزت هذه السياسات بالابتعاد من سياسات الثلاثينيات التي كانت تعتمد بصورة تقليدية على تحقيق التوازن بين آليات السوق MARKET MECHANISMS، وحل محل ذلك تطبيق المبدأ الاقتصادي الكينيسي KENESIAN PRINCIPLE الذي يدعو إلى تولي الحكومات مسؤولية الإدارة الاقتصادية، مع تحقيق التوظيف الكامل بوصفه هدفًا رئيسًا. كما تراجعت السياسات المحلية القومية، مفسحة المجال أمام الضوابط والمعايير الدولية، ونشأت الحاجة إلى تثبيت أسعار السلع، فصدر، نتيجة لهذه الحاجة، قرار بإنشاء منظمة التجارة الدولية ITO، بهدف تثبيت الأسعار وتنشيط التجارة العالمية. وقد بينت تجارب الماضي ودروسه أن الضرورة تقضي باللجوء إلى التخطيط الاقتصادي الواسع وحشد الموارد الكامنة، والتوزيع المتكافئ للثروة، والقضاء على البطالة. ثم كان هناك ما يُعرف بخطة مارشال التي تعهدت الدول الصناعية بموجبها بمساعدة الدول النامية على تحقيق معدلات نمو عالية. وقد أدى ذلك إلى انتعاش التجارة العالمية وتوسعها. ولكن الرياح بعد ذلك لم تجرِ كما تشتهي السفن. فقرار تأسيس منظمة التجارة العالمية لم يدخل حيز التطبيق، لعدم موافقة الكونغرس الأميركي عليه حينذاك. وللتعويض عن ذلك، تم نقل بعض المهام المقترحة للمنظمة التي لم تر النور، إلى هيئة الاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة: الجات GATT. ولكن هذه الهيئة لم تنجح في حل المشكلات الخاصة للدول النامية التي ربما أفادت بالفعل من النظام المعمم

للأفضليات GSP، أكثر من إفادتها من إجراءات الجات GATT الساعية إلى تحرير التجارة العالمية. ومن الأمور الأخرى التي خيبت الآمال، أن الأمم المتحدة لم تقم بما كان مؤملاً منها أن تقوم به في مجال تقديم العون الاقتصادي للدول المحتاجة إليه.

هكذا كان الحال حتى انقضاء عقد الأربعينيات. ومع انبثاق عقد الخمسينيات، وبعده عقد الستينيات، شهد العالم نقلات تجارية مهمة لم يشهد لها مثيلات في أي وقت مضى. كما انخفض معدل التضخم واختفت البطالة في الدول الصناعية، وازدهرت المقاولات في الدول النامية؛ مما أدى إلى نشوء الطبقة المتوسطة.

أما في السبعينيات، فقد قام الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون بتعليق التحويل الحر للدولار الأمريكي إلى ذهب، بالمعدل الثابت المحدد في اتفاقية بريتون وودز. وكان هذا إيذانًا بأفول زمن المعدلات الثابتة للمقايضة. وفي الدول النامية، انخفضت معدلات النمو الاقتصادي إلى أقل من ٦٪، وازداد الاهتمام بمشكلة البطالة، واتجهت خطط التوظيف نحو التصنيع والتحديث بوصفهما أداتين مهمتين في مكافحة التعطل عن العمل. كما تركزت الأنظار بقوة على إعادة توزيع الدخل.

والدرس المهم الذي استخلصته دول العالم الثالث من تجربة السبعينيات، هو أنه لا فائدة كبيرة ترجى من إمكاناتها السلعية، من دون دعم تقاني، ومن غير ضبط المؤسسات المالية.

وينتقل الكتاب بعد ذلك إلى عقد الثمانينيات الذي يوصف بأنه عقد التطوير المفقود. ويعارض المؤلفان هذه التسمية لأنها ـ في رأيهما ـ تنطبق على أمريكا اللاتينية والدول المصدرة للنفط في آسيا (بالموازنة مع ما كان عليه الحال بالنسبة لهذه الدول في السبعينيات)، ولكنها لا تنطبق على مناطق أخرى من آسيا، مثل الهند والصين اللتين استمر التطور فيهما خلال العقد المذكور، فكانت الصادرات فيهما أكبر من الواردات، وتَحَسَّن ميزان المدفوعات، وتقلَّصت الديون المتراكمة. أما في باقي العالم النامي، فقد كان الوضع معكوسًا، إذ تراجع التطوير وانخفض الإنتاج الصناعي، وتناقصت نسب الاستثمار، وتضاءل الدخل من تصدير البترول، وأصبحت أفريقيا الصحراوية، بخاصة، عالمًا رابعًا مهمشًا. والشيء الوحيد الذي تَحَسَّن وازداد في معظم الدول النامية هو الديون! ويعتقد المؤلفان أن المسؤول عن هذا التدهور هو السياسات الاقتصادية الداخلية، أكثر من الظروف الخارجية.

ومع حلول التسعينيات، نجد أن معظم مشكلات الثمانينيات ظلت قائمة. فقد انخفضت أسعار السلع، مما جعل شروط التجارة في غير صالح الدول النامية. كما بقيت الدخول القومية فيها منخفضة. أما بالنسبة للدول الصناعية فقد أصبح معدل النمو راكدًا وبطيئًا.

ويرنو الكتاب نحو مستقبل العالم، ويتطلع إليه بمنظارين، أحدهما متشائم والآخر متفائل، مبينًا أن الطموحات بالنسبة للقرن القادم محدودة، ولا يمكن موازنتها بما كانت عليه الحال في أيام العصر الذهبي في السبعينيات، ومشيرًا بشكل خاص إلى ضآلة الفرص المواتية لتحقيق إجماع عالمي على التعاون بين الشمال والجنوب.

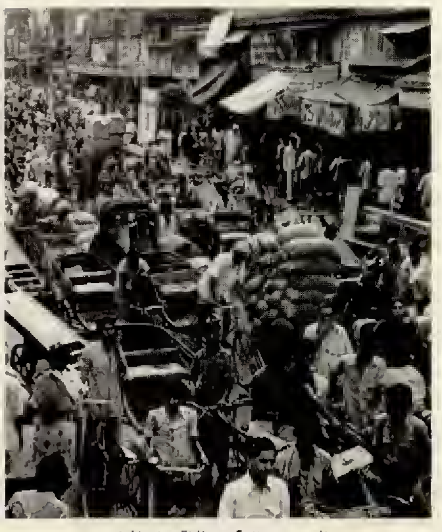
ويعتقد المؤلفان أن آسيا الشرقية وجنوب شرقي آسيا، ستشكلان نقطتين مضيئتين في خارطة العالم الثالث. كما أن الانتقال الواسع النطاق وغير الصحي لرؤوس الأموال من الدول النامية إلى خارجها سوف يتراجع. وهناك دلائل على أن السنوات القادمة سوف تشهد شفاء لأمراض الثمانينيات، وأن معدلات النمو العالية السابقة، قد تعود في القرن القادم إلى ما كانت عليه في أيام الرخاء. أما الدخل القومي الذي تقلص في الثمانينيات بسبب الديون وغيرها من الأسباب، في العالم الثالث، وبنسبة أقل في الدول الصناعية، فإن هناك آمالاً كبيرة في انتعاشه.

ويرى الكتاب أن الإدارة الاقتصادية الناجحة هي الشرط الأول الذي يمكن أن يساعد الدول النامية على إصلاح أمورها وإعادتها إلى النصاب الصحيح.

أما التقانة، فإنها للدول النامية سلاح ذو حدين يمكن أن يعمل لصالح هذه الدول أو ضدها. فالتقانة الحيوية والتقانة الطبية وعولمة الإنتاج الناجمة عن تحسن تقانة الاتصالات، كلها تعمل في الاتجاه الإيجابي. ولكن إيجاد أبدال عن استخدام المواد الخام، وتحسن مكانة المهارات العالية على حساب اليد العاملة الرخيصة، وغير ذلك، هي من العوامل التي تضيق الخناق على العالم الثالث.

وبصورة عامة، فإن السياسة التقانية الناجحة هي تلك التي تستطيع إيصال مزايا استخدام التقانة إلى الحد الأقصى، وتقليص أخطار هذا الاستخدام إلى الحد الأدنى. ويتساءل الكتاب عما إذا كانت العوامل المحلية أم الخارجية هي التي ستؤدي الدور الأكبر في صياغة مستقبل الدول النامية. ولكنّ المؤلفين لا يقدمان جوابًا واضحًا على ذلك، لأن الأمور في نظرهما متداخلة ومتشابكة. ولكن من المؤكد أن صياغة السياسات الاقتصادية الناجحة، وتنفيذها، إنما يَسْهُل في كنف البيئة المواتية، ولاسيما في ظل تدفق رؤوس الأموال وتقلص الديون. ويعتقد الكتاب أن من الضروري الضغط على الدول الغنية لتقديم دعم أكبر للدول الفقيرة، وكذلك الضغط على الدول الفقيرة نفسها من أجل تحسين سياستها الاقتصادية والاجتماعية.

ويدعو الكتاب إلى الانتقال من الاتجاهات الفكرية النظرية (الأيديولوجية) إلى الذرائعية (البراجماتية) في التعامل الاقتصادي والتجاري. مبينًا أن اتفاقيات الإصلاح الاقتصادي التي يجري تنفيذها تحت رعاية البنك الدولي وصندوق النقد العالمي، إنما تتم الآن بالتوافق مع أسواق السلع العالمية والتوسع التجاري الدولي وسياسات تقليص الديون، لا على أساس التعامل مع كل دولة حسب أوضاعها الخاصة. وهذا هو جوهر النقد الموجه إلى هاتين المؤسستين الماليتين الدوليتين. ويتساءل المؤلفان عما إذا كانت (الأيديولجية) الليبرالية الحالية قادرة على نقل التأكيد



الهند.. ممثلة تجربة الاقتصاد المغلق

من الاقتصاديات العامة إلى الاقتصاديات الخاصة لكل دولة نامية على حدة. ومن المعروف أن العقيدة الأساسية لهذه الأيديولوجية بالنسبة للأسواق والأسعار والحوافز تقوم على المبادئ الاقتصادية العالمية العامة التي يمكن تطبيقها على جميع الدول. والاعتقاد السائد أن أصحاب هذه النظرة سوف يخفقون في تعديل ممارساتهم الاقتصادية على أساس الأخذ بالحسبان ظروف كل دولة على حدة. ولكنّ هناك آخرين يرون أنه، حتى المبادئ الاقتصادية العالمية، يمكن تكييفها وتعديلها عند التطبيق العملي لتناسب الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإداري لكل دولة. وهذا الرأي يقسم توازنًا بين الأيديولوجية الليبرالية والبراجماتية، من أجل ردم الهوة بينهما. ومن المعلوم أن البراجماتية تتعامل مع

التقدم الاقتصادي وتوقعات المستقبل في العالم الثالث

الدول على أساس فردي، وحسب ما يلائم كل دولة على انفراد.

أما في مجال حماية البيئة التي ثبت أن لها علاقة بالتقدم الاقتصادي، فإن الكتاب يرى آفاقًا معقولة للتفاؤل، بفضل التقدم التقاني، وازدياد الوعي بأخطار التدهور البيئي الذي تبيّن أن هناك علاقة بينه وبين الفقر. إلا أن الخطر يكمن في محاولات الدول الصناعية تحقيق مصالحها في هذا المجال على حساب دول العالم الثالث. وتظهر بوادر ذلك، الآن، في الصراعات القائمة حول الاستيطان الزراعي وقطع الأشجار، للحصول على أخشابها، في مناطق غابات المطر PAINFOREST المحيطة بخط الاستواء. ويبين المؤلفان أن الاعتبارات البيئية يمكن أن تكون خيرًا أو شرًّا بالنسبة لتوقعات العقود القادمة. ولابد من بذل جهود جبارة من أجل جعل البيئة عاملاً إيجابيًا لا سلبيًا، في الأعوام المقبلة.

ولا شك أن تعاون الدول النامية، بالإضافة إلى جهود الدول الصناعية، لا يمكن الاستغناء عنه في حماية طبقة الأوزون وغابات المطر والأصناف الحيوانية والنباتية المهددة بالانقراض وموارد الطاقة غير القابلة للتجدد وغيرها. ومن العوامل المشجعة والمثبطة في آن واحد، احتمال تشكل ثلاث كتل إقليمية ضمن الدول الصناعية. فمثل هذه الكتل يمكن أن تكون عونًا وسندًا للنظام الدولي المتعدد الجوانب، أو أن تكون خصمًا لدودًا له.

ولا شك أن الاحتمال الأول هو الذي يحقق مصلحة العالم الثالث، فالنظام الدولي الحر والمتعدد يشكل أساسا أفضل مما تشكله المجموعات المحلية، لتطوير الجنوب. وهذا لا يتعارض مع مصلحة الدول الصناعية. ومن العوامل المهمة أيضًا، الانتقال الواسع لرؤوس الأموال من المراكز الصناعية الكبرى إلى الدول النامية. ولكن هذا، وإن كان يمكن أن يساعد على استعادة النمو الاقتصادي المفقود، وتحسين التوقعات للقرن القادم، إلا أنه يحمل بذور مصيدة أزمة ديون جديدة في المستقبل البعيد، ربما لاتختلف عن أزمة الديون في الثمانينيات. ولتحقيق مستقبل أفضل، يدعو الكتاب إلى إنعاش الأمم المتحدة وتوسيع صلاحياتها ومهامها في شتى المجالات، مثل قوات حفظ السلام وحماية البيئة ونزع السلاح والمساعدات الاقتصادية والديون وإيجاد وظائف جديدة للقضاء على البطالة على مستوى عالمي، وتقديم العون للاجئين والنازحين وإيوائهم.

كما ينادي المؤلفان بنظام أكثر فعالية وديموقراطية من أجل إدارة اقتصاد العالم.

ويلقي الكتاب أخيرًا بعض الأضواء على التجربة النيجيرية، ذات الاقتصاد المفتوح، والتجربة الهندية، باقتصادها المغلق، للإفادة من دروسهما.

وتُظهر التجربة النيجيرية أن نيجيريا اعتمدت في العصر الذهبي (الخمسينيات والستينيات) على صادراتها الزراعية، وأفادت من الأوضاع الاقتصادية الدولية المزدهرة ومن عضويتها في منظمة الأوبك، وحصلت على عائدات جيدة من الدخل البترولي.

أما في عصر الانهيار(أي الثمانينيات) فقد انخفضت أسعار البترول وتناقصت الصادرات الزراعية، وأصبح هناك عجز في ميزان المدفوعات النيجيري، ومشكلة ديون.

وقد تضافرت عدة مشكلات داخلية، منها عدم الاستقرار السياسي وغياب التكافؤ بين الريف والمدينة، واستناد برامج محاربة الفقر والبطالة إلى أساس عرقي، لزعزعة الاقتصاد النيجيري، على قيام الثورة الزراعية الخضراء.

والدرس المهم الذي يستخلصه مؤلفا الكتاب هو أن تحقيق التطوير يستلزم توافر ظروف عالمية مواتية إلى جانب سياسات اقتصادية محلية فعالة.

أما الهند، فإنها تعتمد على طاقاتها الاقتصادية المحلية، ولا تتأثر إلا قليلاً بالأوضاع الخارجية. وهي لم تفد من ازدهار الخمسينيات والستينيات، وإن كانت قد أفادت من المساعدات ذات الأساس الثنائي أو المتعدد. وفي السبعينيات ظل اقتصادها جيدًا على انخفاض أسعار البترول.

كما أن رؤوس الأموال استمرت في التدفق عليها. أضف إلى ذلك الإجراءات التي اتخذتها الهند لضبط الاستهلاك وترشيده.

أما في الثمانينيات، فقد بقي معدل النمو عاليًا، ولم تكن الديون تشكل مشكلة كبيرة، ولكن الأمر اختلف في التسعينيات حين تفاقمت مشكلة الديون وأصبحت تؤثر في صياغة سياسات التطوير. إلا أن رياح التأثير الجديد الحر (الليبرالي) أخذت تهب على الهند وتتدخل في صياغة سياسات السوق باتجاه اقتصاد مفتوح. كما أن تخفيض مخصصات التسليح أدى إلى توفير الموارد لصالح التطوير. ويستخلص الكتاب من التجربة أن بالإمكان الاعتماد على السياسات المحلية، بما في ذلك الاستغناء حتى عن الاستثمارات الخارجية، في تحقيق التطوير، وإن كان هذا لا يمنع الإفادة من ظروف الازدهار العالمي.

كلمة أخيرة:

إن الهدف الأساس من الكتاب الذي أبرزنا الخطوط الكبرى لمعظم أفكاره الجوهرية هو الإفادة من دروس الماضي الاقتصادية من أجل رسم ملامح مستقبل اقتصادي أكثر إشراقًا لدول العالم الثالث.

وقد استخلص مؤلفا الكتاب العديد من الدروس المفيدة، ولاسيما فيما يتعلق بتطوير السياسات الاقتصادية المحلية وجعلها أكثر فعالية. ونستطيع أن نضيف إلى العوامل المؤثرة التي أوردها الكتاب، ضرورة زيادة الاهتمام بدور الإنسان نفسه في العملية التنموية.

فالإنسان هو وسيلة التطوير وأساس التنمية وأداة التقدم الاقتصادي. وحينما يحصل هذا الإنسان على حقوقه المشروعة في مجالات الحرية والكرامة والغذاء والتداوي والتعليم والتأهيل والتدريب، وعندما يتطور صحيًا ونفسيًا وثقافيًا وأخلاقيًا، بطريقة سليمة، فإن الأمور كلها، ولاسيما التنمية والتقدم الاقتصادي، ستسير في المسار الصحيح. نقول هذا لأن الإنسان في العالم الثالث مُهْمَلٌ إلى حدٍّ بعيد. ونعتقد أنه مهما كانت الموارد وفيرة، والتسهيلات كبيرة، فإن أية جهود تُبذل لتحقيق التطوير العام في هذا العالم، لابد أن تذهب أدراج الرياح ويُكتب لها الإخفاق، إذا ظل الإنسان مُهمَلاً وبقيت قضيته منسية. ونحن لا نلوم الكتاب على عدم عنايته بهذه الناحية، لأن اهتمامه المنهجي منصب على القضايا الاقتصادية والتطويرية.

ولكننا ـ نحن الذين نعيش في قلب العالم الثالث ـ ندرك المشكلة من جذورها العميقة أكثر من غيرنا، ونعرف أن الإخفاق الاقتصادي في هذا العالم، هو إخفاق تربوي وأخلاقي يتعلق بسوء صنع الإنسان، وتهيئته للاضطلاع بدوره التنموي، أكثر مما هو إخفاق مادي. ومما يسترعي الانتباه في الكتاب، أنه قد بالغ في الاهتمام بالماضي الاقتصادي لبلدان العالم الثالث، وكان عليه أن يوقف جلّ عنايته على المستقبل، انسجامًا مع عنوانه الذي يركز على توقعات الغد.

وعلى كل حال، فإن الخلفية التاريخية الواضحة التي زودنا بها الكتاب، على الصعيدين الاقتصادي والتطويري، تساعد على استشراف الكثير من آفاق المستقبل.

بقي أن نذكر أن الأمم المتحدة، قد أصدرت في منتصف عام ١٩٩٧م، تقريرًا يبين أن أفضل طريقة للقضاء على الفقر في دول العالم الثالث تتمثل بانتهاج هذه الدول سياسات ناجحة في الإدارة الاقتصادية. وقد أشرنا إلى هذا التقرير، لعلاقته بموضوع الكتاب.

التربية والفائض الاجتماعي

د. عبدالكريم بكار

تعاني أقطار كثيرة في بلاد الإسلام من ظروف معيشية صعبة، حيث الفقر والجهل والمرض والبطالة والتمزق الاجتماعي؛ كما أن هناك ضغوطًا مادية ومعنوية هائلة، تمارسها الدول المتنفذة من أجل تحقيق مصالحها.

ونحن فوق هذا وذاك بحاجة إلى أن نحسِّن نوعية الحياة التي نعيشها من خلال إضفاء معانٍ جديدة تلامس البنى العميقة لعقيدتنا وثقافتنا.

إننا نقصد بـ(الفائض الاجتماعي) الأعمال والأنشطة الطوعية التي تتّجه لسد الثغرات وقضاء الحاجات المتصلة بالشأن الاجتماعي العام.

حيوية الاهتمام بهذه المسألة

إن تحقيق فائض اجتماعي في أي مجتمع إسلامي، يُعَدّ جزءًا من المنهجية الإسلامية التي تقوم على تأسيس علاقات خيِّرة وطيبة بين العبد وربه من جهة، وبين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى. بل إن تلك المنهجية تحث على إقامة علاقات الرعاية والإحساس بالحيوان والجماد!

وعلى هذا فإن نشر الأعمال التطوعية في المجتمع الإسلامي هو قضية مبدأ قبل أي شيء، وهو جزء من تكاليف العبودية وتبعات الدينونة لرب العالمين.

إن مما لا يخفى أن مصالح المرء ليست متطابقة مع مصالح مجتمعه على نحو مطَّرد، وهذا في الحقيقة هو جوهر الابتلاء في الحياة الاجْتماعية.

إن المجتمع الفاضل ليس ذاك الذي يرفع شعارات خيِّرة، ولكنه الذي ينجح في المطابقة بين مبادئه وسلوكه، وإن الفوائض الاجتماعية، هي التي تردم جانبًا كبيرًا من الهوّة التي تفصل بينهما.

كثير من التجمعات البشرية لا يستحق اسم «مجتمع»، وإنما هو «حشود أجساد»! وإنما يكون المجتمع مجتمعًا حين تتوافر له الكتلة الحرجة من المشتغلين بالشأن العام.

إنني أعتقد أن المجتمع الذي لا يقوم بالحدِّ الأدنى من حاجات أفراده، هو مجتمع مريض. وكلما كثر مرضى مجتمع ضعف تماسكه، وازداد عجزه عن استنفار أبنائه في الظروف الصعبة، وحشدهم للقيام بالمهمات الجليلة. وقد قال أحدهم: لماذا أدافع عن مجتمع لم يطعمني من جوع، ولم يؤمِّني من خوف؟

إن طبيعة اجتماع الناس بعضهم مع بعض، تفرز مشكلات وتوترات كثيرة، وإن العزوف عن حل تلك المشكلات سيوقع الناس في براثن الحاجة والفوضى والعنف؛ ولذا كانت المدنيَّة في التحليل النهائي تتمثل في البحث الدائب عن حلول للمشكلات الأخلاقية والاجتماعية والعمرانية.

إن مشاركة الناس في حل مشكلات مجتمعاتهم، وبناء مرافقها العامة، والأخذ بيد العناصر الأضعف فيها، سوف يساعد الأمة على ترجمة المكاسب الاقتصادية التي حصلت عليها بعض الفئات إلى مكاسب أخلاقية واجتماعية، وكأن ذلك نوع من الاستدراك لما فات من تكافؤ الفرص، أو هو كرَّة أخرى في ميادين العدالة الاجتماعية.

وإذا كانت الدولة الفاضلة، هي تلك التي تدبِّر شؤون شعبها بأقل قدر ممكنٍ من القوة، فإن المجتمع الفاضل هو الذي يقوم بجل شؤونه دون أن يُحوجَ الدولة إلى التدخل في تفاصيل حياته، إلا على نحو هامشي على ما نشاهده في حياة المجتمعات الإسلامية الأولى. ولن يكون ذلك إلا عندما تنطلق المبادرات الفردية، وتسود روح التبرع والمجانية.

إن جوهر الإنسان لا يتبلور من خلال الأخذ، وإنما من خلال العطاء، وإذا كان قانون المال هو الجمع، فإن قانون العمل هو البذل، وفرق كبير بين من ينتقص من قدرات مجتمعه، وبين من يُغْنيها!

وإذا كنا عاجزين عن أن نتعلم من مبادئنا وتاريخنا أخلاق الفداء والعطاء، فإن بإمكاننا أن نتعلم ذلك من مجتمعات النمل والنحل، حيث الشعارُ المرفوع دائمًا: لا قيمة لحياتي إذا تعرضت سلامة الجماعة للخطر! وهذا في الحقيقة هو شعار الشهيد.

ثم إنه ليس من مصلحة مجتمعاتنا أن تعلِّق توازنها العام على جهة واحدة، كالدولة - مثلاً - بل من الواجب أن نوجد محاور عديدة وأطرًا مختلفة لحفظ ذلك التوازن، حتى إذا ضعف بعضها اعتمدت على باقيها.

ألوان من الفوائض الاجتماعية

إننا نعيش في عصر، أظهرُ سماته التعقيد، وإن الحضارة الحديثة، جعلت متطلبات الحد الأدنى من العيش الكريم، تفوق كثيرًا الإمكانات المتاحة لأكثر الناس. وفوق ذلك فإن موجات الأنانية والاستقلالية والدوران في فلك الذات، قد اجتاحت الأفراد والأمم، وصار الضعيف يشعر أنه تُرك وحيدًا، ليلاقي مصيره دون عون أو غوث من أحد! وإن الإنجازات الكثيرة التي حققها عصرنا، أفرزت مشكلات كثيرة ذوات رؤوس متعددة!.

ونظرًا لحالة التخلف التي تلفُّ حياة كثير من شعوبنا فإن من غير النادر أن نعاني من مشكلات لم تولِّدها إنجازات، ومن هزائم لم تسبقها معارك؛ مما يجعل حاجتنا إلى الأنشطة التطوعية أكثر من حاجة كثير من الأمم الأخرى.

فنحن بحاجة إلى أنشطة تنشر البِشْرَ على الوجوه، وتشيع البهجة في النفوس، وتخفف من قسوة الوحدة والاغتراب داخل الأوطان، وذلك من خلال الابتسامة والكلمة الطيبة، وابتداء

الآخرين بالسلام والسؤال عن أحوالهم، وعرض المساعدة عليهم.. وفي الحديث: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(١).

ونحن بحاجة إلى مبادرات ومؤسسات ترعى العناصر الضعيفة في المجتمع، من أيتام وأرامل ومعوقين وعاطلين عن العمل، وذوي الأسر الكبيرة، والطلاب الذين لا يجدون من يعينهم على إكمال دراستهم و.. ممن قعدت بهم إمكاناتهم وظروفهم عن بلوغ الحد الأدنى من الحياة الكريمة، والوصول إلى عتبة الوسط الذي يمكنهم من العمل الكريم المنتج.

وقد ورد في الحديث الشريف أن أبا ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله». قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفَسُها عند أهلها، وأكثرها ثمنًا». قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق»(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»، وقرن الراوي بين السبابة والوسطى(٣).

ونحن بعد هذا وذاك بحاجة إلى أن نحمي أنفسنا من أنفسنا، وبحاجة إلى أن نقمع (الوحش) الرابض في أعماقنا. إننا بحاجة إلى أن نبني خطوطًا دفاعية عديدة، تحول دون استخدام القوة داخل المجتمعات الإسلامية، وتحول دون الخصومات العنيفة، ونشوب الحروب الأهلية، وذلك من خلال إشاعة ثقافة الرفق والتفاهم والروية والشفافية والمصابرة، واحترام الحياة والأحياء، وبناء المرافق العامة، وإحياء ظاهرة «الوقف الإسلامي» وما شاكل ذلك، مما يعزز التلاحم الأهلي، ويدعم الأعراف الخيِّرة.

وقد ورد في الحديث الشريف أن الله غفر لعبد ذنوبه بسبب سقيه كلبًا أجهده العطش(٤). كما ورد في حديث آخر أن امرأة دخلت النار في «هرة» سجنتها حتى ماتت(٥).

إن المسلم الذي يتورع عن قطع شجرة، أو إيذاء نملة، سوف يتردد كثيرًا قبل أن يُعَذِّبَ امرأً مسلمًا، أو يعتدي على حياة بريء، أو يأكل مال ضعيف أو غريب..

ما السبيل؟

أعتقد أن (التربية) بما فيها من عمليات وإجراءات مستمرة للتنمية والتحسين هي نقطة البداية التي ستنطلق منها المسيرة، وهي أيضًا الرفيق الذي سنصحبه في كل مراحل البناء.

وحين بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم رحلة إخراج (أمة الإسلام) للناس، بدأ بتنشئة الإنسان قبل إشادة العمران، حتى تنهض جوانب الحياة كلها محاذية لنموذج (الإنسان الصالح).

إن البداية التربوية، تولد في المنزل حيث تُثبت دراسات عديدة أن الخطوط العميقة في شخصية الطفل، تتكون في السنوات السبع الأولى، وما يأتي بعد ذلك لا يعدو أن يكون توضيحًا أو تكميلاً.

إن تصرفات الأسرة وملاحظاتها حول الحياة العامة هي التي تغرس خُلق التبرع والتطوع في نفس الطفل، أو خُلق الأنانية والأثرة.

وسيكون الفرق شاسعًا بين تربية أسرة تتمحور أحاديثها حول هموم الضعفاء والمساكين والشأن العام، وتربية أسرة لا يسمع أطفالها سوى أحاديث الحسد والغيبة والأثرة والاستحواذ... كم سيكون جميلاً تعويد الطفل أن يوفر شيئًا من مصروفه لشراء لعبة لطفل فقير في يوم عيد! وكم سيكون جميلاً لو أن الأسرة تعودت الأكل من (حاضر الرزق) في البيت يومًا في الأسبوع، ووفَّرت ثمن ما ستطبخه في ذلك اليوم لتدفعه إلى أسرة معدمة، أو لتسهم به في تشييد مرفق من المرافق العامة!!

وتأتي الحياة المدرسية لتكمل المهمة، وترعى النبتة الغضة من خلال الأعمال الطوعية التي تنظمها إدارة المدرسة من نحو تنظيف المدرسة أو دهن الأرصفة، أو غرس الأشجار أو عيادة المرضى في المستشفيات..

وإن للمؤسسات الخيرية وظيفة حاسمة في هذا الشأن حيث إن بإمكانها أن تجعل أنظمة التطوع في أنشطتها أكثر مرونة وتنوعًا، بحيث تتسع لمن عنده أدنى جهد أو وقت أو مال، يمكنه أن يوظفه في خدمة المصالح العامة، ولو كان ساعة في اليوم أو يومًا في الشهر، أو أسبوعًا في السنة..

إن من مقاييس التقدم في أي مجتمع مدى مساعدة وسائل الإعلام على نشر الأفكار والمفاهيم التي تعزز الصفة الغالبة على المجتمع، والتي تُعد معقد تعاونه وترابطه، وينبغي أن تكون إشاعة الخير والمعروف هي (السمة) التي تستهدف وسائل الإعلام نشرها، وإيجاد إحساس عام بها.

إن وسائل الإعلام لا تُربِّي، لكنها تنشر الوعي والتجانس الفكري والذوقي والعرفي، وليست هذه بالأمور الهيِّنة.

وإنني أعتقد أن شيئًا من كل ما ذكرناه موجود، لكن الحاجة الماسة لدينا تتطلب اتساعًا وتنويعًا أكثر بكثير مما هو متوافر.

ولا يغيب عن البال أن نؤكد أن الناس لن ينخرطوا في سلك الخدمة العامة، ولن يقوموا بالمبادرات الفردية إلا إذا ساد مجتمعاتهم أجواء الشورى والمشاركة في اتخاذ القرارات، إلى جانب المفاتحة والمصارحة في التقويم، والشفافية في التعامل.

وإلا فمن السهل أن ينكفئ كل واحد على ذاته عند الشعور باليأس وانسداد الآفاق، وسنرى آنذاك أشكالاً من (الحران الاجتماعي) وألوانًا من السلبية وعدم الاكتراث.

إن الإصلاح يحتاج دائمًا إلى قدوات تمهِّد الطرق، وتجسِّد المُثل، ولا قدوة من غير تضحية. وأمة الإسلام تستحق التضحية، وهي بحاجة إلى رجال انطوت جوانحهم على مثل حرقة الأمهات!

نحن بحاجة ماسة إلى أن نبني خطوطًا دفاعية تحول دون استخدام العنف داخل المجتمعات الإسلامية؛ وذلك من خلال إشاعة الرفق والتفاهم والتراحم بين أفراد المجتمع

الهوامش:

١- رواه مسلم.
٢- رواه الشيخان.
٣- رواه مسلم.
٤- رواه الشيخان.
٥- رواه الشيخان.

قد أجَرْنَا مَنْ أجَرْتِ

محمد سعيد مولوي

كانت بقايا المهاجرين من مكة المكرمة ممن لم تسمح لهم ظروفهم بالهجرة المبكرة لا تزال تفد على المدينة المنورة مخلفة وراءها في البلد الحرام ديارها ومتاعها وأموالها، وناجية بدينها وأنفسها من بطش كفار قريش. وكانت قلوب المسلمين وصدورهم وبيوتهم تتفتح لهم في المدينة المنورة، وتقدم لهم شتى صنوف المساعدة والرعاية والعناية، فيذوب المهاجرون في مجتمع طيبة الجديد.

وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتربص بكفار قريش ينتقص سلطانهم السياسي وكيانهم الاقتصادي، كي يضعف قوة الكفر والشرك التي بسطت نفوذها على الجزيرة العربية. وكان قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة أكبر صفعة وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كفار قريش. فقد أصبح للمسلمين كيان يحميهم وينافس كفار مكة. وقد تحدت هذه الدولة المشركين في بدر، وقضت على وجودهم السياسي في الفتح، وبين بدر والفتح كانت لهم همًا وأرقًا ورعبًا وتهديدًا.

وكانت قريش تعتمد على التجارة اعتمادًا كبيرًا، فترسل أموالها قِبَلَ بلاد الشام مع خيرة أبنائها، وكان أبو العاص القاسم بن الربيع (ت: ١٢هـ) أحد هؤلاء الذين اتجروا لقريش.

لم يكن أبو العاص غريبًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان ابن أخت زوجته خديجة، ومؤاخيًا ومصافيًا له، وقد زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرى بناته: زينب، فأحبها وأحبته، وكان يبدي لها احترامًا ظاهرًا، وحين طلبت منه قريش أن يطلقها رفض بإصرار، وشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له موقفه ذاك.

وأسلمت زينب وبقي أبو العاص على شركه، وشارك في معركة بدر في صفوف كفار قريش، فأسره عبدالله بن جبير الأنصاري. وجاء عمرو بن الربيع بمال لفداء أخيه من المسلمين أسهمت فيه زينب بقلادة كانت أهدتها إياها أمها خديجة يوم زفافها.

ونزل تحريم الزواج بين المسلمات والكافرين، ففارقت زينب أبا العاص، ويممت وجهها إلى المدينة المنورة مهاجرة، وبقي أبو العاص في مكة مع كفار قريش.

وتولى أبو العاص تجارة لقريش إلى بلاد الشام وعاد رابحًا مُوفرًا، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقافلته، فأرسل إليه الصحابي زيد بن حارثة رضي الله عنه في مئة وسبعين رجلاً، فحاز زيد القافلة وأسر أكثر رجالها، وفرَّ أبو العاص بنفسه نجيًا.

وكبر على أبي العاص ذهاب القافلة ووقوعها في يد المسلمين وضياع مال قريش. وفكر في وسيلة يستعيد بها ماله ومال قريش، فلا يكون ضياعه سُبَّة في حقه وانتقاصًا من أمانته، فلم يجد له وسيلة إلا زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم، واتجه في الليل نحو المدينة يحاذر ويستتر، حتى وصل إلى دارها، فدخل عليها واستجار بها.

كانت زينب أمام مجموعة من العواطف يحددها موقف واحد، فالقادم عليها زوج كريم، أمضت معه ردحًا من الزمن، وكانت موضع حبه واحترامه، وهي كانت له محبة، ولولا أمر الله ما تركته، وها هو ذا الآن يضع حياته ووجوده بين يديها، وكلمة منها قد تصل بالسيوف إلى جسده، وكلمة قد تحفظ عليه حياته وترد عليه ماله.

وزينب قرشية هاشمية عربية أصيلة، والعربي مشهور بالنجدة وإغاثة الملهوف، والإسلام جاء بمكارم الأخلاق، فهل ترد من جاءها مستجيرًا؟! وقد كان منها ما كان، وكانت منه ما كانت. أيمنعها من ذلك أنها امرأة؟!! لا.. فالإسلام قد سوّى بين الرجال والنساء، وجعل المُسلمين متكافئين يسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم، والنساء شقائق الرجال.

وأدركت زينب أنها أمام امتحان لبني جنسها من النساء، فكيف يكون للرجال أن يجيروا؟ وماذا ينقص النساء في ذلك، وقالت بكل ثقة: لقد أجرتك يا أبا العاص فاهدأ ولا تخف.

واصطفت جموع المسلمين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأداء صلاة، وعلا صوت رسول الله مكبِّرًا: الله أكبر، وكَبَّرَ المسلمون وراءه، وساد صمت قبل أن يبدأ رسول الله التلاوة. ولكن صوتًا نسائيًا ارتفع من آخر المسجد، فَشَقَّ جدار الصمت. لقد كان صوت زينب وهي تصيح: أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع.

وانتهى رسول الله من الصلاة وأقبل على الناس فقال: «هل سمعتم ما سمعت؟!»، فقالوا: نعم، قال: «والذي نفسي بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم. إنه يجير على المسلمين أدناهم، لقد أجَرْنَا مَنْ أجَرْتِ».

كان هذا الموقف من زينب سببًا لإبراز مكانة المرأة العالية التي لا تختلف عن مكانة الرجال، والتي أعطاها إياها الشرع الإسلامي وسجلها التاريخ على مدى الأيام، فليست مهيضة الجناح، ولا منقوصة الحقوق، ولا هي لقًى على هامش المجتمع، بل هي صنو الرجال وكفء لهم، وتقوم مقامهم في كثير من أمور الحياة.

لقد شقَّت زينب في موقفها هذا للنساء طريقة واضحة بلغت بهن غاية الرفعة والمساواة مع الرجال، فما أعظم أن يرتفع صوت في رحاب المسجد ليقول: أنا المرأة التي لم يكن لها في الجاهلية أن تملك زمام أمرها، فإذا مات زوجها واستطاع أحد أبنائه أن يلقي عليها ثوبًا ملكها بذلك. أنا اليوم سيدة لها شخصيتها وحريتها ومكانتها، لقد أعطاني الإسلام الرفعة، ومن رفع اللهُ فلن يخفضه شيء.

وبعد، فماذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أجار من أجارت؟!

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته فقال: «أي بنيَّة!! أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له». فقالت: إنه جاء في طلب ماله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث في طلب تلك السرية، فاجتمعوا إليه، فقال لهم: «إن هذا الرجل منّا بحيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً وهو مما أفاءه الله عز وجل عليكم، وأنا أحب أن تحسنوا إليه وتردوا إليه ماله الذي له، وإن أبيتم فأنتم أحق به». قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه. فردوا عليه ماله ما فَقَد منه شيئًا.

واحتمل أبو العاص إلى مكة فأدّى إلى كل صاحب مال ماله، ثم أعلن بين ظهراني قريش أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وقال: والله ما منعني من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أني آكل أموالكم، فلما أداها الله عز وجل إليكم أسلمت. ثم خرج مهاجرًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحَسُن إسلامه ورد الرسول عليه زوجه زينب.

وشقت زينب في موقفها هذا للنساء طريق عز وفخار، فلم يمض زمن طويل حتى كان فتح مكة، والتجأ رجلان من بني مخزوم إلى أم هانئ بنت أبي طالب (توفيت بعد ٤٠هـ)، فأجارتهما وأمَّنتهما، فأمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانها وقال: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، وأمَّنا من أمَّنت».

الهوامش:

- الموقف مستقى من «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، ٤/١٧٠١، بتحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، و«الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبدالبر، بتحقيق الدكتور مصطفى البغا، مطبعة الصباح ١٩٨٤، و«صحيح البخاري»، باب الصلاة في الثوب الواحد.

قراءة في العلاقة بين

السرديات العربية التجريبية والتراث

حسين المناصرة

ثمة إشكالية أساسية في الحديث عن السرديات العربية الحديثة ـ وأخصُّ منها الرواية والقصة القصيرة ـ وهي إشكالية علاقة هذه السرديات بالتراث، وما فيه من سرديات مختلفة، ومن مخزون عريق؛ بل من خرافيات وأساطير سحرت العالم؛ كما هو حال «ألف ليلة وليلة».

وفي عصر التجريب الإبداعي، حيث انفتاح الأجناس الأدبية، وبحثها الدؤوب عن (اللا تشكل)، وتحقق ما يسمى بخطاب النصوص، بدت الحاجة ملحة في كثير من الدراسات النقدية المعاصرة إلى العودة إلى التراث من حيث كونه أنماطًا تجريبية أساسية.

هناك من يؤكد أن الروائي في العصر الحديث خاض لعبة الكتابة من غير دليل تراثي يوجهه، وفي الوقت نفسه يؤكد أن عالمية الرواية لا تتحقق إلا من خلال احتفالها الشديد بمحليتها(١). إذ قد تسقط رواية عربية تحاول محاكاة «مدام بوفاري» لجوستاف فلوبير، وهي من أشهر الروايات الغربية، ولكنها قد تصبح عالمية عندما تعيد كتابة خطاب الجارية «تودد» (من حكايات ألف ليلة وليلة) على سبيل المثال.

إن الدخول إلى عالم السرديات الحافل بانفتاح عجيب من خلال البحث عن مراياه التراثية أمر في غاية الشقاء والعصيان، ومع ذلك يمكن التفاعل مع بعض المداخل السّهلة، لإنتاج أنساق قد تكون مرضية إلى حد ما.

ثمة إجحاف بحق تراثنا السردي عندما نعلن، بطريقة أو بأخرى، أن لا علاقة تواصلية أو تطورية بين الرواية العربية الحديثة وجذور القص العربي؛ كما تجلى في السرديات السيرية، والفلسفية، والعاطفية، والدينية، والمقامات، والحكايات الشعبية التي تشغل مركزيتها «ألف ليلة وليلة».. إلخ، كما أن إعلان الانفصال عن التراث يجيء من أجل إعادة السرديات الحديثة ولاسيما «القصة القصيرة» و«الرواية» إلى السرديات الغربية التي انتقلت إلينا في البداية من طريق التعريب، والترجمة، ثم التأثر المباشر المتشكل في التأليف.

وبدايةً: من المهم تأكيد أن غياب فاعلية السرد في التراث قياسًا إلى حضور فاعلية الشعر ـ على سبيل المثال ـ يعود في الدرجة الأولى، كما يتهيأ لي، إلى أن الذاكرة العربية لم تكن ذاكرة ملحمية أو سردية، وإنما هي ذاكرة شفهية غنائية تحفظ وتروي وتتراقص طربا.. وكان من غير المعقول أن يصرف الأدباء أوقاتا طويلة في ظل بدائيات الكتابة وندرة وسائلها ليسطّروا الصفحات السردية القصصية المتخيلة.. كما أن هذا لم يحدث في تاريخ الأمم القديمة إجمالاً.. لذلك كانت البنية الإبداعية الطويلة نوعًا ما هي بنية الملحمة كما تجلت في ملحمة «جلجامش» وغيرها، وهي أيضًا بنية شفهية غنائية.

ولو توافر في العصر الجاهلي ـ على سبيل المثال ـ الورق كما توافر في العصر الحديث، وكذلك لو ظهرت المطبعة آنذاك، فإننا حينئذ قد نلوم التراث لأنه لم يحتفل بالسرديات قدر احتفاله بالغنائيات والنصوص الشفهية السهلة الرواية.. ومعنى هذا أنه لا يمكن الادعاء بأن الرواية العربية نشأت نتيجة التأثر بالرواية الغربية ـ وإن كنا لا نستطيع إغفال فاعلية التأثير ـ؛ وذلك لسبب بسيط هو أن الطهطاوي وسليم البستاني ومحمد حسين هيكل وفرح أنطون ومئات من الساردين العرب في بداية النهضة ما كان

بإمكانهم أن يكتبوا الرواية أو القصة القصيرة فيما لو غابت آلية الطباعة والصناعة الورقية.. ولم تكن ادعاءات نفي الفنية الروائية عن نصف قرن على الأقل سبق رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل (١٩١٤م) إلا محاولة لإفشال بدايات المشروع الروائي العربي وتهميشه لصالح ربط النص السردي العربي بالنص الغربي، وتجريده من إمكاناته الذاتية وقدراته المتفاعلة مع التراث الذي تجلى في روايات المقامات، مثل حديث «عيسى بن هشام» للمويلحي الذي بدأ يأخذ الآن، هو وغيره من الكتابات الأولى، اهتمامًا لافتًا للنظر، لكونه بنية قصصية تجريبية على مستوى عدة مقاييس شكلية ورؤيوية.

أميل حبيبي

وإذا كان هناك من ادّعى بأن أساليب المقامات قد أخرت ظهور الرواية الحديثة إلى بدايات القرن العشرين(٢)، فإن مثل هذا التوجه لم يعد مقبولاً الآن بعد أن وجدنا الرواية الأكثر معاصرة، تعود إلى نمطيات الكتابة القديمة، كما هو حال بعض أعمال جمال الغيطاني وإميل حبيبي.

قد ندّعي - ولا نجازف في ذلك - أن الشرق عمومًا، ومنه الشرق العربي، هو موطن القص العالمي، وأن أوربا التي أخذت قصصها من اليونان بداية على أوجه التقديرات، تأثرت إلى حد كبير بالقص العربي من طريق الأندلس والحروب والاستشراق. وكانت حكايات «ألف ليلة وليلة» والقصص الصوفي، والفلسفي من أبرز السرديات التي انتقلت من العرب إلى الغرب، فقبل أن يعرّب الطهطاوي «مواقع الأفلاك» لفينلون عام ١٨٦٧م، نقل موسى سفردي في القرن الحادي عشر ثلاثين حكاية من كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة إلى اللاتينية في كتاب تحت مسمى «التربية الدينية» DIS-CIPLINA CLERIULIS(٣).

هناك دلائل كثيرة مقنعة في مطلع عصر النهضة تشير إلى تبعية الرواية العربية للرواية الغربية.. ويكفي أن نأخذ الأمور من حبالها القصيرة ونرى أن معظم النقلات الحضارية الجديدة تعاد إلى حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م، مما يعني الاتكاء على مسلمات تغيّب التطور التاريخي، وحركة الإنسان نحو التميز بالنسبة لمن ينحدر تاريخهم نحو الضعف، الأمر الذي يحيل التكوينات الثقافية إلى الجهة القوية، سواء أكانت استعمارية أم مسالمة.

إن انفتاح النص الروائي العربي المعاصر، وتداخل الأجناس فيه بعد الستينيات من هذا القرن، يشير إلى علائقية كبيرة بين هذا النص والنص الذي جُرِّد من فنياته عندما بدأ التنظير الأول للرواية الفنية في كتابات عبدالمحسن طه بدر، ومحمد يوسف نجم.. ولذلك نجد أنفسنا الآن مدفوعين إلى إعادة النظر في أسئلتنا الثقافية الخاصة بنشأة الرواية وتطورها، وسنبقى بكل تأكيد في إطار الموازنة بين ثلاثة آراء:



جمال الغيطاني

الأول: رأي يطالب بإعادة قراءة التراث السردي وتحديد صلاته الفعلية بالرواية المعاصرة.

الثاني: رأي يرى، بل هو متأكد من أمومة الرواية الغربية للرواية العربية، وأن روايتنا لا تعني أكثر من كونها استجابة ثقافية صدّرها الغرب للأمم التي استعمرها. وفي أحسن أحوال هذا الرأي هو الإقرار بوجود روح تراثية سردية في النص المعاصر، لكن أمر النشأة محسوم لصالح التبعية.

الأخير: رأي يتجاوز هذه الإشكالية، لأنها لم تعد مؤرقة له، فليس المهم البحث عن تبعية الرواية العربية الحديثة أو تطورها من التراث، بل المهم هو حال الرواية العربية وآلياتها الفنية.

وربما كان رأي التجاوز هو الرأي الأجدى، لكن مقاربات النصوص الروائية والبحث عن إشكالياتها المعرفية والفنية لابد أن يستدعي، بطريقة أو بأخرى، ثنائيات تنطلق من علاقة الذات مع الآخر، وتبحث عن الخصوصيات التي تميز هوية ثقافية من هويات أخرى؛ لا على سبيل تمايز الأعراق والأنساب، وإنما على سبيل التميز الحضاري، حيث قد نشعر بقدرة حضارية لنا عندما نرى محسن جاسم الموسوي، يصل بعد جولة طويلة في صورة سحر «ألف ليلة وليلة» في الأدب الإنجليزي، إلى أنه: «لابد أن نعي حقيقة أن الأجيال المختلفة تجد أشياء متجددة باستمرار في هذه الحكايات الثرية.. وأن هذه الحكايات تبدو للروائي الحديث والناقد الأدبي المتخصص ينابيع الفن القصصي، تمتلك مواصفات ومزايا لابد أن يراجعها باستمرار قبل أن يواجه مشكلة الكتابة»(٤).

وفي تَصَوُّر بدر الدين عرودكي للرواية العربية بين النشأة والتجريب يرى أن الرواية نوع حديث تبناه العرب. يقول: إن «الرواية نوع حديث تبناه الأدب العربي، وإني أصر إصرارا شديدا على كلمة (تبنّي) الأدب العربي للرواية، بما هي شكل حديث في التعبير الأدبي، لم يعرفه على النحو الذي نكتبه اليوم أدبنا العربي»(٥). وأن «مصادر الذين كتبوا الرواية العربية في بداياتها الإبداعية لا التجريبية كانت: والتر سكوت، وفلوبير، وبلزاك، وستندال، وتولستوي، وديستويفسكي.. لا سواهم. ولم تكن ألف ليلة وليلة أو سيرة عنترة أو سيرة بني هلال، ولا حتى أخبار العرب أو تاريخ الطبري»(٦).

ووجه الشاهد ليس في هذا النص عمومًا، وإنما في تلك القصة التي يرويها عرودكي عن موقف أحد الناشرين الأوربيين الذي اعتذر من عدم نشر رواية إميل حبيبي «سعيد أبي النحس المتشائل» بعد أن قرأها، لأنها كما قال: «لا تمت إلى الشكل الروائي المتعارف عليه في الأدب الأوربي»(٧).

ولم تكن رواية «المتشائل» إلا قدرات تراثية فنية معتمدة على الفنتازيا(*)، وحكايات جحا، وألف ليلة وليلة، ومقامات الهمذاني.. فإذا كانت الرواية العربية تعود إلى التراث على المستوى التجريبي، فإنه من الأولى أن تكون إرهاصات بداياتها متعالقة مع السير والملاحم الشعبية والقصص العاطفي والخيالي.

وكانت إشكالية علاقة الرواية بالتراث من أهم إشكاليات لقاء الروائيين العرب والفرنسيين بمعهد العالم العربي بباريس عام ١٩٨٨م(٨)، لكن المواقف اتخذت أسلوب دفن الرأس عند بزوغه، علمًا بأن هناك بعض الأصوات التي حاولت أن تكشف غوص الرواية في الجذور التراثية. يقول جمال الغيطاني: «لا يوجد شكل واحد للرواية على الإطلاق، ولا يوجد قانون، ولا يوجد شكل ثابت.

الرواية موجودة في التراث العربي القديم... أنا أعتبر أن مقامات الهمذاني رواية... الشخصيات واحدة، الموضوع فيه تنوع في إطار الوحدة، المكان متسع، ورقعته شاملة، واللغة واحدة»(٩).

ويرى صنع الله إبراهيم أن الرواية ولدت تراثية على يد المويلحي في حديث عيسى بن هشام، ثم ما لبثت أن تخلصت من ثوبها القديم، ودخلت عالم الرواية كما عرفها الغرب(١٠). وعلى أننا نعد مثل هذه المقاربات المتسرعة تجاوزًا للبحث المتخصص، وترديدًا لثبوتيات معيارية أصبحت من اللوازم، إلا أن هناك قدرًا من العوامل المؤثرة - كما أسلفنا - كان وراء تشكل الرواية في العصر الحديث، منها - إضافة إلى الورق والطباعة - تفعيل التبادل الثقافي بين الشعوب ولاسيما بين العرب وأوربا، وأن هذا التبادل الثقافي حمل جملة من المؤثرات الغربية إلى الثقافة العربية، كان أهمها التفاعلات الأدبية والفكرية التي رسّخت عالمًا حديثًا على مستوياته الحياتية كافة، حتى في أوربا نفسها.

وتبقى مسألة علاقة الرواية بالتراث مسألة غير شكلية، لأنها أصبحت البعد الحضاري المتداخل مع حداثة الأشياء، وذلك لأن الركون إلى كون الرواية العربية بنية غربية فيه من التعسف الشيء الكثير، لأنه يمكن القول من الناحية الأخرى بأن الرواية الغربية بنية عربية أو بنية شرقية عموما، وهكذا تتحول الأبعاد النقدية إلى أبعاد شوفينية غير علمية. ومن الحريّ أن نتمسك بمقولة متميزة لسعيد يقطين، الذي تناول في أحد كتبه العلاقة بين الرواية العربية والتراث السردي العربي، وذلك عندما يقول: «إن امتلاك وعي جديد بالمسألة التراثية باعتبارها مكوّنا من مكوّنات باقي المتفاعلات المحيطة بنا أمر ضروري لتجاوز النظرات التكرارية والاجترارية واللا علمية واللا تاريخية، وإن الارتهان إلى طرائق وكيفيات التعامل معه المتواجدة بيننا منذ أمد بعيد لم يبق ما يبرر استمرارها في واقع يتحول ويتغير باطّراد»(١١).

وعليه فإن مسألة التوسيد العلمي لبنيات التراث في السرديات العربية الحديثة مسألة في غاية الأهمية، لأن البحث عن الخصوصيات الذاتية هي بداية الحياة الحقيقية، ولعلنا من هذه الناحية تتفق مع رأي فرانسواز غايار: «إن ما علينا أن نخشاه في نهاية الأمر أكثر من خشيتنا من انغلاق كل واحد على ذاته، إنما هو المغالاة في فتح الثقافات بعضها على بعض.. لأن دور الكاتب هو دور ذاك الذي داخل كل ثقافة من الثقافات، يخوض المعركة ضد التشابه»(١٢).

فالإصرار على نفي علاقة نشأة الرواية العربية بالتراث هو إصرار يتسلح بألفاظ مثل «من العبث» أو «من التماحك» أو «من القسر» أو «من التجويق» أن تعاد النشأة إلى الجذور التراثية(١٣). وإذا كانت عناصر القص أو السرد تقوم على أربعة أسس هي اللغة والشخصية والزمان والمكان؛ فإنه من التعسف أن نرى السرديات المتوحدة في هذه العناصر «سرديتين» أو نمطين من القص، أحدهما نلغيه والآخر نفعّله، علما بأن المفارقة بين النمطين لا تتضح إلا من خلال الدرجة الفنية. واليوم نرى في بعض السرديات المعاصرة ما هو أسوأ فنيًا من بعض ما هو موجود في التراث.

ولعل أهم العيوب التي سُجِّلت بحق القص غير الفني أو القص التراثي في معايير النقد الروائي التقليدي تعود إلى عاملين أساسيين هما:

١- هيمنة الفنتازيا

٢- غياب الوحدة من خلال تعددية الاستطراد.

وفي ظني أن أهم ما يميز السرديات التجريبية اليوم هو تعبيرها عن بنية قصصية فنتازية من جهة، ثم انفتاح القص على عدة محاور وأجناس بحيث تصبح بعض السرديات مجرد تعبير عن ارتطام الشخصية بما حولها في سياق استحضار الأزمنة الثلاثة.

الركون إلى القول بأن الرواية العربية بنية غربية فيه من التعسف الشيء الكثير؛ لأنه يمكن القول كذلك بأن الرواية الغربية بنية عربية أو بنية شرقية عمومًا!

ثم إن غلبة سياق نمطية اللغة الشعرية على السرديات الحديثة، تجعلنا نجد أنفسنا أحيانًا حيال نصوص إبداعية، يصعب علينا البت في التوصل إلى تجنيس معين ونهائي خاص بها، فلا هي نصوص سردية، ولا هي نصوص شعرية، بل يمكن القول إنها نصوص تجريبية، يمكن أن نجدها معبّرة إلى حد كبير عن طبيعة الإنسان المعاصر الذي يتميز بقلق دائم في تحديد هويته أو في التعبير عنها.. ولعلّنا تجاه مثل هذه النصوص قادرون على الإيمان ببعض السرديات التراثية أكثر من إيماننا بمثل انفتاح النصوص انفتاحًا يفقدها تجنيسها. وعليه قد نتوقف عند نصوص المقامات، و«حي بن يقظان» و«التوابع والزوابع» و«رسالة الغفران» و«تغريبة بني هلال» و«ألف ليلة وليلة».. وكأنها أعمق بكثير من النصوص التجريبية الحديثة، ليس على سبيل التعصب للقديم أو للقص الأسطوري أو الخرافي في ظل آلية الحاضر، وإنما بسبب قدرة هذه النصوص التراثية على أن تكون متجددة، وعالمية، وفاتنة.

وفي النهاية فإني أتفق مع نبيلة إبراهيم عندما تعلن بأن في التراث ثروة هائلة من القص لم تُدرس دراسة فنية عميقة(١٤). واتفاقي معها يأتي من توجه الروائيين بشكل حاد إلى التراث ليكون القناع الأساسي الذي يغلفون به لغتهم كما هو حال روايات «الغرف الأخرى»، و«سرايا بنت الغول» و«رحلة ابن فطومة»، و«تغريبة بني حتحوت»، و«حدّث أبو هريرة قال»، و«الزيني بركات»... إلخ.

الهوامش:

١- الرأي لعبد الرحمن منيف. انظر: محسن جاسم الموسوي: الرواية العربية: النشأة والتحول، بيروت، دار الآداب، ط٢، ١٩٨٨م، ص٢٠١.

٢- عباس خضر: الواقعية في الأدب، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٧م، ص٦٤.

٣- الطاهر مكي: القصة القصيرة: دراسات ومختارات، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م.

٤- محسن جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢١٩.

٥- الإبداع الروائي اليوم (أعمال مناقشات لقاء الروائيين العرب والفرنسيين ١٩٨٨م)، دار حوار، اللاذقية ١٩٩٤م، ص٢٢.

٦- المصدر نفسه، والمكان نفسه.

٧- نفسه، ص٢٣.

(*) الفنتازيا: الخيال المبدع لصور ليس لها وجود في الواقع، أو القدرة على تشكيلها، وشرطها أن تكون نتيجة هذه الصور فاتنة لخيال القارئ أو النظارة.

٨- المذكور، المصدر نفسه.

٩- نفسه، ص١٠١.

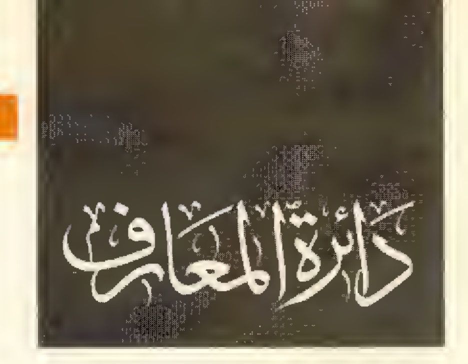
١٠- ملتقى الروائيين العرب الأول: شهادات ودراسات، مهرجان قابس الدولي، تونس، ودار حوار، اللاذقية ١٩٩٣م، ص١٤.

١١- سعيد يقطين: الرواية والتراث السوري: من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء ١٩٩٢م، ص١٤٤.

١٢- الإبداع الروائي اليوم، ص٣٠.

١٣- هذه التعابير أو الألفاظ شاعت في النقد الكلاسيكي، وقد استخدمتُ بعضها في كتابي: فرح أنطون روائيا ومسرحيا، عمان، دار الكرمل ١٩٩٤م، ص١٥.

١٤- نبيلة إبراهيم: فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة (د.ت)، ص٧٢.





من الأكلات الشعبية في ليبيا

إعداد:
أبو العيد الطاهر الفقهي



الأرز:
جاء في لسان العرب: الأَرُزّ والأُرُزّ والأرُزّ والأرز ضرب من البُـرّ(١). وذكر الجوهري في هذه اللفظة ست لغات(٢). والأرز في ليبيا يعرف شعبيًا بالرز وهو كذلك في كل البلاد العربية تقريبًا. والرُز والرُنز لغتان في الأرز كما في لسان العرب(٣). وهذه الأكلة في الأصل ليست ليبية وإنما أصبحت فيما بعد من الأكلات الشعبية في ليبيا ولاسيما المناطق الشرقية منها. والأرز في ليبيا يُطهى بطريقتين مشهورتين: طريقة طهي الرز المبقبق: وهي كلمة مأخوذة من صوت الفقاعات التي يحدثها فوران الرز على النار عندما يُطهى، وتُسمّى عند الليبيين بالبقبقة. والبقبقة تُطلق على صوت فوران السوائل، جاء في لسان العرب: والبقبقة: حكاية صوت كما يبقبق الكوز في الماء(٤). وفي هذه الطريقة توضع كل محتويات الأكلة من المواد الأخرى على النار حتى تنضج ثم يوضع الرز فيما بعد ويبقى على النار حتى تنضج الأكلة. أما الطريقة الأخرى فهي تسمى: طريقة طهي الرز المسقي أو المبوّخ. ومعنى ذلك أنه ينضج بالبخار. وهذه الطريقة تعتمد على وضع الرز في إناء مثقّب يسمى الكسكاس ويوضع فوق الإناء الذي وضعت فيه المواد الأخرى. وبعد النضج يوضع الرز في إناء الأكل (الصحن) ويسمى في ليبيا (الصونية) ويُسقى بالمواد التي طُبخت معه في الإناء الآخر، وهناك من يطبخه بطريقة الرز الأبيض (الطريقة المصرية).



البازين:
أكلة شعبية ليبية صرف غير موجودة في أي مكان آخر حسب علمنا. وأصل هذا الاسم ليس عربيًا، ولا توجد هذه الكلمة في جذر اللفظ في اللغة العربية، وهي كلمة بربرية موجودة عند القبائل البربرية في ليبيا قبل الفتح العربي ثم انتشرت بين العرب المهاجرين. وتعتمد هذه الأكلة على دقيق الشعير الذي عُجن بالماء عجنًا جيدًا، ثم يُقطع العجين قطعًا صغيرة ثم توضع في إناء به ماء يغلي يسمى القدر. والمعروف أن القدر في العربية هو إناء الطبخ عامة كما في كتب اللغة(٥)، أما في ليبيا فإنه يُطلق على إناء طبخ البازين خاصة. ويبقى القدر على النار حتى يصل العجين إلى درجة النضج ثم يزال عن النار ويُصفّى الماء، ثم تقوم الطاهية بتعصيد هذه القطع. ومعنى التعصيد خلط قطع البازين الصغيرة بعضها ببعض حتى تصبح كتلة واحدة كبيرة. وكلمة تعصيد عربية فصيحة، جاء في لسان العرب: عصد الشيء يعصده عصدًا فهو معصود وعصيد: لواه، والعصيدة منه، والمِعْصَد ما تُعْصَد به. قال الجوهري: العصيدة التي تعصّد بالمسواط فتُمرُّهَا به فتنقلب ولا يبقى في الإناء منها شيء إلا انقلب(٦)، وهذا ما يحصل عندما يعصد البازين. ولكن الأداة المستعملة في ذلك تسمى المغرف، وهذا غريب لأن المغرف يجب أن يطلق على اسم الآلة التي يُغرف بها. وبعد ذلك يوضع البازين المعصّد على هيئة كرة وسط إناء الأكل ويؤدم بالإدام. ويؤكل البازين بطريقة واحدة تتمثل في قطع البازين على هيئة قطع صغيرة ثم يُليّن في الإدام بوساطة الأصابع حتى تصير رطبة جدًا ثم تُزدرد ازدرادًا دون مضغ. والجدير بالملاحظة أن هذه الأكلة تسمى (العيش) وسميت بهذا الاسم لأن الليبيين كانوا يعتمدون عليها في عيشهم كما يطلق المصريون اسم العيش على الخبز لأنه عماد عيشهم، وأفضل أكلات البازين في منطقتي بني وليد وغريان.

البراك:
يُتّخَذ من ورق السلق الذي يسمى في كل الدول العربية بهذا الاسم. وفي لسان العرب: والسلق بقلة، والسلق نبت له ورق طوال وأصلٌ ذاهبٌ في الأرض، وورقه رَخْصٌ يُطبخ، والسلق النبت الذي يؤكل(٧). أما طريقة طبخ هذه الأكلة فتقوم على خلط أعشاب البقدونس والشبث والحبق.. الخ ثم تُفرم وتُخلط مع الأرز وقطع اللحم الصغيرة، ثم تُلف في أوراق السلق على هيئة كرات صغيرة وتوضع في الإناءالمثقّب فتنضج ببخار الماء. وأحيانًا يستبدل بورق السلق ورق العنب. وكلمة براك غير معروفة الأصل وليس لها أصل لغوي، وهي تُطلق على بلد في منطقة الشاطئ في جنوب ليبيا.

البسيسة:
تُصنع من دقيق السويق الملتوت في الزيت حيث تُلعق بالأصابع أو بالملاعق الحديثة. وهي أكلة عربية معروفة على وزن فعيلة حيث أغلب أطعمة العرب على هذا الوزن مثل السخينة التي كانت قريش تُعيّر بأكلها والبكيلة والعصيدة(٨).. إلخ. وهناك طريقة أخرى للبسيسة في ليبيا هي خلط مجموعة كبيرة من المواد يكون أساسها الحلبة ثم يُطحن الخليط فتنتج منه مادة لذيذة. والمعروف أن البسيسة عند العرب السويق بالأقط والسمن والزيت، وهي أيضًا الشعير يخلط بالنوى للإبل(٩).



الخبزة:
هكذا ينطق الليبيون هذا الاسم بتاء التأنيث. والمقصود هو الخبز المعروف في كل بلاد العالم. غير أن

المقصود هنا هو خبزة الفرن أو التنور التي تُصنع بطريقة شعبية بدائية، والفرن بناء أسطواني توضع فيه النار حتى يحمى في درجة عالية ثم تلصق أرغفة الخبز الدائرية على جدرانه حتى تنضج. وهذه الخبزة مفضلة عند الغالبية من الناس على الخبزة التي تنتجها المخابز الحديثة. وهناك نوع آخر من الخبزة هو خبزة الملة المعروفة عندالعرب، وتطهى هذه الخبزة بوضعها في النار مباشرة تحت الرماد(١٠)، وتصنع الخبزة من دقيق القمح أو الشعير. وهناك من يفضل خبزة الشعير على خبزة القمح.



الدشيشة:

على وزن فعيلة: من الأكلات العربية، وهي تُعمل من دقيق الشعير بعد طحنه طحنًا خشنًا، وتسمى في ليبيا دشيشة الطبخ. وهي توضع في إناء الطبخ بعد وضع محتوياتها الأخرى ثم تبقى على النار حتى تنضج ثم تؤكل، وكثيرا ما تصنع هذه الأكلة في أيام القحط والجوع، وقد تُعمل في بعض المناسبات كيوم عاشوراء. والدشيشة لغة في الجشيشة، جاء في لسان العرب: جشّ الحَبَّ يَجُشُّه جشًّا وأجَشَّه: دَقَّه، وقيل: طحنه طحنًا غليظًا جريشًا. فالأكلة من هذه تسمى الجشيشة(١١). وفي موضع آخر من اللسان: والدشيشة لغة في الجشيشة، قال الأزهري: ليست بلغة ولكنها لكنة(١٢).



الرغيدة:

أكلة تُتَّخَذ أيام القحط والجدب. وقد سميت بهذا الاسم لأن من يجدها في ذلك الوقت يُعدُّ في رغد من العيش، وهي من أطعمة العرب التي على وزن فعيلة، قال الثعالبي في فقه اللغة: الرغيدة: اللبن الحليب يُغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيُلعق(١٣).



الزميتة:

وتُتخذ من السويق الآتي ذكره على الطريقة التي ستذكر.



السفنز:

وهو على هيئة رغيف رقيق من الدقيق الناعم يُقلى في الزيت فيكون على هيئة رغيف دائري مثل رغيف الخبز، وهو كثيراً ما يتخذ في الإفطار الخفيف.

السلاطة:

وتعتمد على مواد هي: البصل والطماطم (البندورة) والفلفل الأخضر والخيار بخلط هذه المواد في الماء وتقتيت الطماطم حتى يخرج ماؤها، وقد تضاف مواد أخرى لهذا الخليط. ولعل الاسم جاء من الخلط لأننا وجدنا في بعض اللهجات العربية أن السلاطة تعني الخلط ولكن ليس في العربية الفصحى ما يدل على ذلك. والسلاطة في ليبيا تطلق على أوراق الخس الخضراء.

السويقة:

وهي السويق المعروف عند العرب(١٤)، وهي شعير يحَمَّس في الرمل على النار في إناء يسمى الحماس، ثم يُطحن هذا الشعير المحمّس ويصنع منه طعام يسمى الزمّيتة. وبعض الناس ينطق الزاي مغلظة مثل الظاء القاهرية، وبعضهم ينطق التاء طاء. وهذه الأكلة تتخذ في الأفراح وتؤدم بالسمن مع الرب المتخذ من التمر، وأحيانا تمزج السويقة بالزيت وتسمى فرفيشة.



العصبان:

ومحتوياته محتويات البراك نفسها؛ بمعنى أنه تخلط مكونات البراك من البقدونس والشبث والكرافس والحبق بالطريقة نفسها، ثم يوضع الخليط في أمعاء الحيوانات بعد تنظيفها تنظيفًا جيدًا، وتطبخ بالبخار.

العصيدة:

واسمها مأخوذ من عملية التعصيد التي ذُكرت في البازين؛ إلا أنها رطبة والبازين صلب، وبعد نضجها توضع في إناء الأكل على هيئة كتلة مدورة وتؤدم بالسمن والرب وأحيانًا بالزيت والرب عند عدم وجود السمن، والعصيدة غالبًا تصنع في مناسبات الأفراح والولادة.



الفتات:

خبز رقيق مفتت واسمه مأخوذ من ذلك، ويتخذ من أرغفة الخبز الرقيق المدهون بالزيت، ويوضع في الإناء على هيئة طبقات بعضها فوق بعض وبين كل طبقة وطبقة شيء من الإدام. وهذه الأكلة منتشرة في المناطق الجبلية والجنوب الليبي. ومعروف أن هذه الأكلة تسمى في العربية: الفَتيت والفَتُوت، جاء في لسان العرب: والفتيت والفتوتَ الشيء المفتوت وقد غلب على ما فُتَّ من الخبز، وفي التهذيب: إلا أنهم خصوا الخبز المفتوت بالفَتيت(١٥).

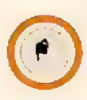
الفطيرة:

أرغفة رقيقة جدًا ملتصقة بعضها ببعض، وهي التي يؤخذ منها الفتات وتصنع على هيئة أرغفة رقيقة توضع في إناء فيه شيء من الزيت يسمى الطاجين وهو على النار، وتصنع الفطيرة أيام عيد الفطر وأيام عيد الأضحى.



الكسكسي:

وبعضهم ينطقه: كسكس، والمادة التي يصنع منها هي السميد وينطقها الليبيون السميت. والسميد أصله فارسي، فقد جاء في لسان العرب: والسميد: الطعام. عن كراع قال: هي بالدال غير المعجمة، والأسميد الذي يسمى بالفارسية سميد معرّب. وقال ابن سيده: لا أدري أهذا هو الذي ذكره كراع أم لا؟ ومنه السميد وهو القمح المطحون طحنًا خشنًا بحيث يكون على هيئة حبات رقيقة جدًا، أما طريقة صناعته فإنه يُرم بالكفّ بعد أن يذر عليه شيء من الدقيق مع بعض الماء، ثم يوضع السميد الميروم في إناء مثقب يسمى الكسكاس فوق إناء آخر فينضج بالبخار، ومحتويات الإناء الآخر الذي تحته: الإدام، وبعد النضج يُسقى بهذا الإدام ثم يؤكل، وهذه الأكلة معروفة في بلاد المغرب العربي.



المكرونة:

أصل هذه التسمية إيطالي. وهذه الأكلة في الأصل ليست ليبية، بل إيطالية انتشرت في ليبيا بعد الاستعمار الإيطالي، وأصبحت من الأكلات الشعبية في ليبيا، وفي غيرها من البلاد العربية. وهي نوعان: نوع يسمى مكرونة الخرز وسميت بهذا الاسم لأنها تكون على هيئة حبّات الخرز، ونوع يسمى السباجيتي المشهورة في إيطاليا، ولكن الليبيين أصبحوا يتقنونها مثل الإيطاليين. وهي تُطبخ مثل الأرز بطريقتين: طريقة المكرونة المبقبقة، وطريقة المكرونة المسقية أو المبوّخة.

الهوامش:

١ـ لسان العرب: أرز، طبعة دار صادر.
٢ـ الصحاح بتحقيق أحمد عبدالغفور عطّار: أرز.
٣ـ لسان العرب: أرز، رزز.
٤ـ لسان العرب: بقق.
٥ـ لسان العرب: قدر، والصحاح: قدر.
٦ـ لسان العرب: عصد.
٧ـ لسان العرب: سلق.
٨ـ فقه اللغة للثعالبي، ٢٦٤.
٩ـ لسان العرب: بسس، وفقه اللغة ٢٦٦.
١٠ـ لسان العرب: ملل.
١١ـ لسان العرب: جشش.
١٢ـ لسان العرب: دشش.
١٣ـ فقه اللغة ٢٦٥.
١٤ـ لسان العرب: سوق.
١٥ـ لسان العرب: فتت.
١٦ـ لسان العرب: سمد، والمحكم لابن سيدة: سمد.



الدكتور محمود بن محمد سفر في «منتدى الفيصل»

نبذة من سيرته:

- من مواليد مكة المكرمة ١٣٥٩هـ/١٩٣٩م.
- حصل على بكالوريوس الهندسة المدنية من جامعة القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، والماجستير من جامعة ستانفورد بكاليفورنيا، والدكتوراه من جامعة ولاية كاليفورنيا الشمالية عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، كما نال دبلوم الإدارة العليا للرؤساء التنفيذيين من جامعة ستانفورد بكاليفورنيا عام ١٩٨٠م.
- عمل في سلك التعليم الجامعي حتى أصبح عميدًا لشؤون الطلاب بجامعة الملك سعود - بجانب عمله الأكاديمي - فعضوًا بالمجلس الأعلى للجامعة، فأمينًا عامًا للمجلس الأعلى للجامعات، ثم عيِّن وكيلاً لوزارة التعليم العالي. وكان عضوًا في جميع مجالس الجامعات السعودية حتى عام ١٤٠٤هـ.
- رأس عددًا من اللجان المهتمة بشؤون التعليم العالي، كما رأس لجنة إعداد خطة التنمية الثالثة لوزارة التعليم العالي، واختير، بإجماع الدول العربية الخليجية، أول رئيس مؤسس لجامعة الخليج العربي بالبحرين (١٩٨٤-١٩٨٨م).
- اختير عضوًا بمجلس أمناء المشرق والمغرب بمدينة شيكاغو الأمريكية، وعضوًا باللجنة الاستشارية لجامعة الأمم المتحدة بطوكيو.
- عيِّن أستاذًا بقسم الهندسة المدنية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في عام ١٤٠٤هـ حتى تاريخ تعيينه وزيرًا للحج في عام ١٤١٤هـ.
- شارك في عضوية وفود ممثلة للمملكة العربية السعودية في مؤتمرات عربية ودولية، كما شارك في كثير من المؤتمرات التي ناقشت قضايا التنمية والتعليم، وانتُخب مقررًا عامًا للمؤتمر الأول لوزراء التعليم العالي والمسؤولين عن البحث العلمي في الوطن العربي الذي عُقد في الجزائر عام ١٩٨٠م.
- نال شهادة تقدير وثناء من سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين لدوره في تأسيس جامعة الخليج العربي بالبحرين؛ ونال وسام النجم الساطع من جمهورية الصين.
- من مؤلفاته: التنمية قضية، الحضارة تحد، إنتاجية مجتمع، الإعلام موقف، ثغرة في الطريق المسدود (بالاشتراك)، دراسة في البناء الحضاري، ثقب في جدار التخلف.
- من بحوثه: التكنولوجيا: نقل أم استيعاب؟ التعليم التقني ضرورة وتحد، منظور حضاري لقضايا الترجمة والتعريب، التقنية والبدء الحضاري، موقفنا من الحضارة الغربية المعاصرة، الإصلاح الحضاري وواجب الأمة، التنمية في العالم الإسلامي بين الطموح والواقع، من مظاهر التحدي الحضاري للأمة الإسلامية.

ومن أقواله:

«إننا ندعو إلى أن تخرج برامج التربية الدينية في المدارس والجامعات والمساجد ودور العلم عن إطارها التقليدي، وتقترب من أذهان الشباب ومشكلات عصره ببساطة الأسلوب وحسن العرض وعمق المفاهيم؛ بدلاً من أن تجعل الشباب يلهث خلفها في محاولات مرهقة تفقده حيويته في متابعة ما يُلقى عليه من دروس ومواعظ وإرشادات».

الحضارة تحد! ط١، ١٤٠٠هـ، سلسلة الكتاب العربي السعودي، تهامة، ص٢٥.

«هناك كثير من العوامل الخارجية التي يجب التنبه إليها من منطلق فكر وطني مخلص يدحض الدعوات الهدامة.. لعل من أخطرها التمسك بالرأي القائل بأن زيادة السكان لها أثر كبير في عرقلة حركة النمو؛ مما جعل ذلك القول أشبه بمشجب صُنع في الخارج وتم استيراده إلى الداخل لتعلق عليه الدول المتخلفة أخطاءها في حق الإنسان في العيش!».

إنتاجية مجتمع، ط١، ١٤٠٤هـ ص١١٠-١١١.

«إنَّ الإعلام بوسائله الحديثة المتقدمة قادر على أن يعلِّم المجتمع، ويثقف النشء، ويثبت القيم الصالحة، ويركز الحق المستقيم، ويعين على الحق ويزهق الباطل».

الإعلام موقف، ط١، ١٤٠٢هـ، ص١٠١.

«لقد فقدنا الوعي الصحيح بدورنا كأفراد وجماعات في عمليات التنمية، وأصبحنا جميعًا من «أصحاب الحقوق» وما أدراك ما أصحاب الحقوق.. إنها سمةُ التخلف في جيلنا حتى أصبحنا لا نعرف إلا حقوقنا على حكومتنا وجهلنا تمامًا واجبنا».

ثغرة في الطريق المسدود: دراسة في البعث الحضاري، سلسلة تصدر عن دار آفاق الغد بالقاهرة، ص٧٨-٧٩.

«علينا أن نوجد جسرًا بين المسلمين والنصارى بصورة تجعل الغرب يتقبل المفهوم الإسلامي بأسلوب حضاري وليس بأسلوب عنصريّ صليبي متسلط كما هو حادث!!».

من مقال: المسلمون من التكديس إلى الإبداع الحضاري (في كتاب: فقه الدعوة ملامح وآفاق، ص١٧٧).

«إننا في محاولة تدريب مجتمعاتنا الناشئة تقنيًا لابد أن نأخذ بعين الاعتبار المسار التاريخي لتطور العلوم والتقنية في الغرب واليابان. فالأمة الجادة تستطيع أن تختصر ٤٠٠ عام من تاريخ التطور العلمي والتقني للعالم الغربي إلى ٤٠ عامًا.. ولكنها لا يمكن أن تستسيغ الحضارة التقنية المعاصرة دفعة واحدة مهما أوتيت من مال».

دراسة في البناء الحضاري، ص٩٩.

تتلقى المجلة أسئلة القراء البريدية على العنوان: ص.ب ٣ - الرياض ١١٤١١، وبالفاكس: ٤٦٤٧٨٥١ ، وبالهاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ بين الساعة ١٢-١ ظهرًا، والساعة ٨-٩ مساءً.

دراسة أدبية

النقد المسرحي ونقد القصة

عند محمد مندور

عمر محمد

يعد الدكتور محمد مندور (١٩٠٧-١٩٦٥م) من المثقفين العرب المعروفين في النصف الأول من هذا القرن.. ولوسطه الريفي ترجع تربيته ونشأته في أسرة مسلمة محافظة لها معرفة كبيرة بتراث الأمة العربية الأدبي.

وقد كان لهذه النشأة أثرها في تكوين شخصيته ورفدها بالتقاليد العربية الأصيلة. لقد نشأ على ثقافة عربية واسعة وعلى اطلاع واسع على دواوين الشعر العربي القديم؛ إلا أن هذا الخزين الثقافي لم يأسره ويقيده؛ بل أعجب - منذ المراحل الأولى لدراسته الجامعية - بالمناهج النقدية الجديدة التي جاء بها الرواد، كالدكتور طه حسين في كتابه «في الأدب الجاهلي» والعقاد والمازني في «الديوان» وميخائيل نعيمة في «الغربال»، وغيرهم.

لقد تناول مندور موضوعات عدة بالنقد، كنقد الأدب، ونقد الشعر، والنقد المسرحي، ونقد القصة. وسنتناول هنا جانبين من الموضوعات الآنفة الذكر مستعرضين أسلوب مندور في النقد المسرحي وفي نقد القصة.

النقد المسرحي

يحدد مندور أسس العمل المسرحي في عنصرين هما: التجربة والصياغة الفنية.

أولاً: التجربة:

ويقصد بها المصدر الذي يستقي منه الكاتب قصته.. ويمكن حصر هذا المصدر في كتابة أية مسرحية وفي مختلف الآداب العالمية فيما يلي:

١- الأسطورة. ٢- التاريخ. ٣- واقع الحياة المعاصرة للكاتب. ٤- الخيال الذي يبتدع الأحداث بقدرته الخالقة. ٥- التجارب الشخصية للأديب. ٦- العقل الباطن.

ومن ضمن التجربة يدخل الهدف من فن المسرح والاختلافات التي طرأت على هذا الهدف منذ المسرحية عند اليونان التي كان هدفها التطهير، أو الكوميديا اليونانية التي استهدفت النقد السياسي؛ مروراً بظهور (البرجوازية) في أوربا عندما أصبح هدف المسرح هو إحداث التغيير الاجتماعي، وفي القرن التاسع عشر عندما أصبح هدف (الرومانسية) في المسرح هو المتعة والانطلاق والتحرر وصولاً إلى القرن العشرين، وما ظهر من تعدد المذاهب الأدبية، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، عندما أخذ بعض الأدباء يرفضون منطق العقل، وهدفهم رسم صورة للحياة تصور اللا معقول.

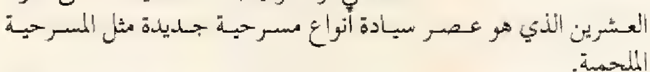
كما ينقل مندور ما هيّة «الصراع الدرامي» وأهميته في التأليف المسرحي؛ إذ يعد هذا أهم ميزة للمسرحية من بقية الأنواع الأدبية الأخرى.

ثانيا: الصياغة الفنية:

وتأتي بعد أن تتوافر القصة والتجربة والهدف والشخصيات. فينصرف الكاتب إلى تأليف هذا كله في بناء فني واحد. ويعرض مندور تاريخ الصياغة الفنية في المسرحية عبر العصور ابتداءً من اليونانيين الذين يؤلفون مسرحياتهم في مشاهد صغيرة، تفصلها بعضها عن بعض أغاني الفرقة (الجوقة) والرقصات، وانتهاء بالقرن الثامن عشر وهو تاريخ اختفاء الشعر في الحوار المسرحي وإحلال النثر محله، لأن الأخير يكسبه الوضوح والتحديد؛ في الوقت الذي يستعرض مندور أنواع المسرحيات في عصورها المتقدمة منذ عصر اليونان وظهور التراجيديا (المأساة) والكوميديا (الملهاة). وبعدها في القرن الثامن عشر ظهرت الكوميديا الدرامية والدراما البرجوازية. أما القرن التاسع عشر فيُعد عصر سيطرة الواقعية على القصة والمسرحية، وظهور ما يُسمى بالدراما الحديثة التي تستمد شخوصها من الحياة والمجتمع، وكذلك كوميديا النقد الاجتماعي أو الأخلاقي أو كوميديا الشخصيات حتى القرن



د. محمد مندور



العشرين الذي هو عصر سيادة أنواع مسرحية جديدة مثل المسرحية الملحمية.

أما تاريخ المسرح العربي فيبدأ - كما ذكر مندور - في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. ولكن هذا المسرح لم يستطع أن يخلق أدباً تمثيلياً على غرار الآداب التمثيلية في العالم الغربي حتى سنة ١٩٢٧م، وهي السنة التي أصدر فيها الشاعر أحمد شوقي أول مسرحية شعريه له وهي «مصرع كليوباتره»؛ بعدها أخذ الأدباء العرب يكتبون المسرحيات شعراً ونثراً بالعربية وبالعامية سواء مُثّلت تلك المسرحيات أم لم تمثل واكتُفي بقراءتها مؤلفات أدبية.

ويرى مندور أن الدعوة إلى تجديد ما أراده النقاد العرب في أوائل هذا

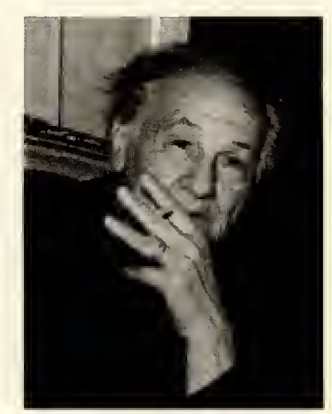
النقد المسرحي ونقد القصة عند محمد مندور

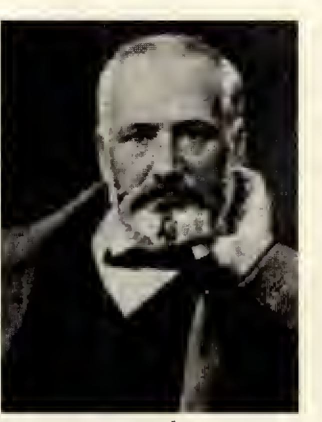
القرن لم تدع إلى اقتباس أنواع جديدة؛ بل دعت إلى التجديد في الأنواع التي ألفها العرب كالشعر الغنائي.. ويؤكد مندور أن عقبتين وقفتا في طريق تطور هذا النوع الأدبي منذ البداية تطوراً طبيعياً وسليماً:

العقبة الأولى: مستوى الجمهور الذي يفترض أن يشهد هذا الأدب؛ ولكن نسبة الأمية العالية في المجتمع العربي كانت تحول دون ذلك، وتدفع المؤلف إلى أن ينزل أحياناً إلى مستوى جمهوره في كثير من المسرحيات التي كُتبت للتمثيل واستخدمت العامية أيضاً.

العقبة الثانية: عدم استيعاب الشعراء والكتاب العرب حقيقة تاريخ المسرحية وما تعرضت له من تطور حسب الظروف والتطور الفكري وظهور المذاهب، حيث يوضح مندور ذلك في كتابه عن المسرح.

أما في معرفة الجانب التطبيقي للنقد المسرحي عند مندور، وبخاصة في نقده لمسرحيات أحمد شوقي، فيلاحظ مندور أن شوقي نظم مسرحياته شعراً. وفي رأيه أن السبب في ذلك يرجع إلى التأثر التلقائي لشوقي وما هداه إليه إحساسه. ويستغرب من هذا التأثر بشيء اختفى وأصبح من الروائع القديمة، وأنه لا يتأثر بما حوله من مذاهب أخرى كالرومانسية


عزيز أباظة


فيكتور هيجو

والواقعية اللتين كانتا سائدتين آنذاك في فرنسا.

ويمكن تلخيص النقد المسرحي عند مندور في النشاطات التي قدمها لهذا النقد، وهي التي كونت، من ثم، نظرية المسرح عند مندور، وتشمل أربعة مجالات هي:

١ـ المحاضرات التي ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العليا، والتي تخص مسرحيات شوقي وتوفيق الحكيم وعزيز أباظة.

٢ـ المقالات النقدية التي كان ينشرها في الصحف خلال المدة ١٩٥٦ـ ١٩٦٤م، وقد دافع فيها عن مفهوم المسرح الملتزم.

٣ـ التقارير التي قدمها للفرق المسرحية كونه عضواً في لجنة قراءة المسرحيات المرشحة للتمثيل.

٤ـ الحلقات النقدية في الإذاعة وكذلك مناقشاته لأطروحات الدكتوراه المختصة بالمسرح.

إن ما يميز نقد مندور للمسرح هو أن الجانب (الأكاديمي) أخذ حيّزاً مهمّاً فيه وبخاصة في مسرحيات عزيز أباظة ومسرح توفيق الحكيم. فقد طبّق مندور في نقده معايير أرسطية وتقليدية (كلاسيكية) على النصوص المسرحية، وعقد الموازنات مع مسرحيات عالمية وذلك لافتقار الأدب العربي القديم إلى نصوص مسرحية.

وفي نقده لمسرحيات شوقي انطلق مندور من أن التأثير العربي في شوقي اقتصر على اختيار الموضوع أو التعبير عن المشاعر الوطنية أو القومية. ولم يأت نقد مندور لمسرحيات شوقي من فراغ، بل حدد نقاطا أخذها من نتاج شوقي المسرحي.

ومن المآخذ على مندور في موضوع النقد المسرحي أن بعض النقاد أخذوا عليه تعليله لمشكلة البداية العربية للمسرح حيث يرجعها إلى عدم التمكن من فهم القواعد الأدبية والتركيبات الفنية للمسرحية، على حين يرى غيره أنها تعود إلى مجموع التصور الفكري لأسسها النظرية.

نقد القصة

إن ما كتبه مندور في نقد القصة لا يرقى إلى مستوى ما كتبه في نقد الشعر أو المسرح، بل كانت له ملاحظات عن القصة أو الرواية العربية من خلال اهتماماته بفنون الأدب بشكل عام.. ومع ذلك فإن هناك مرحلتين من نقده للقصة:

المرحلة الأولى:

المرحلة التأثيرية، من خلال قراءاته للقصص العالمية وتحليل ملامح الشخصيات التي شكلت رموزاً لتلك الروايات أو القصص. وكأن عمله كان إعادة صياغة تلك الشخصيات، وبخاصة ما نشره في كتابه «نماذج بشرية» عام ١٩٤٣م؛ فقد حلل شخصيات أربعة عشر عملاً عالميًا، منها: البؤساء (لفيكتور هيجو)، وميكارو (مسرحية حلاق إشبيلية لشاتوبريان)، ودون كيشوت (لسرفانتيس)، وهاملت (لشكسبير)، وبياتريس (الكوميديا الإلهية لدانتي). ومن هذه المجموعة ذكر شخصية عربية واحدة هي إبراهيم الكاتب (بطل رواية إبراهيم المازني).

وفي هذا الكتاب يعيد مندور كتابة قصة تلك الشخصيات حسب ما يستقر في ذهنه. أما تعاطفه مع شخصيات روائية ومسرحية وقصصية فهو انعكاس أو تجسيد لردود أفعال الناس. وكأن هدف مندور التعمق في داخل النفس البشرية وكشف أسرارها.

وفي هذه المرحلة نَقَدَ مندور روايتين هما: «نداء المجهول» لمحمود تيمور، و«دعاء الكروان» لطه حسين. وقد نظر إلى هاتين الروايتين من زاوية قربهما من الواقع. فقد عدّ رواية تيمور نموذجاً للواقعية لأن الكاتب صوّر الشخصيات بطريقة حيّة مستعملاً حواراً يعكس الحياة؛ على حين أن رواية طه حسين تغرق الواقع في خضم نثر مُنَعّم مملوء بالمقابلات واللفظية مما يجعل الوصف غير دقيق.

المرحلة الثانية:

وتظهر من خلال كتابه «قضايا جديدة في أدبنا الحديث»؛ فقد عالج في الفصل الثاني موضوعات: معركة القصة بين المؤيدين والمنكرين، الفن القصصي وتجارب الشباب، جانبي مونترو، والبرجوازي الصغير...

إن ما جاء في هذا الكتاب لا يختلف عما جاء في كتابه السابق نماذج بشرية من حيث المنهج، أما الاختلاف فهو في دفاع مندور عن القصة العربية في مراحلها الأولى. ومن أجل هذا فقد ميز بين مدرستين أو اتجاهين في القصة العربية:

المدرسة الأولى: مدرسة الشيوخ (أو الكبار) أمثال محمود تيمور وتوفيق الحكيم الذين استطاعوا في أبراجهم العاجية أن يلموا بثقافة إنسانية وفنية مكنتهم من أن يقيموا فنهم على أسس فنية دقيقة وأن يشيعوا فيه ضوء الثقافة العامة الواسعة.

المدرسة الثانية: مدرسة شباب الفن القصصي. وهم الذين ينفرون من الأبراج العاجية، ويؤثرون عليها.. يجوبون أسواق الحياة وأزقتها أحيانًا.. يخالطون الناس ويحسون إحساسهم حيث يصوغون قصصهم من هذه المادة الحية.

وكان أمل مندور هو امتزاج هاتين المدرستين وولادة جيل من أدباء القصص يقارن نتاجه مع أي أدب عالمي. ومن أجل الوصول إلى هذا المستوى يقدم مندور إلى شباب فن القصة ملاحظتين مهمتين جاءتا بعد دراسته لقصص هؤلاء الشبان.

الملاحظة الأولى: هي إغفالهم لمبدأ فني عام يربط كل فن صحيح بالاختيار.

الملاحظة الثانية: تدور حول إسراف الأدباء الشبان في الوصف والتصوير لذاتهما حتى يبدوا كأنهما منفصلان عن بقية أجزاء القصة.

إن خلاصة ما يمكن قوله إن كتابات مندور عن القصة هي كتابات محدودة لا تكاد تتجاوز نطاق المبادئ والملاحظات العامة، أو خطوات بارزة في نقد القصة يمكن تلخيصها في:

الخطوة الأولى: الاهتمام بالجانب النظري للدعوة الواقعية في النقد القصصي.

الخطوة الثانية: الاهتمام بتاريخ أدب القصة في مصر بحيث تكشف جذور الاتجاه الواقعي في أعمال الرواد.

الخطوة الثالثة: إمكانية التخصص الحاد في أحد عناصر العمل الفني دون اللجوء إلى مناقشة بقية العناصر.

وفي مجال التراث العربي القديم للقصة فإن مندور أماط اللثام عن بعض الآراء التي قالت بأن القصة لها امتداد في تاريخنا يصل إلى ما قبل الإسلام، وأن أيام العرب وسيرها وما ظهر لديها من أساطير هي فن قصصي. ولكن ينبغي أن يكون هذا التراث الشعبي هو المادة الأولى للقصة العربية الحديثة. بل يذهب إلى أبعد من ذلك بقوله: «إننا لن نستطيع وضع أيدينا على تلك المؤثرات إلا عند المخضرمين من أدباء عرفوا في فن القصة من أمثال المويلحي وحافظ إبراهيم في «ليالي سطيح» وشوقي في «ورقة الآس» أو «مروج الذهب»، وكل هذه لا يمكن اعتبارها قصصًا إلا تجاوزًا. أما القصة بمعناها الصحيح فإنها لم تكن امتدادًا لهذا التراث».

ويؤيد مندور في ما ذهب إليه يحيى حقي من أن قصة «زينب» لهيكل تعد أول قصة عصرية في الأدب العربي. وكان هيكل قد كتبها وهو لا يزال طالبًا في باريس نحو ١٩١٠م وأنه كان في كتابتها أبعد ما يكون من المقامات وما تفرع عنها، وأقرب ما يكون إلى روح الرومانسية الفرنسية. بل جرؤ هيكل عندئذ أن يقيم قصته على عنصر الحب، وأن يجمع في تعبيره بين العامية والفصحى غير ملتزم النثر المرسل الفصيح فضلاً عن سجع المقامات.

مراجع البحث:

١ـ د. داود سلوم: محمد مندور والوساطة الفكرية بين الشرق والغرب، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٨٣م.
٢ـ د. محمد مندور: الأدب وفنونه، القاهرة، دار نهضة مصر.
٣ـ د. محمد مندور: المسرح، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٩م.
٤ـ د. محمد برادة: محمد مندور وتنظير النقد العربي، بيروت، دار الآداب ١٩٧٩م.
٥ـ د. محمد مندور: قضايا جديدة في أدبنا الحديث، بيروت، دار الآداب ١٩٥٨م.
٦ـ د. غالي شكري: محمد مندور الناقد والمنهج، بيروت، دار الطليعة ١٩٨١م.
٧ـ د. محمد مندور: معارك أدبية، القاهرة، دار نهضة مصر.

قضية للمناقشة

الاستنساخ الحيوي

فضيلة الشيخ

د. صالح بن سعد اللحيدان

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده.

أما بعد؛ فإنّ الله تعالى خلق العقل سليمًا من كل علّة أو شائبة، وجعله سليم النظر المعنوي وذلك لكي يكون هو مناط الحكم، ولهذا أُولي العقل أهمية بالغة في هذا الدين لأنه جوهر مهم، ولأنه محل التكليف، وهو إلى هذا شرف لمن مُنح إياه، وبخاصة العقل الموهوب الذي يقبل الحق وبه يعدل وينصف ويتجرد في حكمه ونظره وطرحه في الحياة العلمية والحياة العملية.

وإذا كان العقل سليمًا صافيًا وجاء النقل صحيحًا فإن مثل هذا العقل لا يعارض النقل بحال، وما يمكن قوله من المعارضة فإن هذا يُعدّ مماحكة أو سفسطة؛ إذ لا يمكن حصول معارضة بين نقل صحيح وعقل سليم؛ لكن العقل إذا مرض بسبب شبهة أو بسبب شهوة فإنه يخالف النقل الصحيح للسير على الشبهة أو السير على الشهوة. خذ مثلاً هذا النص الصحيح: «خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين»، وخذ مثلاً بيان العلل المرضية للعقل: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه». والنص صحيح.

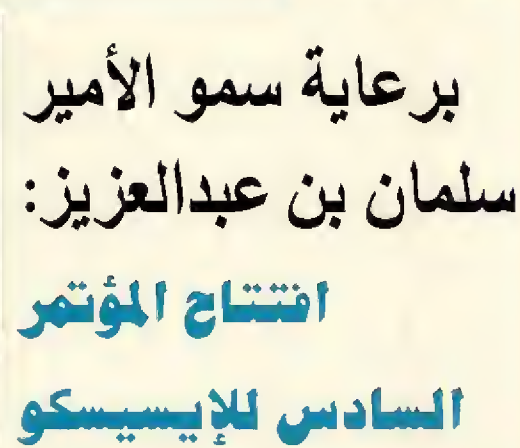
ولا ريب أن الاستنساخ عملية طبية علمية حاصلة مثلها كأي حدث طبي حصل مثل: زراعة الأعضاء، وطفل الأنبوب...إلخ. وهذه الضجة الحاصلة ما تبرح أن تزول كما زال غيرها. لكن في قضية الاستنساخ يختلف الحال لما قد يحصل من مرض في العقل الطبي فتحصل جنايات مروعة بسبب التلاعب بالجينات الوراثية كما في مسألة «تأجير الأرحام» وسواها. ولهذا فإن الاستنساخ يحسن بمن يهتم به أو يدخل فيه أن يجعل بين عينيه ضوابط ضرورية هي: النقل الصحيح، والعقل السليم، والأمانة، والشعور الصادق بالمسؤولية.

ذلك أن الاستنساخ عملية قد يدخلها خيانة أو تلاعب، وإن شئت قل: عبث؛ فتمتد الأيدي بعد ذلك إلى استغلال «فئة معينة» لعملية الاستنساخ فيُستَنْسَخُ جيل جديد من فئة عبقرية تكون وفقًا على جماعة معينة كاليهود مثلاً، فهذا محذور يجب أن يكون مثله على البال.

مع ما يحصل من محاذير أخرى كاستنساخ ما قد يكون حاملاً لمرض الإيدز أو لمرض عقلي أو عضوي. ومع ذلك كله فإن للاستنساخ قيمة طبية إذا روعي فيه ما ذكرته آنفًا كالقضاء على بعض الأمراض أو استنساخ الكلى والقلب والعين.

وفي الجملة فإنني أدعو الهيئات العلمية والشرعية للاجتماع والنظر في هذا الأمر مادام قد تقرر وجوده. وأرى من الضروري ترك العجلة حتى تتضح الصورة، ولا يمنع هذا من الاستفادة من أطباء عالميين في هذا الشأن لاكتمال الصورة حيال الاستنساخ ما له وما عليه.





برعاية سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز:

افتتاح المؤتمر السادس للإيسيسكو



صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبدالعزيز

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في السادس من شهر شعبان الماضي بالرياض حفل افتتاح المؤتمر العام السادس للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو)، بحضور فخامة رئيس جمهورية البوسنة والهرسك علي عزت بيجوفيتش، ومعالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري، وأصحاب المعالي وزراء التربية والتعليم بالدول الإسلامية.

وارتجل سموه في هذه المناسبة كلمة رحب فيها بالضيوف؛ مشيراً إلى أننا ـ نحن المسلمين ـ «في حاجة قصوى إلى أن نربي نشئنا وأجيالنا على التعاون والتحاب في الله، ولا شك أن التربية في هذا المجال عليها مسؤولية كبرى لتقريب وجهات نظرنا كشعوب إسلامية، بل أمة واحدة.. فمثل هذه المنظمة، وإن اختصت بنشاط معين؛ إنما يجب أن نشجعها هي ومثيلاتها حتى تغرس جذور التعاون والتواد بين شعوبنا ودولنا».

وشهد حفل الافتتاح كلمات لكل من معالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري رئيس الدورة، ووزير خارجية غانا الأستاذ لامير كامار رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة، والمدير العام للإيسيسكو الدكتور عبدالعزيز التويجري. وأجمعت كل هذه الكلمات على ضرورة أن يشارك العالم الإسلامي بمزيد من الفعالية في تحديد ملامح حضارة الغد، وأن يكون تطوير التعليم وسيلة فاعلة لأداء مثل هذه الدور.

وترأس الدكتور خالد العنقري حفل ختام فعاليات المؤتمر، وتلا التقرير الختامي له، في حضور وزير خارجية غانا، والمدير العام للإيسيسكو؛ وممثلي وزارات التربية في ٤٤ دولة إسلامية.

وتضمن التقرير الختامي العديد من القرارات التي اتخذتها اللجنتان المختصتان بالبرامج وبالمسائل المالية والإدارية

معرضان تشكيليان

برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب، نظمت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون معرضها التشكيلي الجماعي الخيري الثالث في نادي رجال الأعمال بالغرفة التجارية الصناعية بجدة.

من ناحية ثانية استضافت قرية المرسال السياحية المعرض الجماعي الأول بالقرية للفنانين التشكيليين، بمشاركة مجموعة من كبار فناني المملكة منهم: د. عبدالحليم رضوى، وطه صبان، وهشام بنجابي، وضياء عزيز ضياء، وعدنان فلالي، وآخرون.

اختتام المهرجان الخليجي للشعر والقصة

اختُتِمت في الأسبوع الأخير من شهر رجب الماضي أعمال مهرجان الشعر والقصة لشباب دول مجلس التعاون الخليجي.

وقد أقيمت فعاليات المهرجان على مسرح مدينة الملك فهد الساحلية في جدة برعاية فرع الرئاسة العامة لرعاية الشباب، واستقطب المهرجان ـ إضافة إلى المشاركين الذين يمثلون دول المجلس ـ جمهوراً كبيراً من المستمعين، معظمهم من الشباب، الذين ملؤوا المقاعد في أمسياته الشعرية وقراءاته القصصية وندواته النقدية.


الرئيس البوسني
علي عزت بيجوفيتش

والقانونية، والقرارات التي اتخذها المؤتمر العام في جلسته العامة، ومنها الموافقة على انتخاب الدكتور خالد العنقري رئيسًا للدورة السادسة، ونواب الرئيس من تشاد وماليزيا ومصر، والمقرر العام من سورية، ورئيس لجنة البرامج من بنجلاديش، ورئيس لجنة الشؤون الإدارية والمالية والقانونية من تونس.

وتمت الموافقة على انضمام البوسنة والهرسك عضوًا كاملاً في المنظمة، ودعوة الدول الأعضاء إلى دعم المنظمة، والمبادرة إلى دفع التزاماتها، وتم توجيه الشكر إلى المملكة العربية السعودية لاستعدادها لدعم جهود المدير العام بشأن بناء مقر دائم للمنظمة، ولتأكيدها استمرار تقديم كل أنواع المساعدة للمنظمة لتمكينها من أداء رسالتها الحضارية، ووُجِّهَت الدعوة إلى الدول الأعضاء لمنح مدينة القدس الشريف الأهمية القصوى في المحافل الدولية، مع تقديم التحية والتقدير للشعب الفلسطيني على صموده وتصديه لسلطات الاحتلال، وتمت دعوة الفرق الصومالية للمصالحة وجمع الشمل، كما أعيد انتخاب الدكتور التويجري مديرًا عامًا للمنظمة فترتين جديدتين مدة كل منهما ثلاث سنوات، بصفة استثنائية، تقديرًا لجهوده المتميزة التي يقوم بها.

ووجه المؤتمرون إلى ضرورة دعم المؤسسات التربوية والعلمية والثقافية الفلسطينية، والبحث عن مصادر تمويل لها.

ووجه المؤتمر الشكر لحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لاستضافة المملكة هذا المؤتمر وحسن الضيافة، كما قدموا شكرهم لجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية لتبرعه بأرض لبناء مقر المنظمة، ولسمو أمير دولة الإمارات العربية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لتبرعه ببناء مقر المنظمة وتأثيثه وتجهيزه.

وقال الدكتور خالد العنقري في كلمته: «إن ما تقدمه هذه المنظمة في سبيل إعداد الإنسان المعاصر المسلم، تربية وعلما وثقافة، عمل طموح يستدعي جهدًا كبيرًا متواصلاً وإمكانات معنوية ومادية؛ حتى نصون رسالة أمتنا الحضارية التي تتوارثها الأجيال».

أما الدكتور التويجري، فقد قال في كلمته: إن «الضغوط الدولية السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية تدعو الأمة الإسلامية دعوة ملحة إلى التلاؤم مع متغيرات العصر، من دون أن تتخلى عن خصائصها الحضارية، ومن دون التنازل عن حق من حقوقها التي جاهدت طويلاً من أجل اكتسابها».

وجامعة الإمام تمنح الرئيس البوسني الدكتوراه الفخرية في الدعوة

قام صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز بتسليم الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش شهادة الدكتوراه الفخرية التي منحتها له جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ وذلك تقديرًا لجهوده في سبيل الدعوة إلى الله وإعلاء كلمته، والدفاع عن حقوق الشعب البوسني المسلم؛ فضلاً عن سعة اطّلاعه وخبرته في الدفاع عن الحق.

وقال الدكتور خالد العنقري في حفل افتتاح أعمال المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الذي رعاه سمو الأمير سلمان: «إن ذلك كله كان من الحيثيات التي جعلت الرئيس البوسني مستحقًا لهذه الشهادة».

وقدم الرئيس بيجوفيتش شكره لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة، وقال: «إن تشريفي بالدكتوراه الفخرية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يمثل شرفًا كبيرًا لي، ومن الصعب أن أجد الكلمات المناسبة في هذه اللحظة لأعبِّر بها عن إحساسي بالفخر والاعتزاز»، وأضاف: «إن وقوف المملكة بجوار بلادي ودعمها وتأييدها المستمر لنضالها ضد العدوان الصربي الغاشم كان له الأثر الكبير في صمود شعبنا ورفع معنوياتنا في مواجهة العدوان».

وأشاد بالدور الكبير الذي يقوم به صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز رئيس الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك، والذي تمثل في إنجازات الهيئة في مجالات الإعمار وإعادة البناء وصيانة المساجد، والمشروع الكبير المتمثل في ترميم منازل برتشكو، وإنشاء مركز الأمير سلمان ومسجده في مدينة سراييفو.

«رؤى» ومناقشات حامية

أقام النادي الأدبي في حائل احتفالية بالعدد الأول من ملفه الدوري «رؤى» شارك فيها جمع من مثقفي المنطقة وأساتذة الجامعات والأدباء والنقاد.

حملت الاحتفالية عنوان «رؤى، ورؤى نقدية»، وشهدت مناقشة حامية الوطيس حول تقويم «رؤى» سلبًا وإيجابًا، أدارها د. عثمان العامر.

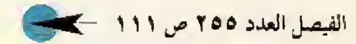
يذكر أن «رؤى» يرأس تحريرها إبراهيم العيد، ويدير التحرير أحمد إبراهيم، وقد تضمن عددها الأول مجموعة من الدراسات النقدية والإبداعات الشعرية والقصصية، إضافة إلى الفنون التشكيلية.

جائزة مكتب التربية في البحوث التربوية

أعلن مكتب التربية العربي لدول الخليج عن فتح باب تلقي الترشيحات لجائزة المكتب للإنتاج العلمي في مجال البحوث التربوية.

يُشترط في الأعمال المقدمة أن يكون المرشح من أبناء الدول الأعضاء في المكتب، وألا يكون العمل المقدم قد سبق أن نال جائزة أو شهادة علمية جامعية. وأن يكون البحث ملتزمًا المنهج العلمي ويمثل نظرية تعليمية تربوية أو إسهامًا مبتكرًا، أو يكون تحقيقا علميا مكتوبا باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث العربي الإسلامي. وفي حالة كون النشر بغير اللغة العربية يجب إرفاق مستخلص باللغة العربية، ويمكن قبول البحوث المترجمة التي تخدم الثقافة والتعليم في منطقة الخليج مع تقديم دراسة تحليلية وتقويمية للعمل لدى الاستفادة منه في المنطقة.

تُرسل طلبات الترشيح إلى المدير العام للمكتب: ص.ب ٩٤٦٩٣ الرياض ١١٦١٤، في موعد غايته الأول من أبريل ١٩٩٨م، ويمنح الفائز جائزة مقدارها مئة ألف ريال.

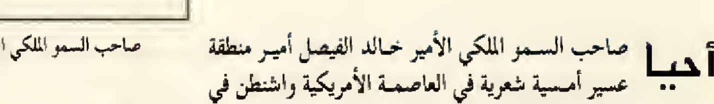


أمسيتان شعريتان للأمير خالد الفيصل

في واشنطن وبون



صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل



أحيا صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير أمسية شعرية في العاصمة الأمريكية واشنطن في مساء يوم ١٨ رجب الماضي، وذلك استجابة من سموه لرغبة العديد من الطلاب السعوديين في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد بدأ سموه الأمسية بتوجيه كلمة شكر إلى الحضور، وإلى الطلاب والطالبات الذين وجَّهوا الدعوة لسموه لإقامة أمسيته الشعرية ومعرضه الفني في واشنطن، وقال سموه في كلمته: «لقد تشرَّفت باستلام دعواتكم، وآسف على تأخير هذا اللقاء، ولكنه ولله الحمد تم، واسمحوا لي أن أشكر الدكتور مزيد المزيد، ومكتب الملحقية الثقافي في واشنطن على كل الأعمال الكبيرة والمجهودات الكثيرة التي بُذلت لتحقيق هذا اللقاء على هذا المستوى الرائع، ويتوج شكري وتقديري ما أتقدم به من محبة ومن تقدير ومن احترام لأخي صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلطان بن عبدالعزيز، وكل أعضاء السفار السعودية الذي غمروني بالحفاوة والتقدير».

وأضاف سموه: «جئت إليكم هذا المساء أحمل شعرًا عربي الهوية، سعودي النكهة، أطلقت عليه أسماء عديدة؛ فمنهم من سمَّاه الشعر النبطي، ومنهم من سماه الشعر الشعبي أو الشعر البدوي أو الشعر العامي، ولكنهم جميعًا أجمعوا على أنه شعر، والشعر الجيد بأي لغة وبأي لهجة هو الذي ينبع من القلب ويصل إلى القلب؛ فلا تحده حدود جغرافية ولا تحتكره لغة معينة».

وكانت بداية الأمسية بقصيدة كتبها سموه في الطائرة، وهو في طريقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، استعاد فيها ذكريات غربته طلبًا للعلم، وقد أهداها سموه إلى الطلبة والطالبات المغتربين.

وضمَّت الأمسية ـ التي امتدت أكثر من ساعة ونصف الساعة ـ كثيرًا من قصائد سمو الأمير خالد الفيصل القديمة والجديدة، وكان سموه حريصًا على إعطاء خلفية تاريخية عن كل قصيدة منها.

وفي ختام الحفل قدَّم الطلاب المبتعثون درعًا تذكارية هدية إلى سموه، وأعقب ذلك افتتاح المعرض الفني لسموه الذي استمر عدة أيام.

وكان من بين الحضور كثير من الشعراء العرب في واشنطن، وبعض أساتذة الجامعات الأمريكية، وعدد من أعضاء هيئة التدريس في قسم الدراسات العربية بجامعة جورج تاون بواشنطن.

صدور مجلة «السكري»

صدر في غرة رجب الماضي العدد الأول من مجلة «السكري» عن «السكري إنترنشيونال» بلندن، وهي أول مجلة في البلاد العربية تُعنى بداء السكر.

وحفل العدد بمقالات عديدة تناولت جوانب مختلفة، ومن أبرز عناوين هذه المقالات: من يصاب بداء السكري؟ ولماذا؟ داء السكري وارتفاع نسبة الدهون في الدم، الإعلام والسكري، المرأة وداء السكري، مريض السكري: كيف ينظم وجباته؟

والمجلة تصدر في أول كل شهر عربي، ويرأس تحريرها د. عدنان التركاوي، ويشرف عليها د. خالد الربيعان.

جراحة التجميل في مجلة «الأسرة»

تناولت مجلة «الأسرة» في عدد شعبان الماضي مجموعة من القضايا التي تهم

محاضرات وندوات

«رحلتي مع الكتاب»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد العاصمة النموذجي بالرياض، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

«الجامعات السعودية بين الطموح الأكاديمي والتأهيل الوظيفي»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض د. بكر بن عبدالله بن محمد بن بكر.

«التعليم المفتوح: اتجاه عالمي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي د. زهير بن أحمد السباعي.

«الملامح المميزة لثقافتنا الوطنية»، عنوان ندوة نظمها النادي الأدبي في حائل، شارك فيها كل من: د. راشد الراجح، وعبدالفتاح أبو مدين، وعبدالرحمن العبيد، وأدارها كريم النويمس.

«الفكر والعقيدة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الباحة الأدبي د. محمد ابن سعد الشويعر.

«واقع المثقف المصري في مواجهة التطبيع العربي الإسرائيلي»، عنوان محاضرة جماعية نظمتها مجلة العربي في الكويت، شارك فيها كل من: سعيد الكفراوي، وإبراهيم عبدالمجيد.

«تنسيق المعلومات في جميع مراحل المشروع»، عنوان محاضرة نظمها قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة والبترول في جامعة الكويت ألقاها د. مهندس نبيل قريطم.

«مصادر التاريخ الإسلامي ونقد الروايات»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي عبدالرحمن الفريح.

«ارتياد الفضاء في القرآن»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة الملك فيصل بالأحساء د. عبدالرحمن بن هشبول الشهري.

«المسلمون في أمريكا الوسطى»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي في بريدة الشيخ عبدالعزيز المسند.



وقد قام صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل خلال وجوده بواشنطن بزيارة أقسام السفارة السعودية، كما زار وزارة الداخلية الأمريكية، واطّلع على البرامج التي تنفذها الأجهزة الأمريكية المختصة في مجالات البيئة والمحافظة على الحياة الفطرية وتنمية المتنزهات والمحميات الطبيعية.

كما قام سموه بزيارة مكتبة الكونجرس وتجوّل في أقسامها المختلفة، وزار متحف الفنون الأسيوية، ومتحف فرير جاليري. وتضمنت جولات سموه زيارة مقر الأكاديمية السعودية، ومعهد العلوم الإسلامية، ومقر البنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومقر الصندوق الدولي بواشنطن.

وقد لقيت الأمسية الشعرية التي أحياها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أصداء واسعة في الصحافة الأمريكية، ووصفته صحيفة واشنطن تايمز الصادرة في ١٩ رجب الماضي بأنه «واحد من كبار الشعراء والرسامين في الخليج، بل يعد عملاقًا أدبيًا وفنيًا في العالم العربي».

وقالت صحيفة واشنطن بوست: إنه يندر في أمريكا حضور مثل هذا العدد الكبير في أمسية شعرية. وقد أجرت معه الصحيفة لقاء عن الشعر واللغة العربية، أوضح فيه سموه أن اللغة العربية لغة زاخرة بالمعاني. كما نشرت الصحيفة قصيدة لسموه باللغة الإنجليزية.

ومن واشنطن إلى بون امتد عبق الشعر، فقد أحيا سموه أمسية شعرية في أكاديمية الملك فهد في بون مساء الرابع من شهر شعبان الماضي حضرها عدد كبير من رجال الفكر والأدب والسياسة وأعضاء السلك الدبلوماسي في بون.

وقد بدأت الأمسية بكلمة ترحيب من سفير خادم الحرمين الشريفين وعميد السفراء العرب في ألمانيا الاتحادية السفير عباس فائق غزاوي قال فيها: «إننا هنا لنرحب بالأمير خالد الفيصل الشاعر والرسام الذي كان، ومازال، ملء الأسماع والأبصار فارسًا محلقًا في هذين المجالين، فلقد أثار الإعجاب والاهتمام بإبداعه الفني المميز الذي انتشر وعُرف في العالم العربي، وفي أنحاء مختلفة من العالم.. لقد تُرجمت أشعار الأمير إلى الإنجليزية وإلى الألمانية، وتترجم الآن إلى اللغة الفرنسية.. أما رسومه فقد ترجمت بنجاح بيئة الجزيرة العربية وأحاسيس إنسانها منذ القدم».

وقد عبَّر سمو الأمير خالد الفيصل عن شكره لأكاديمية الملك فهد لاستضافتها الأمسية، وللسفير عباس فائق غزاوي سفير خادم الحرمين الشريفين ورئيس مجلس أمناء الأكاديمية لدعوته لإقامة هذه الأمسية، وتوجّه سموه إلى الله بالدعاء أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الذي أمر بإنشاء هذا الصرح العلمي.

وتطرق سموه إلى الشعر المحلي السعودي، فقال: إنه «استطاع أن يعبر عن هموم الأمة، ويعالج جميع مشكلات المجتمع بأسلوب مثقف، وقد أدى انتشار هذا النوع من الشعر أن تكاثرت المجلات والصفحات الشعبية التي تعنى به».

وقد ألقى سموه عددًا كبيرًا من قصائده، موضحًا مناسبة كل قصيدة منها.

وعقب الأمسية قام سمو الأمير خالد الفيصل يرافقه سمو الأمير بندر بن سعود وسمو الأمير بندر بن خالد الفيصل والسفير عباس غزاوي والسفراء العرب والحضور بافتتاح المعرض الفني التشكيلي المصاحب للأمسية، الذي ضم عددًا كبيرًا من اللوحات المعبرة عن البيئة السعودية.

الأسرة العربية، وكان الموضوع الرئيس عن جراحة التجميل، وجاء في شكل تحقيق شامل تناول أسبابها الاجتماعية والشرعية والنفسية، وعرض آراء مجموعة كبيرة من المرضى والجراحين وعلماء الدين.

كما تضمن العدد تقريرًا عن استخدام وسائل السلامة في السيارات، والجهود التي تبذلها مصانع السيارات في تطوير تلك الوسائل. وأجرت المجلة حوارًا مع الدكتور إبراهيم أبو عباة رئيس جهاز الإرشاد والتوجيه الديني في الحرس الوطني السعودي. وعن أساليب مواجهة الخلاف بين الزوجين كتب د. محمد بن لطفي الصباغ، وفي العدد إجابة عن سؤال «التقسيط: فرصة أم قرصة؟»، إضافة إلى مقالات أخرى متنوعة تتعلق بواقع الأسرة العربية.

كتب جديدة

ببليوجرافيا الدراسات الغربية حول

«المستقبليات وتحديات القرن المقبل»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي ببريدة د. حسن وجيه.

«اتساع العبارة وتمطية المقولات: الكتابات المتعلقة بالسرد في الدوريات المحلية»، موضوع محاضرة ألقاها في مقر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض د. عثمان الصيني.

«مرض السكري والوضع في الإمارات أثناء الطفولة والحمل»، عنوان محاضرة ألقاها في مبنى الطب الوقائي في دبي د. عبدالرزاق مدني.

«أهمية وسائل الاتصال الحديثة في خدمة تراث المدينة المنورة»، موضوع محاضرة ألقاها في نادي المدينة المنورة الأدبي د. عبدالباسط بدر.

«دور الرياضة في أمراض العصر»، موضوع محاضرة ألقاها في جامعة الكويت د. مصطفى جوهر.

«العقاد مفكرًا وأديبًا»، موضوع ندوة نظمها اتحاد الكتاب المصري بالقاهرة، وشارك فيها الدكاترة: مصطفى الشكعة، وعبدالمنعم تليمة، وصلاح فضل.

«التجربة الشعرية بين البحرين والمملكة العربية السعودية»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة المعهد الصناعي بجدة د. علوي الهاشمي.

«مرض السكر ليس فقط ارتفاعًا في نسبة السكر»، عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى الحمادي بالرياض د. آلان باتريك.

«أبو العلاء المعري»، ندوة نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في سورية تحت رعاية الدكتورة صالحة سنقر رئيسة المجلس ووزيرة التعليم العالي، وامتدت من ٢٤ إلى ٢٧ نوفمبر/ تشرين الثاني بمعرة النعمان، وشارك فيها عدد كبير من الأدباء والمفكرين، قدموا قرابة ٣٥ بحثًا تناولت الجوانب المختلفة لشخصية أبي العلاء المعري.

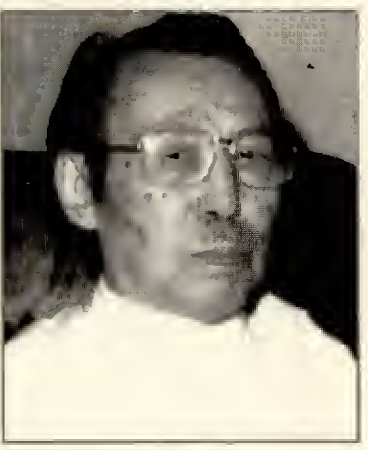
«ما المأثور القولي؟»، عنوان محاضرة ألقتها في رابطة الأدباء بالكويت د. وسمية عبدالمحسن المنصور.

«الرمز والأسطورة في الشعر الحديث»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة الملك فيصل بالأحساء د. إبراهيم الحاوي.

«الإعلام والتعليم: خصام أم وئام»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية المعلمين بأبها د. علي موسى عسيري.

وفاة عزيز ضياء

أحد رواد الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية



عزيز ضياء

توفي في اليوم السادس من شهر شعبان الماضي الأديب عزيز ضياء أحد رواد الأدب والثقافة في المملكة العربية السعودية.

وقد ولد الأديب الراحل بالمدينة المنورة في ١٢ ربيع الأول عام ١٣٣٢هـ الموافق ٢٢ يناير ١٩١٤م، بينما يذكر دليل الكاتب السعودي أنه من مواليد ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، وتلقى تعليمه الأولي في كتاتيب المدينة المنورة، ثم في المدرسة الراقية الهاشمية. وفي عام ١٣٤٥هـ التحق بمدرسة الصحة بمكة المكرمة، ولم يمكث فيها أكثر من عام. وقد تقلّب في عدة مناصب حكومية؛ فعمل كاتبًا في الصحة، ثم في الأمن العام، والدفاع، والخطوط الجوية العربية السعودية، ومارس العمل الحر، فأنشأ مؤسسة الشرق الأوسط للإعلان والثقافة والنشر بجدة.

كما تولى إدارة مطابع مؤسسة الصحافة والطباعة والنشر بجدة، وتولّى رئاسة تحرير جريدة عكاظ (١٨محرم - ٢١ شوال ١٣٨١هـ)، كما تولى رئاسة تحرير جريدة المدينة المنورة في عام ١٣٨٤هـ، وعمل مذيعًا ومترجمًا في الهند مدة عامين، ثم عاد فعمل مديرًا لمكتب مراقبة الأجانب، فوكيلاً للأمن العام للمباحث والجوازات والجنسية.

وللراحل عدد كبير من المؤلفات، من أهمها: «حمزة شحاته: قمة عُرفت ولم تُكتشف» ١٣٩٧هـ، «عهد الصبا في البادية لإسحاق الدقس» (رواية مترجمة) ١٤٠٠هـ، «قصص من سومرست موم» (ترجمة) ١٤٠١هـ، «النجم الفريد» (قصص مترجمة) ١٤٠٢هـ، «قصص من تاغور» (ترجمة) ١٤٠٣هـ، «العالم عام ألف وتسعمئة وأربعة وثمانين لجورج أورويل» (رواية مترجمة) ١٤٠٤هـ، ماما زبيدة (مجموعة قصصية) ١٤٠٤هـ.

وأصدرت له مؤسسة تهامة مجموعة من حكايات الأطفال ضمت عشر قصص، منها «سعاد لاتعرف الساعة»، «نار الزينة»، «توزتة الفراولة» (مترجمة)، «الكؤوس القضية»، «السيارات السحرية».

ويعد كتابه «حياتي مع الجوع والحب والحرب»، بأجزائه الثلاثة، ترجمة لسيرته الذاتية، وتأريخًا لمرحلة مهمة من تاريخ المملكة العربية السعودية والعالم، وهو يحكي في هذا الكتاب ما لاقاه من صعوبات بالغة في الحصول على التعليم الذي يتناسب مع طموحاته، وتأثيرات الحرب العالمية الثانية في مسار حياته. وقد أفاد من تجارب حياته في تعلُّم عدة لغات ، فأتقن الإنجليزية والفرنسية والتركية.

وقد شارك الأديب الراحل في بناء النهضة الأدبية السعودية في مجالات القصة والشعر والمقالة والنقد، وهو من أوائل الذين كتبوا القصة القصيرة في المملكة، فقد نشرت له جريدة الحجاز عام ١٣٥٧هـ قصة «الابن العاق»، كما أنه من أوائل الذين كتبوا الدراما للإذاعة والتلفاز.

البداوة في الأقطار العربية، تأليف د. أبو بكر أحمد باقادر، صدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

أوراق من هذا العصر، ديوان للشاعر خالد محيي الدين البرادعي، صدر عن منشورات عبدالمقصود خوجة في جدة.

الإمارات

صندوق لدعم الشعر والشعراء

قرر حاكم الشارقة عضو المجلس الأعلى لدولة الإمارات الشيخ د. سلطان بن محمد القاسمي إنشاء صندوق لدعم الشعر تحت مسمى «صندوق تكافل الشعراء».

شمل القرار وضع مليوني درهم في الاستثمار للاستفادة من عوائدها في تحقيق أهداف الصندوق، الذي يرمي إلى ضمان حياة آمنة مستقرة لأعضائه، ودعم الشعر وبرامجه.

تشرف على الصندوق وتسيِّر أموره دائرة الثقافة والإعلام بالإمارة.

إدوارد سعيد ينال جائزة العويس للإنجاز الثقافي



د. إدوارد سعيد

مُنح الكاتب والمفكر الأمريكي ذو الأصل الفلسطيني د. إدوارد سعيد جائزة سلطان العويس للإنجاز الثقافي والعلمي في دورتها الخامسة لعامي ٩٦ و ١٩٩٧م.

وجاء في حيثيات قرار منح الجائزة: إن د. سعيد أحد المفكرين العرب الذين أسهموا بدور فاعل وجاد وطويل في الكتابة في أخطر القضايا التي تهم الوطن العربي عمومًا، والقضية الفلسطينية بشكل خاص، وهو، في الوقت نفسه، ناقد متخصص وأستاذ أكاديمي وباحث مثابر.

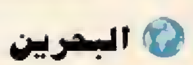
ونال د. سعيد الجائزة في التصفية النهائية التي دخلتها أسماء ٨ مرشحين من أصل ٣٠ مرشحًا لهذا الحقل.

جائزة لشاعرة سعودية

مُنحت الشاعرة السعودية صالحة حسن زاهر الأسمري الجائزة الأولى في مجال الشعر لمسابقة راشد بن حميد للثقافة والعلوم في دورتها الرابعة عشرة.

وتعد هذه المسابقة واحدة من أبرز مسابقات الشعر الخليجية، وتنظمها جمعية أم المؤمنين بالإمارات.





البحرين

ندوة حماية حقوق المؤلف

نظمت إدارة المطبوعات والنشر ـ مؤخرًا ـ ندوة في المنامة حول أحدث قوانين حماية حقوق المؤلف.

تطرقت الندوة لمناقشة عدة موضوعات مهمة، منها: سبل مكافحة الاستغلال غير المشروع لحقوق المؤلفين والمبدعين، والتشريعات التي اتخذتها الدولة لتحقيق هذا الهدف، والجهود المبذولة لحماية السوق البحريني من تسرب المواد المقرصنة إليها من الخارج.

من الكتب الجديدة

كف مريم، رواية لعبدالقادر عقيل، صدرت عن دار الكلمة في المنامة.

الكويت

مهرجان القرين الثقافي

عاشت الكويت أيامًا ثقافية غنية بافتتاح مهرجان القرين الثقافي الرابع بما حواه من نشاطات متنوعة.

وإلى جانب الندوة الرئيسة «عالم الفكر» التي بحثت في الليبرالية والاستشراق واستشراف المستقبل، أقيمت مجموعة من المحاضرات واللقاءات. وتم تكريم الفائزين بجائزة الدولة لعام ١٩٩٥م، وهم: أيوب حسن (فنون تشكيلية وتطبيقية)، عادل عبدالغني (البحث التاريخي والآثاري)، ثريا البقصمي (أدب الطفل)، غنام الديكان (دراسات نقدية موسيقية)، ويوسف إبراهيم (اقتصاد).

واكب المهرجان معرض الكويت الثاني والعشرون للكتاب بمشاركة ٢٢ دولة عربية وأجنبية، إضافة إلى منظمات محلية ودولية، عرضت مليونين وثلاثمئة ألف كتاب، إلى جانب ٨١ عنوانًا باللغة العربية للطفل العربي و١٧٩ عنوانًا بلغات أجنبية.

ونال كتاب «تدمير آبار النفط في الوثائق العراقية» الصادر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية جائزة أفضل كتاب عن الكويت، ونال كتاب «حراس الخليج» الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر للمترجم نبيل زكي جائزة أفضل كتاب مترجم إلى اللغة العربية في الفنون والآداب، وتقاسم كتابا «أصول الخيل العربية الحديثة» الصادر عن دار اليمامة لمؤلفه الشيخ حمد الجاسر و«مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال» الصادر عن دار المعارف في مصر لمؤلفه د. عبدالمطلب أمين، جائزة أفضل كتاب في الفنون والآداب والعلوم الإنسانية.

واحتفت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بالفائزين بجائزة الكويت لعام ١٩٩٦م التي تمنحها المؤسسة، واقتصر منح الجائزة على ثلاثة فروع من أصل خمسة هي: العلوم الأساسية وفاز بها د. أبو اليزيد عمار (مصر) عن «علم الحشرات»، والعلوم التطبيقية ونالت جائزتها د. عافصة البحري (تونس) عن «علم النفايات»، ونال جائزة التراث العلمي العربي والإسلامي د. جورج صليبا (لبنان) عن «علم الفلك».

كتب جديدة

المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تأليف ماريا لويز برنيري، ترجمته إلى العربية عطيات أبو السعود.

الاقتصاد السياسي للبطالة: تحليل لأخطر مشكلات الرأسمالية المعاصرة، تأليف رمزي زكي.

التصريحات الكاذبة، مسرحية ماريفو، ترجمها إلى العربية يوسف البدري، وراجعها رضا الجمل.

الخادمات، مسرحية جان جينيه، ترجمتها إلى العربية حنان قصاب، وراجعها رضا الجمل.

موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تأليف ر.هـ. روبنز، ترجمه إلى العربية أحمد عوض .

صدرت الكتب الخمسة السابقة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

المؤسسات الثقافية الأولى في الكويت، تأليف مبارك الخاطر.

الأبطال، رواية لعلي محمد البداح.

حزب الدعوة الإسلامية: ظروف النشأة والفكر الحركي، تأليف د. حامد عبدالله.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار قرطاس للنشر.

اليمن

أسبوع ثقافي جزائري

نظمت السفارة الجزائرية في صنعاء بالتعاون مع وزارة الثقافة والسياحة اليمنية ـ مؤخرًا ـ أسبوعًا ثقافيًا جزائريًا.

تضمن الأسبوع أمسيات شعرية ومحاضرات وندوات ثقافية وفكرية وتاريخية، إضافة إلى عروض سينمائية.

وفاة القاص حسين باصديق

نعت الأوساط الثقافية والأدبية اليمنية القاص حسين سالم باصديق الذي توفي عن عمر ناهز ٦٥ عامًا.

وقال بيان أصدرته الأمانة العامة لاتحاد أدباء اليمن وكُتّابها: إن القاص الذي توفي في عدن قضى أكثر من نصف عمره في عطاء إبداعي وفني شكل إضافة مهمة إلى المكتبة اليمنية في القصة القصيرة والرواية والدراسات الأدبية، إضافة إلى جهوده وعطائه في مجال التربية والتعليم.

العراق

من الكتب الجديدة

رباعيات العشق، مجموعة قصصية لكريم حسن.

نقد الرواية العراقية: محاولة في تحديث المنهج، تأليف د. علي عباس علوان

صدر الكتابان السابقان عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد.



 مصر

افتتاح متحف النوبة

افتتح الرئيس محمد حسني مبارك في احتفال عالمي كبير بالأقصر حضرته شخصيات عالمية متحف آثار النوبة، الذي يعد أول مركز علمي متخصص في التراث الحضاري للنوبة.

يضم المتحف ما يزيد على ثلاثة آلاف قطعة أثرية نادرة تنتمي إلى عصور مختلفة، وتم تقسيمه خمسة أقسام رئيسة يعبر كل قسم منها عن مرحلة تاريخية أو ناحية موضوعية.

مشروع ثقافي قومي

يعتزم المجلس القومي للثقافة والإعلام وضع الخطوط الرئيسة لمشروع قومي عام للثقافة يرصد القضايا المؤثرة في التنمية الثقافية في إطار رؤية مستقبلية تركز على إزالة المعوقات أمام نشر الثقافة القومية، وتشجيع الأعمال الثقافية الجادة، والتبادل الثقافي مع دول العالم عامة والدول العربية خاصة.

تتضمن الملامح الأساسية للخطة ضرورة العناية بالمناطق الأثرية والحفاظ عليها، بإنقاذ الآثار المهددة بالعوامل الطبيعية والبشرية، وتطوير المناطق الأثرية عامة.

معرض القاهرة الدولي لكتب الأطفال

شارك ٤٠٠ ناشر ينتمون إلى ٣٣ دولة عربية وأجنبية في معرض القاهرة الدولي الرابع عشر لكتب الأطفال.

ومن خلال ٣٥٢ جناحًا عُرض ما يزيد على المليون ونصف المليون كتاب، وأقيمت نشاطات ثقافية وفنية متعددة شاركت فيها جمعية الرعاية المتكاملة، والمجلس العربي للطفولة، والمجلس العالمي لكتب الأطفال، والجمعية المصرية لحق الطفل في اللعب. وكان موضوع الندوة الرئيسة «ثقافة الطفل بين الكتب المطبوعة والكتب الإلكترونية»، وشارك فيها مجموعة من الأدباء والمتخصصين.

كما أقيمت لقاءات عالمية لكبار الخبراء في أدب الأطفال ورسوم الكتب، فضلاً عن ندوات فنية ومعرض للحاسب الآلي واستخداماته، وأقيمت قرية الإنترنت لطفل القرن الحادي والعشرين، إلى جانب معارض تشكيلية وفنون شعبية وعروض مسرح وفيديو وسينما وفرقة كورال.

عودة بينالي الإسكندرية

بعد غياب دام أربعة أعوام، عاد بينالي الاسكندرية الدولي إلى الساحة بإشراف من وزارة الثقافة، ومشاركة ٧٩ فنانًا ينتمون إلى ١٣ دولة، قدموا ١٥٠ عملاً تشكيليًا.

ويعد بينالي الإسكندرية أقدم تجمع فني من نوعه في العالم بعد بينالي فينيسيا. وبقدر فرحة الفنانين بإعادة افتتاح البينالي، كانت سعادتهم بفوز الفنان المصري محمد عبلة بالجائزة الكبرى للبينالي.

وكرَّم البينالي في دورته التاسعة عشرة عددًا من الفنانين المصريين بإقامة معارض خاصة لهم، والمكرمون هم: محمد حامد عويس، والراحلون: أحمد عثمان، وكامل مصطفى، وحامد ندا، ومرجريت نخلة. كما أقيم ملتقى فكري أداره د. أحمد السطوحي وشارك فيه فنانون من مصر ولبنان وسورية وإيطاليا وإسبانيا.

ندوة «الترجمة وثقافة الطفل»

نظم المجلس الأعلى للثقافة ندوة بالقاهرة عن «الترجمة وثقافة الطفل» خلال يومي ١٣و١٤ شعبان الماضي (١٣و١٤ ديسمبر ١٩٩٧م).

رمت الندوة إلى تعميق ثقافة الطفل العربي من خلال الترجمة، وربطه بروائع الأدب العالمي، وتوسيع مداركه، وشارك في أعمالها عدد من المتخصصين في الكتابة للطفل، حيث ناقشوا عدة موضوعات من

رسائل جامعية

«التحليل السيسيولوجي الاجتماعي لتأثير الإعلام التلفازي في أنماط الاستهلاك في الأسرة السعودية.. دراسة ميدانية على مدينة الرياض»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها صاحب السمو الملكي الأمير سيف الإسلام بن سعود بن عبدالعزيز.

«المقالة الأدبية والنقدية عند د. عبدالعزيز شرف»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العربية والإسلامية في الإسكندرية، تقدمت بها وجيهة محمد المكاوي.

«أثر العوامل الجغرافية على فعالية حرس الحدود في مواجهة تهريب المخدرات»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، تقدم بها سعيد عائض القحطاني.

«الأساس التاريخي والفلسفي لمبدأ الفصل بين السلطات»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية، تقدم بها محمد عبدالوهاب خفاجي.

«بعض الصعوبات العارضة في أداء المنطقة الحادة بصوت السوبرانو»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في أكاديمية الفنون بالقاهرة، تقدمت بها نسرين السكري.

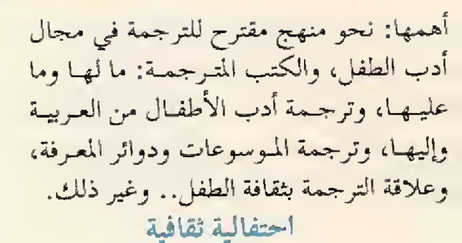
«الأندلس في الأدب المعاصر في مصر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها عبدالله عبدالحليم عبدالله.

«هندسة الاتصالات والإشارة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في إمبريال كولدج بجامعة لندن، تقدم بها إسماعيل محمد مهدي شمس الدين.

«شعر الصعاليك في العصر الحديث»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدم بها عاطف بهجات.

«طرق مبرمجة لإيجاد أصفار كثيرات الحدود»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الهندسة بالمنصورة في مصر، تقدم بها مجدي زكريا رشاد محمد.





أهمها: نحو منهج مقترح للترجمة في مجال أدب الطفل، والكتب المترجمة: ما لها وما عليها، وترجمة أدب الأطفال من العربية وإليها، وترجمة الموسوعات ودوائر المعرفة، وعلاقة الترجمة بثقافة الطفل.. وغير ذلك.

احتفالية ثقافية
بذكرى د. خليف

نظم المجلس الأعلى للثقافة احتفالية بمناسبة مرور ٧٥ عامًا على مولد الناقد الراحل د. يوسف خليف.

ناقشت الاحتفالية التي شارك فيها مجموعة من أبرز النقاد والباحثين إسهامات د. خليف الأدبية وفي الحياة الثقافية بشكل عام.

يذكر أن د. خليف أحد الذين كرمتهم جائزة الملك فيصل العالمية بمنحه الجائزة في مجال الأدب العربي.

معرض تشكيلي

أقامت الفنانة التشكيلية السودانية مايسة طه إبراهيم معرضها الفردي الأول في الثالث عشر من الشهر الماضي بمقر الجمعية الإفريقية بحي الزمالك بالقاهرة.

ضم المعرض أكثر من أربع عشرة لوحة تمزج بين الأسلوبين الطبيعي والرمزي. وقد سبق للفنانة أن شاركت من قبل في عدد من المعارض الجماعية التي أقيمت بالقاهرة.

دورية
«الفلسفة وقضايا العصر»

تصدر مع مطلع شهر يناير ١٩٩٨م دورية فلسفية باسم «الفلسفة وقضايا العصر» عن المجلس الأعلى للثقافة.

يرأس تحرير الدورية أنور عبدالملك، وتسعى إلى بناء جسور معرفية قوية بين التيارات الفلسفية الفاعلة في الثقافة العربية.

كتب جديدة

حي بن يقظان، أربعة نصوص تراثية، تأليف د. يوسف زيدان، صدر عن الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة بالقاهرة.

محاضرات في ديانة الساميين، تأليف روبرتسن سميث، ترجمها إلى العربية د. عبدالوهاب علوبة، وراجع الترجمة وقدم لها د. محمد خليفة حسن، وصدرت عن المجلس الأعلى للثقافة.

متعة تذوق الشعر: دراسات في النص الشعري وقضاياه، تأليف د. أحمد درويش، صدر عن مكتبة غريب.

خرائط للموج، رواية لسهام بيومي، صدرت ضمن سلسلة روايات الهلال عن دار الهلال.

الآثار الإسلامية في الوطن العربي، تأليف أحمد يحيى إسماعيل، صدر عن دار المعارف.

صور وأسرار من حياة الكبار، كتبها أمير الزهار، وصورها فاروق إبراهيم، وصدرت عن بري برس للكمبيوتر.

السودان

تكريم شخصيات

كرَّمت الحكومة السودانية عددًا من الشخصيات البارزة بمنحهم وسام العلوم والفنون والآداب.

محمد الفيتوري

والمكرمون هم: الشاعر محمد مفتاح الفيتوري، وإبراهيم الدقش، ود. الصديق محمد الأمين الضرير، ود. الهادي أبو بكر إسحاق، والسيد البسطاوي بغدادي، ود. أكولدا مانيتر، والراحلان: د. زكية عوض ساتي، وبشير محمد سعيد.

«أداء العاملين في مستشفيات حلب»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في مركز البحوث بكلية التجارة في جامعة عين شمس، تقدم بها عبدالمحسن عبدالسلام نعساني.

«تطوير خدمة الأكولات في منطقة الوادي الجديد»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية السياحة والفنادق بالقاهرة، تقدم بها هشام الإمام.

«بعد المتخيل عند جاك لاكان: دراسة في نماذج الحكاية الشعبية الخرافية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها وفاء مسعود الحديني.

«احتساب عثمان بن عفان رضي الله عنه»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها مهنا بن سليمان بن عبدالله المهنا.

«الدراسات التطبيقية في الجيولوجيا الهندسية لحماية الآثار التاريخية في منطقة الدير البحري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة وارسو في بولندا، تقدم بها عبدالفتاح السعيد البنا.

«تحليل الرمز في مسرح صلاح عبدالصبور»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها صلاح محمد شفيع.

«أثر العوامل التنظيمية الرسمية على فاعلية الأداء بالخدمات الطبية في الحرس الوطني: دراسة تطبيقية على مستشفى الملك خالد للحرس الوطني بجدة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، تقدم بها مقدم جرمان أحمد الشهري.

«تحقيق دراسة جزء من مستخرج أبي عوانة من أول كتاب العتق إلى نهاية أبواب النذر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها عبدالكريم بن إبراهيم آل غضية.

«الأوقاف والسياسة في مصر الحديثة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها إبراهيم البيومي غانم.

«شعر عبدالرحمن صدقي: دراسة فنية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها إيهاب محمد علي النجدي.

الأردن

مجمع عربي لحقوق الامتياز

تأسس في عمان أول مجمع عربي لحقوق الامتياز ونقل التقنية، بهدف معالجة شؤون الملكية الفكرية من خلال جمعية مهنية وتعليمية لا تسعى إلى الربح، وتعزز المستويات والأخلاق المهنية الرفيعة.

ويسعى المجمع إلى استقطاب المتخصصين في مختلف المجالات ورجال الأعمال والقانونيين لصياغة توجهات عربية في مجاله، يمكنها أن تتماشى مع المتغيرات العالمية من خلال نظام لتسوية المنازعات كافة.

كتب جديدة

مسيرة العشب، مجموعة شعرية لزهير أبو شايب، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان.

للشمس جنون آخر، مجموعة قصصية لانتصار عباس، صدرت عن دار الفارس للنشر.

لبنان

افتتاح المتحف الوطني

تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية إلياس الهراوي، أعيد افتتاح المتحف الوطني في بيروت بعد إغلاق دام ما يزيد على ٢٢ عامًا.

وتُعرض في المتحف - في المرحلة الأولى من الافتتاح - القطع الكبيرة من الآثار التي تضمها قاعة «الحكماء السبعة»، وتضم عددًا من النواويس والتماثيل وتيجان الأعمدة، على أن يتم عرض باقي المحتويات حين تكتمل المرحلة الثانية.

كتب جديدة

مدفن الكبوشيين، رواية لجوزف روث، ترجمتها إلى العربية ماري طوق.

لبنانيون في المنسى، مجموعة قصصية لعادل صوما.

صدر الكتابان السابقان عن دار الفارابي للنشر في بيروت.

سيد الطيور، مجموعة نصوص وقصص لعبدالله التعزي، صدرت عن دار الجديد.

لبنانيات، تأليف جورج خضر، صدر عن دار النهار للنشر.

موسوعة الأدب الفلسطيني، مجلدان، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

اغتيال التاريخ: ردًا على نتنياهو في كتابه: مكان تحت الشمس، تأليف حمدان حمدان، صدر عن دار بيسان.

فلسفة النوابت، تأليف فتحي المسكيني، صدر عن دار الطليعة.

جاك بريفير - خمسون قصيدة، ترجمها إلى العربية عبده وازن، وصدرت عن دار النهار.



سورية

جائزة البياتي للشعراء العرب الشبان

تأسست في دمشق جائزة جديدة تحمل اسم جائزة «عبدالوهاب البياتي الشعرية» تمنح سنويًا لأفضل ديوان لشاعر عربي شاب أو أكثر داخل الوطن العربي أو في المهجر.

وأعلنت الأمانة العامة للجائزة عن فتح باب الترشيحات شرط ألاّ يكون الشاعر المتقدم للجائزة قد أصدر ديوانًا مطبوعًا، وألا يزيد عمره على ٣٥ عامًا من تاريخ التقدم للجائزة مع إرفاق السيرة الذاتية، وأن ترسل الأعمال مطبوعة على الآلة الكاتبة أو بخط واضح على عنوان الجائزة: محمد مظلوم - جائزة عبدالوهاب البياتي الشعرية، ص.ب ٣٤٣٨٧ دمشق، في موعد غايته الأول من مايو ١٩٩٨م.

اللغة العربية: الحاضر والمستقبل

نظم مجمع اللغة العربية بدمشق - مؤخرًا - ندوة بعنوان «اللغة العربية: ملامح الحاضر وآفاق المستقبل» استمرت أربعة أيام.

دارت محاور الندوة حول مشكلة الأداء في اللغة العربية، وأسباب الضعف ووسائل العلاج، والتعريب، وتيسير مباحث اللغة العربية، وإعادة صوغ القواعد العربية، وموضوعات أخرى.

معرض تشكيلي

شارك ٢٥ فنانًا وفنانة بـ ٧٥ عملاً تشكيليًا في المعرض التشكيلي الثاني للصحافيين الفنانين.

أقيم المعرض في رحاب المركز العربي بالمزة، وافتتحه وزير الإعلام د. محمد سلطان.

كتب جديدة

خُطى كتبت علينا، رواية لناديا شومان، صدرت عن دار الحصاد في دمشق.

شتاءات قصيرة، مجموعة شعرية لرولة حسن.

المياه في الشرق الأوسط: إلماحات قانونية وسياسية واقتصادية، إعداد ج.أي. ألن، وشبلي ملاط، وترجمه إلى العربية محمد أسامة قوتلي.

صدر الكتابان السابقان عن وزارة الثقافة.

الطريق إلى سرايفو، رواية لغالب حمزة أبو الفرج، صدرت عن دار القلم العربي في حلب.

أزمة التنوير، تأليف عبدالرزاق عيد، صدر عن دار الأهالي للطباعة والنشر.

الأسطورة والمعنى: دراسة في الميثولوجيا والديانات الشرقية، تأليف فراس السواح، صدر عن دار علاءالدين.

فلسطين

قانوني وخبير إسرائيلي: المسلمون يملكون حائط المبكى

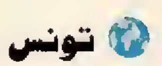
«إسرائيل لا تملك حائط المبكى قانونًا» هذا ما أعلنه محام وخبير إسرائيلي في شؤون الأماكن المقدسة في بحث نشره معهد القدس الخاص للدراسات الإسرائيلية.

وقال الباحث الإسرائيلي شموئيل بركوفيتس: إن الجدار الذي يعد أكثر المزارات قداسة لدى اليهود تمتلكه قانونا دائرة الأوقاف الإسلامية التي ترعى المزارات المحيطة بالحائط في القدس القديمة.

إلا أن بركوفيتس قال لمندوب وكالة رويتر: إن النتائج التي توصل إليها سيكون



لها تأثير ضئيل في المحادثات الفلسطينية ـ الإسرائيلية في المستقبل، حيث إن الحجج السياسية، وليس الجوانب القانونية الفنية، هي التي ستحدد وضع الأماكن المقدسة في المدينة.



تونس

اختتام ندوة الحوار مع الثقافات الأخرى

اختتمت ـ مؤخرًا ـ في قصر النجمة الزهراء في تونس أعمال ندوة «الحوار بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى» التي نظمتها المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع وزارة الثقافة التونسية.

شارك في الندوة مفكرون من أقطار عربية مختلفة، وتضمنت مناقشاتها مداخلات حول قضايا التفاعل الثقافي بين الثقافة العربية والثقافات في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وأفقها في ظل النظام العالمي الجديد.

الجزائر

ندوة: الإنسان في الكتب السماوية

نظم المعهد الجزائري للتعليم العالي للحضارة الإسلامية في وهران ندوة عن «الإنسان في الكتب السماوية».

شارك في الندوة علماء ومفكرون من عدة بلدان عربية وأوربية، قدموا قرابة ستين محاضرة ومداخلة تناقش سبعة محاور، تدور حول موقع الإنسان في الكتب السماوية من النواحي العقلية والخلقية والروحية والاجتماعية والعلمية.

المغرب

دعوة للاسهام في ترميم مخطوطات جامعة القرويين

دعت ندوة «جامعة القرويين في أفق القرن الحادي والعشرين» في ختام أعمالها في مدينة فاس المنظمات الإسلامية والدولية والجامعات إلى تقديم العون والدعم لترميم مخطوطات جامعة القرويين وصيانتها وتحقيقها والحفاظ عليها.

وأكد المشاركون في الندوة ضرورة تنسيق جهود الجامعات الإسلامية في التقريب بين المذاهب الإسلامية، والاهتمام بدراسة ظاهرة التطرف الديني، ونوهوا ببرنامج المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) الخاص بالاحتفاء بكبار المفكرين المسلمين والمؤسسات الإسلامية الكبرى.

يذكر أن الندوة نظمتها الجامعة بالتعاون مع (الإيسيسكو) بهدف صياغة رؤية شاملة حول طبيعة المنهج المطلوب تبنّيه لنقل الجامعة إلى واقع القرن المقبل.

كتب جديدة

ورد من زناتة، ديوان للشاعرة أمينة المريني، صدر عن دار السلمي الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع في فاس.

المجتمع المدني والنخبة السياسية: إقصاء أم تكامل، تأليف حسن قرنفل، صدر عن دار أفريقيا الشرق بالدار البيضاء.

خطاب التجريب في المسرح العربي، تأليف عبدالرحمن بن زيدان، صدر في مكناس (نشر خاص).

التاريخ العلمي لجامعة القرويين، تأليف حسن السائح، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) في الرباط.

توترات من ضياع، مجموعة قصصية لجواد عمراني.

طيور بيضاء، مجموعة قصصية لحنان درقاوي.

صدر الكتابان السابقان عن دار البوكيلي للطباعة والنشر في القنيطرة.

الهند

مؤتمر: الهند المعاصرة والتعليم الإسلامي

استضافت بلدة ركن بور بولاية أترا براديش الهندية مؤتمرًا إسلاميا عقد تحت شعار «الهند المعاصرة والتعليم الديني الإسلامي».

أبو الحسن علي الحسني الندوي.

ترأس المؤتمر سماحة العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي، ونظمته جمعيتا المثقفين المسلمين والشيخ محمد يونس النجرامي، وسعى إلى الحيلولة دون نجاح المحاولات الرامية إلى القضاء على الهوية الإسلامية وتذويب المسلمين الهنود في غيرهم من العرقيات، وتم على هامشه وضع حجر أساس مدرسة «منار الإسلام» التي تديرها جمعية الشيخ محمد يونس النجرامي.

بنجلاديش

بينالي فنون آسيا

شاركت ٣٦ دولة، من بينها ١٣ دولة عربية أسيوية، في مهرجان بنجلاديش لفنون دول شرق آسيا.

وضم البينالي الذي افتتحته رئيسة الوزراء الشيخة حسينة واجد ٦٨٠ عملاً فنيًا تشكيليًا.

الطريف أن مصر التي شاركت في البينالي ضيف شرف حصلت على الجائزة الكبرى للمهرجان التي مُنحت للفنانة مريم عبدالعليم.

إسبانيا

أوربا والعرب والقرن القادم

اختُتم ـ مؤخرًا ـ في طليطلة ملتقى «التعاون الأوربي ـ العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين: المبادرات



والتحديات».

تمحورت أعمال المؤتمر التي شارك فيها مفكرون واقتصاديون عرب وإسبان وفرنسيون في ثلاثة محاور رئيسة: الأبعاد الثقافية، والأبعاد الاقتصادية والتجارية والمالية، والأبعاد السياسية.

جائزة بلانيتا لمانويل

مُنح الكاتب المكسيكي ممجوان مانويل جائزة بلانيتا الأدبية الإسبانية، إحدى كبريات جوائز إسبانيا عن رواياته الثلاث الأخيرة: «الصمت» ١٩٩٤م، «مقتل البطل» ١٩٩٥م، «العاصفة»، وهي تحت الطبع.

يُذكر أن الجائزة تبلغ قيمتها ٥٠ مليون بيزتا إسباني (ما يقارب المليون فرنك فرنسي).

السويد

إدوارد سعيد وبنجلون في معرض جوتنبرج للكتاب

شارك نحو ألف دار نشر ومكتبة من عشرين دولة في معرض جوتنبرج الدولي الثالث عشر للكتاب، الذي اختتم أعماله ـ مؤخرًا ـ في السويد.

وإلى جانب الكتب العربية، دعت إدارة المعرض المفكر الأمريكي ـ الفلسطيني الأصل إدوارد سعيد والكاتب الأديب المغربي الطاهر بنجلون للمشاركة في النشاطات الثقافية المصاحبة للمعرض.



فرنسا

بدء صدور «كتاب في جريدة»

بدأ منذ شهر نوفمبر الماضي ١٩٩٧م انتظام صدور البرنامج الثقافي الذي تنفذه منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في البلدان العربية، ويحمل اسم «كتاب في جريدة».

فقد صدر كتابان متتاليان عن مجموعة من الصحف في أقطار عربية مختلفة يحمل أولهما عنوان: «الدهر المنشد: المتنبي ـ مقتطفات» من اختيار الشاعر السوري أدونيس، ورسوم ولوحات الفنان ضياء العزاوي. وحمل الكتاب الثاني عنوان: «مغامرة رأس المملوك جابر» وهي مسرحية للكاتب السوري الراحل سعد الله ونُوس.

يشرف على هذا المشروع الذي يصدر في الأربعاء الأول من كل شهر الشاعر شوقي عبدالأمير.

جائزتا «جونكور» و«الأكاديمية» لـ «معركة» رامبو

للمرة الأولى في تاريخ الجوائز الأدبية الكبرى تمكن الروائي باتريك رامبو من الحصول على جائزة «جونكور» كبرى الجوائز الأدبية الفرنسية، والجائزة الكبرى للأكاديمية الفرنسية عن روايته «المعركة» الصادرة عن دار جراسيه.

وأثار فوز رامبو بالجائزتين في وقت واحد ردود فعل متباينة، إلا أن أحدًا ممن انتقدوا القرار لم يقلل من قيمة هذا الروائي البالغ من العمر ٥١ عامًا، والذي أغنى المكتبة الفرنسية بنحو ثلاثين مؤلفًا من أبرزها روايات: «موت وزير»، «رحلة سان ماركو الأخيرة»، إضافة إلى كتابات هزلية مثل: «مذكرات كلب فرانسو ميتران» و«فرجيني كو»، وغيرها.

الشارقة وبيروت عاصمتان ثقافيتان للعرب

اعتمد المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في دورته التاسعة والعشرين التي اختتمت أعمالها ـ مؤخرًا ـ في باريس قرارًا يتعلق بالعواصم الثقافية الإقليمية في المنطقة العربية ضمن برنامج التنمية الثقافية.

واختيرت مدينة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة لتكون العاصمة الثقافية للمنطقة العربية لعام ١٩٩٨م، بينما ستكون بيروت العاصمة الثقافية لعام ١٩٩٩م.

أحدث الكتب

أية فرنكفونية للقرن الحادي والعشرين؟ تأليف شارل ديران، وجان كلود جيدون، وألبير جالون.

اللغة الفرنسية: أرض مضيافة، تأليف أندريه برانكو.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر دي روشيه في باريس.

نقد سيماء العصر، تأليف سمير أمين، صدر عن دار نشر هارتمان.

قرن المثقفين، تأليف ميشيل فونيك، صدر عن دار نشر الساي.

بولندا

وفاة المستشرق يوسف بيلافسكي

توفي المستشرق يوسف بيلافسكي عن عمر ناهز ٨٧ عامًا.

ويعد بيلافسكي مؤسس قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو، حيث كان القسم تابعًا لقسم الدراسات التركية إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، واستطاع د. بلافسكي أن يستقل به ويجعله معهدًا قائمًا بذاته.

ومع أن الراحل كان متخصصًا في القانون، إلا أنه نبغ في مجال الاستشراق عامة والاستعراب خاصة، وبدأت رحلته في هذا المجال حين تولى منصب الملحق الثقافي لبلاده في تركيا في أواخر الأربعينيات، ولم يلبث حين عاد إلى وطنه أن سعى إلى دراسة العلوم الشرقية وتتلمذ للبروفسور تاديوش كوفالسكي، ثم حصل على الدكتوراه في العلوم الشرقية عام ١٩٥١م ليبدأ بها رحلة طويلة دامت ما يقارب نصف القرن من العطاء؛ حيث ربطته صداقة وطيدة بعدد من رموز الفكر والأدب العربي مثل: طه حسين، ومحمود تيمور، وعبدالعزيز بنعبدالله، وعمر فروخ، وجواد علي، وبنت الشاطئ، وغيرهم.

ومن مؤلفاته: «تاريخ الأدب العربي»، «الأدب العربي المعاصر»، «الأدب في المشرق العربي»، «الأدب في المغرب العربي». كما ترجم «الأيام» لطه حسين، وكتاب

«الاعتبار» للأمير أسامة بن منقذ، و«حي بن يقظان» لابن طفيل، وغيرها.

إيطاليا

مجلتان ذواتا توجه متوسطي

انضمت إلى ركب الصحافة المتخصصة مجلتان جديدتان، أولاهما ثقافية، والأخرى لفن الموسيقى، وتتوجهان إلى القراء في إيطاليا والبلدان العربية والدول المتوسطية.

تصدر المجلتان باللغات: العربية والإيطالية والإنجليزية، وتحمل المجلة الأولى مسمى «ثقافة المتوسط» وترأس تحريرها الكاتبة والناقدة فرنسينا أنكونا وتصدر في روما، فيما تصدر المجلة الثانية في باليرمو وتحمل اسم «أفيدي لومي» أي «النظرات المتلهفة».

جائزة «لانتيب» لأنتونيو

مُنح الروائي البرتغالي ـ الإيطالي أنتونيو تابوكي جائزة «لانتيب ـ جاك أودبيرتي» في دورتها التاسعة.

وتتوج هذه الجائزة الكُتَّاب الذين تستلهم أعمالهم حضارة البحر المتوسط وثقافته.

بريطانيا

سحر الشرق في معرض تشكيلي

يستضيف جاليري ويستمنستر معرضاً للوحات أربعين فناناً بريطانياً شدَّهم الشرق في القرن الميلادي الماضي فأبدعت ريشاتهم لوحات مستوحاة من طبيعته وبيئته.

يبدأ المعرض في غرة شهر شوال المقبل، وأغلب اللوحات مستوحاة من البيئة المصرية التي شغف بها الفنانون في القرن الماضي، إضافة إلى بلدان عربية أخرى مثل المغرب وسورية ولبنان.

من أبرز الفنانين الذين تعرض لوحاتهم: جون فريدريك، والتر تيندال، أوجست أوزبورن، وتشارلز روبرتسون.

لوحات إسلامية يعرضها المتحف البريطاني

يُنتظر أن يستضيف المتحف البريطاني في جناح خاص بلندن معرضاً يضم ١٤٠ لوحة لتصاوير إسلامية من الهند وباكستان تنتمي إلى حقبة تمتد سبعة قرون بدءاً بالقرن الرابع عشر الميلادي وانتهاء بالقرن العشرين.

يقام المعرض في نهاية شهر رمضان الجاري، وتنتمي معروضاته إلى العصرين المغولي والعثماني، إضافة إلى فترة الاحتلال البريطاني للهند. وجميع المعروضات من مجموعة الأمير صدرالدين أغا خان وقد جمعها على امتداد أربعين عاماً.

«نيبال»

هذا هو اسم أحدث مجلة أدبية يتوقع أن يصدر عددها الأول قريباً باللغة الإنجليزية، وتوجه اهتمامها لنقل الأدب العربي إلى قراء تلك اللغة.

وبات شبه مؤكد أن يتضمن العدد الأول من «نيبال» ملفاً عن التأثيرات المتبادلة بين الأدب العربي والأدب الإنجليزي والإيرلندي، سواء من خلال ترجمات مشاهير المبدعين مثل: وليم تريفور، أو من خلال الاقتباس أو استيحاء الرموز.

أحدث الكتب

حكايات من بغداد القديمة: أنا وجدتي، رواية لخالد القشطيني، صدرت باللغة الإنجليزية عن دار كيكن بول إنترناشيونال.

حزب العمل الإسرائيلي في ظل ليكود، تأليف د. نيل لوكري.

فلسطين والقانون، تأليف موسى مزاوي، صدر بالإنجليزية.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر ايثاكا برس.

هتلر وجيلي، تأليف رونالد هايمان، صدر عن دار بلو ـ مسبري.

الهوية الإسلامية والدولة البلقانية، تأليف مجموعة من الباحثين، تحرير هيو بولتن، وسهى تاجي فاروقي، صدر عن دار نشر هيرست.

كوابيس بيروت، رواية لغادة السمان، ترجمتها إلى الإنجليزية نانسي روبرتس، وصدرت عن دار نشر كوارتيت.



الولايات المتحدة

وفاة الداعية حسني جابر

نعت الأوساط الإسلامية في الولايات المتحدة واحداً من أبرز الدعاة في المهجر، هو فضيلة الدكتور حسني محمد جابر، مدير المركز الإسلامي في واشنطن ونيويورك.

و د. جابر من خريجي كلية الشريعة بالأزهر، واختير عام ١٩٥٥م عضواً بالمركز الإسلامي في واشنطن نظراً لإجادته اللغتين الإنجليزية والألمانية، وحصل في أثناء عمله بالمركز على درجة الماجستير في الفلسفة من جامعة ميرلاند، ثم الدكتوراه في القانون المقارن من الجامعة الأمريكية في واشنطن، وله عدة مؤلفات في مجال الدعوة والقانون منها: «القانون الدولي»، و«الأصول القضائية في الفقه الإسلامي»، و«تمليك المنفعة من دون عوض في الفقه الإسلامي».

ألمانيا

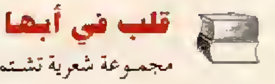
جائزة «بوشنر» لآرتمان

مُنح الأديب والشاعر النمساوي هـ. س. آرتمان جائزة جورج بوشنر التي تقدمها الأكاديمية الألمانية للآداب واللغة والشعر لأحسن أديب أو شاعر أو كاتب يكتب باللغة الألمانية.

ويبلغ آرتمان من العمر ٧٦ عاماً، ويعده كثيرون آخر شعراء النمسا الكبار المعاصرين، وله العديد من المؤلفات الأدبية والشعرية إضافة إلى مقطوعات مسرحية، وتُرجمت مؤلفاته إلى عدة لغات، وهو من عشاق الأدب الألماني القديم، وبالذات المدرسة النمساوية والسكسونية في الشعر الألماني.



الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يومياً عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر. ص.ب ٣٥٤ الرياض ١١٤١١ هاتف
تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي



قلب في أبها

مجموعة شعرية تشتمل على ٥٦ قصيدة للشاعر الراحل الرائد ركن مظلي تركي بن صالح مقبل العصيمي.

قام بجمع قصائدها وترتيبها محمد بن صالح مقبل العصيمي، وقدم للمجموعة علي حسن الأسمري الذي أجمل رأيه في الشاعر ونتاجه الشعري بقوله: «القصيدة عند العصيمي فعل أدبي وتفجر وجداني وعاطفي، يتضافر في تكوينها تربيته الدينية وثقافته الأدبية الواسعة ومخزونه من التراث الإسلامي، وتكوينه الشخصي وحياته العسكرية.. يكمل كل هذا ويصوغه فنيًا موهبته الشعرية الأصيلة؛ فتأتي قصيدته لحمة من كل هذه العناصر ومزيجًا من كل هذه الينابيع العذبة الرقراقة».

صنَّف الأسمري الفنون الشعرية التي طرقها الشاعر إلى سبعة أغراض: الحماسة، الفخر، المديح، الغزل، تأملات شاعر، النقد الاجتماعي، الشعر الملحمي. وقد غلبت الحماسة على شعر تركي العصيمي، وقد فسَّر محمد العصيمي ميل الشاعر إلى شعر الحماسة بأنه تعبير عن شعوره العميق بالظلم الذي حاق بالشعب الفلسطيني من جراء اغتصاب اليهود لأرضه.

كان الشاعر العصيمي معتداً بالشعر العمودي بوصفه تراثًا أصيلاً قادراً على التعبير عن أغراض الشعر كافة، لذلك نراه يفرد قصيدة لهذا الموضوع بعنوان «مناظرة بين الشعر العمودي وما يسمى بالشعر الحر»، انتصر فيها للقصيدة العمودية.

تقع المجموعة في ٢٢٨ صفحة من القطع المتوسط، وهي من إصدارات نادي أبها الأدبي.

العدالة الجنائية ومنع الجريمة

دراسة مقارنة ناقش فيها المؤلف - اللواء د. محمد الأمين البشري - أهمية علم العدالة الجنائية في تطبيق القوانين ومنع الجرائم، وصلته الوثقى بترشيد الأداء في أجهزة الشرطة والنيابة والمحاكم الجنائية والمؤسسات العقابية.

يشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب، وقد تناول المؤلف في الباب الأول العدالة الجنائية بالتعريف والشرح والمقارنة، وأوضح نظمها، وأشار إلى تطبيقاتها في بعض الدول المتقدمة، وبحث علاقة العدالة الجنائية بالمجرم والجريمة وأسبابها من جهة، وبالمتضرر من الجريمة والتكاليف المالية للجريمة من جهة أخرى. وفي الباب الثاني أوضح علاقة العدالة الجنائية بمنع الجريمة، وعرض السياسات الجنائية وخطط منع الجريمة، كما عرض توجيهات يرى أنها يمكن أن تحقق العدالة الجنائية وتدرأ خطر الجريمة، وتعالج آثارها الضارة. وقدم في الباب الثالث تعريفًا بنظام العدالة الجنائية ومنع الجريمة في السودان، وذلك من منطلق تسليط الضوء على نموذج من الدول النامية. واختتم البحث بإيراد ثبت المراجع العربية والأجنبية.

يقع الكتاب في ٥٤٨ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض.

البحر الدبيتي

دراسة عروضية تأصيلية - من تأليف الدكتور عمر خلوف - لبحر من بحور الشعر العربي هو البحر الدبيتي (الدوبيت) الذي دخل ميدان العروض العربي من طريق الفرس في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين. ومع أن هذا البحر يختلف عن الأوزان الشعرية العربية الخليلية؛ فقد كُتب له الذيوع والانتشار قرونًا عدة. ويسمى هذا البحر - أيضًا - بالرباعي، لأنه يُنظم على أربعة أشطر، وله وزن مخصوص به هو: فعلن متفاعلن فعولن فعلن.

يعرض المؤلف في كتابه أشهر محاولات التأصيل العروضية لهذا البحر. فلأن وزن الدبيتي لا يشبه اتساق الأوزان الخليلية، فقد حار العروضيون عبر الزمان في تفعيله، وفي أشكال زحافاته. واستقصى المؤلف ما قيل عن هذا البحر وما نُظم عليه من قصائد، واقترح شكلاً جديدًا لتفعيله وزحافه دعمه بأمثلة مختارة.

يشتمل الكتاب على أربعة فصول، الأول بعنوان: وزن الدبيتي، وفيه قسمان: الدبيتي لدى العروضيين (عرض ونقد)، والآخر: وزن الدبيتي وزحافاته (تأصيل واقتراح). وجاء الفصل الثاني بعنوان: قوالب الدبيتي، وتضمن جوازات الدبيتي وأمثلة من التام والمجزوء والمشطور. وفي الفصل الثالث تناول موشحات الدبيتي. أما الفصل الرابع فتضمن تعريفًا ببحر السلسلة، وهو بحر شديد الشبه بالدبيتي، وقد خلط بينهما كثير من العروضيين والشعراء. وختم المؤلف كتابه بفهارس للمراجع والأشعار والأعلام.

يقع الكتاب في ٢٣٩ صفحة من القطع المتوسط، وصدر في الرياض.

سموم تهددنا في منازلنا

يقول مؤلف الكتاب الدكتور إسماعيل عبدالمطلب الخطيب: «إن الإنسان في هذا العصر، لو نظر حوله لوجد أن كل شيء ليس على طبيعته التي خلقه الله عليها، بل امتدت إليه يد الإنسان لتفسده». ومن هذا المنظور يتناول المؤلف السموم التي تحيط بالإنسان، ويتعامل معها يوميًا دون أن يدري، ودون أن يعمل لها حسابًا، وذلك لجهله بها أو بسبب الدعاية البراقة لها من حول الإنسان.

تطرق المؤلف، خلال أربعة فصول، لمعظم السموم الموجودة في المنازل، مبينًا ماهيتها، وكيفية التسمم بها، وأسباب التسمم بها، وأنواع التسمم والوقاية منها، وعلاج التسمم.

ولما كان معظم هذه السموم وليد العصر وناشئ من التطورات التي تشهدها مناحي الحياة، وإساءة استخدام هذه التطورات؛ فقد نبّه المؤلف على أنواع من حالات التسمم منها: التسمم الناتج من سوء استخدام مستحضرات التجميل، والتسمم الناتج من سوء استعمال المواد الكيماوية مثل: الكيروسين والبنزين والكلوركس والمنظفات والنفتالين والفنيك والمبيدات الحشرية وغاز البوتجاز وبودرة التلك والثقاب وسم الفئران، والتسمم الناتج من المواد الغذائية مثل: الأغذية التي تحتوي على أصباغ وألوان والأغذية المحضرة بوساطة الفطريات والأغذية المحتوية على مادة السيانيد، والتبغ وجوزة الطِّيب والسكر والكحول والشاي والقهوة، إضافة إلى التسمم الناتج من سوء استعمال الأدوية.

وقدم المؤلف جملة من النصائح حول تخزين الآنية التي تحتوي سمومًا، وكذلك الاستخدام المأمون للمواد التي تشتمل على نسبة من السموم، وكذلك ضوابط استعمال الدواء، وحثَّ على توفير الصيدلية المنزلية الإسعافية.

يقع الكتاب في ١٦٤ صفحة من القطع الصغير.




كن مع
المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....

مسابقة مجلة

الفيصل

١- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عدداً).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عدداً).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة الفيصل، ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٥٢

ج١ : من الأحاديث الشريفة التي حثَّت على صلة الرحم وبيَّنت ثوابها الكبير:

* مارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه».

* ومارواه مسلم عن جبير بن مطعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة قاطع رحم».

* ومارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى يارب. قال: فهو لك» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاقرؤوا إن شئتم: *فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتُقطِّعوا أرحامكم*».

* ومارواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرَّحم مُعلَّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

ج٢ : يعود إنشاء أول خط سكة حديدية في المملكة العربية السعودية إلى الستينيات الهجرية من القرن الماضي عندما اقترحت شركة أرامكو - سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م - إنشاء خط حديدي يربط المنطقة الشرقية بالمنطقة الوسطى، ووافق جلالة الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - على ذلك.

وشُرع في التنفيذ في العام التالي، وفي ١٣٧١/١/١٩هـ الموافق ١٩٥١/١٠/٢٠م وصلت أول قاطرة من الدمام وكان في استقبالها جمع كبير من رجال الدولة السعودية ومواطنيها يتقدمهم جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله.

نتائج مسابقة العدد ٢٥٢

أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، أشروقي محمد، البليدة، الجزائر.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، عامر سمار مفلح الرشيدي، حائل، المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، عبدالزهرة عبدالجبار علي، القويسمة، الأردن.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- شريف محمد أحمد، طنطا، مصر.
٢- رشا عبدالله قباني، دمشق، سورية.
٣- عصام محمود شلال، الخرطوم، السودان.
٤- بوشال علي، الرشيدية، المغرب.
٥- عبدالوهاب بغدادي حسين علي، حفر الباطن، المملكة العربية السعودية.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- فؤاد بن عزالدين بن حسن، سوسة، تونس.
٢- خنوس يعقوب بن محمد، المسيلة، الجزائر.
٣- لطيفة قائد أحمد العليمي، صنعاء، اليمن.
٤- وفاء محمد الشحات عبدالبديع، بورسعيد، مصر.
٥- عبدالناصر مجدان بن محمد، سطات، المغرب.
٦- أسامة عمر إبراهيم، أم درمان، السودان.
٧- كفاية عبدالله ياسين، عمَّان، الأردن.
٨- خالد سعود سفر البشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٩- إبراهيم الشيخ شبلي، القامشلي، سورية.
١٠- بديعة العربي حميدي، المتلوي، تونس.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- محمد يونس نعيم، ديرة إسماعيل خان، الباكستان.
٢- عصام شرف نعمان الجنيد، صنعاء، اليمن.
٣- عبدالمنعم محمد زكي، بني سويف، مصر.
٤- حسين صالح عبدالرحمن المالكي، جدة، المملكة العربية السعودية.
٥- محمد سرجاوي، إدلب، سورية.

أسئلة مسابقة العدد ٢٥٥

(سؤالان فقط)

س١ : حرَّم الإسلام أن يظلم الناس بعضهم بعضًا. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

س٢ : يُعدّ مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة الحرمين الشريفين أكبر توسعة لهما في التاريخ. كم بلغت مساحة التوسعة في الحرم المكي والحرم المدني؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٥٥
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا

يُضرب لمن يعتمد على نفسه ويصل إلى غَايته بجدِّه.

قالوا: كان عصام رجلاً من العرب يعمل للنعمان بن المنذر ملك الحيرة، وكان رجلاً ذكيًا محبوبًا، رفعه ذكاؤه وعلمه، ومازال يرفعه، في مناصب النعمان حتى بلغ درجة عالية، فعجب بعض العرب لذلك الرقي وسألوه عما أوصله إلى ما وصل إليه فقال:

نفس عصام سوَّدت عصاما
وعلَّمته الكرَّ والإقداما
وصيرته بطلاً هُماما
حتّى علا وجاوزَ الأقواما

الحقيقة

كان لويس الحادي عشر يقول: أجد كل شيء في مملكتي، وحتى في بيتي، إلا شيئًا واحدًا لا أجده.

فسأله أحد النبلاء: وما هو ذلك الشيء؟

فأجاب لويس: الحقيقة!

أشفق على نفسه

صعد عمر بن عبدالعزيز المنبر، بعد أن بويع بالخلافة فقال: أيها الناس، إني والله لم ألتمس هذا الأمر في سر ولا علن، ومن كره ذلك فقد خلعت بيعتي من عنقه، فبايعوا من شئتم.

فضجَّ الناس، وحدث بينهم اضطراب، وقالوا في إصرار: لا والله لانبايع غيرك، فأنت أهل للخلافة كما نعرف ذلك عن يقين!

ثم أقبلوا يبايعون من جديد، فأطمأنت نفسه إلى هذه البيعة الشرعية التي لا خلاف عليها، ثم أسرع إلى مصلاه يبكي ويتململ ويشكر الله الواحد الأحد، والمسلمون فرحون لأنهم يعرفون تمامًا من هو عمر، أدبا، ونزاهة، وحبًا للعدل والإنصاف. وبعد الصلاة والابتهال إلى الله أن يعينه على أداء هذه الأمانة، قالوا له: ياأمير المؤمنين! ما يبكيك الآن؟

فقال عمر: إني حملت أمانة هذه الأمة، فأنا أبكي لِمَنْ حملت الأمانة عنهم، أبكي للفقير الجائع، وابن السبيل، والمظلوم المقهور، وذي العيال الكثير الذي لا يجد قوت يومه، علمت أني مسؤول عنهم وعن غيرهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.. فأشفقت على نفسي وبكيت.. لثقل هذه الأمانة.

أحسنت ثم ماذا؟!

قال الأصمعي في حكاياته: صنع الرشيد يوما طعامًا فاخرًا، وزخرف مجالسه، ثم أحضر أبا العتاهية وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا، فأنشد:

عش ما بدا لك سالمًا
في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد: أحسنت ثم ماذا؟

فأنشد:

يُسعى عليك بما اشتهيتَ
لدى العشية أو البكور

فقال الرشيد: أحسنت وايم الحق.. ثم ماذا؟

فأنشد:

فإذا النفوس تقعقعت
في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنًا
ما كنت إلا في غرور!

فبكى الرشيد بكاءً شديدًا، فقال الفضل بن يحيى لأبي العتاهية: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته؟!

فقال الرشيد: دعه! فإنه رآنا في عَمًى فكَرِهَ أن يزيدنا منه!

خطيئة واحدة

يروى أن سالم السندي دخل يومًا على عمر بن عبدالعزيز، فقال له عمر: يا سالم، أسرك ما وليت أم ساءك؟

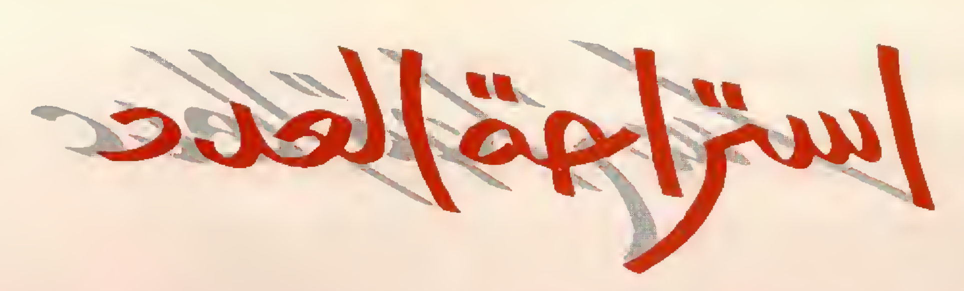
فقال: يا أمير المؤمنين، أتريد الحق؟ فقال عمر: أجل.

فقال سالم: سرّني للناس، وساءني لك!

فقال عمر: فإني أخاف أن أكون قد أوْبَقْتُ نفسي - أي



خنجر معقوف من الفضة



ارتكبت بعض الأخطاء ـ. فقال سالم: ما أحسن حالك إن كنت تخاف، وإنما أخاف أنك لا تخاف!!

فقال عمر: عظني! فقال سالم: إن أبانا أُخرج من الجنة بخطيئة واحدة!!

فقال عمر: حسبك! إني أعرف!

العقاد والمليونيرة

يروى أن العقاد كان يؤم ـ مع كثير من الأدباء ـ دار كاتبة أدبية، جرت عادتها على إقامة حفل في اليوم الموافق يوم ميلادها، تدعو إليه المعارف من الأصدقاء والصديقات.

وبينما كانت الأحاديث تدور في حلقة من حلقات صالون ربة الدار حول أيام الميلاد وهداياها، إذ بسيدة تقول في تفاخر: إن زوجها أعفاها من التفكير فيما يجب أن يقدمه لها أو تكراره إذا لم تذكر ما تريد، ولذلك فإنه درج على أن يقدم لها في كل ذكرى ميلاد لها خمسمئة جنيه، فقاطعها العقاد ساخراً: إذن لابد أنك أصبحت مليونيرة الآن.

إني ما سألتها ممن يملكها

يروى أن هشام بن عبدالملك حج أيام خلافته، وبينما هو داخل المسجد الحرام وجد سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فقال له: يا سالم! سلني حاجتك فأقضها لك. فقال سالم: إني والله لأستحيي أن أسأل في بيته غيره!!

ثم خرج سالم من البيت، فتبعه هشام واستوقفه وقال له: الآن خرجت من بيت الله، فسلني حاجتك! فقال: أمن حوائج الدنيا يا أمير المؤمنين أم من حوائج الآخرة؟

فقال هشام بتعجب: من حوائج الدنيا طبعًا!

فقال سالم: إني ما سألتها ممن يملكها فكيف أسألها ممن لا يملكها!!

الجوع والفقر

يروى أن رجلا قتل في معركة أبا امرأة وابنها وأخاها وعمها وكثيراً من أهل بيتها. ثم أتت تسأله، فقال لها: ما أظن على ظهر الأرض أبغض إليك مني!

فقالت: أجل! لكن الذي ألجأني إليك أبغض إلي منك! قال: وما هو؟!

قالت: الجوع والفقر.

في الدورة الدموية

توصل فريق طبي من جامعة كاليفورنيا إلى أن عدم تفوق بعض التلاميذ في مسائل الجبر والحساب والهندسة، يعود إلى ضعف في الدورة الدموية وعدم وصول الدم بقدر كاف إلى المخ. وللتغلب على ذلك نصحوا بتناول الأطعمة التي تمد الجسد والمخ بالفوسفور والحديد، مع ممارسة تمارين الجري أو المشي يوميًا لبناء خلايا الجسم واستيعاب المسائل الرياضية الدقيقة.

التقوى

نصح الإمام الشافعي أحد أصحابه قائلاً: يا أخي.. إن رضا الناس غاية لاتُدرَك، فعليك بما يصلحك فإنه لا سبيل إلى رضاهم. واعلم أن من تعلم القرآن جلّ في عيون الناس، ومن تعلّم الحديث قويت حجته، ومن تعلّم العربية رقّ طبعه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى.

الضيف الثقيل

نزل رجل على قوم وأطال الضيافة، فكرهوا إقامته. فقال الزوج لزوجته: كيف لنا أن نعلم مقدار إقامته؟ قالت: نتشاجر غدا ونتحاكم إليه لنعلم متى يرحل. فتشاجرا، وقالت الزوجة للضيف: استحلفك بالله الذي يبارك لك في سفرك غدًا أينا أظلم؟ فقال الضيف: والله الذي يبارك لي في مقامي عندكما شهرًا، ما أعلم أيكما أظلم!

حلم الصادق وعفوه

روي أن غلامًا لجعفر الصادق وقف يصب الماء على يدي جعفر فوقع الإبريق من يد الغلام في الطست، فطار الرشاش في وجهه، فنظر جعفر إليه مغضبا، فقال: يا مولاي! والكاظمين الغيظ. قال: قد كظمت غيظي. قال: والعافين عن الناس، قال: قد عفوت عنك. قال: والله يحب المحسنين، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى.

وبقي عجزه!

يروى أن رجلاً عاد صديقًا مريضًا فقال له: ما علتك يا أخي؟!

قال المريض: وجع الركبتين.

فقال الرجل: والله لقد قال جرير بيتًا من الشعر ذهب مني صدره وبقي عجزه، وهو:

وليس لداء الركبتين طبيب!

فقال المريض بغضب: لا بشَّرك الله بالخير! ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه!

كفّوا عن الطريق

كان الحجاج بن يوسف مشهورا بحزمه، وذات يوم بلغه أن قومًا من الأعراب يجلسون في الطرقات ويفسدونها على المارة، فاستشاط غضبًا وكتب إليهم: أما بعد، فقد علمت أنكم قد استخفَّتْكم الفتنة مع الناس، فلا عن حقٍّ تقاتلون، ولا عن منكر تنهون، وإني أهم أن ترد عليكم مني خيل تذهب بكل طارف وتالد، وتدع النساء أيامى، والأبناء يتامى، والديار خرابًا، فماذا أنتم فاعلون؟!

فما إن قرؤوا كتابه حتى اختفَوا من الطريق.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

الحلم المدفون

محمد خنشير

إعدادية الغزالي

مراكش، المغرب.

استنفاق واغتسل، وافتقد العطر فتلاعبت به الظنون.. كان المسار طويلاً شاقًا، يحوي في طياته انكسارات السنين والوصايا بالانضباط، أمام أفق مظلم المعالم، كله خوف وترقب. لا شيء في الزقاق غير النحيب والأنين، والضجيج المتعالي كل حين. مضغ كسرة خبز واستلقى على العباءة القديمة.

مات الأمل في قرارته، العيون تراقب كل حركاته، والأسئلة تلفه في كل مكان، حتى البائع لا يسلمه حاجة إلا بعد أن يسأله عن الغاية منها، والمراد بها. والإجابة ينبغي أن تكون محددة؛ تفترض مسبقًا حسن اختيار الصيغة، ولو أن الأمر يتعلق بإشهار من الإشهارات التي تعج بها الشاشات العربية.. كل شيء ملغوز حتى الأسماء الشخصية، وربما اسمه أيضًا.

اختمرت في ذهنه فكرة، ماذا لو تنصَّل من هذا الجو المعتم ورحل بعيدًا؟ ينظر إلى الناس عوض أن ينظروا إليه، ولا أحد يلقي إليه بالاً.. حين أدخلوه المدرسة كان الأمل معقودًا عليه في أن يفك الرموز ويوضح ما في الأوراق، ويفسر الكلام... دعاهم كبير القبيلة يومًا وقال:

ـ فرصتكم الأخيرة فلا تضيعوها، تعلموا على الأقل كيف تُوَقِّعُون ومتى، حتى لا تقعوا في ما وقعت فيه، ضاعت أرضي بسبب توقيع، وضيعت التأمين لأني وَقَّعْتُ على ما لم أتسلمه.. وراح يحكي حكايته القديمة...

«وجدت ابني مشنوقًا بحبل في إحدى زوايا معمله، قالوا انتحر، وهذا قضاء وقدر. واستدعاني المسؤول الخبيث في اليوم الموالي لمأتم ابني، كان مأتمًا عظيمًا، وبعد انتهاء الأكل، أخرج العدلان محفظتيهما، وأخذا يسجلان. ثم همس لي: إنهما يحصيان التركة.. نادى عليَّ أحدهما، اتجهت نحوه، فأمرني بالتوقيع. لم أسأل وأنا تحت تأثير الصدمة، ولم أمانع، بعدها توالت التوقيعات، وأخذ المدعوون في الانصراف.. جذبني أحد الحاضرين وانزوى بي، وقدم لي التعزية، قال لي وهو يمانع الدموع: هل تدري على ماذا وقعت؟ قلت: لا.. ربما التركة ـ هكذا قيل لي ـ قال بصوت هادىء حزين: وقعت على التنازل الكلي عما خلفه ابنك.. والآخرون شهود.. صرخت وسقطت...».

قال لحظتها: العيب كل العيب إن لم أتعلم..

تبعه الآخرون، غصت المدرسة بالأطفال، وأخذت بعد سنوات تهرم، والتلاميذ لا يتعدون رؤوس الأصابع، فانتهاء المرحلة يوجب السفر، والسفر يتطلب المصاريف، وأهل القرية كلهم فلاحون بالاسم لا غير... مع ذلك سافر وتحمل، يشتغل في العطل، والأوقات الفارغة، وحين عاد وجد المنقطعين أفضل منه حالاً.. حار بين الإقامة والسفر، بين الانسياق وراء الحلم ومجاراة الفراغ.. اختار في النهاية الحل الأول.. ليواجه بالأقنعة، العبث كأقصر سبيل لإثبات الذات وسط قوم يعبثون. والمعاناة ساعة الخلو إلى النفس، والترميز لحظة الخوف من المواجهة:

ـ ولدت مع الألم، أبي أضاع سنوات عمره كدًا وحين شاخ لفظوه، ومرارًا قلت لا، لماذا لم يصرخ معي سوى صوتي المبحوح، وأنا أرى من هم أقل تجربة بلغوا ما لن أبلغه بكدي سنوات، سألت أمي فلم تجب، وسألت ولا مجيب سوى ضميري المعذب.. شيء ما يسيطر على النفوس. والواحد

يتحاشى الآخر ويتركه يغرق مع همه، والمستور بدأت تظهر ملامحه في الأفق.. ها هو أمامكم. كان معي أمس يهرب من الدراسة، أغبى واحد في فصلنا، ولا يملك سوى سروال قصير يرتديه في كل الفصول.. يشتري الأراضي ويبيعها.. يقيم المشاريع الحلمية.. والآخر، أتذكرون كيف كان يفرض عليّ أن أنجز له التمارين؟ وكيف كان يسرق الفروض ويضع عليها اسمه؟ ماذا فعلت أنا بجديتي وكدي واجتهادي؟ عاطل مثقف، لا غير.

رحيل آخر؟ تقطعات جديدة، والمنبع الراسخ في الوجدان يرفضه، لم تعد الأقاويل العرفانية مجدية، ولا حتى هؤلاء الباكون، الذين لا يتقنون سوى الاستجداء بكل الحيل. سيرحل، والرحيل لا يحمل سوى الفاجعة، مادام سيخلف الآصرة والإحساس وراءه، والأفكار تعج بها المخيلة، لتتشعب الأمور أكثر مما يتصور، فيقرر الحياد التام، في الزقاق الضيق المظلم.. مادام الكل منشغلاً بخصوصياته، الأعمام مهووسون بالبناء، والأخوال يبحثون عن إرث قديم.. حتم عليه أن يدفن حلمه ويعيش متعطشًا لكلمات الحنان والشوق، في حنين لحضن دافئ، يموت مع الشوق والحنان، ويحيا مع الذكريات والألم. وإن كان لا بد من العودة، فلتكن للنفس بشهامة، والشرخ أوسع من الرؤيا.

التعليق: قصة الأخ محمد تعالج موضوعًا تقليديًا بطريقة تقليدية سردية ليس فيها من تقنيات القصّ إلاّ السرد المنطقي المُسَطّح. إنّ الأحداث المتتالية لا يكاد القارئ يلمح فيها عقدة يبلغ الحدث فيها ذروته. فالبناء الدرامي يعاني بعض الضعف؛ فضلاً عن تلك العبارات الغامضة التي لا تجد مسوغًا لوجودها كقوله في بداية القصة: «استفاق واغتسل، وافتقد العطر فتلاعبت به الظنون...» فعبارة: افتقد العطر... لم أجد لها مرجعية مناسبة تدفع إلى تلاعب الظنون لأن الأفعال قبلها حيادية وعادية ولا تهيئ للغموض الذي تتضمنه العبارة التالية.

إن فعْل الحكي L'acte de narrer يعتريه ضعف مصدره الاستكانة الدرامية. لغة القاص جيدة وأسلوبه سليم - على هنات فيه - ويبدو أنه ذو تجربة في مجال الكتابة. نرجو أن يهتم بتقنيات القصة القصيرة التي لا تحتمل كل هذه التشعبات الحدثية التي نجدها في قصته. كما أنّ ضمير الغائب الذي يستخدمه الراوي ليتحدث عن البطل يحتاج إلى إتقان كبير حتى يؤدي وظيفته فيما أسميه «الحضور - الغائب». إن الاستغراق في العواطف وإطالة الجمل في الحديث عنها يُضْعف البناء القصصي، ومثال ذلك: «ولدت مع الألم، أبي أضاع سنوات عمَره كدًا وحين شاخ لفظوه، ومرارًا قلت لا، لماذا لم يصرخ معي سوى صوتي المبحوح، وأنا أرى من هم أقل تجربة بلغوا ما لن أبلغه بكدي سنوات، سألت أمي فلم تجب، وسألت ولا مجيب سوى ضميري المعذب...».

إن هذا الترجّح بين العام والخاص، وهذا الجو العاطفي المشحون يثقل الحدث فيبدو بطيئًا مملاً.

نرجو أن يهتم الأخ محمد بالتقنيات القصصية، وأن يديم النظر في قصص الكتّاب المتقنين فهو يملك لغة جيدة وأسلوبًا جيدًا.

د. محمد خير البقاعي.

الأخ علي عبدالله عوده شبير، حيدر آباد، الباكستان:

قصيدتك «أنشودة العهد المصون» تحتاج إلى كثير من الاجتهاد لتصبح صالحة للنشر. فالشعر ليس وزنًا وقافية فقط - وإن كانت هناك أخطاء كثيرة أيضًا في الوزن - بل يجب أن يتواءم ذلك مع الفكرة الجيدة والصورة الجميلة والبعد من اللهجة الخطابية في التعبير. نرجو لك التوفيق في المرات القادمة إن شاء الله.

الأخت نجلاء محجوب عبدالله، شارع القصر العيني، القاهرة، مصر:

محاولتك «بسمتك مرسم أحلامي» لاتخرج عن كونها محاولة متواضعة جدًا؛ ذلك أن الشعر من فنون الكلم الصعبة التي تحتاج إلى موهبة كبيرة، ثم صقل لهذه الموهبة بالدراسة والقراءة والاطلاع، ثم وجود تجربة تهز الشاعر لكي يستطيع أن يُبدع كل طريف وجديد. لديك مشاعر جيدة أمكنك التعبير عنها في هذه الخاطرة، ويبقى أن تجددي المحاولة إلى أن تصلي إلى كتابة الشعر. تمنياتنا لك بالتوفيق في المرات القادمة.

الأخ محمد عبدالوهاب عيسى بن معن، الأحساء، السعودية:

قصيدتك «شروخ في لباب الفكر» تغلب عليها اللهجة الخطابية، وهو أمر غير مستحسن في الشعر. نحن بانتظار محاولات جديدة أكثر إشراقًا وأقل تشاؤمًا بعد التنبه إلى الأخطاء العروضية والنحوية التي ستنتهي إن شاء الله بكثرة القراءة والاطلاع.

الأخ تيسير محمد صبح، اللاذقية، سورية:

أرسلت رسالة قصيرة في وُرَيْقَة صغيرة فيها أبيات قليلة وكأنك غير واثق بنا. ومع ذلك فأبياتك الستة تدلّ على ملكة شعرية لابأس بها. وهي في مدح المملكة العربية السعودية ومليكها، وفيها أبيات صالحة مثل قولك:

ما كنت أسمع أن ملكًا خادمًا
حتى سمعت بخادم الحرمين

وهو مطلع طريف. وختمتها ببيت جيد هو قولك:

أرضٌ مقدسةُ التراب ولم يَدِنْ
لولا رسالتُها العبادُ بدين

فتأنَّ فيها وزِدْ في بنائها ونقّحها ونحن في انتظارها.

الأستاذ كامل السعدون، أوسلو، النرويج:

ما أرسلته بعنوان «إرادة» ليس قصة قصيرة، بل هو مجموعة من التداعيات الكتابية التي تتضمن جملاً مرصوفة لتشكل نصًا فيه كثير من المخالفات النحوية والإملائية وضعف الأسلوب. قد يكون الشعور الإنساني الصادق عنصرًا من عناصر نجاح أي عمل فني، ولكنه لا يكفي وحده، وخصوصًا عندما لا يستطيع كاتبه التعبير عنه بلغة صحيحة وأسلوب عال.

إن اللقطة الوحيدة التي تريد التعبير عنها تحتجب وراء الاضطراب الأسلوبي والتضخم اللغوي: «الغزاة.. والمحتلون.. ماذا أكون أنا - بين أولئك وهؤلاء».

القصة تحتاج إلى إعادة بناء لتكون اللغة أكثر ضبطًا والأسلوب أكثر صقلاً، مع تمنياتنا لك بالتوفيق.



الأخ زيتوني عاشور، عمارات بوستَّة البشير، برج بوعريريج، الجزائر:

ترحب المجلة بمشاركاتك سواء أكانت في شكل مقالات أم حوارات، ومن ثم فباب التعاون مفتوح، ويتحدد موقف أي مادة من النشر من خلال ما يتم من تقويم لها، فمرحبًا بمشاركاتك.

الأخ أنس الشرقاوي، دمشق، سورية:

نأمل أن تتابع باب «تباشير»، لأن هناك ردودًا سريعة تُنشر على الموضوعات التي لا تجد حظًا من النشر. وإذا كنا نأمل أن يحظى موضوعك بالنشر، إلا أن ذلك لا يمنع من أن تتابع ما يُنشر في زاوية «متابعات»، لأن الغرض منها إفادة جميع من يتلمسون طريقهم في مجالات الإبداع المختلفة، مع دعواتنا لك بالتوفيق.

الأخوين شليحي رابح؛ نرزيو محمد، ولاية الجلفة، الجزائر:

نشكر لكما ثناءكما على المجلة، ودعواتكما بأن تكون جوهر الثقافة العالية والذوق المتميز، وسوف تصل إليكما بعض الأعداد، علمًا بأن المجلة لا تستطيع أن تلبي الطلبات الخاصة بالكتب، وفي إمكانكما مخاطبة جهات كثيرة مختصة بمثل هذا الطلبات، داعين الله لكما بالتوفيق في طلب العلم.

الأخت سمر محمد سمير الطحان، التل، سورية:

نشكر لك اهتمامك بالحصول على المجلة، وتكبدك عناء الذهاب إلى دمشق من أجل ذلك، مما يؤكد حرصك على اقتنائها. وسوف يحال خطابك إلى القسم المختص حتى يبحث في أمر زيادة الكميات المرسلة إلى سورية وبعض الدول العربية الأخرى، وهذا ما يؤكد التواصل الفعال بين المجلة وقرائها، فشكرًا لك ولجميع الإخوة القراء الذين يحرصون على متابعة ما ينشر في المجلة، آملين أن تجدوا فيها جميعًا ما يفيدكم ويمتعكم.

الأخ جمال إسماعيل إبراهيم، الأقصر، مصر:

كما جاء في رد على الأخت سمر فإن أمر زيادة الكميات المطبوعة للتوزيع في بعض البلدان العربية محل دراسة، ونأمل أن نتمكن من زيادة الكميات المخصصة لمدينتك الأقصر. وترقَّب صدور كتيبات مجانية مع أعداد المجلة في القريب، على غرار الملاحق الخاصة بالملك فيصل، رحمه الله، التي نالت إعجابك. وسوف يصل إليك العددان اللذان طلبتهما.

الأخ بنعلال مصطفى خزان، كلية الآداب، بني ملال، المغرب:

لك كل الحق فيما ذهبت إليه، وهذا دليل على متابعتك الجيدة لما يُنشر في المجلة، وسوف تؤخذ ملاحظاتك في الحسبان، ونأمل من جميع من لديهم ملاحظات عما ينشر في المجلة أن يبعث بها، حتى يمكن الإفادة منها في تطويرها والارتفاع بمستواها. وحرصًا من المجلة على ذلك فقد أفردت صفحات لآراء القراء سواء في صفحتي «البريد»، أو في باب «مناقشات وتعليقات»، فمرحبًا بآراء الإخوة القراء وملاحظاتهم وانتقاداتهم البناءة التي تجد جميعها الاهتمام.

الأخ عبدالماجد حسين محمد يوسف، ولاية غرب دارفور، السودان:

ليس من عادة «الفيصل» ولا من منهجها أن تهمل أي خطاب يصل إليها من القراء، انطلاقًا من أن أي مجلة لا تستطيع أن تحقق النجاح مهما كانت إمكاناتها ما لم تهتم بكل رأي يبديه قراؤها، لأن ذلك يعني أن هناك من يقوِّم الجهد المبذول في إخراج المجلة ويقدره. ولا يغيب عن فطنتك أن الرسالة التي تسير في اتجاه واحد أقرب ما تكون إلى حوار الطرشان، بينما نحن في حاجة إلى الإنسان الذي يقرأ ويعي ويدلي بدلوه في قضايا الساعة التي تهم الأمة.

ولا يفوتنا أن نشكر لك ثناءك على الإطلالات الثلاث التي تناولت قضية الاستنساخ، ويسعدنا كثيرًا إعجابك بباب «منتدى الفيصل»، ويسعدنا أكثر أن نتلقى أسئلتك وأسئلة القراء الكرام إلى ضيوف هذا الباب. ومع أن مشكلة التوزيع في بعض الدول العربية، ومن بينها السودان، تبدو مزمنة؛ إلا أننا في سبيل إيجاد الحلول المناسبة التي تضمن وصول العدد إلى القراء في موعده.

الأخت روان خالد عبدالرؤوف، البقعة، عمان، الأردن:

أصدرت دار «الفيصل» ستين مجلدًا، ضمَّت الأعداد من (١-١٨٠)، وقيمة هذه المجلدات ثلاثة آلاف ريال شاملة البريد. ونأمل منك تحديد الأعداد التي تودين الحصول عليها، ولم تُذكر في رسالتك.

الأخت نورة مديمد، وهران، الجزائر، الأخ آدم سنجري، كوت ديفوار:

ما جاء في رسالتيكما خارج عن اختصاص المجلة، لذا فنحن نعتذر من عدم إمكان تلبية مطلبكما، مع الدعاء لكما بالتوفيق، شاكرين لكما حسن ظنكما بنا.

الأخوين عمار بو داود، ولاية باتنة، علي فتوس، سيدي عليش، الجزائر:

سبق للمجلة أن أوضحت لقرائها أنها لا ترى أي جدوى من باب «التعارف» الذي تهتم به بعض المجلات، نظرًا لما له من جوانب سلبية تفوق إيجابياته، ومن منطلق أن تحاور العقول وتبادل الأفكار هما أفضل سبل التعارف وأرقاها. لذا نأمل من جميع القراء الحريصين على إقامة جسور مع إخوانهم أن يكون ذلك من خلال ما يطرحونه من أفكار وآراء في مقالاتهم وتعقيباتهم ومداخلاتهم.

بيـن القارئ والقارئ

أرجو مساعدتي في الحصول على نسخة من القرآن الكريم مسجلاً بصوت أئمة الحرم المكي الشريف، وكذلك صحيح البخاري، وبعض التسجيلات والكتب الإسلامية المفيدة.

أحمد عبدالكريم محمد عكور
مكتبة ابن خلدون، دوار البريد، إربد، الأردن.

أنا في حاجة شديدة إلى «معجم الأخطاء الشائعة» للأستاذ محمد العدناني، فهل هناك من يساعدني في الحصول عليه؟

عبدالعزيز إبراهيم محمود
مركز أبو المطامير، جناكليس
محافظة البحيرة، مصر.

أرغب في الحصول على كتب تتناول التربية والتعليم في العالم، وبخاصة من الإخوة في المغرب العربي، ولديّ استعداد لتزويدهم مقابل ذلك بكتب شرعية أو فكرية، وسوف أرد على الواهب بمثل مبادرته الكريمة أو بمقابل مادي.

إبراهيم بن محمد الخميس
الرياض ١١٥٣٧، ص.ب ٨٦٨١٦

أود من الإخوة القراء مساعدتي في الحصول على الكتب الآتي بيانها، ومستعد لدفع قيمتها كاملة، أو مبادلتها بأية كتب يرغب فيها من يساعدني في الحصول على الكتب التي أريدها، وهي:

- القصد والأَمَم في أنساب العرب والعجم، ليوسف بن عبدالبر النمري القرطبي.
- المطالع النصرية للمطابع المصرية في أصول الكتابة، للشيخ نصر الوفائي الهوريني.

سيد عبدالعظيم حسن
ص.ب ٩٢١٤٠ الرياض ١١٦٥٣

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ بدرالدين هزاع قائد، تعز، اليمن:
عناوين بعض الجامعات السعودية:
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض: ص.ب ٥٧٠١
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ص.ب ١٧٠
جامعة أم القرى بمكة المكرمة: ص.ب ٧١٥
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة: ص.ب ١٥٤٠
جامعة الملك فيصل بالدمام: ص.ب ١٩٨٢
جامعة الملك سعود بالرياض: ص.ب ٢٤٥٤، الرياض ١١٤٥١

الأخ لحسن باكور، مراكش، المغرب:
عنوان الأستاذ عبدالعزيز مشري:
ص.ب ٧٠٥٥، الدمام ٣١٤٦٢

الأخ منصور محمد، العيون، المغرب:
عنوان الاتحاد الدولي للمنظمات الإسلامية الطلابية: ص.ب ٨٦٣١، السالمية، الكويت.

الأخ عبد الإله السويلمي، المغرب:
عنوان جامعة الكويت: الصفاة، الكويت ص.ب ٥٩٦٩
جامعة قطر: الدوحة ص.ب ٢٧١٣

الأخ محمد عبدالستار مأمون، مصر:
عنوان دار الشويخات للترجمة والاستشارات: ص.ب ٩٢٠٧٢ الرياض ١١٦٥٣

الأخ طارق عبدالفتاح، دمشق، سورية:
عنوان مجلة المعرفة: ص.ب ٢٦٤٥٠ الرياض ١١٤٨٦
هاتف ٤٧٨٥٣٢٢، ٤٧٦٩٨٠٦، فاكس: ٤٧٦٨٦٥٩
عنوان مجلة تجارة القصيم: بريدة ص.ب ٤٤٤، فاكس ٤٧٦٨٦٥٩

الأخ د. قاسم ساره، ص.ب ٦٤، دير الزور، سورية:
عنوان الأستاذ خليل محمود الصمادي:
ص.ب ٨٥٨٢٢، الرياض ١١٦١٢، مدارس نجد الأهلية.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

تمييز العدد



أخي العزيز الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فنظرًا لما تمتاز به «الفيصل» من مادة علمية دسمة، ودقة وسلامة من الخطأ اللغوي والنحوي وغيرهما، مما يشي بجلاء بجهودكم المشكورة وجهود زملائكم في المجلة، ولاسيما الجنود المجهولين من المصححين اللغويين، وجهد زميلنا الكريم الأستاذ عاصم بهجت البيطار المتميز برسوخ قدمه، وطول باعه في علوم العربية، ومن منطلق الحرص على خلوّ وجوه المجلة كافة من أي خطأ، قدرَ الإمكان، أشير أدناه إلى بضعة أخطاء معظمها نحويّ، وبعضها لغويّ، وأحدها من أخطاء التطبيع؛ وجُلُّها يتعلق بتمييز العدد وهو من المواطن الدقيقة جدًا التي ينبغي توخي الدقة عند استخدامها، كما أن بعض هذا النوع ينبغي تصحيحه في الأعداد التالية لأنه في صفحة العنوان والمعلومات المتعلقة بالمجلة (وقد وردت في العدد الأخير منها ذي الرقم ٢٥٢ الصادر في جمادى الآخرة الماضي ١٤١٨هـ):

ـ ص ٣ (وهي صفحة العنوان الداخلي التي تضم ملحوظات للكُتّاب، ومعلومات عن الاشتراكات والإعلانات، وسعر المجلة في عدد من البلدان) ورد ما يلي:

الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

والصواب: للأفراد: ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات: ٢٥٠ ريالاً سعوديًا. (يلاحظ استحسان وضع نقطتين **إحداهما** فوق الأخرى بعد كل من «للأفراد» و«للمؤسسات» كما فعلت هنا).

الأسعار: الكويت ٥٦٠ فلس. والصواب: الكويت: ٥٦٠ فلسًا.

البحرين ٧٥٠ فلس. والصواب: البحرين: ٧٥٠ فلسًا.

السودان ١٥٠ جنيه. والصواب: السودان: ١٥٠ جنيهًا.

جيبوتي ١٥٠ فرنك. والصواب: جيبوتي: ١٥٠ فرنكًا.

وبالمناسبة: مما قد يثير الانتباه ذكر «المملكة المتحدة» وحدها من غير البلدان الإسلامية ضمن البلدان المشار إلى سعر المجلة فيها!!

ـ ص٩ في المحتويات: تراث وتاريخ، ورد: «تدبير الحُبالى والأطفال إلخ...»، والصواب: «تدبير الحَبالى» بفتح الحاء. (يُنظر مثلاً القاموس المحيط واللسان: ح ب ل).

ـ ص ١٤: في موضوع «دراجة نارية تدار بالبخار» ورد: «أو قرابة ٥٠٠ ميلاً»، وصوابه، كما لا يخفى: «... ميلٍ» بالكسر.

ـ ص ٥٠ (العمود ١س٧ من أسفل) ورد: «لن يجد أذانًا»، وهذه الكلمة مما يكثر فيه الخطأ، وصوابها بالمدّ، بطبيعة الحال؛ فالأذان النداء للصلاة لا جمع «أذن».

ـ ص٥٢ (العمود ٢ س٩ من أسفل) ورد: «وزيّناها»، والصواب: «وزيَّنّاها».

ـ ص٦٠ (العمود ٢ س٢٢) ورد: «اضطره»، والصواب: «أضطره».

ـ ص **١٨٣** (العمود ١ س ١٢) ورد: «ابن خفاف الرجمي»، والصواب: «ابن خفاف البرجميّ».

ـ ص١٢٦ (العمود ٢، ٣): تكرر ذكر «أحمد بن أبي دُؤَاد» بهمز الواو المفتوحة (عين الكلمة) ويبدو أنه خطأ شائع جدًا إذ لوحظ كثرة مرتكبيه، والصواب، والله أعلم: «دُواد» بالتسهيل. ويمكن مراجعة اللسان مثلاً (دود) حيث ذكر اسم الشاعر أبي دواد الإيادي بالتسهيل، وكذلك الأعلام للزركلي ١٢٤/١. وذكر البغدادي صاحب الخزانة صاحبنا هذا بالتسهيل مرتين (يُنظر الخزانة تحقيق عبدالسلام هارون ١٤٩/١٣)، وبالهمز مرة (نفسه ٤٥٠/١).

كما ذكر «ابن أم دواد» بالتسهيل (نفسه ٣٧١/٤) وهو الشاعر أبو دواد، وذكره أيضًا بالتسهيل (نفسه؛ الموضع نفسه. و ١٧٧/٣)، وفي مواضع عدة من كتابه الخزانة).

هذا ما لحظته، وأنا أتصفح العدد المشار إليه، أبديه لسعادتكم مقرونًا بتمنياتي الطيبة لكم وللفيصل العزيزة وكل من يسهم في تحريرها، وفقكم الله.

أخوكم

د. محمد بن سليمان السّديس

قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود

ص.ب ٢٤٥٦، الرياض ١١٤٥١

نشكر لسعادة الدكتور السديس كريم اهتمامه بمتابعة المجلة، وقراءته المتأنية لها، وحرصه على تبيان الوجه الصحيح لبعض ما جاء فيها من أخطاء، وهو ما يستحق عليه كل الثناء والتقدير. وإنه لجميل حقًا أن تأتي المتابعة والتصحيح من أستاذ متخصص في اللغة العربية، مما يفتح المجال واسعًا للمناقشة والإفادة، ويتيح للمجلة مزيدًا من التجويد لأداء رسالتها في خدمة ثقافتنا العربية الإسلامية ولسانها العربي، وهذا ما تحرص عليه «الفيصل»، لأنها لا تدَّعي الكمال وإن كانت تنشده، ولا يعينها على بلوغ مراتبه العليا إلا مثل هذه المشاركة الكريمة والآراء المفيدة من الدكتور السديس، وأمثاله من علمائنا الأفاضل وقرائنا الكرام في كل مكان. ومما يسعدنا كثيرًا في المجلة وجود رجل متخصص في اللغة له كفاءته وخبرته مثل الأستاذ عاصم البيطار الذي يقوم بالمراجعة اللغوية للموضوعات، وقد أحلت إليه هذه الرسالة ليقوم بالتعقيب عليها، وأجدها فرصة لاستعراض آرائه، مع دعوة القراء للمشاركة. ومما أورده ابن البيطار (الأستاذ عاصم):

١ـ أخذتم على المجلة ستة أخطاء تتعلق بتمييز العدد، والصحيح ما ذُكر في المجلة لأننا ـ نحن العرب

ـ نقرأ الأعداد كما نقرأ الكلام من اليمين إلى اليسار. والتمييز إنما يستجيب للرقم الذي يأتي قبله مباشرة، عكس اللغات الغربية فهي تُقرأ من اليسار إلى اليمين. قال تعالى: *إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً*. **سورة ص**:٢٣. وقال عنترة:

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً
سودًا كخافية الغراب الأسحم

أما في الإنجليزية والفرنسية فتُذكر التسعون والأربعون قبل الآحاد، وعلى هذا فالصحيح في العربية أن نقول: للأفراد خمسون ومئة ريال.. إلخ.

٢ـ أحمد بن أبي دؤاد وصوابه: دُوَاد. الحق في ما قلتم، غير أن البغدادي ذكره مرة بالهمز ومرات بالتسهيل، ولذا يمكن القول: إن استعماله بالهمز خلاف الأولى، لكنه لا يُنسب إلى الخطأ المحض.

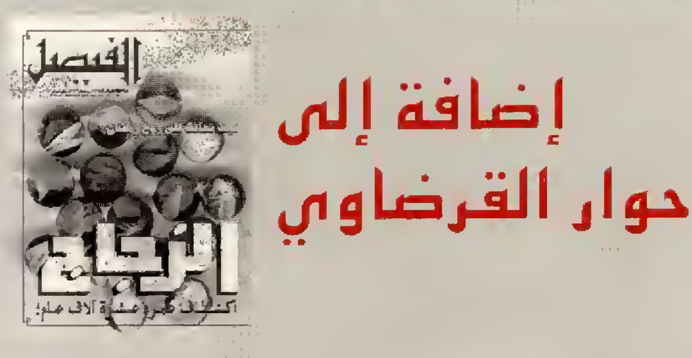
٣ـ ذكرتم: ص ١٨٣(العمود ١ س ١٢) ورد «ابن خفاف الرجمي» والصواب: «ابن خفاف البرجمي». والحق ما ذكرتم، وعذرنا أن كلمة «ابن» لم تكن في الأصل في أول السطر، وجعلها التنضيد الأخير في أول السطر، ورسمها كما كانت.. أما البرجمي فهو الحق الذي لا معدى عنه، غير أنه سهو مرده إلى ضعف الإنسان. ويمكن أن نرى مظهرًا لهذا الضعف الإنساني في ذكركم ص ١٨٣، والعدد من المجلة ينتهي في الصفحة ١٣٨، والخطأ وقع في ص ١٠٣، وفي قولكم: (يلاحظ استحسان وضع نقطتين **إحدهما** فوق الأخرى...). والصواب: إحداهما.

وهذا شأن الهنات البسيطة النادرة التي ذكرتموها من الغفلة عن وضع الشدّة أو الهمزة، أو وضع الهمزة مكان المد، وكله مما لا يجهله الشداة وصغار المتعلمين.

٤ـ همسة في أذن الدكتور السديس: جاء في خطابكم اسم أحد العاملين في المجلة: عاصم بهجت البيطار، ورُسم هكذا بالتاء المبسوطة، وهو أمر لا يجوز فإنه من آثار الرّطانة التركية: بهجت، مدحت، عصمت.. وكلها في العربية مصادر لا تُكتب إلا بالهاء المنقوطة (بالتاء المربوطة).

نكرر الشكر للأستاذ الدكتور السديس، ونسأل الله أن يجعلنا دائمًا عند حسن ظن قرائنا بنا، كما نرجو مزيدًا من هذا النقد البنّاء الذي أسعدنا كثيرًا. ورحم الله من أهدى إلينا عيوبنا.

رئيس التحرير



إضافة إلى حوار القرضاوي

لاتزال مجلة «الفيصل» الزاهرة في مقدمة الإعلام الثقافي السعودي الناجح والمفيد، تتدرج من حسَن إلى أحسن لتحقق القفزة النوعية الرائعة في الشكل والمضمون، بارك الله سعيها وكلل مسيرتها بكل خير، ونفع بها أمتنا الإسلامية وديننا الحنيف. ولقد تجولت باستمتاع واهتمام في رحلة هادئة مع الحوار الممتع الذي نظمته هذه المجلة الرائدة ذات الوزن الثقافي والمعرفي والجمهور العريض في العدد ٢٤٣ مع المفكر الإسلامي فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، بارك الله في أنفاسه وزاده بسطة في العلم والجسم. وكان الحوار حول موضوع حي متجدد وحساس طالما أثار ويثير الأسئلة والنقاش مع أهل الذكر. إنه موضوع الشبهة بين الربا الذي يمحقه الله ويحرمه بصريح القرآن والسنة، وبين الزيادة المشروعة في بعض المعاملات التي جاء بها العصر واقتضتها المجالات المستحدثة مع الاقتصاد.

ولقد استبشرت خيرًا وأنا أرمق العنوان المغري للحوار «الاقتصاد الإسلامي يتسع ليشمل كل ما يجدّ من معاملات» وازددت شغفًا واهتمامًا حين أدركت أن المحاوَر معه فضيلة الشيخ الذائع الصيت في الساحة الإعلامية والدعوة الإسلامية المعاصرة. وقد كان لي شرف التعرف إلى شخصه الكريم في مناسبة طيبة قديمة «ندوة الفقه الإسلامي» الملتئمة في ربيع ١٩٧٢م بمدينة البيضاء في الجبل الأخضر من الأراضي الليبية. وقد كنت آنذاك أدرس بجامعتها الإسلامية. وكانت تلك الندوة فرصة نادرة تم فيها التلاقي بين أفراد الصفوة الممتازة من مرشدي الأمة وفقهاء الملة وعلماء الشرع العزيز، أمثال: العالم السلفي الموسوعي والفقيه المجتهد الشيخ محمد أبي زهرة، والشيخ الوقور: علي الخفيف. وكان كلاهما يتوكأ على عصاه خلال تلك الندوة، والأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ـ فيما بعد ـ جاد الحق على جاد الحق، وشيخنا الدكتور يوسف القرضاوي، وغيرهم من نخبة الأزهر الشريف وعلماء أرض الكنانة مصر العربية المسلمة. ومن الشام الشيخ الدكتور مصطفى الزرقاء، والشيخ الدكتور صبحي الصالح. ومن تونس مفتي ديارها الشيخ محمد الهادي بن القاضي، وأحمد حماني من الجزائر، ومفتي ليبيا الشيخ الطاهر الزاوي، وأساتذة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ـ بفروعها الثلاثة: اللغة والدعوة والفقه المقارن ـ ومشايخها. ندعو الله بالرحمة والمغفرة لمن مات منهم، وبالعافية والسداد لمن هم على قيد الحياة.

ولازلت أحتفظ بذكريات تلك المناسبة البعيدة، وأفخر بمعرفة تلك الوجوه المشرقة. ولا أنسى تواضع شيخنا القرضاوي ودماثة أخلاقه الذي رحب بنا واقتبلنا (ثلاثة من طلاب الجامعة) في غرفته الخاصة من فندق قصر البيضاء مأوى الندوة المذكورة، واستمتعنا بسعة

معارف الرجل وصدق حديثه وخالص توجيهاته؛ شأنه شأن الشيخ أبي زهرة الذي كان قطب تلك الندوة ومرجعها الأول والأخير.

وما إن أكملت قراءة الحوار حتى أحسست أن للموضوع صلة لم تكتمل بعد، وأن في ما أحتفظ به من الدوريات القديمة جوابًا شافيًا ومتفتحًا أكثر لهذا الموضوع. فرحت أبحث حتى وجدت ضالتي في مجلة العربي الكويتية الصادرة في أوائل الستينيات عدد ٥٩. إنه موضوع شائق كتبه فضيلة الشيخ أبي زهرة. مكمِّل بما نشر في ذلك الوقت من فتاوى شيخ الأزهر - آنذاك - الشيخ محمود شلتوت بخصوص أخذ الفائدة عن المدخرات المالية في صناديق التوفير بالبريد أو البنوك. وإن في تلك الصفحات (٢٠-٢٧) من مجلة العربي عدد ٥٩ ما يريح النفس ويطمئن الخاطر لأنه يتمشى مع أحكام الشرع ومطالب العصر. ومما جاء في كلام أبي زهرة رحمه الله: «الربا الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم ربا الجاهلية باعتباره كان شائعًا فيها هو «الزيادة في الدَّين نظير الزيادة في الأجل» ويسمى «ربا النسيئة»، وقد قال ابن عباس: «لا ربا إلا في النسيئة»، ويُنسب هذا القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولقد سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن الربا الذي لا يسوغ فقال: هو أن يكون لأحد دَيْن على آخر، فيقول: أتقضي أم تربي؟ فإن لم يقضه زاده هذا في المال، وزاده ذاك في الأجل..».

وأفهم من هذا كله، وبخاصة من عملية الحصر والقصر بالنفي والاستثناء في قول ابن عباس رضي الله عنهما:

١- تحريم الربا في الإسلام مقصود به رفع سيطرة صاحب رأس المال واستغلاله حاجة الفقير وجهده حتى يزداد الفقير فقرًا والغني غنًى دون وجه مشروع.

٢- أن ما لا ينطبق عليه وصف ربا الجاهلية من المعاملات المستحدثة كإيداع الأموال في البنوك أو صناديق التوفير والإدخار بالبريد ونحوه بقصد تنميتها وتشغيلها أو ادخارها لوقت الحاجة فلا حرمة في أخذ فائدتها؛ ذلك أن المال المودع ليس دينًا لصاحبه، وإنما تقدم به طائعًا مختارًا ملتمسًا المصلحة المشتركة له وللمؤسسة.

٣- أن ما تحدده الشركات العامة (في الصناعة أو التجارة أو الخدمات إلخ...) للمُسهمين فيها من أرباح سنوية بنسب ثابتة للسهم الواحد أو حسب عدد الأسهم، وكذلك مرتبات العمال أو الموظفين فيها هي مالٌ حلال لا حُرمة فيه من أجل استمرار هذه المشاريع المفيدة وبقائها.. وأن الشيخ شلتوت رحمه الله أصاب الحقيقة ويسّر على الناس في تعاملاتهم حين أجاب بنفي الحرمة، وأن ذلك ما تطيب به أنفس المؤمنين، فيشعرون براحة الطاعة لله وشرف الانتساب لدينه الحنيف. ولمن رام المزيد من هذا أن يطالع ما جاء في كتابه: الفتاوى ص ٣٥١ وما بعدها، ط: دار القلم ١٩٦٤بمصر، مع الموضوع المنشور في مجلة العربي عدد ٥٩ أكتوبر ١٩٦٣م الموافق جمادى الأولى ١٣٨٣هـ.

وإني أسأل دائمًا - كما يسأل غيري - عن قطاع رجال المال والأعمال والمستثمرين العرب والمسلمين وحتى الحكومات كيف تقترض - أو تقرض - لإنجاز مشاريعها العامة؟ وكيف يدخر أو يودع رجال الأعمال العرب من المشرق والمغرب أموالهم في المصارف العالمية؟ وأختم تعقيبي بقبس من الهدي النبوي الشريف: «يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفِّروا»، وأبلغ منه وأقوى قول المولى جلَّ وعلا: لا *تَغْلُوا في دِينِكُم ولا تَقُولوا على اللَّهِ إلاَّ الحَقّ*. النساء: ١٧١.

وإني لأرجو من علمائنا الكرام في كل مكان، وفي المملكة العربية السعودية على الخصوص، أن يبيِّنوا لنا وللناس القول الفصل في هذه المسائل التي ذكرت، حتى نكون جميعًا على بينة من هذه الأمور. وفقهم الله جميعًا إلى ما فيه خير المسلمين. وأجدد شكري وتقديري لمجلة الفيصل الرائدة وفضيلة الشيخ القرضاوي على إثارة الموضوع.

صالح بن عبدالجليل
أستاذ شرعيات
١٠ نهج دمشق، مساكن ٤٠٧٠، تونس.

الترجمة من العربية وإليها



طالعت العدد ٢٣٩ من مجلة «الفيصل» الذي تضمن ملفًا شاملاً عن الترجمة، وأجاب عن كثير من الأسئلة التي تشغل أذهان الكثيرين من أبناء هذه الأمة فيما يتعلق بقضية الترجمة من العربية وإليها. وكما عودتنا مجلتنا الحبيبة دائمًا جاء الملف مُحققًا مدققًا جمع فأوعى، وتناول قضية الترجمة من جميع جوانبها وأنواعها، مشكلاً مرجعًا رئيسًا للباحثين ولكل من أراد أن يطلع أو يوثق معلوماته في هذا الجانب المهم من جوانب المعرفة الإنسانية. فجزى الله خير جزائه كل من شارك في إخراج هذا العدد بهذه الصورة المشرقة.

تصفحت هذا العدد وتوقفت طويلاً أمام

مقال «المترجمات والناشئة» الذي كتبه د. عدنان بن محمد الوزان، الذي أحسبه قد وُفِّق أيّما توفيق في طرح هذه القضية المهمة المتعلقة بناشئتنا وموقفهم من البرامج التلفازية، والمجلات المترجمة من اللغات الأخرى، وأثرها في تكوينهم واتجاهاتهم النفسية والسلوكية. حيث بدأ المقال بتأصيل للترجمة وتعلم اللغات بالإشارة إلى حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عندما أمره النبي صلى الله عليه وسلم بتعلم كتاب اليهود، وتطرق بعد ذلك لمعنى الترجمة وأصلها الفصيح في لغتنا العربية مستشهداً بأبيات من الشعر وبعض الأحاديث والآثار. وتحدث الكاتب بعد ذلك عن مسؤولية تربية الأولاد في الإسلام، ثم ناقش مسألة الرسوم المتحركة وترجمة أفلامها والمجلات الوافدة من بيئات غير إسلامية كاشفًا عوارها ومميطًا اللثام عن السوءات الفكرية والسلوكية التي تضمنتها. وختم الكاتب - جزاه الله خيراً - مقاله بالدعوة إلى الاهتمام بأدب الأطفال وتقديمه في برامج ذات مغزى روحي تبثُّ في نفوس الصغار الإيمان بالله، وتغرس مفاهيم الصدق والأمانة والأخلاق الحميدة.

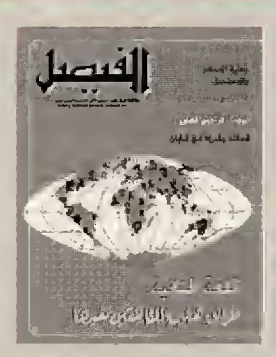
وغنيٌّ عن القول أن التلفاز وسيلة إعلامية لها خطرها وشأنها الذي لا يمكن إغفاله، وأداة جبارة في يد من يعدون البرامج التلفازية ويقدمونها. وبرامج التلفاز تفعل فعل السحر في نفوس صغارنا، وتترك أثرًا بالغًا في نفوسهم وشخصياتهم. والطفل غالبًا ما يتناول المعلومة المسموعة والمرئية من غير تمحيص ولا تدقيق؛ لذا وجب على أولي الأمر في عالمنا الإسلامي أن يهتموا بهذه القضية، وألا يتركوا باب العمل في هذه الأجهزة الإعلامية مفتوحًا على مصراعيه إلا لمن يرضون دينه وخلقه. وتكمن خطورة التلفاز في سهولة استعماله والإفادة منه وانتشاره الواسع في كل مكان تقريبًا، ودخوله إلى قلوب الناشئة وعقولهم بلا إذن أو رقيب.

وإذا تناولنا البرامج التلفازية التي تُقَدَّم لأطفالنا عامة والبرامج الترفيهية بصفة خاصة نجد عجبًا! فهذه البرامج الترفيهية، ولاسيما أفلام الرسوم المتحركة المعروفة بأفلام (الكرتون)، جاءت نسخة شوهاء من البرامج التي تُقَدَّم في الغرب، التي وضعت أصلاً لأطفال غير أطفالنا، وفي بيئة غير بيئتنا؛ فجاءت مسخًا أشوه ظهرت فيه السلوكيات الوثنية، وصُوِّرت فيه الجريمة ومواقف الخداع والكذب على أنها مهارة وخفة وذكاء. وحتى البرامج التعليمية التي تقدم، وإن كانت لا تخلو من فائدة، إلا أنها كذلك لا تخلو من نظر ومراجعة؛ فهي قد تفتح أعين الجيل الجديد على حقائق ومعارف مفيدة، ولكنها لا تُعَلِّم قلبه الخشوع ولا عينه الدموع! قد تعطيه الاهتمام بالتقنية وأهميتها، ولكنها لن تمنحه أبدًا طمأنينة القلب أو سكينة النفس؛ لأنها تُقَدَّم في إطار مادي بحت بعيد من روح الإسلام وعقائده وشرائعه وسنن الله عزَّ وجل في الأنفس والآفاق، مما يحتم علينا إعادة النظر فيما يُقَدَّم للأطفال من برامج.

ونحن في هذا العصر الذي طغت فيه الماديات، وتضعضعت فيه النفوس البشرية؛ وكثرت فيه عللها وأمراضها، ما أشد حاجتنا إلى أن نرجع إلى أصولنا ونتمسك بكتاب ربِّنا وسنة نبينا وفهم سلفنا الصالح، وأن نتقي الله في أبنائنا، ونستلهم لهم قصصًا ومواقف إسلامية تناسب بيئتهم وعقيدتهم وتعمق فيهم إيمانهم بربهم وملائكته وكتبه ورسله، فإنّ تاريخنا الإسلامي حافلٌ بمواقف رائعة، ورجال أفذاذ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، نجد فيهم الغُنية والكفاية والبديل عن النماذج الأجنبية الدخيلة والشخصيات الخرافية الوهمية التي اكتملت بها قصص الأطفال الغربية المترجمة، ولا ننسى أبدًا أننا قومٌ أعزنا الله بهذا الإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلّنا الله.

علي محيي الدين بابكر محمد
كلية العلوم الهندسية، قسم الهندسة المدنية
جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

الفكر المتطرف في الأمن الإسرائيلي



استوقفني قول الأستاذ الدكتور حسن ظاظا في مقاله: «الفكر الإسرائيلي.. والتطرف» بالعدد ٢٥٠، في معرض رده على أحد أصدقائه الصحفيين: «إن فكرة أمن إسرائيل هي «المرض المزمن» منذ فرعون وبختنصر.. إلخ. أربعة آلاف سنة وبنو إسرائيل يبحثون عن الأمن ولا يجدونه، حتى صار مع الأجيال المتعاقبة عقدة نفسية عندهم لا يشفيهم منها إلا أن يثأروا.. لكنهم يبدؤون الثأر بعمل منحط: مثل التصدي للعُزّل والضعفاء..».

وكم كنت أود من أستاذنا الجليل أن يسلط الأضواء في إحدى مقالاته القيمة على بعد آخر للتطرف تحدده السياسة الإسرائيلية نبراسًا لها بدعوى الحفاظ على «أمن إسرائيل»، ألا وهو «البعد النووي» من أجل خلق جيل عربي واعٍ «بالثقافة النووية»، لكي يتحقق للأمة العربية «الأمن العربي» في مواجهة «التطرف النووي الإسرائيلي». والذي حققت فيه إسرائيل تقدمًا كبيرًا.

فمنذ أرسى «هرتزل» قواعد الصهيونية في مؤتمر بال في آب/ أغسطس ١٨٩٧م والذي كان من أهم توصياته «قيام دول إسرائيل»، وقبل أن تمر عشر سنوات (وتأمل معي تواريخ البدايات)، اقترح الدكتور بول ناتان BAUL NATAN في برلين عام ١٩٠٧م تأسيس معهد للتدريب الفني في فلسطين، وبدأ العمل في إنشائه في «جبل الكرمل» في حيفا عام ١٩١٢م، ثم استؤنف بناؤه بعد توقف طويل بسبب الحرب العالمية الأولى، وافتُتح رسميًا عام ١٩٢٤م.. إلا أنه في بداية عام ١٩١٩م أنشئت في المعهد شعبة للهندسة والعلوم النووية لتدريب الجماعات المختصة (الكوادر) في فيزياء المفاعلات النووية، وإعداد الخبراء للعمل بالمفاعلات النووية. ويعد معهد «أينشتاين» للفيزياء أهم أقسام هذا المعهد لإعداد المهندسين الفيزيائيين، وإجراء بحوث الأشعة الكونية، وفيزياء الحالة الصلبة وطبقات الجو العليا.

ثم توالى بعد ذلك إنشاء مؤسسة الطاقة الذرية الإسرائيلية في آب/ أغسطس عام ١٩٤٨م (بعد ثلاثة أشهر فقط من إعلان قيام دولة إسرائيل) بما تضمه من علماء أحضرتهم إسرائيل من بلدان مختلفة، وهم: الدكتور دي شاليت الفرنسي: دكتوراه في الكيمياء الإشعاعية، والدكتور كويتبيلي: دكتوراه في كيمياء التفاعلات النووية، والدكتور جولدرنج البريطاني: دكتوراه في التحليل البيتروني، والدكتور تالمي التشيكي: دكتوراه في الإشعاعات النووية، والدكتور بيلاج النمساوي: دكتوراه في تطبيقات النظائر المشعة، والدكتور هابر شاليم: الألماني الشرقي الذي درس في الولايات المتحدة مدة أربع سنوات في مختبرات «لوس ألاموس» في نيو مكسيكو تحت إشراف العالم الأمريكي «روبرت أوبنهايمر» على أعمال فصل النظائر المشعة، وتخصص في تكتيكات فصل نظير اليورانيوم ٢٣٥ عن سائر نظائر اليورانيوم.

ولا يخفى على أحد نشاط هذه المؤسسة الكبير في المعاهد العلمية الإسرائيلية والعالمية، وتُعدّ منشآتها من أهم المراكز الذرية وأرقاها وأخطرها في العالم، ولها مختبرات سرية في «ديمونا» و«ناحال سوريك»، بل إنها تمتلك أربع مفاعلات ذرية في: ريشون ليزيون، وناحال سوريك، وديمونا، وبني روبين. وليس سرًا ما تنتجه من البلوتونيوم والنظائر المشعة وتحلية مياه البحر والطاقة الكهربائية.

ثم توالى إنشاء مدارس ومعاهد تعمل في المجال النووي تحت إشراف «الجامعة العبرية» منها: معهد الرياضيات، مدرسة حاييم وايزمان للكيمياء، شعبة الأرصاد الجوية والمناخية.

وخارج «الجامعة العبرية»: معهد إسرائيل التكنولوجي الذي سبقت الإشارة إليه في صدر المقال، ومعهد وايزمان للعلوم الذي تم تأسيسه في «رحبوت» عام ١٩٣٤م، وغير ذلك كثير: المجلس القومي للبحوث والتطوير، هيئة تطوير وسائل القتال، جمعية الأشعة الإسرائيلية.

يأتي كل ذلك إلى جانب مشاركات إسرائيل العديدة في النشاط العلمي الدولي، وبخاصة في أنشطة الوكالة الدولية للطاقة النووية، التي يرأس العلماء الإسرائيليون معظم اللجان التابعة لها. بل إن الوكالة الدولية للطاقة توفد علماء إسرائيليين إلى أغلب المراكز النووية في مختلف دول العالم ليحاضروا في هذه الدول؛ وفي المقابل: زار إسرائيل كبار علماء العالم منذ قيامها، وبخاصة في الستينيات من هذا القرن التي تمثل مرحلة الانطلاق النووي الإسرائيلي، نذكر منهم مقرونًا بتاريخ الزيارة (حتى تعي الذاكرة العربية خطورة ما يحدث حولنا):

د. إدوارد تيلر عالم الذرة الأمريكي (أبو القنبلة الهيدروجينية) في ١٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٥م.

زيارة روبرت أوبنهايمر، أكبر العلماء الأمريكيين الذين شاركوا في صنع القنبلة الذرية الأمريكية عام ١٩٤٥م، لإسرائيل في ١٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٥م.

البروفيسور بافيل تيراك زارها في ٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦م.

البروفيسور فيلارد ف. ليبي زارها في ٢٠ آب/ أغسطس ١٩٦٦م.

العالم الأمريكي روبرت ب. وودوارد زارها في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر١٩٦٦م ومُنح الدكتوراه الفخرية من معهد إسرائيل.

وفي ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٦٧م وبمناسبة انعقاد «المؤتمر الدولي حول فيزياء الطاقة العالية» زار إسرائيل عدد كبير من علماء العالم: د. لانج، وهوف ستادلر، وجريجوري، وجون سميث، وغيرهم.

ومن العرض السريع السابق يتبين لنا:

١- أن إسرائيل، بدعوى الحفاظ على أمنها، بدأت منذ تسعين عامًا في التخطيط لإنشاء مؤسسة نووية بالوسائل المشروعة وغير المشروعة كافة ضمانًا لاستمرار حياتها وبقائها.

٢- حددت السياسة الإسرائيلية جميع الدول العربية مجالا حيويًا لها بالإضافة إلى إيران وباكستان وتركيا، ومن هنا فإنها تتبع جميع الوسائل والسبل لتحديد القدرة النووية العربية وتحجيمها، ومنع أي معرفة تكنولوجية نووية عن العرب، وما اغتيال العالم المصري الدكتور علي مصطفى مشرفة بأمريكا في ١٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٠م، والدكتور يحيى المشد في باريس في ١٣ حزيران/ يونيو ١٩٨١م إلا أبسط دلائل التطرف الإسرائيلي في ذلك.

٣- قيام إسرائيل بتسريب أنباء إلى الصحافة العالمية بين الحين والحين عن قدرتها النووية وما تمتلكه من رؤوس نووية بهدف إرهاب العرب.

٤- رفض إسرائيل الدائم التوقيع على معاهدة انتشار الأسلحة النووية وتعنتها في عدم السماح للجان التفتيش الدولية بالتفتيش على منشآتها النووية.

ألا يدفعنا كل ما سبق إلى وضع البرامج والخطط القادرة على مواجهة «التطرف النووي الإسرائيلي» الذي يعد أحد المخاطر التي تواجه الأمة العربية، وذلك بتكاتف عربي ذي عزيمة وقدرة فائقة على الخداع التكتيكي الذي يمكنه في كل الأحوال من بسط يد التفوق العربي، وما حرب رمضان ١٣٩٣هـ - أكتوبر ١٩٧٣م منّا ببعيدة؟!

مهندس زراعي
عبد المقصود السعيد عبدالمقصود
الإدارة الزراعية بالمنصورة
محافظة الدقهلية، مصر.



شقة الحرية وحرية الناقد!

لا جدال في أن الدبلوماسي الدكتور غازي القصيبي، أديب ذو اطلاع واسع على ما يدور في الساحة الأدبية، وقد أثار كتابه «شقة الحرية» اختلافا بيّنًا بين النقاد الذين اهتموا بتوصيفه وتعريفه وتحديد جنسه الأدبي. ومن المؤكد أن هذا التحديد خطوة مهمة في منهج البحث الأدبي، لأنه يحول بين الخلط والاشتباه بين مختلف الأجناس الأدبية، ويوفر قدرًا كبيرًا من الموضوعية، لذلك يحث بعض النقاد على ضرورة معرفة الجنس الأدبي للعمل كنقطة انطلاق بعد ذلك لدراسة نقدية لذات العمل حيث وصفه مؤلفه «بالرواية»، وصنفه أحد النقاد المعروفين بأنه «مزيج من سيرة ذاتية وأدب مذكرات وكتابة يوميات وتوثيق شاهد على أحداث، وبين ذلك استطرادات قد يكون لها نصيبها من إبداع الخيال»، والذي طالب المؤلف بإعادة الصياغة في حال إصراره على وصف «الرواية»(١)، مسوغًا موقفه بجملة أسباب لن نطيل فيها.

وبذلك قفزت إلى الواجهة معضلة تقرير جنس أدبي محدد يندرج تحته الكتاب، وأصبحت قضية أساسية، أما المضمون وما يحمله من قيمة فنية وأدبية فغدا أمرًا ثانويا هامشيًا لا يستحق الوقوف أو المتابعة المتأنية.

ونحار إزاء هذا الموقف: أهو ترقبٌ وانتظار؟ أم حذر وانتباه؟!

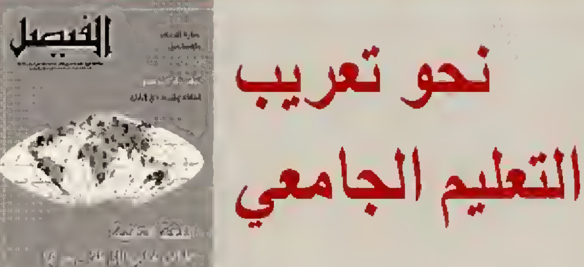
ونسأل عن موقف النقاد من الوقوف حول الشكل والجنس الأدبي مع أن الكتاب (شقة الحرية) تعرض لأحداث سياسية مهمة امتدت مرحلة من الزمن (١٩٥٦-١٩٦١م) وحشد أسماء جمع معروف من أشخاص أهل السياسة والأدب، كما أن المؤلف دار على أقطاب (اليمين) و(اليسار) في تلك المرحلة بشكل دبلوماسي هادئ، وفي خطاب وأسلوب (توفيقي) محاولاً (القفز والهروب إلى الأمام) متجنبًا أي علاقة افتراضية ترتبط بذهن القارئ، الذي قد يستنتج ويتنبأ مسبقًا في بعض المقاطع نتيجة أو منحى الحوار الدائر - على سبيل المثال - بين البطل وأحد رموز اليسار بعد ذكر اسمه الصريح.. ولا مراء في أن للناقد ملء الحرية في تحديد الجانب الذي يبتغيه من نقده، وللقارئ المتابع الحق في قراءة نقدية تكشف جوهر العمل وخفاياه ورموزه وبيان قيمته الفنية.

أعتقد أنه آن الأوان لرصد «شقة الحرية» في ميزان النقد الموضوعي العادل، وهو مطلب حق لا يُراد به باطل، مع تقديرنا لكل ناقد اجتهد فأصاب أو أخطأ.

الهوامش:

١ـ د. عبدالسلام المسدي: سوق عكاظ [ملف دوري عن نادي الطائف الأدبي] العدد ٢٢-٢٣ ص٨٨.

د. محمد فؤاد الذاكري
ص.ب ١٢٨٤، الطائف.





نحو تعريب التعليم الجامعي

تعقيباً على مقال الأستاذ الدكتور زيد الحسين، رئيس التحرير، في العدد ٢٥٠ الموسوم بـ«اللغة العربية وإرادة أمتها» أرغب في مناقشة موضوع تعريب المصادر العلمية والمناهج الدراسية للجامعات؛ حيث أرى أن هذا أمر قد تأخرت فيه أمتنا عن باقي الأمم، وأن الوقت قد حان لأداء هذه المهمة العظيمة التي نُعزّ بها لغة القرآن، ونزيد في فهم طلبة الجامعات للعلوم وإثارة إهتمامهم بتلقي العلم والتفاني في تحصيله.

ومن الأمور التي أراها مناسبة لتحقيق الهدف الذي ذكرته: أن تقوم كل جامعة في الوطن العربي بإنشاء مركز متخصص بالتعريب يقوم بالاتصال بأصحاب الاختصاص، والتنسيق بينهم لغرض تعريب أكبر عدد ممكن من الكتب الدراسية الجامعية، على أن يتم اختيار تلك الكتب بطريق علمي مدروس يحقق أكبر فائدة علمية، وينقل العلوم بطريقة سهلة وواضحة للطلبة ولاسيما العلوم الطبية والهندسية، وأن يكون هناك تشاور بين تلك المراكز وبخاصة في اختيار المصطلحات العلمية المناسبة. كما أرى الاستعانة بأكبر عدد ممكن من المترجمين حيث إن التعريب فن ربما لا يجيده أصحاب الشهادات بينما يتمكن منه من له رغبة في اللغة وعلومها ولا يملك الشهادة العالية.

كذلك أرى أن تقوم المجلات الثقافية بعمل ملفات متخصصة - فصلية أو شهرية - تُعنى بنشر البحوث والمقالات المتعلقة بفنون التعريب، أو نشر كتيبات حول الموضوع. وأطمع أن تبدأ مجلتنا الغالية «الفيصل» في الاستجابة لهذا الأمر وتطويره.

ثائر عبدالوهاب البهيجي
ص.ب ١٨١، مطابع البيان
عرعر، السعودية.



قل لي كيف تنفق أقل لك من أنت ؟ !

د. صلاح يحياوي

هناك في كل المجتمعات مبذرون، وهناك مدركون للأمور قبل حدوثها، وهناك منتهزو فرص، وهناك متشبثون ببطاقات الاعتماد CREDIT CARDS، وهناك طبعًا بائسون. يُصنَّف الناس ـ كل الناس ـ عند إنفاق المال وفق أحد هذه الأنماط.

منتهزو الفرص: إنهم أعضاء أسرة تتسقط الأخبار عن التنزيلات في أسعار السلع؛ وعند العثور عليها يحسون بالدغدغة تدب في أجسامهم، فيهرعون إلى حيث الفرص المتاحة، إلى حيث أخذ اثنين بثمن واحد، وادفع ثمن ثلاثة وخذ أربعة، واشتر بحسم ٥٠٪ على أصناف المجوهرات، ويكافأ كل من الزبائن المئة الأوائل بهدية ثمينة! يَسْحر أعضاءَ هذه الأسرة الحصولُ على رسائل تجارية، حتى إنهم ينتسبون إلى جمعية تسهل لهم الحصول على عناوين الشركات التي ترسل دعاياتها التجارية بالبريد وأرقام هواتفها. إنهم يستمتعون بقراءة العروض.. لا تعتقد بأن في الأمر مزاحًا! لا.. إن هناك عروسين تزوجا حديثًا، وأقاما أربعة أيام على أبواب مخزن كبير في إحدى العواصم الغربية كي يحصلا مجانًا على سرير قُدِّر ثمنه بمئتي دولار.

الأسرة الشبح: لا يعرف أفراد هذه الأسرة المال نقدًا لأن كل ما يكسبونه يذهب إلى السوبر ماركت، والمخزن الكبير، ومخزن الأثاث، والفيزا VISA، ولتوفية القرض المضمون برَهْن، ودَيْن السيارة، وأدوات الموسيقى، والمكتبة، وحتى لتوفية العم عبدو الخباز الذي يبيعهم الخبز والمعجنات دينًا. إنها أسرة افتراضية لأن مصروفها يفوق طاقتها، وهي تعيش في وضع عجز دائم. إنها مدينة لكل الناس، وهي مع ذلك مستمرة في سباقها المحموم للشراء. يسير أعضاء هذه الأسرة في الطريق مطأطئي الرؤوس لتجنب التحيات لأنهم قد يصادفون دائنًا.. إن هذه الأسرة هي أردأ مثال على المجتمع الاستهلاكي؛ ولكن الأكثر إثارة للفضول هو أن هذه الأسرة لا تبالي بالعيش على هذا المنوال، إنها ولدت كي تُنفق، إنها تنفق أكثر من دخلها.. ثم تأتي ضروب الحجز والإخلاء وطابور الدائنين!

بخلاء نهاية القرن: لا يوجد كثير من أمثال هذه الأسرة، إنها أسرة البخلاء الذين لا يذهبون إلى مكان للترويح عن أنفسهم، ولا يتناولون طعام العشاء خارج المنزل، ولايخرجون للتسلية كذلك.. لماذا تبذير المال إذا كان بالإمكان جني أرباح بوضعه في استثمار جيد؟ إن لدى أفراد هذه الأسرة في خزانة الدار كومة من المظاريف يحفظون فيها في بداية كل شهر المال المعد للمصروفات وفق أبواب كالماء والكهرباء والهاتف! ولديهم قفل على الهاتف يقفلونَهُ كيلاً تستخدمه الخادمة في الهتف إلى زوجها. إنهم يعيشون في أضواء خافتة، ويشترون مصابيح ضعيفة الاستطاعة (٢٥ واطًا) للتوفير في استهلاك الكهرباء. ويتوارث صغار هذه الأسرة الثياب والكتب كل عام من الأكبر سنًا، لا بل يتوارثون أيضًا أحذية الرياضة برائحتها وما فيها من فطور وجراثيم، ويفضلون معاناة البرد على إشعال المدفأة، ويحلمون طوال الليالي بالمال الذي لديهم في المصرف متجاهلين أنهم سيموتون في يوم ما دون الاستمتاع بثروتهم.

المدركون للأمور قبل حدوثها: الحظ؟ المصادفة؟ عدم توقع حدوث أمر ما؟ لا.. ما خشوا ذلك قط، ولن يخشوه أبدًا. إنهم من أسرة أحاطت بالأمر. أحاطت بكل شيء، وحسبت حساب المستقبل:

أن تُسرق السيارة؟ ما من مشكلة في هذا! إن السيارة مؤمن عليها ضد كل الأخطار.

أن تحتاج الصغيرة إلى تقويم أسنانها عندما تشب؟ لا.. لاخشية من ذلك، إن لديها تأمينًا يشمل ذلك.

ألاَّ يصل الراتب التقاعدي؟ حتى لو حدث ذلك فإن لدى الأسرة دخلاً شهريًا يأتي من اشتراكها في تأمين معاش تقاعدي آخر إلى جانب الدخل الذي يردها من استثمارات أسهم تضمنها الدولة.

كل شيء قد أخذ بالحسبان حتى الموت! نعم إن أفراد الأسرة مشتركون في تأمين على الحياة. إذا ما مات ولي الأمر فإن شركة التأمين ستدفع لتربية الصغار، ولتغطية مصروفات دراستهم.. إنها أسرة حسنة الحسبة في الأمر!

أسرة المتشبثين باللَّدين: يتشبث أعضاء هذه الأسرة ببطاقة اللّدين (البلاستيك): بطاقة الفيزا VISA، أو الماستر كارد MASTER CARD، أو الأمريكان إكسبريس AMERICAN EX-PRESS، أو.. أو.. إن لدى أسرة اللَّدين جميع بطاقات الطريق تستخدمها للسفر بالطائرة، ولشراء الوقود للسيارة، أو لاقتناء أي شيء في مخازن الثياب؛ وحتى للتحادث في مقصورة الهاتف في الطريق يستخدمون بطاقة شركة الهاتف.. يَسر هذه الأسرة أن تقوم بجميع العمليات بنقود من لدين.. وتنحصر مشكلتها في أنها لا تراقب الفواتير! إنها تضع الفواتير في الجيب، وفي نهاية الشهر ـ عندما تصل الحسابات ـ يُداخلها الذعر والفزع!